خُطَّة اللّه
لِلعَائِلَة

تأليف: جون كوبلينتز

ترجمة: رمزي عبَّاد
تحرير: صموئيل عويس

العنوان الأصليُّ للكتاب:
God's Plan for the Family

© ٢٠١٤- حقوق الطَّبع للنُّسخة العربيَّة محفوظة لـ **"Gleam Publications"**

بإذن مِن دار النَّشر **".CLP, Inc"**

الموقع على الإنترنت
www.gleampublications.com

يمكنك مُراسلتنا على
feedback@gleampublications.com

© ١٩٩٢، ٢٠٠٢- حقوق الطَّبع للنُّسخة الإنجليزيَّة محفوظة لـ".CLP, Inc"

الطَّبعة الأولى ١٩٩٢، الطَّبعة الثَّانية ٢٠٠٢.

لقد بَذلنا كُلَّ جهدٍ ممكن للحصول على إذنٍ لاستخدام جميع المواد المحميَّة بموجب حقوق الطَّبع. وفي حال استلامنا معلومات أخرى، سيكون مِن دواعي سرورنا أن نُشير إلى هذه المواد في الطَّبعات القادمة.

ISBN 978-0-87813-602-5

المحتويات

المقدِّمة ١١

الفصل الأوَّل: مفاهيم عائليَّة أساسيَّة ٣٥
الوحدة الاجتماعيَّة
الميراثُ العائليُّ: بَرَكة أَم لعنة؟
الضُّغوط الثقافيَّة

الفصل الثَّاني: تَرْك الطُّفولة ٥٩
مَن أنا؟
التَّغييرات الجسمانيَّة
التَّغييرات العاطفيَّة والسلوكيَّة
التَّغييرات الروحيَّة
وَضْع الأساس المَتين
كيف نَحيا حياةً طاهرة

الفصل الثَّالث: التَّعارُف والخِطبة ٩٩
لماذا نَتعرَّف إلى الجنس الآخر؟
هل نحن جاهزون؟
كيف نُقْدِم على هذه الخطوة؟
ما الخطوة التَّالية؟

الفصل الرَّابع: العُزوبَة ١٣٣
لماذا أنا أعْزَب أو عَزْباء؟
ما الأمور التي ينبغي تَوَقُّعها؟

ما الأمور التي ينبغي تَجَنُّبُها؟
كيف يمكنني أن أخدِم؟

الفصل الخامس: الزَّواج ١٦٧
خُطَّة الله: رجُل واحد وامرأة واحدة- إلى أن يُفَرِّق الموت بينهما
الزَّوجة الفاضلة
الزَّوج التقيُّ
الحاجات الأساسيَّة وكيفيَّة تلبيتها
أخطاء شائعة في الزَّواج
انتهاك خُطَّة الله
تقويم انتهاكات الزَّواج

الفصل السَّادس: الأبُوَّة والأمومة ٢٠٧
أهداف للأبَوَيْن المؤمِنَيْن
متى تَمتلئ الجَعبة؟
تربية الأبناء في حياة التَّقوى والقداسة
إرشادات في استخدام العَصا
تطبيق مبادئ تربية الأبناء
التحكُّم في الغضب
ماذا عن مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة (الحضانات)؟
الأبناء بالتَّبَنِّي

الفصل السَّابع: البيت والكنيسة ٢٢٥
ما الكنيسة؟
العُضويَّة في الكنيسة
التَّعاون بين البيت والكنيسة
يوم الربِّ

الفصل الثَّامن: عندما تتفاقم المشكلات ٢٦٣
نظرة واقعيَّة إلى الألم
التمسُّك بالمواقف السَّليمة
الإعاقات البدنيَّة
الإعاقات العقليَّة
رعاية بالأبوَيْن المُسِنَّيْن
مواجهة الموت
الاستعداد للموت
فقدان شريك الحياة

الفصل التَّاسع: عندما ينهار البيت ٢٨٩
الأبناء المُتمرِّدون والآباء المُتألِّمون
الآباء المُتمرِّدون والأبناء المُتألِّمون
الشَّريك المُتمرِّد والشَّريك المُتألِّم
إنقاذ الزَّواج

المقدِّمة

لقد رأى هذا الكتاب النُّور عندما نُشِر، أوَّل مَرَّة، باللُّغة الإنجليزيَّة في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة. وكان قد كُتِب –في الأصل- للمؤمنين المسيحيِّين في إطار الثَّقافة الغربيَّة التي حَادَت كثيرًا عن البُنَى العائليَّة التَّقليديَّة والقِيَم العائليَّة الأصيلة. ومِن دواعي الأسف أنَّ ابتعاد العائلات عن خُطَّة الله لحياتها لا يَقتصر على الولايات المُتَّحدة والبلاد الغربيَّة. فالعائلات في جميع أرجاء العالم آخِذَة في التفَكُّك بسبب إصرار النَّاس على عمل مشيئتهم وتنفيذ خُططهم عوضًا عن السلوك بما يتوافق مع مشيئة الله وخُطَّته.

لكِنْ كم نَشْكُر الله لأنَّ كلمته ثابتة لا تتغيَّر! فأيًّا كانت التَّغييرات التي تَطرأ على مجتمعاتنا، فإنَّ مقاصد الله للعائلة في يومنا هذا لم تتغيَّر عن تلك التي وضعها عندما أَسَّس العائلة. كما أنَّ وصاياه المُختصَّة بتأسيس عائلات تَقِيَّة وناجحة هي وصايا مُلائمة لكُلِّ ثقافةٍ وزمانٍ ومكان. ولا زال الله يبحث عن رجال ونساء مُستعدِّين للالتصاق بعضهم ببعض مدى الحياة. وهو يُلزمهم بهذا الرِّباط المقدَّس، ويُرشدهم، وينتظر منهم نَسْلًا تَقِيًّا إذ إنَّ كُلَّ جيلٍ مِن المؤمنين مُطالب بإرشاد أبنائه إلى معرفةِ الله وبتعليمهم طُرُقَه.

لقد نشأتُ في كنيسة مُحافظة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. وما زلتُ أنتمي إلى الكنيسة نفسها حتَّى هذا اليوم. وكان مُؤسِّسو هذه الكنيسة يؤمنون بتطبيق تعاليم يسوع المسيح والمبادئ الكتابيَّة حرفيًّا في جميع جوانب الحياة. وكان أجدادي يُقَدِّرون العائلة أيَّما تقدير. وقد عمل كثيرون منهم معًا في مزارع عائليَّة، وأداروا أعمالًا تجاريَّةً صغيرةً معًا. وكانوا يَشعرون أحيانًا بأنَّ التزامهم بتعاليم الكتاب المقدَّس يَجعل حياتهم مُختلفة عن المجتمع الغربيِّ الذي يعيشون فيه.

ولا أُخفي على القارئ أنِّي أُقَدِّر كثيرًا هذه البيئة التي نشأتُ فيها لأنِّي وجدتُ فيها ميراثًا عائليًّا غنيًّا في ما يَخُصُّ الحياة العائليَّة السَّعيدة المتينة. ولكن بوجود سَرطان مُستفحل في

العائلات في المجتمع عمومًا، أخشى أن يَتَفَشَّى هذا السَّرطان في العائلات المؤمِنة التي تَنتمي إلى أجيال سابقة عاشت في تَقوى الله.

وهذا يعني أنَّه لا أحد مِنَّا، ولا حتَّى أولئك الذين يعيشون في مجتمعاتٍ تُحافظ على القِيَم العائليَّة الأصيلة، بمنأى عن هذا الخطر الذي يَتَرَبَّصُ بالعائلات ويؤدِّي إلى تفكُّكها. لذلك، يجب علينا أن نُدرك حاجتنا إلى معونة الله لكي نتمكَّن مِن تطبيق خُطَّته في حياتنا العائليَّة. وفي ضوء هذا كُلِّه، فإنَّ هذا الكتاب ليس موجَّهًا إلى طائفة أو مجموعة مُعَيَّنة، بل هو دعوة لتَذَكُّر العديد مِن المبادئ والممارسات الكتابيَّة التي استرشدتْ بها العائلات المؤمِنة عَبْر القرون- في محاولة جادَّة مِنَّا لتطبيق هذه المبادئ عند التصدِّي للمشكلات والتحدِّيات التي نُواجهها اليوم. أجل، إنَّها دعوة مُوَجَّهة إلى جميع المؤمنين المسيحيِّين للعودة إلى المبادئ الكتابيَّة، ولتقييم حياتنا العائليَّة في ضَوْئها.

لذلك، فإنَّ هذا الكتاب ليس قائمًا على مبادئ علم النَّفْس المألوفة، بل هو قائم على سُلْطانٍ أقوى مِنَّا جميعًا: سُلطان الله الذي أَسَّس العائلة ووضع لها مبادئ قويمة تسترشد بها للنَّجاة مِن شَرِّ هذا الدَّهر وفساده. ومع أنَّ هذا الكتاب يحوي اقتباسات لكُتَّاب ومؤلِّفين آخرين، فإنَّ هذا لا يعني البتَّة أنَّنا نَتَّفق مع هؤلاء الكُتَّاب والمؤلِّفين في كُلِّ ما قالوه وكتبوه. لكنَّنا -في الوقت نفسه- لا نُنكر أنَّ كُتَّابًا ومؤلِّفين آخرين كثيرين قد ساهموا في زيادة فهمنا للمبادئ الكتابيَّة الواردة في هذا الكتاب، وفي تطبيقنا لها أيضًا.

ولا يَسعني هنا إلَّا أن أشكر «ديفيد ي. شوالتر»، و «ديفيد ل. ميللر»، و «إيلي ب. يودر»، و «ليون يودر»، و «لويد هارتزلر» على مُراجعتهم للمُسَوَّدات الأوليَّة لهذا الكتاب، وعلى ما أبدوه مِن اقتراحاتٍ ونَقْدٍ بَنَّاء. كذلك، أشكُر «ديفيد ميللر» على تحريره الدَّقيق للكتاب. وأودُّ أيضًا أن أشكر الأشخاص الكثيرين الذين طرحوا عليَّ أسئلة مهمَّة عن العائلة- لا سِيَّما أنَّ أسئلتهم تلك دفعتني إلى البحث عن إجاباتٍ لها في كلمة الله. وأودُّ أن أُشير هنا إلى جزءٍ موجود في بعض فصول هذا الكتاب بعنوان «قِصَّة مِن واقع الحياة». وهذه القصص الحيَّة تعكس حياة بعض الأفراد والعائلات الذين التقيت بهم، وعرفتهم، وأحببتهم. وهي تحوي فقط التَّفاصيل التي ساعدتني ذاكرتي على استرجاعها. لكنَّ الأسماء الواردة هنا هي أسماء وهميَّة- حفاظًا على خصوصيَّة أصحاب هذه القصص (باستثناء اسم أبي الذي وَرَد في «قِصَّة مِن واقع الحياة» في الفصل الثَّامن). وفوق الكُلِّ، أشكر الله على عائلتي التي بارَكني

بها أعظم بَرَكة. فزوجتي «باربرا» وأبناؤنا السَّبعة هُم أعظم ذُخْرٍ تعليميٍّ لي في الحياة العائليَّة المسيحيَّة.

ولا يفوتني أن أُنَوِّه إلى أنَّ نِطاق هذا الكتاب واسع، بل ربَّما واسع جدًّا. ومع ذلك، فهو يُبَيِّن بجلاء أنَّ العائلة ليست مشكلة في حَدِّ ذاتها. لكِنْ إن أردنا أن نَبني عائلات ناجحة وسعيدة، فإنَّنا أمام مشروعٍ ضخمٍ على مستوياتٍ عديدة.

وصلاتي هي أنْ تُبنَى حياة القُرَّاء الأحبَّاء على الإيمان الرَّاسخ بأنَّ سُبُل الله قويمة وقابلة للتَّطبيق، وبأنَّ مَن يَبني بيته على المعايير التي وضعها الله فهو إنسان حكيم وليس جاهلًا. وليت الربَّ إلهنا يساعدنا على تأسيس بيوت مُستقرَّة لا تُعَدُّ ولا تُحْصى في هذا العالم المضطرب الذي نعيش فيه!

--مُقتَبَسَة بتصرُّف من المقدِّمة بقلم جون أ. كوبلنتز.

الفصل الأوَّل

مفاهيم عائليَّة أساسيَّة

المقدِّمة

قد يَسخر النَّاس مِنَّا إن قُلنا إنَّ العائلة تعيش حالة تَقهقُر في المجتمعات الغربيَّة. فأعداد الذين قالوا ذلك قَبْلَنا –ويقولونه حتَّى الآن- أكثر مِن أن تُعَدَّ أو تُحصَى. ومع ذلك، ما تزال العائلة تعيش حالة تَقَهْقُر وتَفَكُّك. فبالرَّغم مِن وفرة الكُتب والنَّدوات والخبراء، ما زال الأزواج والزَّوجات يهجرون بعضهم بعضًا، وما زال الآباء والأمَّهات يهجرون أبناءهم، والعكس صحيحٌ أيضًا. والشَّيء الذي لا يفهمه كثيرون، ويا للأسف، هو أنَّ المشكلة لا تَكْمُن في العائلة الغربيَّة، بل في الحياة الغربيَّة بِرُمَّتها. ومع أنَّ ملايين الدُّولارات قد أُنْفِقَت على المزيد مِن البرامج، وعلى تطوير الأساليب، وعلى توفير تدريب أوضح للآباء والأمَّهات، فإنَّ المشكلة الحقيقيَّة ما زالت بعيدة عن الطَّرْح. فأسلوب عيش الغربيِّين (الأشياء المُهِمَّة في نظرهم، ومواقفهم تُجَاه الحياة، والأُسُس التي تقوم عليها الحياة العائليَّة) يُبْطِل فاعليَّة الكثير مِن النَّصائح المُقَدَّمة ويَجعلها عديمة التَّأثير. والحقيقة هي أنَّ هذا التَّقهقُر العائليَّ لا يَقتصر على الغرب. ففي ضوء ما تقوم به وسائل الإعلام الحديثة المُنتشرة حول العالم مِن هجومٍ على القِيَم العائليَّة الأصيلة، وحَطٍّ مِن شأن التَّقاليد العائليَّة العريقة، فإنَّ العائلات في مُختلف الثَّقافات والبُلدان تعيش حالة تَفَسُّخ وتدهور.

ولا يَلْزَمُنا أكثر مِن مَثَلٍ واحدٍ لإثبات ذلك. فمع أنَّ مؤمنين كثيرين يسألون أنفسهم عن صِحَّة سماحهم لأبنائهم بالاستماع إلى الموسيقا التي يستمعون إليها، أو عن ضرورة خفض صوت الموسيقا بعض الشَّيء، فإنَّ فئة قليلة جدًّا مِن الآباء والأمَّهات في وقتنا الحاضر تُدرك أن موسيقا اليوم –بما فيها الموسيقا المسيحيَّة- قد أَفْسَدَت عددًا مِن القِيَم المسيحيَّة. فلنأخذ الهدوء مثلًا. أين ذهبت السَّكينة؟ فالصَّخب (حتَّى إن كان ناجمًا عن موسيقا جميلة) في

العديد مِن البيوت اليوم قد يدفع مُسِنِّين كثيرين إلى الهرب خارجًا للتمتُّع بنزهة في الهواء الطَّلق. وماذا عن العبادة؟ ففي خِضَمِّ هذا الصَّخب الموسيقيِّ في يومنا هذا، والمَيْل إلى تَأليه بعض الفِرَق الموسيقيَّة، واللَّهْث وراء كُلِّ أغنية جديدة، والتَّنافُس الشَّرِس على تشغيل الموسيقا بأعلى صوتٍ مُمكن، أين ذهب توقيرُ الله وتبجيلُه؟ وكم عدد أنظمة تشغيل الموسيقا التي نَجَحَتْ في إخْماد أصوات العائلات التي كانت تُرَنِّم وتُسَبِّح الله مِن أعماق قلوبها؟ (ومع أنّ النَّاس يُنفقون مبالغ طائلة لشراء الأنظمة الصَّوتيَّة الحديثة، فإنَّها لا تُساوي فلسًا في نظر الله!)

إنَّ وجهة النَّظر التي نحاول أن نُشاركها معك بسيطة. فهناك بيوتٌ كثيرة لن تقف على قدميها إلَّا مِن خلال إجراء تغييرات جذريَّة على الأُسُس التي يقوم عليها البيت. فمِن الغباوة أن نَبني منزلًا على الطِّين أو الرَّمل. ومِن الجهل أن نُفَكِّر أنَّنا قادرون على بناء بيوتٍ تُمَجِّد الله مِن خلال الاستعانة بقِيَمٍ مقبولةٍ عند أغلبيَّة النَّاس في الثَّقافة الغربيَّة. فإذا اكتشفنا أنَّ المواد التي استُخدمت في بناء أساسات منازلنا هي مواد مغشوشة، لا يمكننا معالجة المشكلة بالاستعانة بمُصَمِّمٍ داخليٍّ يُقَدِّم لنا مجموعة نصائح عن لون الطِّلاء المناسب. فقَبل كُلِّ شيءٍ، يجب معالجة الأساسات.

إنَّ هذا الفصل يتحدَّث عن الأساسات (الأمور الجوهريَّة). وسنرى مِن خلال الكتاب المقدَّس قَصْد الله للعائلة. وسنُلقي نظرة فاحصة على المفاهيم الأساسيَّة التي ينبغي توافُرُها في العائلة بوصفها وَحدة اجتماعيَّة. وسوف نتحدَّث -في وقتٍ لاحقٍ- عن عددٍ مِن الأساسات الخاطئة التي تُحاول ثقافتنا أن تَفرضها علينا لبناء بيوتنا؛ وهي أساسات ينبغي لنا أن نَرفُضها إن أردنا تأسيس عائلات سليمة.

الوَحدة الاجتماعيَّة

«وَلْتَكُنْ هذِهِ الكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ في بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي في الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ» (التَّثنية ٦: ٦ و ٧).

«اَلابْنُ الحَكِيمُ يَسُرُّ أَبَاهُ، وَالابْنُ الجَاهِلُ حُزْنُ أُمِّهِ....مَنْ يَجْمَعُ في الصَّيْفِ فَهُوَ ابْنٌ عَاقِلٌ، وَمَنْ يَنَامُ في الحَصَادِ فَهُوَ ابْنٌ مُخْزٍ» (أمثال ١٠: ١ و ٥).

«أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ،...وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لا تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ» (أفسُس ٦: ١ و ٢ و ٤).

يُمكننا أن نَرى بسهولة –مِن خلال هذه الآيات وغيرها- أنَّ قَصْد الله هو أن تكون العائلة اللَّبِنَة (أو الوَحدة) الاجتماعيَّة الأساسيَّة في المجتمع. فالعائلة هي المكان الذي تَحْدُث فيه الزِّيارات، والأكل، والتَّعليم، والمَهامُّ، واللَّعب. وقد كان قَصْدُ الله مِن البَدْء هو أن نَتفاعل مع أفراد عائلاتنا أكثر مِن أيِّ أشخاصٍ آخرين. ولأنَّ الله أراد للعائلة أن تكون المكان الرَّئيسيَّ الذي يَحْدُث فيه التَّفاعل الاجتماعيُّ، فقد وَضَع بعض الوصايا والإرشادات للتَّفاعُل السَّليم.

لَكِنَّ العائلة- بوصفها وَحدة عائليَّة- آخِذَة في التَّراجُع والتَّقهقُر. فالَّذين يَرغبون في العمل يَذهبون إلى الشَّركات والمؤسَّسات. والَّذين يَرغبون في التَّعَلُّم يَذهبون إلى المدارس والجامعات. والَّذين يَرغبون في اللَّعب يَذهبون إلى الحدائق ومراكز التَّرفيه. والَّذين يَرغبون في تناول الطَّعام يَذهبون إلى المطاعم. أمَّا الزِّيارات فخاطفة في أغلب الأحيان. وهناك الكثير مِن العائلات التي تَجِد غرابةً كبيرةً في اجتماع العائلة بأسْرِها في إحدى الأمسيات. وقد يَشْعُر الأب بالضَّغط أكثر مِن الجميع. فهو مُضْطَرٌّ إلى العمل ساعاتٍ إضافيَّة مساء يوم الإثنين. وهو مُضْطَرٌّ إلى حضور تدريبات كُرة القدم مساء يوم الثَّلاثاء. وهو يَذهب إلى درس الكتاب المقدَّس مساء يوم الأربعاء. وهو يَلتقي بأصدقائه مساء يوم الخميس. أمَّا مساء الجمعة فهناك اجتماعٌ في الكنيسة للتَّخطيط للمؤتمر القادم! لذا، فإنَّه يركض، ويركض، ويركض! والحقيقة هي أنَّ مِثل هذه الأشاغيل الكثيرة لم تَكُن أمرًا مألوفًا لدى العائلات قَبْل مئة سنة. لذلك، لا بُدَّ مِن تذكير الآباء بضرورة صَرْف وقتٍ مع أبنائهم. فينبغي للآباء والأمَّهات أن يُخَصِّصوا «سهرة عائليَّة» أو «وقتًا ثمينًا» مع أبنائهم لأنَّ العائلة –التي هي وَحدة اجتماعيّة- آخِذَة في التصدُّع والانهيار.

ولَمَّا كُنَّا سنتطرَّق في وقتٍ لاحقٍ إلى الضُّغوط النَّاجمة عن المُبالغة في الأنشطة، سنكتفي الآن بالقول إنَّ الأبناء)وكلَّ فردٍ راشد(–أيًّا كانت أعمارُهم- يحتاجون إلى التَّفاعُل بين جميع أفراد العائلة.

يجب على العائلة أن تعمل معًا

في الوضع المثاليِّ، يجب أن يَعمل الأب في مهنة تُتيح له صَرْف وقتٍ مع عائلته في البيت. ومع

أنَّ هذا ليس مُمكنًا في كثير من الحالات، يجب على الأب بالمقابل أن يكون شديد الحرص لئلَّا يَسْتَنْزِف عمله كُلَّ طاقته. ويجب عليه أن يُخَطِّط لِصَرْف وقتٍ مع عائلته في وقت فراغه وعُطلته. وقد يكون العمل في حديقة المنزل مشروعًا عمليًّا. وإن لم يَكُن ذلك مُمكنًا، يمكن اختيار أيِّ نشاطٍ آخر. فبإمكان الأب أن يَصرف وقتًا في تصليح بعض الأشياء المعطوبة في المنزل، أو في صيانة سيَّارته وسيَّارة زوجته، أو في مساعدة زوجته في الطَّبخ، أو في أيِّ نشاطٍ آخر يمكن لجميع أفراد العائلة أن يتعاونوا معًا لإنجازه. فمِن الجيِّد أن يَرى الأبناء آباءهم وأمَّهاتهم يَعملون. ومِن الجيِّد أن يُعَلِّم الآباء والأمَّهات أبناءهم على العمل، وعلى مهارات العمل وأخلاقيَّاته أيضًا. ومِن المفيد لجميع أفراد العائلة أن يُفَكِّروا معًا في حلول عمليَّة لمشكلات العمل، وأن يُوَزِّعوا المسؤوليَّات، وأن يتقاسموا مُكافأة العمل الجادِّ الذي قام به الجميع.

يجب على العائلة أن تأكل وتتحدَّث معًا

يبدو أنَّ التَّضارُب في المواعيد بين أفراد العائلة والعَجَلة في القيام بكل شيءٍ يَتزاحمان عند مائدة الطَّعام في محاولة مُسْتَميتة لمنع أفراد العائلة الواحدة مِن تناول الطَّعام معًا. ولا شَكَّ أنَّ تَجَنُّب التَّضَارُب في مواعيد أفراد العائلة قد يكون أمرًا مستحيلًا؛ ولا سيَّما عندما يبتدئ الأبناء المُراهقون بالتَّفاعل مع عالم الرَّاشدين. لكِنَّ الواقع يقول إنَّ السَّبَب الرَّئيسيَّ في عدم اجتماع أفراد العائلة على مائدة الطَّعام يَعود -في الأصل- إلى فَرْط انهماكهم في الأنشطة. والكثير من الأنشطة التي قد تشغل أفراد العائلة عن الاجتماع حول مائدة الطعام هي أنشطة جيِّدة بِحدِّ ذاتها. كما أنَّه ليس بالضرورة أن يكون الانشغال بالنشاطات أمرًا خاطئًا، لكِنْ إن كان أفراد العائلة يَجِدون وقتًا لكل شيءٍ آخر، ولا يَجِدون وقتًا هادئًا لتناول الطَّعام معًا، فهناك خَطْبٌ ما! وفي حالٍ كهذه، يجب اتِّخاذ الخطوات اللَّازمة لتقويم الأمر.

وعند تقييم الأنشطة التي تَمنع أفراد العائلة مِن رؤية بعضهم بعضًا حول مائدة الطعام، فإنَّنا نَفعل حسنًا إن فَكَّرنا في الفَرْق بين الأنشطة الرَّامية إلى خدمة الآخرين، والأنشطة الرَّامية إلى خدمة أنفسنا.

ولا شَكَّ أنَّ الأنشطة الرَّامية إلى خدمة الآخرين تمثِّل ردَّ فِعْل المحبَّة- في قلوبنا- لاحتياجات الآخرين. لذلك، فإنَّ الأشخاص الجادِّين في علاقتهم بيسوع المسيح وتكريسهم له يَجِدون أنفسهم -في أغلب الأحيان- مُنهمكين في عمل الخدمة. وقد وَجَد يسوع أنَّ مِثل تلك الأنشطة كانت

تُقاطع الأوقات الثَّمينة التي كان يجلس فيها مع تلاميذه لتناول الطَّعام معًا. لذلك، فقد اتَّخذ خطواتٍ لمعالجة الأمر: «فَقَالَ لَهُمْ: «تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلًا». لأَنَّ القَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكْلِ» (إنجيل مَرقُس ٦: ٣١).

أمَّا الأنشطة التي نَخْدِم بها أنفسنا فهي أمورٌ نقوم بها لِمُتعتنا، أو لتسليتنا، أو لِمَصلحتنا الذاتيَّة. ومع أنَّ هذه الأنشطة ليست خاطئةً بالمُجمل –ولا سيَّما عندما يَحتاج المرء إلى وقتٍ للانتعاش وتجديد طاقته- فإنَّ الحياة المُمتلئة بأنشطةٍ كهذه هي حياة ضَحْلَة، وفارغة، وغير مُشْبِعَة؛ حَتَّى إنْ بَدَت عكس ذلك في الظَّاهر. ولأنَّ المُجتمعات المُعاصرة مُتخمة بأنشطةٍ مِن هذا النَّوع، فإنَّها مُتخمة أيضًا بأُناسٍ عاجزين عن الشُّعور بالشّبع. ومِن دواعي الأسف أنَّ عائلات كثيرة- مِمَّن لا يَجتمع أفرادها معًا على مائدة الطَّعام- مُنهمِكة دائمًا في أنشطة كهذه.

تأمَّل في اللَّائحة التَّالية مِن الأنشطة التي قد تَمنع أفراد العائلة مِن الاجتماع معًا على مائدة الطَّعام. أيٌّ منها يَرمي إلى خدمة الآخرين؟ وأيٌّ منها يَرمي إلى خدمة الذَّات؟ وأيٌّ منها قد يَصْلُح في كلتا الحالتين – وفقًا للأحوال؟

- كُرة القدم
- التسوُّق
- الغِناء
- العلاقات الاجتماعيَّة
- العمل
- الزِّيارات
- اجتماعات اللِّجان
- الخروج معًا لتناول الحلويات
- تناول القهوة مع الأصدقاء
- الاستماع إلى الفِرَق الغِنائيَّة
- ممارسة التَّمرينات الرياضيَّة
- العمل على مشروعٍ ما

ويجب على العائلات التي لا يتمكَّن أفرادُها عادةً مِن الاجتماع معًا على مائدة الطَّعام أن تُراقب أنشطتها لأسبوعٍ أو أسبوعين، وأن تُقَيِّم طبيعة أنشطة أفرادها. فإن كان الأفراد مُنهمكين جدًّا في خدمة الآخرين، يجب عليهم إيجاد وقتٍ لأنفسهم للانتعاش وتجديد الطَّاقة. وإن كانوا مُنهمكين في خدمة أنفسهم، ينبغي لهم إعادة ترتيب أولويَّاتهم. فالسَّنوات التي قد يقضيها أفراد العائلة في الاجتماع معًا قصيرة جدًّا ولا تَستحقُّ أن نهدرها على مذبح الانهماك المُفْرِط في أيِّ شيء.

ويجب على أفراد العائلة أن يَعلموا أنَّ أيَّ اقتراحٍ سيُقدِّمونه للأفراد الآخرين للتَّخفيف مِن أنشطة الخدمة الذاتيَّة سيُقابل بالمقاومة. فلا أحد يُريد أن يتوقَّف عن القيام بما يفعله. وأفضل طريقة للتَّغيير هي مناقشة المشكلة معًا كعائلة، وتوضيح أولويَّات العائلة، ووضع توجيهات معقولة، واتِّباع هذه التَّوجيهات فترةً زمنيَّةً مُحَدَّدة قبل إعادة تقييم الوضع. ويجب أن تحوي الإرشادات لا على قيود على أنشطة معيَّنة فحسب، بل وأيضًا على بدائل مُتكاملة تَفي بحاجات العائلة الاجتماعيَّة. (لمزيدٍ مِن المعلومات عن الأنشطة العائليَّة، اقرأ الفصل السَّادس).

يجب على العائلة أن تعبد اللّه معًا

مع أنَّه لا بُدَّ مِن الإقرار بأنَّ المكان الأساسيَّ للعبادة الجَماعيَّة هو الكنيسة، فإنَّ العبادة العائليَّة (المذبح العائليّ) هي عنصرٌ أساسيٌّ مِن الكيان العائليِّ للعائلة أيضًا. فيجب على أفراد العائلة أن يُصَلُّوا معًا، وأن يُرَنِّموا معًا، وأن يقرأوا كلمة الله معًا، وأن يُقدِّموا الشُّكر لله معًا. فهناك مزايا كثيرة جدًّا لأوقات العبادة العائليَّة نَذْكُر مِنها على سبيل المِثال لا الحَصْر: الشُّعور بالأمان والاستقرار، واكتساب الحِكمة والنُّضج.

والحقيقة هي أنَّ المُعَطِّلات التي تَحرم العائلات مِن تناول الطَّعام معًا هي نفسها التي تَحرمها مِن أوقات العبادة معًا. فهناك الحياة السَّريعة المُسْتَعِرَة التي تُحارب وتقاوم الهدوء اللَّازم لقراءة كلمة الله والصَّلاة. ويبدو أنَّ أفراد العائلة يَجِدون مُتعةً أكبر في القيام بأمورٍ أُخرى. لكِنْ كما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ الأشياء التي نَظُنُّها مُمتعة هي الأشياء الأقل إشباعًا لنفوسنا على المَدى البعيد. ولا شَكَّ أنَّ العائلة التي لا يَجِد أفرادها وقتًا لعبادة الله معًا هي عائلة تعيش وفقًا لِقِيَم قاصرة عن بناء مؤمنين أقوياء. فهي -بالحَرِيِّ- قِيَمٌ تقود الأبناء إلى الخضوع أكثر فأكثر لضغوط الخطيئة والمجتمع الغارق في الدُّنيويَّة.

يجب على العائلة أن تلعب معًا

مع أنَّ مجتمعاتنا مُنغمسة في التَّسلية والمرح أكثر مِمَّا ينبغي، فإنَّ هناك مكانًا للَّعب في حياة العائلة. فمِن الجيِّد أن يَضحك أفراد العائلة معًا. ومِن الجيِّد أن يَرى الأطفال آباءهم وأمَّهاتهم يمزحون ويضحكون ويُقَهْقهون بسبب بعض المواقف المُضْحِكَة. فعندما يَسمح الأب لأطفاله بامتطاء ظهره (كما لو كان حصانًا)، فإنَّه يَجلب السَّعادة إلى قلوبهم بطريقة تَعجز عنها الطَّرائق الأخرى. علاوةٌ على ذلك، فإنَّ الألعاب تُعَزِّز بعض المبادئ (كالعدالة،

والصِّدق، والعمل بروح الفريق، واللَّياقة). ويمكن للألعاب التي لا تحتاج إلى أيِّ استعدادات مُسَبَّقة (مِثل بناء مدينة مِن التُّراب، أو نَصْب خيمة في غرفة المعيشة) أن تُشَجِّع على الإبداع والتَّعاون. كذلك، قد تكون القراءة وسَرْد القصص أمرًا مُمتعًا للأطفال ويساعد في توسيع مداركهم. والنُّقطة التي نُريد التَّركيز عليها هنا هي أنَّ جميع هذه الألعاب التَّرفيهيَّة المُسَلِّية تُسهم في تعزيز الصحَّة الاجتماعيَّة العائليَّة عندما تُمارَس بتوازُن في إطار بقيَّة عناصر التَّفاعل بين أفراد العائلة.

يجب على العائلة أن تتفاعل اجتماعيًا في عمليَّة التَّعليم والتعلُّم

إنَّ الله يدعو الآباء والأمَّهات إلى أن يكونوا مُعَلِّمين أكْفاء. وبالمُقابل، فإنَّه يدعو الأبناء إلى أن يكونوا مُتعلِّمين مجتهدين لكي يصيروا مُعَلِّمين أكْفاء لأبنائهم في يومٍ ما. ويبدأ هذا التَّفاعل بين الأبوَيْن وأبنائهم حَتَّى قبل أن يصير التَّواصُل اللَّفظيُّ مُمكنًا. وهو يَستمرُّ -بشكلٍ أو بآخر- طوال حياتهم معًا. ومع أنَّ بعض المسؤوليَّات التعليميَّة المُلقاة على عاتق الأبوَيْن يُمكن أن تُسْنَد إلى أشخاصٍ آخرين، فإنَّه لا يُمكن التخلِّي عن تلك المسؤوليَّة التَّعليميَّة برُمَّتها. فالأبناء في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى اكتساب بعض الخبرات التَّعليميَّة مِن أبوَيْهم. لذا، يجب على الآباء والأمَّهات أن يكتسبوا الخبرة اللَّازمة لتعليم أبنائهم.

وكما سنرى لاحقًا في هذا الفصل، فإنَّ مجتمعاتنا تَضَع ضغوطًا هائلة على العائلات في الأمور المُختصَّة بالتَّعليم. فقد بدأت بؤرة تعليم الأبناء في مجتمعاتنا تَبتعد تدريجيًّا عن البيت. كذلك، فإنَّ مَصْدر التعلُّم يَبتعد تدريجيًّا عن الأبوَيْن ويَقترب مِن «الخُبَراء في حقل التَّربية والتَّعليم». ولكن، ويا للأسف، فإنَّ خبرات البشر تَبتعد -عمومًا- عن مخافة الربِّ. في ضَوْء ذلك، فإنَّ «أفضل» الفُرَص التَّربويَّة خارج المنزل تَفتقر إلى تلك الصِّفة الأكثر أهميَّةً (أي: مخافة الربِّ). والحقيقة هي أنَّ هذا يَحرم العائلات مِن التَّفاعل الثَّمين بين أفرادها، ويَحرم العمليَّة التَّربويَّة مِن قيمتها الدَّائمة وقَصْدها الأسمى.

ولتلخيص هذا الجزء، يجب علينا أن نَعلم أنَّ الله جَعَل العائلة الوحدة الاجتماعيَّة الأساسيَّة في المجتمع بأسْرِه. فهي المحور الذي يدور حَوْلَهُ أفراد العائلة، ويتفاعلون مِن خلال بعض الأنشطة مِثل العمل، واللَّعب، والعبادة، والأكل، والتعلُّم، وتبادُل أطراف الحديث معًا. وقد كانت غايتُنا مِن الحديث السَّابق هي أن نَرفع بعض الرَّايات التَّحذيريَّة فوق المجتمعات التي تَضغط على العائلة لدفعها إلى التخلِّي عن هذا التَّفاعُل الاجتماعيِّ.

الميراثُ العائليُّ: بَرَكة أَم لعنة؟

نحن نعيش في الحاضر، ونواجه الأمور المعاصرة لنا. لكنَّ الزَّمان الحاضر والمواقف التي نواجهها الآن ترجع -في الأصل- إلى وقتٍ مَضى، وإلى مواقف أخرى لا تُحصى ولا تُعَدّ أَفْضَت إلى هذا الحاضر. وعندما نتحدَّث عن العائلة، فإنَّنا نتحدَّث عن خلفيَّة العائلة السَّابقة بوصفها ميراثًا عائليًّا. ولا شَكَّ أنَّ كُلَّ عائلة هي -بطريقة أو بأخرى- نِتاج هذا الميراث. فقد نشأت (كُلُّ عائلة) مِن أشخاصٍ سَبقوها، ومِن أحداثٍ مَضى عليها زمن طويل. فالعائلة تتشكَّل وفقًا لقرارات وشخصيَّات آبائنا وأمَّهاتنا، وأجدادنا وجَدَّاتنا، وآباء أجدادنا وأُمَّهات جَدَّاتنا. والحقيقة هي أنَّ الميراث العائليَّ يَضُمُّ ملامحنا الجسديَّة، وعاداتنا البسيطة، وصِفاتنا الرَّئيسيَّة والمُميَّزة، ومُعتقداتنا وقِيَمنا التي نَعيش بموجبها.

وكم نشكر الله لأنَّ الميراث العائليَّ ليس هو العنصر الوحيد الذي يُشَكِّل العائلات. فالحاضر يُضيف دومًا شيئًا جديدًا إلى الميراث العائليِّ. لذا فإنَّ ميراثنا لا يتشكَّل مِن خلال آبائنا وأجدادنا فحسب، بل ومِن خلالنا نحن أيضًا. فخياراتنا وحياتنا لها دورها الفاعل أيضًا. ومع أنَّ الماضي يؤثِّر في حياتنا، فإنَّه لا يُهيمن عليها بالتَّمام. وإن كُنَّا نبحث عن مَصلحتنا ومصلحة الأجيال القادمة، يجب أن تكون خياراتنا مِن ذلك النَّوع الذي يترك ميراثًا عائليًّا مُباركًا يتميَّز بحياة التقوى.

فالميراثُ العائليُّ قد يكون بَرَكَةً أو لَعنة. لذا فقد كَتَب داود: «فِي أَرْضٍ بَهِيجَةٍ وَقَعَتْ قِسْمَةُ حِصَّتِي. فَمَا أَفْضَلَ هذَا المِيرَاثَ عِنْدِي!» (المزمور ١٦: ٦ [التَّرجمة التَّفسيريَّة]). والحقيقة هي أنَّ داود لم يَكُن يَعني -مِن خلال هذه الكلمات- أنَّ كُلَّ ماضيه كان تَقِيًّا ومُباركًا. فقد كان داود يواجه الكثير مِن المشكلات والبلايا. ولكنَّه سارَ مع الربِّ. وأثناء سَيْرِهِ مع الربِّ، وَجَد ميراثًا غنيًّا.

ويَذْكُر داود، في العدد الخامس، أهَمَّ عُنْصُرٍ في الميراث إذ يقول: «الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي (أو: مِيرَاثِي)». فوجود الله في حياة المرء يُحَدِّد -أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخر- تأثير ميراثه العائليِّ وقيمته. فالشَّخص الذي يسير مع الربِّ يستطيع أن يَنظر إلى الوراء -بالرَّغم مِن كُلِّ الذُّنوب والخطايا- وأن يَرى أنَّ صلاح الله يجتذبه إليه (أي إلى الله). وحينئذٍ فإنَّه يُقَدِّم الشُّكر للربِّ. مِن جهةٍ أخرى، فإنَّ مَن يَتمرَّد على الربِّ لن يَجِد الكثير مِن الصَّلاح والخير في الماضي – حتَّى لو كان ميراث التقوى في عائلته يحوي خيرًا وافرًا. وحينئذٍ، فإنَّه لن يفعل شيئًا آخر سوى التذمُّر!

ومِن وجهة النَّظر البشريَّة، يمكننا القول إنَّ حُضور الربِّ يَعمل بأثرٍ رَجْعِيٍّ في ما يَختصُّ بميراثنا. فأيًّا كان ماضينا، فإنَّ الربَّ قادرٌ على تحويل مصائب الماضي وبلاياه إلى بركاتٍ غير مُتوقَّعة في حياتنا في الوقت الحاضر شريطة أن نتوب ونرجع إلى الرب ونتواضع أمامه. وعلى النَّقيض مِن ذلك، إن كان ميراثنا مُبارَكًا، ولكنَّنا تَخَلَّينا عنه بسبب عِناد قلوبنا وعدم طاعتنا، سنكتشف أنَّ بَرَكات الماضي نفسها قد انقلبت علينا وجَعَلت ذكريات هذا الماضي الحلوة تختلط بواقِعنا المُرِّ بسبب الصِّراع الذي نعيشه.

لذلك، يمكننا أن نَرى أنَّهُ ما مِن شخصٍ يستطيع أن يَحتفظ بتأثيرات حياته لنفسه. فالإنسان الذي يعيش حياةً تَقِيَّةً يَترك ميراثًا مُفْعَمًا بالبَرَكات. والشَّخص الذي يعيش في الخطيَّة يترك ميراثًا مُلوَّثًا بالخطيَّة. والحقيقة هي أنَّ الله يَعمل في كلا هذين النَّوعين مِن الميراث. فهو يقول للفئة الأولى: «جِيلُ الْمُسْتَقِيمِينَ يُبَارَكُ» (المزمور ١١٢: ٢). وهو يقول للفئة الثَّانية: «حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ» (الخروج ٣٤: ٧).

وهذا كُلُّه يُؤكِّد أهميَّة العائلات التقيَّة الوَرِعَة، واستحالة الحصول على عائلات كهذه بمعزلٍ عن الربِّ. وببساطة مُتناهية، لا يمكننا أن نتمتَّع ببركات الميراث العائليِّ التقيِّ المُبارَك ولا أن نترك وراءنا ميراثًا مُباركًا دون أن نكون مُكَرَّسين للربِّ.

إكرام الوالِدَيْن

إنَّ ما يريده الله مِن العائلة مُعْلَنٌ مِن خلال مبادئ الكتاب المقدَّس. وقد رأينا للتوِّ علاقة بعض هذه المبادئ بالميراث. ولكنَّ هناك مبدأً جوهريًّا آخر قُوبِل بالإهمال وسوء الاستخدام مِن المجتمع. لذا، يجب علينا أن نتحدَّث عن هذا المبدأ وأن ندرسه بعناية- وهو: إكرام الوالِدَيْن.

إنَّ إحدى الوصايا التي أعطاها الله لشعبه تَختصُّ بالعائلات تحديدًا: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» (خروج ٢٠: ١٢). وعندما كَتَبَ الرَّسول بولُس إلى كنيسة أفسُس، قال إنَّ هذه الوصيَّة -مِن الوصايا العَشْر- هي «أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بوعدٍ». وكما قرأنا، فقد ارتبطت هذه الوصيَّة بالوعد بالخير وطول الأيَّام. وما دامت الحياة تُعَبِّر عن الوجود الاجتماعيِّ، وما دامت العائلة هي الوحدة الاجتماعيَّة الأساسيَّة، فَمِن المؤكَّد أنَّ طاعتنا أو عدم طاعتنا لهذا المبدأ العائليِّ الأساسيِّ ستؤثِّر تأثيرًا مباشرًا في حياتنا.

لكِنْ ما المقصود بإكْرام الوالِدَيْن؟ وهل تُظْهِر ثقافتنا إكْرامًا للوالِدَيْن؟ وكيف نُظْهِر- أنا والنَّاس الآخرين في المُجتمع- الإكرام لآبائنا وأُمَّهاتنا؟ إنَّ هذه هي الأسئلة التي ينبغي لنا الردَّ عليها بصدق.

إنَّ المعنى الحرفيَّ للكلمة «إكْرام» في اللُّغة العبرانيَّة يُشير إلى «ثِقَل الوزن» أو بمعنى آخر «الأهميَّة». وإذا استُعمِلَتْ الكلمة بصيغة فِعْل الأمر «أكْرِم» فإنَّها تُشير إلى «إعْطاء الأهميَّة القُصوى لأمرٍ ما»- وذلك على النَّقيض مِن الاستخفاف بأمرٍ لا قيمة له. أمَّا التَّطبيق العمليُّ لهذا الإكْرام للوالدين فيرتبط ارتباطًا وثيقًا بتقديم الطاعة لهم، وتقديم يد العَوْن لهم، واحترامهم. وهذا يعني أنَّه ينبغي للأبناء أن يُنَفِّذوا وصايا الأبَوَيْن، وأن يُساعدوهما في عملهما ومسؤوليَّاتهما، وأن يَخضعوا لهما في الأمور التي قد يختلفون عليها في وجهة النَّظر عندما يحين وقت تنفيذ الخُطط والرَّغبات.

وبالمقابل، يجب على الآباء والأمَّهات أن يكونوا جديرين بالإكرام. وهذا يتطلَّب منهم أن يَتَّصِفوا بالاحترام، والمحبَّة، والحكمة. لكِنَّ الحقيقة التي لا بُدَّ مِن الاعتراف بها هي أنَّ جميع الآباء والأمَّهات ليسوا معصومين مِن الخطأ، وغير كاملين. بل إنَّ بعضًا منهم غير مُحِبِّين لأبنائهم، ويتصرَّفون بحماقة، وليسوا جديرين بالاحترام. ولكِنْ هل يجب أن يكون الآباء والأمَّهات جديرين بالإكرام لكي ينالوا الإكرام مِن أبنائهم؟

إنَّ وصيَّة الله للأبناء بإكرام الوالِدَيْن لم تَسْتَثْنِ الآباء والأمَّهات الذين ليسوا جديرين بالإكرام. وفي سِياقٍ آخر يَتحدَّث عن علاقة أخرى تتطلَّب الإكرام، يقول الله بكلماتٍ لا لُبْس فيها: «...لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَط، بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضًا» (١بُطرس ٢: ١٨). فالأطفال الصِّغار لا يُجادلون مِن جهة الطَّاعة أو عدم الطَّاعة؛ بل يَفعلون ما تُمليه عليه طبيعتهم. أمَّا الأطفال الأكبر سِنًّا والكبار فيُحَلِّلون أداء والديهم قبل اتخاذ قرارٍ بالطَّاعة أو بعدم الطَّاعة. وهناك بعض المؤمنين المسيحيِّين الذين يعيشون صراعًا في داخلهم بسبب هذه الوصيَّة لأنَّ آباءهم وأمَّهاتهم بعيدين عن الكمال. لكِن بالنِّسبة إلى الأشخاص الذين يَظُنُّون أنَّ آباءهم وأمَّهاتهم ليسوا جديرين بالإكْرام، هناك ثلاثة أمور ينبغي تَذَكُّرها دائمًا:

١. **يجب على المرء أن يُكرِم مكانة أبوَيْه حتَّى إن كان يَرى أنَّهما ليسا جديرَيْن بالإكرام.** فالله هو صاحب السُّلطان المُطلق. وهو الذي مَنَح الأبوَيْن هذه المكانة وما يُرافقها مِن مسؤوليَّات. وعندما لا يقوم الأبوان بمسؤوليَّاتهما بأمانة، فإنَّهما يكونان غير أمينَيْن

لا لأبنائهما فحسب، بل لله أيضًا. وعندما يُكرِم الأبناء مكانة الأبوَيْن فإنَّهم يتركون لله مهمَّة تَوبيخهما وتأديبهما وتقويمهما. في ضَوْء هذا الحَقِّ، يمكن للمرء أن يقول: «حتَّى إن كانت أمِّي تَصْرُخ في وجهي، فهي تبقى أُمِّي. وسأحاول -بنعمة الله- أن أُطيعها بسرور».

٢. **الإكْرام يَعتمد على قلب الشَّخص الذي يُقَدِّم الإكرام، لا على حياة الشَّخص الذي يَتَلَقَّى الإكرام.** ولكي يتمكَّن المَرْء مِن إكرام والدَيْه، يجب عليه أن يمتلك صفات قلبيَّة تُمكِّنه مِن إسباغ الكرامة. ومِن هذه الصِّفات: الخضوع، والمحبَّة، والأمانة، والوداعة، والحكمة، وغيرها. ففي غياب هذه الصِّفات، لن يتمكَّن المَرْء مِن تقديم الاحترام إلى أيِّ أبٍ وأُمٍّ مهما كانا جديريْن بالإكرام. أمَّا بوجود هذه الصِّفات، يمكن للمَرْء أن يَجِد النِّعمة اللَّازمة لإكرام والِدَيْه اللَّذَيْن وهبهما الله له.

٣. **لمَّا كان الله هو الذي أوصانا بإكرام آبائِنا وأُمَّهاتنا، وهو (أي الله) يَستحقُّ كُلَّ إكرامٍ**، يمكننا أن نُكرِم آباءنا وأُمَّهاتنا -حتَّى إن لم يكونا جَديرَيْن بالإكْرام- طاعةً لله. ولا شَكَّ أنَّه إن كان شُغلنا الشَّاغل هو البحث عن النَّقائص والعيوب في آبائنا وأمَّهاتنا الأرضيِّين، لن يكون إكرامنا لهم أمرًا سهلًا. أمَّا عندما نُرَكِّز أنظارنا على مَجْد أبينا السَّماويِّ وكمالِه، لن يكون لدينا بديلٌ آخر سوى إكرامه. وما دام هو الذي أوصانا بإكرام آبائنا وأمَّهاتنا، فإنَّ إكرامنا وطاعتنا لهما يُعَبِّران عن إكرامنا وطاعتنا لله أيضًا.

والحقيقة هي أنَّ أشخاصًا كثيرين يواجهون صراعًا بسبب عدم قدرتهم على إيجاد حلولٍ لبعض الأسئلة المُختصَّة بإكرام الوالِدَيْن. والسُّؤال الذي يَطرحونه هو: «كيف؟» لذلك، سنورِد هنا بعض الاقتراحات العمليَّة للمُراهقين الجادِّين في محاولة إكرام آبائهم وأمَّهاتهم:

١. اجعل التَّعبير عن الشُّكر لوالديك عادةً دائمةً لديك. وعندما تبتدئ في التَّفكير، ستُدرك أنَّ والديكَ قد فعلا لأجلك في الماضي، وما زالا يفعلان لأجلك في الحاضر، أمورًا تَعجز عن عَدِّها وإحصائها.

٢. ناقش خططك مع والديك. شاركهم خططك قصيرة الأمد (الأمور التي تَعتزم القيام بها في الأسبوع القادم)، وخططك طويلة الأمد (الأمور التي تُفَكِّر في القيام بها السَّنة القادمة، أو بعد سنوات، أو مدى حياتك). فعدم التَّواصُل مع الأبوَيْن هو مشكلة شائعة بين المُراهقين.

٣. اطلب منهما النَّصيحة. فحتَّى لو كنتَ تَظُنُّ أنَّك تَعرف ما سيقوله لك والداك، اسألهما عن رأيهما. فهناك مراهقون كثيرون يتذمَّرون بسبب القيود الصَّارمة التي يَفرضها آباؤهم وأمَّهاتهم عليهم. لكِنْ ربَّما كان السَّبب الرئيسيُّ لهذه القيود الصَّارمة التي يَفرضها الأبوان على أبنائهم هو نقص روح المسؤوليَّة عند بعض الأبناء المُراهقين. ويجب عليك أن تَعلم أنَّ النَّصيحة المبدئيَّة التي تَحصل عليها مِن أبوَيْك قد لا تكون قرارًا نهائيًّا في إحدى المسائل. فإن كانت لديك أفكار أخرى، قد تكون نصيحتهما هي القاعدة التي ستنطلق منها لمناقشة وجهة نظرك معهما. وعندما يأتي وقت اتِّخاذ القرار النِّهائيِّ، يجب عليك أن تُكرمهما. ولكِنْ حتَّى لو كان ذلك يَعني عدم قيامك بما أردتَ القيام به، فقد كسبتَ احترامهما وساهمتَ في تعزيز الصَّراحة والانفتاح بينكم.

٤. اعرف قيمة قضاء الأمسيات في البيت. وهذا يعني -بالنِّسبة إلى كثيرين على أقلِّ تقدير- أنَّك لن تذهب إلى كُلِّ مناسبة وحفلة تُتاح لك. ناقش مع والديك جدولًا مناسبًا، واطلب نصيحتهما عندما يَحْدُث تضارُب في المواعيد. وقد يَصعُب عليك أن تُصَدِّق أنَّه سيأتي وقتٌ (قريبًا) تتمنَّى فيه عودة الزَّمن إلى الوراء كي تتمكَّن مِن المكوث ليلة واحدة فقط مع أبويك.

٥. ابحث عن فُرَص للقيام ببعض الأعمال التي لم يَطلب أحدٌ مِنك القيام بها. والحقيقة هي أنَّ ما يَحْدُث عندما نُبدي رغبتنا في القيام بعملٍ ما مِن تلقاء أنفسنا بدافع لُطْفنا هُو أمرٌ يَفوق الوصف. فسوف يبدو العبء خفيفًا. وسوف نشعر بأنَّنا مُختلفون. وسوف يتأثَّر الشَّخص الذي قُمنا بذلك العمل لأجله. وكثيرًا ما يَفرح الآباء والأمَّهات أيَّما فرح عندما يجدون أبناءهم يُكرمونهم بهذه الطَّريقة.

٦. أكْرِم أبوَيْكَ حتَّى بعد استقلالك عنهما. فسوف يكتشف اليافعون العاقدو العزم على إكرام والدَيْهِم أنَّ تصرُّفاتهم لا تتغيَّر بعد ابتعادهم عن أهلهم، وأنَّ كلماتهم لا تتغيَّر، وأنَّ مظاهرهم لا تتغيَّر.

٧. أطْلِع والديكَ على أيِّ خطوات تَعتزم القيام بها مِن جهة ارتباطك العاطفيِّ. وهذا لا يعني البَتَّة أنَّه ينبغي للأبوَيْن أن يُعِدَّا كُلَّ ما يلزم لزواج أبنائهما دون أخذ وجهة نظر الأبناء أو اهتماماتهم بعين الاعتبار. لكِنْ يَجْدُر التَّنويه إلى أنَّ القول: «أنا الوحيد القادر على اختيار شريكة حياتي» هو قول خاطئ. وسوف نتطرَّق إلى هذا الأمر بأكثر تفصيل في الفصل الثَّالث.

ويجب علينا أن نُدرك أنَّ مبدأ إكرام الوالِدَيْن هو مبدأ ينبغي تطبيقه مدى الحياة.

ولا شكَّ أنَّ الأدوار تتغيَّر عندما يَنتقل المرء مِن الطُّفولة إلى المُراهقة، ثُمَّ إلى الرُّشْد، ثُمَّ إلى الشَّيخوخة. لكِنْ تبقى هناك أساليب كثيرة طوال الحياة لإظهار الاحترام والإكرام للأبوَيْن. وعندما يَستقِلُّ المرء عن أبوَيْه، فإنَّ إحدى أفضل الطَّرائق لإظهار الإكرام هي طلب النَّصيحة منهما. وعندما يَصير الأبوان في سِنِّ الشَّيخوخة والضّعف، يمكن للأبناء أن يُكرموهما مِن خلال العناية بهما. وسوف نناقش في الفصل الثَّامن بعض الصُّعوبات المُرافقة لتلك الرِّعاية. لكنَّنا نكتفي بالقول إنَّ بَرَكات إكرام الوالِدَيْن بهذه الطَّريقة هي أعظم مِن الصُّعوبات الماثلة أمامنا. علاوةٌ على ذلك، فإنَّ إرسال الأبوَيْن المُسِنَّيْن إلى مراكز رعاية المُسِنِّين قد ترك فراغًا في العائلة لا يمكن لأيِّ راحة أن تُعَوِّضه. فمشاعر الانفصال والوحدة التي قد يَشعر بها كثيرٌ مِن الآباء والأمَّهات المُسِنَّيْن هي مأساة ينبغي تَجَنُّبها.

تَعَلُّم مُسامحة الأبوَيْن

في ضَوْء حقيقة أنَّ الأبوَيْن ليسا كامِلَيْن، يمكن للمرء أن يَرى بعض السِّمات والصِّفات الخاطئة في ميراثه العائليِّ. فالأخطاء القديمة تَظهر في أغلب الأوقات في شكل نُدوبٍ في الوقت الحاضر. ولا شَكَّ أنَّ النُّدوب تأتي بأشكال مختلفة. فهناك ندوب صغيرة، وأخرى كبيرة، وأخرى مُتقيِّحة. ومع أنَّ الأخطاء التي أدَّت إلى هذه النُّدوب قد تكون حقيقيَّة في أوقاتٍ كثيرة، فإنَّها قد تكون مِن نَسْج الخيال أحيانًا. وكما كَتَب أحد الكُتَّاب:

> كما أنَّ آباءنا وأمَّهاتنا بَشَرٌ مُعَرَّضون للخطأ، فإنَّ هذه هي حالنا نحن أيضًا. عندما كُنَّا أطفالًا، كُنَّا نُحَلِّل كُلَّ ما يقوله آباؤنا وأمَّهاتنا ويفعلونه. ولعلَّ سلوكيَّاتهم النَّابعة مِن نِيَّاتهم الحَسَنة كانت تُفهم فَهمًا مغلوطًا فتجعل كُلَّ جهودهم الرَّائعة تضيع هباءً. ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ ملاحظةً ناقدةً رُبَّما يكون أحد الأبوَيْن قد وَجَّهها إلى أحد الأبناء قبل سنوات طويلة قد تَدفع الابن لاحقًا إلى لَوْمِهما على مُشكلاته الشخصيَّة لمُجَرَّد أنَّه أعاد التَّفكير في تلك المُلاحظة بطريقة مبالغ فيها وأكبر من حجمها الحقيقي.[1]

وهناك العديد مِن الأسباب التي تدعونا إلى مسامحة أبائنا وأمَّهاتنا. ومع أنَّ هذه الأسباب لا تَجعل الغُفران سهلًا بالضَّرورة، فإنَّها تُبَيِّن أهميَّته. ولا شَكَّ أنَّ أهَمَّ سبب للغفران هو أن نَتمتَّع بعلاقة شخصيَّة مع الربِّ. «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَاتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ

السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَاتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلَاتِكُمْ» (إنجيل مَتَّى ٦: ١٤ و ١٥). وهناك أسباب أخرى أيضًا، ولكنَّنا سنُركِّز هنا على الأسباب التي لها صِلَة بالعائلة.

إنَّ تَعَلُّم الغُفران لآبائنا وأمَّهاتنا بسبب إخفاقاتهم هو عامل مهم في إكرامنا أو عدم إكرامنا لهم. فالامتعاض والمرارة يُدَمِّران قدرتنا على إكرامهما. أمَّا الغفران فيُحَرِّرنا ويجعلنا قادرين على إكرامهما.

مِن جهة أخرى فإنَّ الغُفران لِوالِدَيْنا مهم لأنَّه يمنعنا من تكرار أخطائهما ويمنع استمرار هذه الأخطاء في (ميراث) العائلة. فأحد أكثر مظاهر الميراث العائليِّ غرابةً هو أنَّ الصِّفات البغيضة في الوالِدَيْن تَنتقل في أغلب الأحيان إلى الجيل التَّالي. والحقيقة هي أنَّ الطَّريقة المضمونة لتكرار أخطاء الوالِدَيْن هي أن تَسمح لكراهيتك لهذه الصِّفات بالسَّيطرة عليك. فكُلَّما زادت كراهيتك لها، زادت احتمالية التصاقها بك. فعندما نَصُبُّ كلَّ تركيزنا على عيوب الآخرين، فإنَّنا نرسم الحياة وفقًا لنظرتنا هذه. ويبقى البديل الأمثل هو الغفران. فالغُفران يُحَرِّرنا مِن تلك العبوديَّة التي تجعلنا نَتشبَّث بآلام الماضي، ويساعدنا على النَّظر إلى آبائنا وأمَّهاتنا نظرةً موضوعيَّة، ويُتيح لنا أن نَستفيد مِن نِعمة الله المُغَيِّرة.

كذلك، يجب علينا أن نَغفر لوالِدَيْنا أخطاءهما وإخفاقاتهما إن أردنا لأبنائنا أن يتمتَّعوا بعلاقات سليمة مع جَدِّهم وجَدَّتهم. فالامتعاض والمرارة يَقطعان العلاقات. أمَّا الغُفران فيفتح الآفاق لبناء (أو رُبَّما لإعادة بناء) العلاقات. ومِن جهة، فإنَّ والِدَيْنا في حاجةٍ إلى سماع ضحكات أحفادهما والاستمتاع بحضورهم. ومِن جهة أخرى فإنَّ أبناءنا بحاجة إلى حكمة الأجداد وهيبتهم. فهناك روابط قويَّة ومُميَّزة بين الأجداد والأحفاد لا يمكن أن تتشكَّل إلَّا إذا كان الأبوان قد تَحَرَّرا مِن آلام الماضي وقيوده.

وقد لا تكفي معرفة الأسباب الموجِبة للغفران لممارسته. فقد تكون ندوبنا عميقة جدًّا. لذلك، سنحاول أن نوضِّح في ما يلي ماهيَّة الغفران وكيفيَّة عمله:

١. **الغفران يعني العِتْق أو الإبراء.** فهو يعني أنَّك لم تَعُد تُحَمِّل الآخرين مسؤوليَّة ما فعلوه.

٢. **الغفران خِيار.** فلا ينبغي لنا أن نَنتظر إلى أن نَشعر برغبتنا في الغفران كي نَغفر للآخرين. بل يجب علينا أن نَختار أن نَغفر لهم. وعندما يكون الغفران ضرورة مُلِحَّة، فإنَّه يكون صعبًا جدًّا في أغلب الأوقات. والكتاب المقدَّس لا يقول لنا أن نَتبع مشاعرنا في ما

يَختصُّ بالغُفران، بل يوصينا ببساطة أن نَغفر للآخرين. وعندما نختار أن نَغفر للآخرين فسنحصل على مكافأة تلقائيًّا. فالغفران يَعْقُبُهُ في أغلب الأوقات راحة نفسيَّة وفرح.

٣. **الغفران له تكلِفة.** فهو يعني تحرير الآخرين مِن «الدَّيْن» عوضًا عن الاحتفاظ به في سِجِلَّاتِنا. فالغفران يجعلنا نَشطب أيَّ حسابات عالقة بيننا وبين الشَّخص الآخر. ولا شَكَّ أنَّ صليب الربِّ يسوع المسيح هو أوضح مَثَلٍ في التَّاريخ على ثمن الغفران.

٤. **الغفران يمتلك قُوَّة مُطَهِّرَة.** فعندما نُبدي استعدادنا لمسامحة أبوَيْنا تحديدًا، سنكتشف أنهما لم يكونا مسؤولَيْن بالكُلِّيَّة عن المشكلة. فقد نكتشف أنَّ ردود أفعالنا السلبيَّة كان لها دور كبير (بل ربما أكبر من دورهما) في الجرح الذي أصابنا. «لكي ننمو وننضج، يجب علينا أن نتعلَّم أن نَقبل المسؤوليَّة عن حياتنا. وهذا يعني، في هذه الحالة، أنه ينبغي لنا أن نُقِرَّ بإمكانيَّة أنَّنا كُنَّا السَّبب في بعض المشكلات التي نَشَبَت بيننا وبين أبوَيْنا».[٢] وفي كثيرٍ مِن الأحيان، قد تكون هذه النُّقطة المُختصَّة بالغفران أكبر عائق في عمليَّة الغُفران برُمَّتها. فالكثير مِن الرَّاشدين المجروحين يُخفون إخفاقهم الشخصيَّ وراء إخفاق والِدَيْهم. لكن إن أردنا أن نغفر خطايا الماضي، يجب علينا أن نُرَكِّز على الحاضر ونتعامل معه. وقد يكون هذا مؤلمًا جدًّا لدى البعض منَّا.

٥. **الغفران عمل نابع مِن إيماننا.** ولعلَّ هذا هو المفهوم الأكثر أهميَّة للغفران. فعمليَّة الغفران تتطلَّب منَّا أن نُبعد أعيننا عن الشَّخص الذي أساء إلينا، وأن نُرَكِّز أنظارنا على الله. فبدلًا مِن إطالة النَّظر والتَّفكير في الأمور الخاطئة التي حدثت في الماضي، يمكننا أن نَنظر بإيمانٍ إلى الله القادر أن يَجعل «كلَّ الأشياء تَعمل معًا للخير للذين يُحِبُّونه» (رومية ٨: ٢٨). فهناك تباينٌ شاسعٌ بين نظرتنا تلك (إلى أخطاء الماضي) ونظرتنا هذه (إلى الله)! وفي نهاية المطاف، مِن المستحيل أن نَغفر لوالِدَيْنا إن كُنَّا نُرَكِّز أنظارنا على أخطائهم. كذلك، مِن المستحيل أن نَرفض مسامحتهم إن كانت أعيُننا مُثَبَّتة على الله. وهناك أشخاص يعيشون بين النَّقيضَيْن (أي بين المرارة الشَّديدة والغُفران التَّام) من خلال محاولة تركيز أنظارهم على شيءٍ آخر (مِثل نسيان كل شيءٍ يختصُّ بوالِدَيْهم). لكنَّ خسارتهم في حالة كهذه تكون مُضاعفة: فَهُم يَخسرون السَّلام النَّاشئ عن الغُفران، ويخسرون الفرح النَّاشئ عن إكرام والِدَيهم.

إنَّ الميراث العائليَّ عاملٌ قويٌّ وفعَّالٌ في حياتنا بمُجملها. والحقيقة هي أنَّ العائلات التي

أدارت ظَهرها لله وتجاهلت وصاياه المُختصَّة بإكرام الوالِدَين ومسامحتهم قد حَوَّلت ميراثها العائليَّ إلى لَعنة. وإن لم تُكْسَر هذه اللَّعنة فإنَّها ستَلتصق بالأبناء، وبالأحفاد، وبجميع الأجيال القادمة. لذلك، فإنَّ تَعَلُّم العيش وفقًا لوصايا الله هو المفتاح الذي سيجعل ميراثنا العائليَّ بَرَكَةً لحياتنا.

الضُّغوط الثَّقافيَّة

لقد تطرَّقنا في هذا الفصل إلى العديد مِن العادات والتَّقاليد التي تُعارض الوصايا والمبادئ التي نجدها في الكتاب المقدَّس. لكنَّنا لا نَرمي مِن وراء ذلك إلى مهاجمة مجتمعنا، بل نرمي بالحَرِيِّ إلى إدراك بُعد هذه القوى عن المبادئ التي وَضَعها الله للعائلة. والآن، لِنُلْقِ نَظرة فاحصة على هذه القوى:

مفاهيم السُّلطة

إنَّ إحدى السِّمات الدَّائمة للأشخاص غير المؤمنين هي التمرُّد. لكِن مِن السَّذاجة أن نقول إنَّ مواقف النَّاس مِن السُّلطة في المجتمع الأمريكيِّ، على سبيل المثال، هي نفسها اليوم كما كانت عليه قبل مئة سنة. فلا شَكَّ أنَّ عقد العشرينيَّات الصَّاخب في القرن العشرين (بكُلِّ ما رافَقَهُ مِن ظهور الحانات غير المُرَخَّصة والملابس غير المحتشمة) قد أظهر احتقارًا للسُّلطة- ولا سِيَّما القوانين المُختصَّة بحَظْر إنتاج المشروبات الكحوليَّة وبيعها. لكِنَّ المؤرِّخين يتحدَّثون بتساهُل عن تلك الفترة بالمقارنة مع حديثهم عن ما حدث في الستِّينيَّات. ففي ذلك الوقت، لم تَسْلَم قواعد السُّلوك والتَّهذيب مِن النَّقد والهجوم. فقد انتشرت أنماط جديدة مِن الفنون والموسيقا، وظهرت تسريحات جديدة للشَّعْر، وراحت الملابس تقصر شيئًا فشيئًا حتَّى احمرَّت وَجنتا الحِشمة خجلًا. وقد نزلت تلك التَّغييرات كالصَّاعقة حتَّى على المجتمع غير المؤمن الذي استهجن الانحلال الحاصل ووقاحة الثَّقافة المُعاكِسَة لأعراف المجتمع وقِيَمِه.

لكِن بعد زوال تأثير الصَّدمة الأولى، بدأ النَّاس يَتقبَّلون ما حدث. فقد تَعِب الكبار مِن النَّقد المُستمر. وقد تعب الصِّغار مِن الصُّراخ. وحينئذٍ، ابتدأ المجتمع في تَقَبُّل الثَّقافة المُعاكسة تدريجيًّا. وأخيرًا، ابتدأ النَّاس الذين كانوا يرفضون النُّظُم والعادات الاجتماعيَّة السَّائدة في قَبول بعض القِيَم التي كانوا قد رفضوها في السَّابق؛ إلَّا أنَّهم أبقوا على بعض التحفُّظ.

بل إنّ التَّيَّار العامَّ للمسيحيَّة حاول أن يَتَقَبَّل بعض مفاهيم الثَّقافة المُعاكسة. كما أنَّ ما يُسمَّى بِـ «فِرَق الرُّوك المسيحيَّة» ابتدأت في ذلك الوقت بعَزف أغانٍ صاخبة عن الحُبِّ والحُرِّيَّة بمضامين مختلفة تمامًا عن المفاهيم المسيحيَّة التَّقليديَّة. ولم يَخْطُر ببال أحدٍ مِن أصحاب العقول الخاملة أنَّ هذه «الحُرِّيَّة» الجديدة لم تكن إلَّا شكلًا مِن أشكال التمرُّد الذي ظَهَر منذ فجر البشريَّة.

وفي خِضَمِّ هذه العمليَّة برُمَّتها، صار المجتمع ليس يَتقبَّل العقليَّة القائلة «دَعني أفعل ما أشاء» فحسب، بل يحترمها ويُقَدِّرها أيضًا. لذلك، صارت بعض الكلمات (مِثل السُّلطة، والقواعد، والطَّاعة) تُشير ضِمنيًّا إلى وجود رِجالٍ لا يَرحمون مُقابل نِساءٍ وأطفالٍ مُضطهَدين. وقد ظَهَرت على السَّاحة مصطلحات جديدة أصبحت سائدة مِثل المساواة، والتحرُّر، والحقوق، وحُرِّيَّة التَّعبير. لكِنْ، ويا لسُخرية القَدَر، فإنَّ المجتمع نفسه الذي يَتَّهم أجداده بالقسوة هو مجتمع تُعاني عائلاته عُنفًا أكثر مِن أيِّ وقتٍ مضى. وهذا لا يعني أنَّ الإمْعان في التسلُّط هو أمر مُحَبَّب إلى قلوبنا. لكنَّه يعني أنَّ الحُرِّيَّة المزعومة هي- في أحيان كثيرة- مُجَرَّد فوضى عارِمَة. وقد عانت العائلة أضرارًا جسيمةً يَصعُبُ إصلاحها بسبب رفض السُّلطة، وبسبب مفهومها المُغاير للحُرِّيَّة، وبسبب الانحلال النَّاجم عن ذلك.

وقد بات المجتمع يَنظر إلى الآباء والأمَّهات الذين يعاقبون أبناءهم على عصيانهم كما لو كانوا مُتوحِّشين. أمَّا الآباء والأمَّهات الذين يضعون توجيهات وقوانين على أبنائهم في ما يَختصُّ بالملابس، وتسريحات الشَّعر، والأنشطة المسموح بها، فإنَّهم يُتَّهمون بالرَّجعيَّة والتَّزمُّت مِن قِبَل مُجتمعاتهم. وإن تَجَرَّأ الأجداد على هَزِّ رؤوسهم اعتراضًا على أيِّ شيءٍ، أو إن حَذَّروا أحفادهم مِن عواقب أفعالهم وأساليب الترفيه الجديدة، فإنَّ كلَّ ما يحصلون عليه بالمقابل هو ابتسامة ساخرة مِن أحفادهم يقولون لهم مِن خلالها إنَّ أفكارهم لا تتَّفق إلَّا مع العصر الحجريِّ. لذلك، فإنَّ مفاهيم السُّلطة المُتغيِّرة تَفرض ضغوطًا هائلة على الأشخاص الذين يرغبون في إدارة بيوتهم وفقًا لِما تُعلِّمه كلمة الله.

فَصْل الفئات العُمريَّة بعضها عن بعض

لقد ذَكَرنا في وقتٍ سابقٍ مِن هذا الفصل أهميَّة التَّفاعُل بين أفراد العائلة. فقد قُلنا إنَّه ينبغي للعائلة أن تَعمل معًا، وأن تلهو معًا، وأن تَعبد الله معًا، وغير ذلك. والحقيقة هي أنَّ

العائلات تواجه ضغوطًا كثيرة تَرمي إلى دفعهم إلى التخلِّي عن هذه الوحدة بسبب عَصْرَنة الأنشطة في وقتنا الحاضر. ويَكفي أن نَنظر إلى التَّاريخ لنَرى أنَّ المدارس الكبيرة المُتَّحِدة حَلَّت مَحَلّ المدارس المؤلَّفة مِن صَفٍّ واحد. وعندما حَدَث ذلك، صار تقسيم الطَّلبة حسب فئاتهم العُمريَّة مَطلبًا عمليًّا لا غِنى عنه. فكلُّ طالبٍ في غرفة الصَّفِّ يَنتمي إلى المرحلة العُمريَّة نفسها. وقد صار توزيع الطَّلبة بهذه الطَّريقة أمرًا سائدًا في وقتنا الحاضر. وينبغي لنا أن نَعلم أنَّ الكفاءة لم تَكُن العُنصر الوحيد لِجَعل هذا الانفصال جَذَّابًا. فالأمَّهات العاملات، والتَّركيز على المعرفة والخبرة، وسُرعة الحياة عامَّةً هي أمور دَفَعت أفراد العائلة إلى الاندفاع إلى الصُّفوف، وإلى المراكز الخاصَّة، وإلى النَّوادي والأنشطة التي يمكنهم فيها أن يكونوا مع «أشخاصٍ مِن نفس فئتهم العُمريَّة».

وقد ذَرَفَت أُمَّهات الأمس الدُّموع في أوَّل يوم ذهب فيه أولادهنَّ إلى المدرسة في سِنِّ السَّادسة أو السَّابعة. أمَّا اليوم، فإنَّ الأمَّ تَتَنَفَّس الصُّعَداء وهي ترى ابنها البالغ مِن العُمر سنتين ذاهب إلى دار الحضانة.

والحقيقة هي أنَّ نظام فَصْل الطَّلبة إلى فئاتٍ عُمريَّة قد أثَّر تدريجيًّا في عائلات مسيحيَّة عديدة بسبب تأكيده وتطبيقه في مجتمع الكنيسة أيضًا. فيبدو أنَّنا تَخَلَّينا عن المبدأ القائل إنَّ هناك فائدة عظيمة تُجنَى مِن تفاعل الفئات العُمريَّة المختلفة. وهذا لا يَعني أنَّ كُلَّ فَصْلٍ بين الفئات العُمريَّة المُختلفة خاطئٌ ويُشَكِّلُ عِداءً للعائلة. لكِنْ يجب علينا أن نُدرك الخطر الماثِل في هذا النِّظام القائم على الفَصْل الزائد عن حدِّهِ بين الطَّلبة بحسب فئاتهم العُمريَّة. فعلى سبيل المثال، فإنَّ الكثير مِن العائلات المسيحيَّة في الوقت الحاضر تَشْعُر بالضَّغط الهائل النَّاشئ عن الأنشطة الشبابيَّة الكثيرة. فالأهل يَشعرون بالإحباط بسبب عدم قدرتهم على لَمِّ شَمْل العائلة في البيت ولو مَرَّة واحدة في الأسبوع.

إذا وَضَعْتَ مجموعة مِن الشُّبَّان ليلعبوا كُرة القدم معًا المَرَّة تلو المَرَّة، ستُلاحظ أنَّهم قد طَوَّروا مهاراتهم في كُرة القدم وأنَّهم يلعبون باحتراف. أمَّا إذا وَضَعْتَ مجموعة مِن العائلات وشَكَّلْتَ فريقًا يتألَّف مِن الأب والجَدِّ والأبناء، مِن المؤكَّد أنَّك لن تحصل على فريقٍ بارع. لكِنْ على المدى البعيد، مِن المُرَجَّح أنَّ الفريق الثَّاني سيلعب كفريقٍ واحد. أو لنأخذ مثلًا آخر: قد تكون خدمة الكِرازة التي يقوم بها شبيبة الكنيسة في السُّجون أو المستشفيات أو منازل الأولاد شهادة فَعَّالة وحسنة. لكِنْ إذا ذَهَبْتُم كعائلة أو مجموعة عائلات، وقام الجَدُّ

بقراءة مقطعٍ مِن الكتاب المقدَّس، وقام الأب بقيادة التَّرنيم، وقام الأبناء بتوزيع الطَّعام على الحاضرين، فإنَّكم ستكونون شهادة حسنة، وستُبيِّنون للجميع أنَّ كُلَّ شخصٍ له دورٌ وخدمة في خدمة الكِرازة في الكنيسة.

ولا يَفوتنا أن نقول إنَّ هذا لا يعني أنَّ قيام الشَّبيبة (أو أيَّ فئة عُمريَّة أخرى) بأيِّ عملٍ معًا هو أمر خاطئ. لكنَّنا نَرى أنَّ دَمْج الفئات العُمريَّة معًا هو أفضل. فقد يبدو أنَّ فَصْل الفئات العُمريَّة يُساعد في توزيع التخصُّصات وتحسين الأمور. لكِنَّ الواقع يقول إنَّ هذا الفَصْل بين الفئات العُمريَّة يَقضي على التَّفاعل القَيِّم بينها.

الانفجار المعرفيّ

لقد ظَهَرَت تغييرات كثيرة في المفاهيم العائليَّة الأساسيَّة بسبب التَّغييرات التَّكنولوجيَّة السَّريعة التي ظهرت في مجتمعاتنا. فبسبب الاختراعات الكثيرة، صارت هناك طرائق كثيرة للقيام بالأشياء. وفي أغلب الأحيان، فإنَّ الاختراع الأخير يبقى مُستخدَمًا إلى أن يصير عتيقًا أو قديمًا بسبب ظهور اختراعٍ جديد.

ولا شَكَّ أنَّ الآباء والأمَّهات، ولا سِيَّما أولئك الذين لم يُواصِلوا تعليمهم بعد الثانويَّة العامَّة، يجدون صعوبة بالغة في استيعاب ما يحدث. فابنهم الذي في السنة الدراسيَّة الخامسة يعود مِن المدرسة ويطلب المساعدة في فُروضه المدرسيَّة. لكنَّ الأهل يقولون له في نهاية المطاف: «لا نَدري كيف نَحِلُّ هذه المسألة. فنحن لم ندرسها في المدرسة». وقد يبدو الأمر ذا أهميَّةٍ قليلة إلى أن نُدرك عِظَم الوضع القائم وخطورته. فيومًا بعد يوم، يَتَّضِح للأهل أنَّ مفهوم «الجديد والمُحَسَّن» يغزو المجتمع بقوَّة. وهذا يعني -في نظر كثيرين- أنَّ القديم قد عَفا عليه الزَّمن. فالخبير في كل حَقْلٍ هو الشَّخص القادر على مواكبة آخر التطوُّرات.

وقد لا يبدو هذا كُلُّه على درجة عالية مِن الخطورة لو أنَّه اقتصر على التَّكنولوجيا. لكنَّه ليس كذلك. فالتَّأثير امتدَّ لا إلى البيت فحسب، بل وإلى الكنيسة أيضًا. لذلك، بات الأب أو راعي الكنيسة الذي لا يملك صفحةً على «الفيسبوك facebook» أو الذي لا يَعرف كيفيَّة إرسال «رسالةً نَصِّيَّةً» مُنفصلًا عن الواقع وغير قادرٍ على تقديم النَّصيحة للمراهقين في هذا الزَّمان.

لذلك، فقد عَمِلَت المعرفة المعاصرة -في العديد مِن الحالات- على فقدان الثقة في حكمة الأجيال السابقة. فقد بات الأهل يَشعرون بعدم الكفاءة لإرشاد أبنائهم، وقد ظَهَر مَن

يُشَجِّعهم على طلب النُّصْح والإرشاد مِن «أصحاب الخبرة» مع أنَّ الأبناء بحاجة ماسَّة إلى حكمة الأهل.

النَّزعة المادِّيَّة

لقد أنتجت الثَّورة التِّكنولوجيَّة آلاف السِّلع التي قد تنجذب العائلات إلى شرائها. فهناك الدُّمى والأجهزة والمَكِنات والألعاب التي تجذب انتباه النَّاس وتستهويهم بِشَتَّى السُّبل التي قد تخطر على البال. ولا شكَّ أنَّ شراء هذه السِّلع يتطلَّب مالًا. وإذا نظرنا حولنا، يمكننا أن نرى أنَّ حياة العديد مِن أصدقائنا وجيراننا تتمحور حول الحصول على المال وشراء هذه الأشياء.

لكنَّ المؤمنين يَعلمون أنَّ يسوع قال: «انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ [اشتهاء الأشياء]، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ» (إنجيل لوقا ١٢: ١٥). لكِنَّ النَّاس يَنسون هذه الوصيَّة بسهولة عندما يجدون في كُلِّ يوم مَن يُشَجِّعهم على الشِّراء، والانغماس في المادِّيَّات، ومُراكمة الأشياء، والحصول على المزيد والمَزيد- ولا سِيَّما عندما يَنجح أحدهم في إقناعنا بأنَّ الحياة الجيِّدة هي تلك المُفعمة بوسائل التَّسلية والمرح؛ وعندما نجد أنَّ هذه الأشياء متوفِّرة بأسعار معقولة بسبب مواسم التَّنزيلات، وتوفُّر المال، وتوفُّر بطاقات الائتمان. لذلك، لا عَجَبَ أنَّ النَّاس يواجهون ضغطًا هائلًا نحو الاستهلاك!

وكما نَعلم، فإنَّ العائلات ليست بمنأى عن هذا الضَّغط. فبسبب هذا الضَّغط المستمر، فإنَّ «جورج» يتوسَّل مِن أجل شراء درَّاجة هوائيَّة جديدة، و«سميرة» تَتَرَجَّى أهلها لشراء لُعبة ناطقة، والأم تُفَكِّر جدِّيًّا في شراء ذلك الخلَّاط السحريّ للمطبخ، والأب يُفَكِّر في إمكانيَّة شراء سيَّارة جديدة. وفجأةً، تجد العائلة نفسها تُقَدِّر الأشياء أكثر مِن البشر، وتَعتاد على الأخذ لا العطاء، وتَعتاد على الرَّفاهية أكثر مِن التَّضحية. وقبل أن نُدرك ما يجري، سيجد النَّاس صعوبةً حقيقيَّةً في التَّفريق بين قِيَم العائلة المسيحيَّة المؤمنة وقِيَم العائلة غير المؤمنة.

وهذا لا يَعني أنَّ كُلَّ وسيلةٍ مِن وسائل الرَّاحة المعاصرة هي خطيَّة، ولا أنَّ الفقر شَرْطٌ أساسيٌّ لحياة البِرِّ والفضيلة. لكنَّنا نقول إنَّ الغِنى لا يخلو مِن خطر. لذلك، يجب علينا أن نُدرك أنَّ القِيَم المادِّيَّة المغلوطة قد تَحْرِم المؤمنين مِن تلك الرُّؤى المُختصَّة بملكوت الله، وأنَّها قد تَحرم العائلات المسيحيَّة مِن السَّلام النَّابع مِن الشُّعور بالرِّضا ومِن الفَرَح النَّابع مِن التَّضحية لأجل الآخرين.

«وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا. وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ.لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (١تيموثاوس ٦: ٦-١٠).

وقد تكون الأفكار التَّالية مفيدة للعائلات التي ترغب في التصدِّي لضغوط النَّزعة المادِّيَّة:

١. **تَعَلَّم أن تعيش حياةً بسيطة. وهذه نقطة مهمَّة أيًّا كان مستوى الدَّخل.** فالألعاب البسيطة، والطَّعام البسيط، والسيَّارات البسيطة، والملابس البسيطة، والأحياء السكنيَّة البسيطة، مع التَّقوى، يمكن أن تُساعد العائلة على عيش حياة قنوعة حتَّى لو كانت تعيش في عالمٍ مُولع بالمظاهر والتَرف.

٢. **أَعْطِ بسرور.** ولا ينبغي للعائلة أن تكون غنيَّة كي تُعطي. وقد يكون العطاء مادِّيًّا أو غير مادِّيٍّ. فهناك طرائق لا حَصْر لها للعطاء مِثل تقديم طَبَقٍ مِن الحلوى أو الفاكهة، أو تقديم آية مُعَزِّية أو مُشَجِّعة، أو أقوالٌ حكيمة مكتوبة بترتيب، أو تقديم باقة أزهار، أو صَرْف ساعة أو ساعتين في مساعدة أحد الجيران. ومع أنَّه مِن الرَّائع أن نُعطي الأحِبَّاء والأصدقاء، فإنَّ يسوع أوصانا أيضًا بأن نُعطي أولئك الذين لا نتوقَّع منهم شيئًا بالمقابل (إنجيل لوقا ٦: ٣٥).

٣. **عِشْ حَياةً مُضَحِّيَةً:** ومع أنَّ التَّضحية وثيقة الصِّلة بالعطاء، فإنَّهما ليسا متماثلين. فقد نُعطي بسهولة مِن الكثير الذي لدينا. لكِنْ يجب على كلِّ مؤمن أن يَختبر الفَرَح النَّاشئ عن إنكار النَّفس طوعًا مِن خلال العطاء المُضَحِّي.

٤. **كُنْ حكيمًا عند الشِّراء:** تَجَنَّب تغيير الأشياء الجيِّدة لمجرَّد أنَّك مللت منها، أو بداعي التَّجديد، أو الظُّهور بمظهرٍ أفضل، أو مُنافسة الآخرين. فهناك أموال كثيرة يتم تبذيرها ولا تعود مُتاحة للاستعمال في ملكوت الله بسبب إسراف النَّاس وتبذيرهم على رغباتهم الأنانيَّة.

٥. **تَجَنَّب الإسراف:** فالكثير مِن الدُّمى والسيَّارات تستنفذ الموارد الماليَّة دون حكمة. وأحيانًا، قد نجد أنَّ بعض الشَّركات تُشَجِّع النَّاس –عن سابقِ قصدٍ وتصميم- على شراء السِّلع التي

تُستخدَم مَرَّة واحدة فقط. فعلى سبيل المثال، فإنَّ حفاضات الأطفال تُستخدَم على نِطاق واسع حتَّى إنَّ الدُّول الصناعيَّة الكبيرة تواجه مشكلة في التخلُّص منها بطرائق سليمة.

٦. **وَجِّه مواردك نحو الأنشطة التي تُسْهِم في بناء الملكوت:** فيجب النَّظر إلى المال والوقت والسِّلع والمهارات على أنَّها مِلْك لله. وقد أوصانا الله باستخدام هذه الأشياء لأجل ملكوت أبينا السَّماويّ. أمَّا إذا هدرنا هذه الأشياء على دلالِ أنفسنا، فسيتعيَّن علينا أن نُجيب عن الأسئلة المختصَّة بعدمِ أمانتنا كوكلاء لله.

أدوار الزَّوج والزَّوجة

سوف نُخَصِّص فصلًا في هذا الكتاب للتحدُّث عن وصايا الكتاب المقدَّس للأزواج والزَّوجات. لكِنَّ مناقشة الضُّغوط الثقافيَّة التي تواجهها العائلات لن تكتمل دون التطرُّق إلى التشوُّهات التي تَحْدُث في إطار العائلة. ويبدو أنَّ نقطة الخلاف تتمحور حول دور الأم. فهناك مجادلات لا حَصْر لها ترمي إلى إثبات وجهة النَّظر القائلة إنَّ الأمومة هي أسلوب حياة مُملٍّ يقتصر على تغيير حفاضات الأطفال المُتَّسِخة، وغسل الأطباق المُتَّسِخة، وتنظيف الأرضيَّات المُتَّسِخة؛ في الوقت الذي يَجول فيه الأب في الأرض الواسعة بحثًا عن وسائل الرَّاحة وأيِّ شيءٍ على هواه. والحقيقة هي أنَّ هذا التَّفكير نابع مِن العقليَّة الأنانيَّة. فالحياة -بمفهومها الصَّحيح- لا تقوم على فِعْل ما نُريد، بل تقوم على خدمة الآخرين. فلا يمكن للأب -بالمعنى السَّليم للأبوَّة- أن يجد راحة البال مِن خلال إشباع رغباته الشخصيَّة، بل مِن خلال تلبية حاجات عائلته. ولا يمكن للأمِّ -بالمعنى السَّليم للأمومة- أن تُحَقِّق ذاتها مِن خلال إشباع رغباتها الأنانيَّة. فالأمومة هي مِن أسمى وأنبل الأعمال التي يمكن للمرأة القيام بها. فهي عمل يتطلَّب شخصيَّة قويَّة رائعة، وقدراتٍ إبداعيَّة، وموهبة، وذكاء، وتكريس. لذلك، فقد أدَّى تَغيير دور كُلٍّ مِن الزَّوج والزَّوجة (تنازل الزَّوج عن دوره القياديِّ ودوره في توفير القوت للعائلة، والتحاق الزَّوجة بالعمل خارج المنزل) إلى إلحاق أضرار جسيمة بالعائلة.

وتحت ضغط المجتمع، تجد الكثير مِن الأمَّهات أنفسهنَّ يبحثْنَ عن فرص عمل خارج المنزل. وهُنَّ يَشعرن بالحرج الشَّديد عندما يسأل الآخرون عن مهنتهنَّ. لكِنْ يجب على العائلات المسيحيَّة أن تُقَدِّر دور الأمِّ ودعوة الله العُلْيا لها.

العائلة المُتناقصة

هناك أسباب عديدة وراء التَّغيير الذي حدث في حجم العائلة الاعتياديّ. فالوعي بأنَّ عدد سُكَّان العالم في زيادة مستمرَّة، والانتقال مِن الرِّيف (حيث زيادة الأبناء تعني زيادة القوى العاملة) إلى المدينة (حيث زيادة الأبناء تعني زيادة الأفواه التي تحتاج إلى طعام) هما سببان رئيسيَّان لتناقص عدد أفراد العائلة. لكِنْ في أغلب الأحيان، فإنَّ الأسباب الحقيقيَّة التي تدفع النَّاس إلى تقليص حجم العائلة هي أسباب أنانيَّة وليست إنسانيَّة.

فالنَّاس في وقتنا الحاضر يعيشون حياةً مُتْرَفَةً أكثر مِن اللُّزوم، ويضغطون أنفسهم إلى حَدِّ الإرهاق. وهذا كُلُّه يدفعهم إلى التَّفكير مرارًا قبل إنجاب أبناءٍ كثيرين. لذلك، فإنَّ العائلة المتناقصة تعكس القِيَم المادِّيَّة، والعقليَّة التي يتبنَّاها الرجال والنِّساء في وقتنا الحاضر والمُتَمحورة حول إعطاء الأولويَّة لبناء مسار مهنيٍّ. وقد بات النَّاس ينظرون إلى الأبناء كمصدر تهديدٍ لمصالحهم الشخصيَّة ورفاهيَّتهم المادِّيَّة.

ومِن دواعي الأسف أنَّ هذه العقليَّة موجودة حتَّى في صفوف المؤمنين المسيحيِّين. فَهُم يَقبلون بإنجاب طفلٍ أو طفلين. وقد يحتملون فكرة إنجاب ثلاثة أبناء كحَدٍّ أقصى. أمَّا فكرة إنجاب أربعة أبناء فهي مُستهجَنة. وإن تَحَدَّثْتَ أمامهم عن إنجاب خمسة أبناء أو أكثر، فأنت في نظرهم غير مُبالٍ، وتَفتقر إلى الشُّعور بالمسؤوليَّة، وتُشَكِّل خطرًا على المجتمع. أمَّا إذا تَجَرَّأتَ على الحديث عن إنجاب عشرة أبناء أو اثني عشر ابنًا، فأنت –مِن وجهة نظرهم– إنسانٌ رَجْعِيٌّ ومكانك المناسب هو العصور المظلمة.

لكِنَّ الكتاب المقدَّس يقول: «هُوَذَا البَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ البَطْنِ أُجْرَةٌ. كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ، هكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ. طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جَعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لاَ يَخْزَوْنَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الأَعْدَاءَ فِي البَابِ» (المزمور ١٢٧: ٣-٥). وهذا يُرينا أنَّ الله يَرى البَنين بَرَكَةً إلهيَّةً للبيت. لذلك، يجب علينا أن نُقِرَّ بأنَّ تنظيم النَّسل لم يؤدِّي إلى سعادة العائلة أو خيرها. فالآباء والأمَّهات الذين يسلكون حسب مشيئة الله يُحِبُّون البنين، ويُدركون أنَّهم بَرَكة، ولا يرضخون لضغوط المجتمع الأنانيِّ الذي يعيشون فيه.

لِنُفَكِّر معًا

١. هل يجب أن يكون جدول العائلة بطيئًا؟ مزدحمًا؟ سريعًا؟ ما تعريفك لجدول العمل البطيء؟ ما تعريفك لجدول العمل السَّريع؟

٢. ما مشاريع العمل أو الخدمة التي يمكن للعائلات القيام بها لزيادة التَّفاعل الاجتماعي السَّليم؟

٣. هل ينبغي للأطفال أن يعملوا أكثر مِن طاقتهم (حتَّى الإجهاد)؟ هل ينبغي للأطفال أن يعملوا أقل مِن طاقتهم (حتَّى الكَسَل)؟ ما العواقب في كِلتا الحالتين؟ ما العناصر التي تُحدِّد التَّوازن المطلوب بين العمل واللَّعب؟

٤. في حال وجود حواجز بين الأهل والأبناء، ما الخطوات العمليَّة التي يمكن للأهل اتِّخاذها لِتَخَطِّي هذه الحواجز؟ وما الخطوات التي يمكن للأبناء اتِّخاذها؟

٥. إن لم يَكُن الأشخاص مِن جيل سابق (الآباء والأمَّهات أو الأجداد والجَدَّات) مؤمنين، ما الإرشادات التي يمكن اتِّباعها للحفاظ على التَّفاعل في الأسرة سليمًا وصِحِّيًّا؟

٦. في الوقت الحاضر، ما الضُّغوط الثقافيَّة الأشَدُّ خطرًا التي يبدو أنَّ العائلة تتعرَّض إليها؟ كيف يمكن للعائلات أن تتصدَّى لهذه الضُّغوط؟

٧. أيُّ الاقتراحات لتجنُّب النَّزعة المادِّيَّة يبدو أكثر أهميَّةً في نظرك؟ وأيُّ الاقتراحات يبدو أكثر إهمالًا مِن العائلات؟

لِنَعمل معًا

١. حَلِّلوا -كعائلة- سلامة التَّفاعُل بينكم. ما الجوانب التي تحتاج إلى بعض التَّحسينات، وكيف يمكن تحقيق ذلك؟

٢. كفردٍ في العائلة، فَكِّر- بنزاهة- في مدى مُساهمتك في الحفاظ على وحدة عائلتك. ما الجوانب التي تواجه فيها مشكلات على الصَّعيد الشخصيِّ؟ هل تُعاني ضعفًا في التَّواصُل؟ هل تعاني مشكلة في الاحترام؟ هل تُعاني جُحودًا؟ اذكر بعض الأشكال التي ظَهَرت فيها مشكلتك مؤخَّرًا. اذكر بعض الخطوات التي يمكنك القيام بها لمعالجة الأمر.

٣. اذكر بعض الطَّرائق المحدَّدة التي يمكنك اللُّجوء إليها لتجنُّب النَّزعة المادِّيَّة. ناقش هذه الطَّرائق مع أفراد عائلتك وحاولوا التوصُّل إلى قرارٍ جماعيٍّ حول كيفيَّة تطبيقها.

الفصل الثَّاني

تَرْك الطُّفولة

المقدِّمة

أثناء عمليَّة النموِّ والتقدُّم، يَجتاز البشر في تغييرات مُدهشة ومُعقَّدة تعجز الكلمات عن وصفها. فالرُّضَّع يصيرون أطفالًا صاخبين. وهؤلاء يصيرون صبيانًا وفتيات. وهؤلاء يصيرون شُبَّانًا وشابَّاتٍ مُفعمين بالطَّاقة. وهؤلاء يصيرون أشخاصًا راشدين قادرين على حَمْل المسؤوليَّة. وهؤلاء يكبرون تدريجيًّا، ويشيخون، ويُبطئون، ويذبلون، وأخيرًا يموتون. لذلك، فإنَّ حياة الإنسان -بجميع مراحلها- ليست ثابتة على حالٍ واحدة. فهي تَخضع لتغييرات مستمرَّة. فأجسادنا تتغيَّر. ومشاعرنا تتغيَّر. وسلوكيَّاتنا تتغيَّر.

إنَّ هذا الفصل يُرَكِّز على تلك الفترة المُمتدَّة مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة الرُّشْد. وهي مرحلة مُهمَّة في الحياة. فالصُّبيان ماضونَ في طريقهم ليصيروا شبَّانًا يافعين. والفتيات ماضيات في طريقهنَّ ليصِرْنَ شابَّاتٍ يافعات.

وفي أحيان كثيرة، يكون التَّشويش الذي يَشعر به المرء في هذه المرحلة مِن حياته عائدًا إلى عدم الفهم أو إلى المعلومات الخاطئة. وهُنا تكمُن أهميَّة هذا الفصل إذ إنَّه يساعد الشُبَّان والشابَّات على فهم أنفسهم والتَّغييرات التي يَمُرُّون بها. وفي أفضل الأحوال، فإنَّ هذا الفصل ليس بديلًا عن الأب والأم، بل قد يكون مصدر عَوْنٍ لهما. وما أرجوه هو أن يكون هذا الفصل نقطة انطلاقٍ لمناقشة بعض القضايا الحسَّاسة برهافة حِسٍّ.

مَن أنا؟

الإنسانُ هو خليقة الله الوحيدة التي تمتلك وعيًا ذاتيًّا. فنحن نُفَكِّر لا في الأشياء المحيطة بنا

فحسب، بل وفي أنفسنا أيضًا. ونحن نُحَلِّلُ وَنُقَيِّمُ لا الأشياء فحسب، بل وأنفسنا أيضًا. ونحن نُثني على أنفسنا، وننتقد أنفسنا، ونُخاطب أنفسنا باطنيًّا (مع أنَّنا قد نميل أحيانًا إلى التحدُّث مع أنفسنا بصوتٍ مسموع).

والحقيقة هي أنَّ هذا الوعي الذاتيَّ مُرتبط بالنموِّ والنُّضج. فعلى سبيل المثال، فإنَّ الطِّفل البالغ مِن العُمر سنة، يمتلك وعيًا ذاتيًّا محدودًا جدًّا. وغالبًا ما نَصِف الأطفال في هذا العُمر بأنَّهم «أبرياء» أو «ملائكة». ونحن نعتبر براءة الأطفال هذه شيئًا نَفيْسًا. مِن جهة أخرى، قد يكون الشابُّ البالغ مِن العُمر ستَّ عشرة سنة مُنهمكًا في التَّفكير في نفسه أكثر مِن اللَّازم أحيانًا. وفي الفترة الواقعة بين عُمر السَّنة والسَّادسة عشرة، هناك تغييرات جذريَّة تحدث في نِطاق الوعي الذاتيِّ. وفي العادة، فإنَّ هذه التَّغييرات في الوعي الذاتيِّ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتَّغييرات الجسديَّة، والعاطفيَّة، والفكريَّة، والرُّوحيَّة التي تحدث في فترة المراهقة.

ولكي نَفهم هذه التَّغييرات، لا بُدَّ مِن ذِكْر بعض سِمات الطُّفولة التي تختفي تدريجيًّا أو تتغيَّر بدخول المرء فترة المراهقة. وفي ما يلي بعض الآيات الكتابيَّة ذات الصِّلة:

«وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَدًا لِكَيْ يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ:«دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ». فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ» (إنجيل مرقس ١٠: ١٣-١٦).

«ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ: فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الجِيلِ؟ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ يُشْبِهُونَ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا» (إنجيل لوقا ٧: ٣١ و ٣٢).

«فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (إنجيل مَتَّى ١٨: ٤).

«أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَدًا فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ» (١كورنثوس ١٤: ٢٠).

مِن خلال هذه الآيات وغيرها، يمكننا استخلاص العديد مِن سِمات الأطفال:

١. **الأطفال مُعالون (يَعتمدون على الآخرين).** فَهُمْ ينظرون إلى الآخرين كأشخاصٍ مسؤولين عن رعايتهم وحمايتهم.

٢. **الأطفال يَقبلون الحقائق الروحيَّة ببساطة إيمان.** فَهُمْ يُحِبُّون أن يسمعوا عن الله، وطُرقه، وأعماله، ووصاياه. وهُمْ يَقبلون هذه الأمور كمُسَلَّماتٍ دون مُجادلة أو مقاومة.

٣. **الأطفال أبرياء في علاقاتهم.** فمِن السَّهل على المرء أن يحتضنهم دون إحراج.

٤. **الأطفال لا يُفِّكرون في ردود أفعالهم.** فَهُمْ يضحكون، ويبكون، ويُعَبِّرون عن أفكارهم ومشاعرهم دون تَحَفُّظ.

٥. **الأطفال لا يُفَكِّرون كثيرًا في أنفسهم.** فمع أنَّهم قد يبدون مُتمركزين حول أنفسهم، فإنَّهم لا يستغرقون أكثر مِن اللَّازم في التَّفكير في أنفسهم في الأحوال العاديَّة. بعبارة أخرى، فَهُمْ لا ينشغلون كثيرًا في تقييم أنفسهم أو في التَّفكير في ما يقوله الآخرون عنهم. (وقد أشار يسوع إلى أنَّ هذا الاتِّضاعَ يستحقُّ الثَّناء).

٦. **الأطفال لا يُضْمِرون خُبْثًا أو مَكْرًا. ففي العادة، لا يُضْمِر الأطفال نوايا شرِّيرة، ولا يَحملون ضغينة في قلوبهم، ولا يَشُكُّون في نوايا الآخرين الشرِّيرة.** فَهُمْ يعيشون في عالم الإخلاص والوفاء.

٧. **الأطفال لا يُعيرون اهتمامًا كبيرًا للمنطق والفهم العميق.** فمع أنَّهم فضوليُّون ويطرحون أسئلة كثيرة، فإنَّهم يفعلون ذلك بدافع الرَّغبة في التعلُّم لا التَّقييم.

ومع أنَّ هذه السِّمات تَخُصُّ الطُّفولة، فإنَّها –ويا للأسف- لا تَسري على جميع الأطفال. فقد يعيش بعض الأطفال طفولة مُلَطَّخة أو مُشَوَّهة. والحقيقة هي أنَّ الأطفال الذين يتعرَّضون للشرِّ في مرحلة مبكرة مِن حياتهم قد يفقدون الحُرِّيَّة والبساطة المُرافقتين للطُّفولة. ومِمَّا يدعو للأسف حقًّا هو أنَّنا نعيش في مجتمع هائج وشرِّير. فالأطفال يُشاهدون العُنف والقتل بانتظام مِن خلال التلفزيون. وهُم يُشاهدون الشَّهوات الجنسيَّة، والخيانة، والغدر. كذلك، فَهُم يُشاهدون أبطالهم وبطلاتهم يكذبون، ويسكرون، ويتشاجرون، ويخونون طَوال الوقت للوصول إلى مآربهم.

ولا يَسَعُنا أن نُعَدِّد عواقب كُلِّ هذا الشرِّ على طفولة الأطفال. فالبراءة تَلَطَّخت بالخطيَّة. والشَّهوة الجنسيَّة تبدأ في حياة الأطفال قبل حتَّى أن يُدركوا ما يجري حولهم. ولأنَّ الوعي

الذاتيَّ يُفْرَض على الأطفال قبل الأوان، فإنَّ الضَّمير يُنْتَهَك حتَّى قَبْل أن يَفيقَ مِنْ سُباتِه.

وقد ابتكر أحد علماء النَّفس مُصطلح «الأطفال الأكبر مِن عُمرهم» لوصف الضُّغوط التي يواجهها الأطفال اليوم لِحَثِّهم على «النموِّ» باكرًا. ويقول عالم النَّفس هذا إنَّ هؤلاء الأطفال هُم «أصغر فئة في مجتمعنا تتعرَّض -بِلا مُسَوِّغٍ- للجنس والعُنف مِن خلال وسائل الإعلام، وترتدي ملابس غير محتشمة، ويُتوقَّع منها أن تتفوَّق في المدرسة حتَّى عندما يكون ذلك مستحيلًا، ويُطلَب منها أن تتأقلم مع الطَّلاق أو الانفصال بين الأبوَيْن».[٣]

وهذا ليس مُجَرَّد ضغطٍ لإرغامهم على الدُّخول إلى عالم الكِبار، بل هو ضغط لجعلهم مُنفتحين على الخطيَّة. وهذا الانفتاح مُدمِّر لبراءة الطُّفولة. لذلك قال يسوع: «مَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ» (إنجيل مَتَّى ١٨: ٦). ومِن المؤسف حقًّا أنَّنا نعيش في مجتمعاتٍ يقوم فيها الكبار -عن قصد أو عن غير قصد- بانتهاك براءة الأطفال.

وحتَّى في حِمَى البيت الذي يَتَّقي أهله الله، فإنَّ عمليَّة تَرْك براءة الطُّفولة والدُّخول في مرحلة الوعي الذَّاتيِّ في مرحلة المراهقة يمكن أن تكون لها عواقبها. فلأنَّ الجسم يتغيَّر، قد يسأل الشابُّ المراهق نفسه: «ما الذي يَحْدُث لي؟» ولأنَّ المشاعر الداخليَّة تتغيَّر، قد يسأل نفسه: «لماذا أشعر بهذه المشاعر؟» فهو يشعر بأنَّه صار أكبر مِن أن يختلط بالأطفال؛ لكنَّه أصغر مِن أن يَدخُل عالم الكبار. وهو يفتكر بأفكارٍ جديدة قد لا يجرؤ -في أوقاتٍ كثيرة- على مشاركتها مع أيِّ شخص. وما يَصِحُّ على الشُّبَّان يَصِحُّ على الفتيات - مع أنَّ الفتيات يُظهِرْنَ استعدادًا أكبر مِن الشُّبَّان لمشاركة أفكارهنَّ ومشاعرهنَّ ومخاوفهنَّ مع إحدى الصَّديقات أو أحد الأبوَيْن.

ويمكن تلخيص الأفكار الأولى التي تُرافق فترة الوعي الذَّاتيّ بالسُّؤال التَّالي: «مَنْ أنا؟» فالشخصيَّة تتعمَّق. والمعتقدات والقِيَم في طريقها إلى التشكُّل. والتغييرات مستمرَّة. فالطِّفل البالغ مِن العُمر اثنتا عشرة سنة يتساءل عن سبب بُطْء نُموِّه، وعن طُوله النِّهائيِّ. أمَّا الفتاة البالغة مِن العُمر اثنتا عشرة سنة فتشعر برغبة شديدة في الظُّهور بمظهرٍ جذَّابٍ، وفي أن تنمو. وسُرعان ما يبدأ الشابُّ والفتاة في التَّفكير بذكاءٍ أكبر في التَّعليمات التي يوجِّهها الكبار إليهم. ومع أنَّ هذه التَّغييرات قد تكون مُمتعة ومُدهشة مِن بعض الجوانب، فإنَّها قد تكون مُخيفة مِن جوانب أخرى. فالمراهق يُدرك فجأةً أنَّه فَقَدَ هُويَّته كطفل، لكنَّه لا يَعلم شيئًا عن هُويَّته الجديدة.

ولكي نَفهم المزيد عن هذه المرحلة المُمتلئة بالتحدِّيات في حياة الأبناء، سنتطرَّق -بمزيدٍ مِن التَّفصيل- إلى بعض التَّغييرات:

التَّغييرات الجسمانيَّة

قد تكون التغييرات الجسمانيَّة هي الأبرز والأكثر وضوحًا في مرحلة تَرْك الطُّفولة. وأحيانًا، قد تؤدِّي هذه التَّغييرات إلى اضطراباتٍ أكثر مِن غيرها؛ ولا سيَّما أنَّها تَطال الجوانب الجنسيَّة عند الذُّكور والإناث. ففي السَّنوات الماضية، كان هذا الموضوع مُحاطًا بالسِّرِّيَّة التَّامَّة. ولأنَّ هذه السِّرِّيَّة مُتعلِّقة بشيءٍ واضحٍ كالشَّمس، كان المُراهقون يشعرون بمزيدٍ من الخوف والإحباط. وكان رَدُّ فِعْل العالم على ذلك هو أنَّه رفع الغطاء عن الموضوع برُمَّته حتَّى إنَّه بات بإمكان النَّاس أن يناقشوا أيَّ موضوعٍ في أيِّ زمانٍ ومكانٍ دون أن تَحْمَرَّ وجوههم خجلًا. ومع أنَّ هذا ساهَم في زيادة وعي المراهقين في عالمنا، فإنَّه لم يجعلهم أتقياء. بل إنَّنا لا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ الحالة الأخلاقيَّة السَّائدة اليوم هي أسوأ مِن أيِّ وقتٍ مضى.

والحقيقة هي أنَّ الصُّفوف المُختلطة ليست البيئة المناسبة لمناقشة التَّغييرات الجسمانيَّة التي تحدث للذُّكور والإناث. إنَّ البيئة المناسبة لذلك هي في البيت، حيثُ يتكلَّم الأب مع أبنائه الذُّكور، وتتكلَّم الأمُّ مع بناتها. والطَّريقة السَّليمة للحديث عن هذا الموضوع هي ليست مِن خلال المزاح، ولا مِن خلال الكلام المُبهم الذي ينطوي على تحذيرات تبعث الرُّعب في النَّفس. فهناك ضوابط معقولة ومناسبة للحديث عن المواضيع الجنسيَّة التي تخُصُّ الذُّكور والإناث. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يختاروا المكان والزَّمان المناسبين لمناقشة هذا الموضوع بانفتاحٍ وصدق. وقد عَبَّر كاتِبا «قُدْسِيَّة الجنس» (The Sanctity of Sex) عن ذلك بالقول:

> إذًا ما الطَّريقة التي يَنتهجها الله في مناقشة القضايا الجنسيَّة؟ إنَّ كلَّ قارئٍ عاديٍّ للكتاب المقدَّس يَعلم أنَّ طريقة الله لا تقوم على الحديث المُبْهَم الذي يَبعث الخوف في النَّفس. فلا يمكن لأيِّ شخصٍ يقرأ الأصحاحات الأولى مِن الكتاب المقدَّس أن يتغاضى عن حقيقة أنَّ أبانا السَّماويَّ لم يخجل يومًا مِن خليقته، أو مِن حقيقة أنَّه تَحَدَّث دومًا بانفتاحٍ عن وظائف الجنس.[٤]

ومع ذلك، يُتابع الكاتبان حديثهما قائلَيْن إنَّ مِثل هذا الانفتاح يجب أن يكون مصحوبًا بخشية الربِّ ومحبَّته. فبخلاف ذلك، ستصير المعرفة نَقْمةً لا نِعْمةً- كما هي الحال في مجتمعاتنا اليوم.

التَّغييرات عند الذُّكور

ما التَّغييرات التي تحدث للصَّبيِّ عندما ينتقل مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة المُراهقة؟ أوَّلًا، أثناء فترة المراهقة، قد يَحْدُث النموُّ في شكل طَفْرات. فقد يزداد طول الصبيِّ خمسة عشر سنتمترًا أو أكثر في سنة واحدة. وفي بعض الأوقات قد تَحْدُث طَفْرَة نُموٍّ باكرة وأخرى لاحقة. وعادةً فإنَّ شهيَّة الصبيِّ المُراهق للطَّعام تزداد حتَّى إنَّه قد يأكل كمِّيَّة طعام يأكلها الرِّجال، بل ربَّما أكثر.

وفي وقتٍ ما مِن فترة المُراهقة (في سِنِّ الثَّالثة عشرة أو الرَّابعة عشرة عادةً)، يبدأ جسم الصبيِّ بإفراز هرمونات مُعيَّنة. وهذه الهرمونات تُسَبِّب ظهور صِفات ذُكوريَّة أخرى لديه. فعلى سبيل المثال، قد يصير صوتُه جهورًا. وفي بعض الأحيان، قد يميل الصَّوت إلى الخشونة أو الحِدَّة. وبسبب هذه التغيُّرات المفاجئة في الصَّوت، قد يَشعُر العديد مِن المراهقين بالإحباط – فبعد أن صار صوتهم جهورًا (وهو أمرٌ يُحِبُّه أغلبيَّة المراهقين) تَغَيَّر وصار حادًّا. وبسبب هذا التغيير، قد يَشعر المراهقون بالحرج مِن التكلُّم في إطار المجموعات. وقد تؤدِّي هرمونات الذُّكورة إلى نُموِّ الشَّعر في منطقة الذَّقن وفوق الشَّفة العُليا. والحقيقة هي أنَّ أغلبيَّة المراهقين يبتهجون بحلاقة ذقونهم أوَّل مَرَّة؛ وهو ذات السُّرور الذي شعروا به عندما حصلوا على أوَّل درَّاجة هوائيَّة. ولكن كما أنَّ فَرْحَة الحصول على الدَّراجة الهوائيَّة قد زالت بعد حين، فإنَّ فَرْحَة حلاقة الذَّقن تزول بعد حين أيضًا.

وهذه التَّغييرات التي تَطرأ على جسم الصبيِّ هي طريقة الله في إنضاجه ليصير رَجُلًا. ولكنَّ مُراهقين كثيرين يشعرون بمخاوف لا مُبَرِّر لها إمَّا بسبب جهلهم، أو لأنَّهم سمعوا عن تلك التغييرات مِن خلال قصص أو نُكات مُبتذلة. لذلك، يجب على كُلِّ صبيٍّ أن يحظى بفرصة التحدُّث بصراحة وانفتاح مع أبيه. وفي حال عدم إمكانيَّة ذلك، يمكنه التحدُّث مع أحد المؤمنين الأتقياء وسؤاله عن الأمور المختصَّة بهذه الفترة مِن حياته.

قصَّة مِن واقع الحياة

كان «جورج» شابًّا مُرهف الحِسِّ. ومع أنَّ أباه كان مؤمنًا أمينًا، فقد نشأ في بيئة تُعَلِّم أنَّ الحديث عن التغيُّرات الجسمانيَّة مُحْرِج. ومع أنَّ الأب أراد لابنه أن يَعرف عن هذه المرحلة، فإنَّه كان يجهل الطَّريقة المناسبة. لذلك، فقد أعطاه كتابًا يَتحدَّث عن التغيُّرات الجسمانيَّة عند الصِّبيان المُراهقين.

ولكنَّ الكتاب كان مكتوبًا، ويا للأسف، بلغة مُتَكَلِّفة أو رسميَّة (مِثْل: «والآن يا عزيزي جورج...»). كذلك، كانت الأوصاف مُبْهَمَة ومُصاغة بلُغة جامدة حتَّى إنَّها زادت مخاوف جورج وهواجسه. وكانت النَّتيجة هي أنَّه كان يخشى قراءة الكتاب. وفي الوقت نفسه، كان يخشى أن يسأله أبوه إن كان قد قرأ الكتاب.

والحقيقة هي أنَّه كان بالإمكان تَجَنُّب الكثير مِن هذه المخاوف لو أنَّ الأب ناقش هذه المواضيع مع ابنه بانفتاح وصَراحة. فلا شيء يُغني عن التَّواصُل الفعَّال مع الأبوَيْن في سنوات المُراهقة.

التَّغييرات عند الإناث

ما التَّغييرات التي تطرأ على الفتاة عندما تنتقل مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة المُراهقة؟ خِلافًا للصبيِّ، فإنَّ صوت الفتاة لا يتغيَّر كثيرًا. ولكنَّ الهرمونات الأنثويَّة تُحْدِث تغييرات أخرى تؤدِّي إلى تغييرات مفاجئة على شكل طَفرات. وغالبًا، فإنَّ الفتيات يَسْبِقْنَ الصُّبيان بسنة أو سنتين. ومع أنَّ هذه التَّغييرات قد تَجعل الفتاة خجولة بعض الشَّيء، فإنَّها قد تَجعلها تَشعر، في الوقت نفسه، بشعورٍ دفينٍ بأنَّها صارت امرأة؛ وهو شعورٌ تَنظر إليه أغلبيَّة الفتيات بإيجابيَّة.

وتَمُرُّ بعض الفتيات بتغييراتٍ جسمانيَّة في وقتٍ مُتأخِّر عن غيرهنَّ. وقد تكون التَّغييرات عند بعضهنَّ أخَفُّ وَطأةً مِن الأُخريات. لكن لا يَجْدُر بهؤلاء الفتيات أن يَقلقن أو أن يَشعرن بوجود خَطْبٍ ما. وفي حال وجود مِثل هذه المخاوف أو الأسئلة، ينبغي للفتاة أن تناقش الأمر مع أُمِّها، أو مع إحدى المؤمنات الجديرات بالثِّقة.

التَّغييرات العاطفيَّة والسُّلوكيَّة

مِن جهة أخرى، فإنَّ التَّغييرات الجسمانيَّة التي يَختبرها المُراهقون تُفضي إلى تغييرات عاطفيَّة أيضًا. وقد ذكرنا آنفًا أنَّ الأطفال عمومًا لا يُدركون الفروق بين كونهم ذكورًا أو إناثًا. ولكن عندما تحدُث التَّغييرات الجسمانيَّة، فإنَّ الصبيَّ يُدرك لا أنَّه صبيٌّ فحسب، بل وأيضًا أنَّه يَنجذب إلى الفتيات بصورة لم يَعْهَدها مِن قَبل. وفي أغلب الأوقات، يحاول الصِّبيان تمويه هذا الانجذاب مِن خلال التَّظاهُر بعدم اهتمامهم بالفتيات، أو مِن خلال مُضايقتهنَّ. وعلى نحوٍ مُشابهٍ، قد تشعر الفتيات بأنَّ التَّغييرات الجسمانيَّة تؤثِّر في نظرتهنَّ لأنفسهنَّ وللصِّبيان.

لذلك، قد يزداد اهتمامهنَّ بمظهرهنَّ الخارجيِّ بصورة لافتة. وقد يُعَبِّرن عن استيائهِنَّ إن رآهُنَّ أحدهم بثيابٍ مُتَّسخة أو شَعْرٍ منكوش.

وفي ما يَخُصُّ الصِّبيان، فإنَّ اهتمامهم يَنصبُّ عادةً على القوَّة البدنيَّة. لذلك، فإنَّهم يحاولون منافسة الآخرين في الرَّكض، وفي القفز، وفي رفع الأثقال. ومع أنَّ الصبيَّ المُراهق قد لا يتحدَّث بصوتٍ عالٍ أو بكثرة كما كان يَفعل قبل سنوات، فإنَّ رغبته في أن يكون رَجُلًا قويًّا تَفوقُ أيَّ وقتٍ مضى.

أمَّا الفتيات المراهقات فإنَّهُنَّ يَزددنَ أُنوثةً، ويبتدئن في ارتداء الملابس التي ترتديها السيِّدات، ويجلسن مِثلهنَّ، ويتحدَّثن مِثلهنَّ أيضًا. وقد يتوقَّفن عن المشاركة في الألعاب التي تلعبها الفتيات الصَّغيرات. وفي أغلب الأوقات، فإنَّهنَّ يُفَضِّلْنَ مراقبة الآخرين وهُم يعملون على المشاركة الفعليَّة؛ ولا سيَّما إذا خَشينَ مِن الظُّهور بمظهر الفتيات الغبيَّات.

ويمكن القول إنَّ الانتقال مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة المراهقة يحدث بسرعة نسبيًّا. فقد نُدهش حين نرى أنَّ الأطفال الصغار الذين كانوا يلعبون ويلهون في سِنِّ العاشرة أو الحادية عشرة قد صاروا فجأةً شُبَّانًا وفتياتٍ في الرَّابعة عشرة أو الخامسة عشرة مِن العُمر، وأنَّهم يُفَكِّرون في عالم الكِبار ويتحدَّثون عنه. وبعد أن كان الكبار يُخاطبونهم بمصطلحات طفوليَّة وأفكارٍ بسيطة، فإنَّهم يبتدئون في مخاطبتهم كأشخاصٍ ناضجين. وقد يكون التَّغيير المفاجئ مِن مرحلة الطُّفولة إلى المراهقة صعبًا على المراهقين والكبار في آنٍ واحد. فقد لا يكون المراهقون مستعدِّين لما يمكنهم القيام به فجأةٍ. وقد لا يَشعُر الكبار بأنَّهم مستعدُّون للتأقلم مع ما يرغب أولئك المراهقون بالقيام به. لذلك، بمعزلٍ عن حِكمة الله، قد تَحتدم الخلافات في البيوت بين المراهقين المُفعمين بالحيويَّة والطَّاقة والكبار الذين يَشعرون بالتَّهديد. ويمكنك أن تَجِد في الأجزاء اللَّاحقة اقتراحات عمليَّة لمساعدة المراهقين والأهل على التأقلم مع هذه المرحلة الانتقاليَّة (مِن الطُّفولة إلى النضج) والتمتُّع بها.

التَّغييرات الروحيَّة

إنَّ التَّغييرات العاطفيَّة والسلوكيَّة عند المراهقين لا تنشأ بسبب التَّغييرات الجسمانيَّة فحسب، بل إنَّ هناك تغييرات روحيَّة تؤثِّر في العواطف والسُّلوك أيضًا. فعندما يزداد وعي المراهق لذاته، فإنَّ ضميره يصير حَيًّا بطرائق لم يألفها مِن قَبْل. فقد يَشعر الأطفال بالذَّنب عندما

يقترفون خطأً ما. أمَّا في مرحلة المراهقة، فإنَّ وعيهم بأنفسهم كأشخاص يزداد. وحينئذٍ، فإنَّهم يشعرون بأنَّ مشكلة الخطيَّة ليست مُرتبطة بما يفعلونه فحسب، بل إنَّها ترتبط بذواتهم. وعندما يُدركون ذلك فإنَّهم يبتدئون في تحليل لا أفعالهم فحسب، بل ودوافعهم أيضًا. وهُم يُدركون تدريجيًّا أنَّه مِن رابع المستحيلات أن يكونوا كما أرادهم آباؤهم وأُمَّهاتهم أن يكونوا طَوال السِّنين الماضية (أولادًا في قِمَّة الأدب والأخلاق). وهذا لا يعني أنَّهم يُدركون هذه الأمور إدراكًا كاملًا. فعلى الصَّعيد الروحيِّ، لا يَفهم المراهقون ذواتهم تمامًا. ولكنَّهم يبتدئون في إدراك بعض الحقائق الروحيَّة عن أنفسهم؛ وهي حقائق لم يعرفوها مِن قَبل.

وقد تتفاوت التَّأثيرات العاطفيَّة لهذه التَّغييرات الروحيَّة بين شخصٍ وآخر. فقد يشعر بعض المراهقين بالخوف، وتزداد حساسيَّتهم، ويزدادون خجلًا. وقد يصير بعضٌ منهم سريعي الغضب، وكثيري التذمُّر، وحادِّي المِزاج. وقد يقاوم بعضٌ منهم هذه الصَّحوة الروحيَّة دون حتَّى أن يفهموها. وفي أغلب الأحوال، فإنَّ أولئك الذين يَنتمون إلى الفئة الأخيرة يميلون إلى الجَدَل والتمرُّد.

وكقاعدة عامَّة، عندما تَبتدئ تلك التَّغييرات بالحدوث في فترة المراهقة، ويَصحو ضمير المراهق، فإنَّه يكون جاهزًا لقبول الربِّ يسوع المسيح مُخَلِّصًا لحياته. ومع أنَّ هناك أُناسًا كثيرين يُنادون بضرورة الكرازة للأطفال ويُمارسونها في أيَّامنا هذه، فإنَّ هذا يُشَكِّل سوء فهمٍ مؤسفٍ للحالة الروحيَّة لِكُلٍّ مِن الأطفال والمراهقين. وفي ما يلي بعض الملاحظات المهمَّة بهذا الخُصوص:

١. إنَّ الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن الطُّفولة كفترة تُعَبِّر عن البراءة والقبول مِن الله. فعلى سبيل المثال، فقد تَحَدَّث يسوع عن الأطفال فقال: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (إنجيل مَتَّى ١٩: ١٤). وقد حَذَّر يسوع الكبار مِن عواقب احتقار الصِّغار أو الإساءة إليهم بقوله: «اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (إنجيل مَتَّى ١٨: ١٠).

٢. إنَّ الكتاب المقدَّس يَصِف الاهتداء بأنَّه الوقت الذي تَحْدُث فيه التَّوبة. ولكنَّنا لا نَعثر في الكتاب المقدَّس على أيِّ شيءٍ يَدُلُّ على أنَّ يسوع أو الرُّسُل دَعوا الأطفال إلى التَّوبة. فالتَّوبة تتطلَّب وعيًا للذَّات؛ وهو أمرٌ لا يَكتمل في مرحلة الطُّفولة.

وقد ذَكَر خادم الربِّ ومُعَلِّم الكتاب المقدَّس «صموئيل يودر» ما لا يَقِلُّ عن ثلاث مراحل للإدراك (أي: الوعي) ينبغي بلوغها قبل أن يصير الاهتداء للمسيح ممكنًا:

أ. إدراك وجود الله. ولا شَكَّ أنَّ الأطفال يُدركون وجود الله. ولا شكَّ أيضًا أنَّ مرحلة الطُّفولة مُلائمة تمامًا للابتداء في ترسيخ بعض المفاهيم عن الله لأنَّ هذه المفاهيم ستكون الأساس الذي يقوم عليه خلاصهم في المستقبل. «وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (٢تيموثاوس ٣: ١٥).

ب. إدراك وجود الخطيَّة. وكما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ إدراك الطِّفل لوجود الخطيَّة يَقتصر على إدراكه بأنَّه قام بأمرٍ خاطئ. لذلك، يجب تشجيع الأطفال على الاعتراف بالأخطاء التي اقترفوها. فالله يَغفر الذُّنوب. ويمكن للأطفال –دون أدنى شَكٍّ- أن يَنعموا بالسَّلام. ولكن ما لم يَصحو ضميرهم، وهو أمرٌ لا يمكن أن يحدث إلَّا بعد أن يكونوا قد أدركوا ذواتهم إلى حَدٍّ معقول، فإنَّهم لن يدركوا أنَّهم خُطاة في ذواتهم. لذلك، إذا مارَسْنا أيَّ نوعٍ مِن الضَّغط على الأطفال لكي يقبلوا يسوع مُخلِّصًا لحياتهم دون أن يُدركوا حقيقة كونهم خُطاة، فإنَّنا نُشَوِّش موضوع الخلاص كعقيدة وكاختبارٍ شخصيٍّ. وحينئذٍ، لن يعود باستطاعة النَّاس أن يعرفوا ماهيَّة الخلاص ومتى نالوه.

ج. إدراك حُرِّيَّة الاختيار. فيجب على كُلِّ شخص أن يُدرك مسؤوليَّته الشخصيَّة المُختصَّة بالتَّوبة والإيمان بالمسيح. والطِّفل يتجاوب بسرعة مع التَّعليم عن الله والخلاص إذا طُلِب منه ذلك لأنَّ قراراته كطفل تقوم على إرشاد الكبار. ولكنَّ الاهتداء بمفهومه الصَّحيح لا يحدث إلَّا عندما نتمكَّن مِن طرح هذا السُّؤال بأنفسنا: «مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟»[٥]

٣. إنَّ الكتاب المقدَّس يَصِف المعموديَّة بأنَّها للمؤمنين. والنِّقاط المذكورة آنفًا تُبَيِّن أنَّ الإيمان المُخَلِّص يتطلَّب معرفةً تفوق إدراك الأطفال. ولا شكَّ أنَّه بمقدور الأطفال أن يؤمنوا بالله، وبالحقِّ الروحيِّ. ولكن كيف يمكنهم أن يؤمنوا بيسوع وأن يَقبلوه مُخلِّصًا لحياتهم قبل أن يُدركوا طبيعتهم الخاطئة؟ فعلى سبيل المثال، فإنَّ قصَّة الوزير الحبشيِّ (أعمال الرُّسُل

٨: ٢٦-٣٨) تُرينا الشُّروط السَّابقة للمعموديَّة: الفهم (العدد ٣٠)، والإيمان (العدد ٣٧)، والاعتراف (العدد ٣٧). لذلك، إذا عَمَّدْنا أطفالًا لا يَستوفون هذه الشُّروط، فإنَّنا نكون بذلك قد مارسنا معموديَّة الأطفال- بفارقٍ بسيطٍ ألا وهو أنَّنا أجَّلناها بضع سنواتٍ فقط.

ولكنَّ ما لا يمكن للأطفال أن يَفهموه ويختبروه مِن طريق الاهتداء الروحيِّ يصير مُحتملًا جدًّا عند المراهقين. فإدراكهم لذواتهم يقودهم إلى إدراك الخطيَّة. والأبوان الحكيمان هُما اللَّذان يَسعيان إلى إرشاد أبنائهما إلى إدراك وجود المُخَلِّص. ولا شكَّ أنَّ أحد أروع الاختبارات في نِطاق العائلة هو أن يقود الأبوان أطفالهما التَّائبين إلى تسليم حياتهم ليسوع المسيح.

ولا شكَّ أيضًا أنَّ التَّجاوب السَّليم مع الحاجات الروحيَّة للأطفال والمراهقين يتطلَّب حكمةً وحِسًّا مُرهفًا. كذلك فإنَّ الفهم لازمٌ وضروريٌّ. فيجب علينا أن نَفهم الفروق الروحيَّة بين الأطفال والمراهقين. ويجب علينا أيضًا أن نأخذ بعين الاعتبار الاختلاف بينهم في الشخصيَّة والنموِّ. فالأطفال يتباينون، وليس مِن السَّهل علينا دائمًا أن نَتوقَّع تصرُّفات المراهقين. لذلك، فإنَّ أفضل ما يمكن للآباء والأمَّهات أن يفعلوه هو أن يطلبوا الحِكمة مِن الله. وفي ما يلي بعض النِّقاط القائمة على المفاهيم التي تحدَّثنا عنها في هذا الجزء:

١. **عَلِّم الأطفال أنَّهم موضوع محبَّة الله.**

٢. **تَعامل مع الأطفال حسب مستوى فهمهم.** فعلى سبيل المثال، إذا جاءوا إليك وأعربوا عن رغبتهم في أن يصيروا مؤمنين، اسألهم عن قَصْدِهم. فقد تجدهم، في أغلب الأوقات، مُنزعجين من خطيئةٍ اقترفوها. فإن قُدتهم إلى طلب الغفران مِن الله، سيشعرون بالسَّلام.

٣. **بَيِّن للأطفال، مِن الكتاب المقدَّس، أنَّ الله يُحِبُّهم ويَقبلهم.** بَيِّن لهم أيضًا أنَّ الله يَدعو النَّاس إلى التَّوبة. أخبرهم أنَّ هذا هو ما سيفعله الله في حياتهم عندما يصيرون جاهزين. اشرح لهم أنَّ الله سيتكلَّم إليهم في وقتٍ مِن الأوقات ويطلب منهم أن يَقبلوا يسوع في قلوبهم. أَكِّد لهم أنَّهم سيُمَيِّزون صوت الله عندما يتحدَّث إليهم. شَجِّعهم على أن يقولوا لله إنَّهم يرغبون في إطاعته.

٤. **صَلِّ مع الأطفال في ما يَخُصُّ حاجاتهم وحاجات العائلة.** صَلُّوا بإيمانٍ، وخضوعٍ، وتسليمٍ بأنَّ الله سيستجيب بملء حكمته وتوقيته.

٥. **ساعد الأطفال على تقديم الشُّكر والتَّسبيح لله على شخصه وأعماله.** وينبغي أن تَعلم أنَّ الأطفال يُحِبُّون التَّرنيم. وهُم يَجدون مُتعة كبيرة في تقديم الشُّكر لله، وفي تَذَكُّر المَرَّات التي استجاب فيها صلواتهم في الماضي.

٦. **عندما يقترب الأطفال مِن مرحلة المراهقة، مَيِّز بين التَّبكيت الحقيقيِّ عن الخطيَّة والتجاوب العاطفيِّ مع الله.** فعلى سبيل المثال، قد يَشعر الطِّفل بضغطٍ عاطفيٍّ للتَّجاوب مع الدَّعوة بقبول المسيح في أحد الاجتماعات الكنسيَّة. اسأل الطِّفل إن كان هناك شيء مُحَدَّد لَمَس قلبه في ما قاله الواعظ. إذا لم يتجاوب الطِّفل مِن خلال سماع الحقِّ، فإنَّ تجاوبه ليس تبكيتًا على الخطيَّة. اشرح للطِّفل أنَّ قبول يسوع يشمل العواطف والمعرفة العقليَّة. وعندما يُخاطبه الله، فإنَّه لن يَشعر بذلك أثناء الدَّعوة فحسب، بل إنَّه سيسمع الله يُخاطبه مَرَّاتٍ أُخرى أيضًا. صَلِّ مع الطِّفل في أوقاتٍ كهذه، وشَجِّعه على أن يُعَبِّر لله عن مشاعره. بعض الأطفال يُبدون انفتاحًا للإفصاح عن مشاعرهم أكثر مِن غيرهم. وهذا أمر طبيعيٌّ جدًّا. لذلك، لا تحاول فتح أبواب التَّواصل عنوةً مِن الخارج. وفي الوقت نفسه، احذر عواقب إهمال الطِّفل الهادئ بسبب تركيز انتباهك واهتمامك على طفلٍ آخر يتكلَّم كثيرًا.

٧. **راقب أيَّ علامات تُشير إلى تبكيت الرُّوح القُدُس.** قد يَظهر ذلك مِن خلال تَقَلُّب المِزاج، أو سُرعة الانفعال، أو مقاومة السُّلطة.

٨. **راقب نُمُوَّ الطِّفل في ما يَخُصُّ إدراكه لذاته.** فلا بُدَّ لهذا الأمر أن يَحْدُث في مرحلة مِن مراحل نُضجه الجنسيِّ. فكما ذكرنا آنفًا، فإنَّ إدراك الخطيَّة يأتي عادةً بعد إدراك الذَّات. وقد يَصْعُب علينا فهم كيفيَّة ارتباط جميع هذه الأمور بعضها ببعض. ولكنَّنا نُلاحظ أنَّ آدم وحوَّاء أدركا خطيئتهما وعُريهما في جنَّة عدن في الوقت ذاته.

قصَّة مِن واقع الحياة

عندما كان «تيد» في التَّاسعة مِن عُمره، قام أحد الوُعَّاظ بعقد اجتماعاتٍ في كنيسته. وقد تجاوب «تيد» ورفاقٌ له مِن نفس عُمره مع الدَّعوات العاطفيَّة المُتكرِّرة ليلة بعد الأخرى بقبول يسوع. ولأنَّ «تيد» نشأ في بيتٍ مؤمن، فقد سأل والديه في تلك اللَّيلة إن كان بمقدوره أن يَعتمد.

أجابه أبواه: «ما زال عُمرك تسع سنوات. والمعموديَّة تجعلك عضوًا في الكنيسة. لِمَ لا تنتظر بضع سنواتٍ إلى أن تكبر؟»

ومع أنَّ «تيد» انتظر، فإنَّه كان يتساءل دائمًا عن سبب عدم تَمَكُّن المؤمن مِن مُمارسة المعموديَّة لسنوات. وفي السَّنوات التي أَعقبت ذلك، كان «تيد» قد قَطَع أكثر مِن عهدٍ أمام الربِّ. وعندما بلغ الرَّابعة عشرة، اعتَمَد «تيد» وصار عضوًا في الكنيسة مع مجموعة مِن الرِّفاق الذين كانُوا في مِثل عُمره.

وفي سِنِّ الخامسة عشرة والسَّادسة عشرة، صار «تيد» مُتمرِّدًا جدًّا. وكان يَقوم سِرًّا بأمورٍ لا يمكن لأبوَيْه أن يَسمحا بها. وفي أواخر سنوات المراهقة، ابتدأ «تيد» في طلب وجه الربِّ مرَّة أخرى وصار مؤمنًا مُكَرَّسًا للربِّ في نهاية المَطاف.

وعندما كان «تيد» يتذكَّر ما حدث، كان يتساءل: «متى ابتدأتُ علاقةً سليمة بالله؟ هل حدث ذلك عندما تجاوبت مع الله أوَّل مَرَّة؟ أَم عندما اعتمدتُ؟ أم عندما سَلَّمتُ حياتي بأسْرِها ليسوع؟

وقد كان ذلك التَّشويش الذي اختبره «تيد» (ويَختبره أُناسٌ كثيرون مِثله) ناشئًا عن عدم فهم الحالة الروحيَّة للطُّفولة بوضوح، وعن عدم توضيح مُتطلَّبات الخلاص. لذلك، مع أنَّ نوايا الكبار قد تكون سليمة، فإنَّهم يَتَسَبَّبون في تشويش الأطفال عندما يضغطون عليهم عاطفيًّا لقبول يسوع مُخَلِّصًا لحياتهم.

٩. **لا تضغط على المراهق ولا تحاول «رشوته» لقبول الخلاص.** فيجب أن يَحْدُث الاهتداء بسبب تجاوبه مع الله والحقِّ. كذلك، فإنَّ الهِداية أو التبكيت على الخطيئة هو عمل يقوم به الرُّوح القُدُس. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يَثقوا بأنَّ الله سيقوم بدوره. أمَّا الضُّغوط الخارجيَّة فستؤثِّر سلبًا على فاعليَّة اللهِ.

١٠. عندما تقود مراهقًا للمسيح، رَكِّز على النِّقاط الأساسيَّة التَّالية:

- **التَّوبة:** فينبغي للمرء أن يُدرك أنَّه إنسان خاطئ، وأن يَتخلَّى عن حياته الماضية (أعمال الرُّسُل ٢: ٣٨).

- **الاعتراف:** فينبغي للمرء أن يَعترف بفمه أنَّ يسوع المسيح رَبٌّ وسَيِّدٌ له، وأن يَقبلَ المسيح في قلبه بيقينٍ تامٍّ أنَّه سيُخَلِّصه مِن الخطيَّة (رومية ١٠: ٩-١٣).
- **المعموديَّة:** فينبغي للمرء أن يَشْهَد علنًا أنَّه اتَّحد بالمسيح وبشعبه مِن خلال معموديَّة الماء (إنجيل مَتَّى ٢٨: ١٩ و ٢٠؛ ١كورنثوس ١٢: ١٣؛ ١بطرس ٣: ٢١).

وضع الأساس المَتين

هناك تغييرات كثيرة تحدث في حياة المراهقين. وقد يكون بعضٌ منها عميق الأثر. وقد تحدَّثنا للتوِّ عن بعض هذه التَّغييرات. فعلى الصَّعيد الجسديِّ فإنَّ الصِّبيان يصيرون رجالًا، والصَّبايا يَصِرْنَ نِساءً. وعلى الصَّعيد الروحيِّ فإنَّ الأطفال الأبرياء يصيرون أشخاصًا راشدين مسؤولون (أمام الله والناس). وعلى الصَّعيد العاطفيِّ والسلوكيِّ فإنَّ هناك نُضجًا ورُشدًا. ومع أنَّ هذه الفترة في حياة المرء قد تكون رائعة، فإنَّها قد تكون صعبة وقاسية أيضًا.

وإن أردنا أن تكون هذه الفترة ناجعة ومفيدة، فإنَّ الأمر يتطلَّب تعاونًا مشتركًا بين الأهل والأبناء. والحقيقة هي أنَّ الأمر لا يبتدئ بفترة المراهقة. بل ينبغي للأهل والأبناء أن يبتدئوا- قبل فترة طويلة مِن مرحلة المراهقة- بوضع الأساس الذي سيبنون عليه علاقتهم بعضهم ببعض في هذه السَّنوات الحاسمة التي تنطوي على الكثير مِن التَّغيير والنموِّ. وفي هذا الجزء، سنتحدَّث عن ما يحتاج إليه المراهقون والأبوان مِن أجل علاقةٍ ناجعةٍ بينهم. ومِن ثَمَّ، سنذكر بعض النَّصائح الأساسيَّة التي تُسهم في سَدِّ هذه الحاجات:

١. **ينبغي للآباء والأمَّهات (مِن جهة) والمراهقين (مِن جهة أخرى) أن يحترموا بعضهم بعضًا كأشخاص.** فالله يوصي الأبناء بأن يُكرموا آباءهم وأمَّهاتهم. وفي الوقت نفسه، يجب على الآباء والأمَّهات أن يتعلَّموا احترام شخصيَّة أبنائهم. فلِكُلِّ طفلٍ مشاعره وصفاته التي تُمَيِّزه عن غيره. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يَعرفوا أبناءهم كأشخاصٍ مُتميِّزين لكي يشعر كُلُّ ابنٍ (أو ابنة) بالأمان النَّابع مِن إدراكه بأنَّ والديه يفهمانه ويُحِبَّانه.

ولا شَكَّ أنَّ معرفة الأبناء بعُمْق تتطلَّب صَرْف الوقت معهم. وربما كان الآباء هم الذين يواجهون مشكلة أساسيَّة في هذا الأمر لأنَّ كثيرين منهم يعملون خارج البيت ساعاتٍ طويلة. لكن يجب على الآباء والأمَّهات أن يهتمُّوا اهتمامًا بالغًا بممارسة بعض الأنشطة مع أبنائهم. ولا نُخطئ إن قلنا إنَّ أسهل طريقة لبناء الحواجز مع الأبناء

المراهقين- ولا سيَّما في ما يَخُصُّ الآباء- هي عدم التَّواصُل معهم في فترة الطُّفولة. ويجب علينا ألَّا ننسى أنَّ لكُلِّ شخصٍ نقاط قوَّة ونقاط ضعف، وأنَّ لكُلِّ شخصٍ اهتماماته، وأنَّ لكُلِّ شخصٍ جوانب عاطفيَّة «حسَّاسة» ينبغي التَّعامل معها بِحِسٍّ مُرهف. كذلك، فإنَّ كُلَّ شخصٍ يحتاج إلى الخصوصيَّة. وهذه جميعها هي جزء مِن شخصيَّة الطِّفل التي ينبغي للأهل أن يفهموها – ولا سيَّما عندما ينتقلون إلى مرحلة المراهقة.

مِن جهة أخرى، يجب على الآباء والأمَّهات الذين يفهمون تَفَرُّد شخصيَّة كُلِّ طفل أن يتجنَّبوا عَقْد المُقارنات السَّلبيَّة بين ابنهم والأطفال الآخرين. وعند تقويم الابن، يجب عليهم أن يُعالجوا الخطأ دون التعرُّض لشخصيَّته. كذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يتبعوا أسلوب الإرشاد وأن يتجنَّبوا إصدار الأوامر بأسلوبٍ مُتسلِّط.

ولا شكَّ أنَّ الآباء والأمَّهات الذين يحترمون شخصيَّة أطفالهم يَضعون أساسًا متينًا لعلاقتهم بهم في مرحلة المراهقة. وعندما يصير الأطفال مراهقين، فإنَّهم يبتدئون في رؤية آبائهم وأمَّهاتهم كأشخاص. وهُم يبتدئون أيضًا في مراقبة الصِّفات وتقييم الشخصيَّات. والحقيقة هي أنَّ استعدادهم لاحترام شخصيَّة آبائهم وأمَّهاتهم يتوقَّف كثيرًا على الاحترام الذي أظهرهُ لهم آباؤهم وأمَّهاتهم. فإذا تجاهل آباؤهم وأمَّهاتهم شخصيَّاتهم واستخفُّوا بهم، فقد يميلون، بدورهم، إلى تجاهل آبائهم وأمَّهاتهم والاستخفاف بهم في أوَّل فُرصة تُتاح لهم. وعلى النَّقيض مِن ذلك، إذا تعامل معهم آباؤهم وأمَّهاتهم بإحساسٍ مُرهف، سيكون لديهم الأساس المتين للتَّعامُل مع الأهل بإحساسٍ مُرهفٍ أيضًا.

٢. **ينبغي للآباء والأمَّهات (مِن جهة) والمراهقين (مِن جهة أخرى) أن يحافظوا على قنوات الاتِّصال مفتوحة بينهم.** وقد نَبَّرنا آنفًا على أهميَّة التَّواصُل عندما تطرَّقنا إلى التَّغييرات الجسمانيَّة والروحيَّة التي تحدث في فترة المراهقة. ولكنَّ الأساس لهذا الانفتاح ينبغي أن يوضع في سنوات الطُّفولة. ونقول ثانيةً إنَّ انشغال الأبوَيْن –ولا سيَّما الآباء- يَمنعهما مِن التحدُّث إلى أبنائهما. فإن وجد الأبوان أنَّ هذه هي الحال، يجب عليهما أن يَتعلَّما التَّخطيط للتَّواصُل. فعلى سبيل المثال، يجب على الآباء أن يسردوا القصص لأبنائهم (والسَّرد مُفَضَّل في أغلب الأحيان على القراءة). فالأطفال يُحِبُّون سماع القصص عن آبائهم عندما كانوا صبيانًا. وينبغي للآباء أن يخبروا الأبناء كيف تعمل الأشياء، وكيف تُصنع، وكيف يمكن صُنعها يدويًّا. ويجب على الآباء أن يطلبوا مِن أبنائهم أن يطرحوا أفكارهم، وأن يُصغوا إلى تلك الأفكار.

والحقيقة هي أنَّ التَّواصُل يتطلَّب انتباهًا. وقد قال أحدهم إنَّ الانتباه الكامل لا يحدث إلَّا عندما تنظر مباشرةً إلى عيني ابنك. فمن السَّهل على الآباء أن يدفنوا رؤوسهم في الجريدة اليوميَّة وأن يَكتفوا بالتَّواصل مع أبنائهم بسطحيَّة مُفرطة مِن خلال هَزِّ رؤوسهم بين الحين والآخر. ومِن السَّهل على الأمَّهات أن يتخلَّصْنَ مِن أبنائهنَّ عندما يَشعرن بالملل بسبب ثرثرتهم أو أسئلتهم المتلاحقة. ولا شكَّ أنَّ الأبوَيْن الحكيمَيْن لن يَسمحا لأطفالهما بالتحدُّث طوال الوقت وإدارة الحوار كما يحلو لهم. ولكن يجب عليهما، في الوقت نفسه، أن يدركا أهميَّة الاستفادة مِن أيِّ فُرصة مُتاحة للحديث مع أبنائهما في فترة الطُّفولة. فالآباء والأمَّهات الذين لا يُعيرون أطفالهم آذانًا مُصغية سيجدون أنَّ أبناءهم لن يُعيروهم آذانًا مُصغيةً في فترة المراهقة.

٣. **ينبغي للآباء والأمَّهات (مِن جهة) والمراهقين (مِن جهة أخرى) أن يضعوا حدودًا وتوقُّعات معقولة.** وسوف نتحدَّث بإسهابٍ عن موضوع التَّربية والتأديب في الفصل السَّادس. ولكنَّنا نودُّ أن نقول هنا إنَّ الكثير مِن الإحباط الذي يشعر به المراهقون والآباء والأمَّهات نابع مِن عدم استقرار الأبوَيْن، وهياج المراهقين. فبالرَّغم مِمَّا يحاول الأطفال والمراهقون التَّعبير عنه عن طريق التأفُّف والتوسُّل والمجادلة، فإنَّهم يجدون أمانًا كبيرًا في معرفة حدودهم، وفي وجود أبوين ثابتين في كلامهما.

فالآباء والأمَّهات الذين يستسلمون لتوسُّلات أبنائهم في سبيل إرضائهم يُظهِرون فهمًا سطحيًّا جدًّا لأصول التربية ومعنى الحصول على رضى أبنائهم وقبولهم. كذلك، فإنَّ هذا التصرُّف يَدُلُّ على عدم شعور الأبوَيْن بالأمان. فعندما يكون الأبوان مُتذبذبَيْن في قراراتهما، فإنَّهما لن يُظهرا حَزْمًا كافيًا في المرَّة القادمة التي ينبغي فيها أن يرفضا طلب أحد الأبناء. وليس هذا فحسب، بل إنَّ هذا التَّذبذُب يؤثِّر سلبًا على احترام الأبناء لهما في السَّنوات القادمة. فالأطفال الذين ينجحون في الحصول على ما يريدون عن طريق التوسُّل إلى آبائهم وأمَّهاتهم قد يصيرون مراهقين بارعين في التَّحايُل على الآخرين.

لذلك، فإنَّ الحكمة تقتضي مِن الأبوَيْن أن يُعَلِّما أبناءهما أنَّهما يَعنيان كُلَّ كلمة يقولانها. كذلك، فإنَّ الحكمة تقتضي منهما تَجَنُّب التَّرهيب، والتَّهديد، والصُّراخ، والهياج الفارغ. فلا يجوز أن يكونا صارِمَيْن تارةً ومُتساهِلَيْن تارةً أخرى. ولا يجوز لأحد الأبوَيْن أن يتصرَّف دون عِلم الآخر في ما يَخُصُّ التَّعامل مع الأبناء. بل ينبغي لهما أن يَتَّفِقا على

رأيٍ واحدٍ في سبيل الوصول إلى نهج واضح ودائم في التَّعامل مع أبنائهما. وفي حالٍ كهذه، عندما يصل الأبناء إلى سِنِّ المراهقة، سيكون بمقدور الأبوَيْن أن يَضَعا إرشادات وتعليمات معقولة تَتَّسِم باللُّطف والتفهُّم والحزْم في آنٍ واحد.

٤. **ينبغي للآباء والأمَّهات أن يُعَلِّموا أبناءهم مبادئ التَّعامُل الجسديِّ اللَّائق.** فالإحصائيَّات العالميَّة المختصَّة بالعلاقات الجنسيَّة المُحَرَّمة بين أفراد العائلة الواحدة بشعة وتدعو إلى القلق. بالرَّغم من ذلك، يقتضي التَّنويه إلى أنَّ جميع الأطفال يحتاجون إلى لمساتٍ حانية ولائقة مِن آبائهم وأمَّهاتهم. والحقيقة هي أنَّ هناك سببًا واحدًا فقط يجعل مِن معانقة الأبوَيْن لابنهما أو تقبيله أمرًا منحرفًا، ألا وهو أن يكون أحدهما (أو كلاهما) ذا ميولٍ مُنحرفة. وإذا أردنا وضع إرشاداتٍ سهلة تَصِف التَّلامس اللَّائق بين الأبوَيْن والأبناء، يمكننا قول الآتي: احتضن أطفالك الرُّضَّع، عانق أطفالك، ضع ذراعك حول كتف أبنائك المراهقين. وهذا لا يعني، بالضَّرورة، أنَّه لا يمكن للأبوَيْن أن يحتضنا ابنهما المراهق أو ابنتهما المراهقة. لكن يجب عليهما أن يُدركا أنَّ التَّغيير في المرحلة العُمريَّة عند الأبناء يستدعي تغييرًا في الملامسة.

والحقيقة هي أنَّ المعايير الأخلاقيَّة الرَّفيعة في العائلة لا تتوقَّف عند الملامسة والمُعانقة. فيجب مراعاة لباس الحِشمة وتعليم الأبناء فيما يخصُّ ذلك في إطار العائلة. ويجب أن يكون الأبوان قدوة للأبناء في البيت في هذا الأمر أيضًا قبل أن يبلغوا سِنَّ المراهقة. كذلك، يجب وضع تعليمات واضحة للاستحمام وارتداء الملابس اللَّائقة مِن أجل الحفاظ على براءة الطُّفولة. فالآباء والأمَّهات الذين يُظهرون مشاعر مُقدَّسة تُجاه أبنائهم، ويحرصون على تعليمهم مبادئ الحشمة، يَبنون أساسًا راسخًا للطَّهارة في حياة أبنائهم قبل وصولهم إلى سِنِّ المراهقة. وهذه النُّقطة تقودنا مباشرةً إلى الموضوع التَّالي.

كيف نحيا حياةً طاهرة

إنَّ الحديث عن العِفَّة أو الطَّهارة الأخلاقيَّة وثيق الصِّلة بالحديث عن فترة المراهقة لا لأنَّ هذا هو العُمر الذي يُدرك فيه الأبناء ذواتهم فحسب، بل أيضًا لأنَّ الغرائز البيولوجيَّة الطبيعيَّة تكون في أغلب الأحيان في أعلى مستوياتها في أواخِر فترة المراهقة. وكم يؤسفنا أن نقول إنَّ عائلات كثيرة لا تضع الأساس الرَّاسخ للتصدِّي للتَّجارب التي تواجه الأبناء في سِنِّ المراهقة. فالكثير مِن الآباء والأمَّهات يقترفون أخطاءً كثيرة في سنوات الطُّفولة (المؤثِّرة في

تشكيل الشَّخصيَّة) مِن عُمر أبنائهم. مِن جهة أخرى، فإنَّ بعض الشُّبَّان والشَّابَّات يرغبون في تكريس حياتهم لله بالرَّغم مِن البيئة السيِّئة التي يعيشون فيها في بيوتهم. وهناك شُبَّان وشابَّات يعيشون في بيئات صالحة ولكنَّهم يغرقون في مشكلات أخلاقيَّة بسبب جهلهم. لذلك، فإنَّ النَّهج المُتَّبع في هذا الجزء ليس وقائيًّا فحسب، بل إصلاحيًّا أيضًا. بعبارة أخرى، لن يقتصر حديثنا في هذا الجزء على كيفيَّة تجنيب أبنائنا المراهقين المصائد الأخلاقيَّة، بل إنَّنا سنتحدَّث أيضًا عن كيفيَّة تحرير أولئك الذي وقعوا في الفخِّ.

وقبل البدء في تقديم النَّصائح والإرشادات في هذا الخصوص، يجدر التَّنويه إلى مبدأ مُهمٍّ يَخُصُّ الأشخاص الذين يواجهون مشكلة مِن أيِّ نوعٍ في أمور العِفَّة والطَّهارة. فعُمق البالوعة التي أنت فيها والسبب الذي أوصلك إلى هذه البالوعة ليس مُهمًّا بقدر أهميَّة استعدادك للخروج منها والوجود في المكان الذي يريدك الله أن تكون فيه. فهناك أضرار كبيرة قد تنشأ عن المبالغة في التَّركيز على المواقف أو الأشخاص الذين كانوا «سببًا» في مشكلاتنا. فبدلًا مِن قبول نعمة الانتصار التي يُقَدِّمها الله لنا والتقدُّم إلى الأمام، قد يسقط النَّاس في فَخِّ المرارة والإشفاق على الذَّات. وهذا كفيلٌ بإبقائهم أَسْرَى المتاعب.

العِفَّة - دَوْر الآباء والأمَّهات

١. **ساعد أبناءك شخصيًّا على فهم نموِّهم الجنسيِّ فهمًا سليمًا.** فمع أنَّ المادَّة التي يُقَدِّمها هذا الفصل مُعَدَّة لمساعدتك على القيام بهذا الأمر، فإنَّه لا يمكن لأيِّ كتاب أن يكون بديلًا عنك. والسُّؤال الذي يطرحه الآباء والأمَّهات عادةً هو: «في أيِّ عُمْرٍ ينبغي لي التحدُّث مع أبنائي بخصوص الأمور الجنسيَّة؟» قال أحد خُدَّام الربِّ إنَّه، أثناء خدمته في وسط الشَّبيبة، لم يسمع يومًا أحدًا يشكو مِن أنَّ أبوَيْه تَحَدَّثا إليه عن النموِّ الجنسيِّ في وقتٍ مبكر. وهذا لا يعني البتَّة أنَّه كُلَّما تَحَدَّثنا إلى أطفالنا في سِنٍّ مبكرة، كان ذلك أفضل. بل إنَّ ما نَعنيه هو أنَّ أغلبيَّة الآباء والأمَّهات يتأخَّرون كثيرًا. وكقاعدة أساسيَّة، يمكنك خلال السَّنوات الستِّ أو الثَّماني الأولى مِن حياة طفلك أن تُحَدِّثه في الأمور التي يتساءل عنها. وقد تكون سلوكيَّات الحيوانات الأليفة أو المواشي قاعدة تنطلق منها في تقديم معلومات أساسيَّة له عن التَّزاوج، والحمل، والولادة. وعندما يبلغ الأطفال سِنَّ العاشرة، فإنَّهم يكونون جاهزين عادةً للاستماع إلى التغييرات الجسمانيَّة التي ستحدث لهم في السَّنوات القليلة المقبلة.[٦]

٢. **راقب ما يُشاهده طفلك ويسمعه في البيت.** فيبدو أنَّ وسائل التَّرفيه والتَّسلية العامَّة فاسدة على نحوٍ يَتعذَّر إصلاحُه. فالأطفال الذين يَكبرون على مشاهدة البرامج والأفلام ذات المعايير الأخلاقيَّة المُتدنِّية -لأغراض التَّرفيه والتَّسلية- مُعَرَّضون لتأثيرات أخلاقيَّة سيِّئة. ومِن بين وسائل التَّسلية التي قد تؤذي أطفالنا أخلاقيًّا: الكتب، والمجلَّات، والموسيقا. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات المؤمنين أن يُدركوا أنَّ وسائل التَّسلية التي يُنتجها العالم ترمي إلى إثارة الشَّهوات. وفي بعض الأحيان، فإنَّ وسائل الإعلام المُعَدَّة لأهداف تثقيفيَّة وتربويَّة تُقَدَّم بطريقة غير أخلاقيَّة. ولكنَّ الخطر لا يقتصر على المصادر التي نُسَمِّيها «علمانيَّة». فالكثير مِن المراهقين يقعون في فِخاخٍ أخلاقيَّة مِن طريق موسيقا ومجلَّات وأفلام تزعم أنَّها مسيحيَّة؛ ولكنَّها -في حقيقة الأمر- تحوي مواد مُثيرة للشَّهوات الرَّديئة كما هي حال وسائل الإعلام الدُّنيويَّة.

ولا شَكَّ أنَّ الحلَّ لا يَكْمُن في التخلُّص مِن كُلِّ ما هو رديء فحسب، بل وأيضًا في توفير ما هو جَيِّد. فالكتب والمجلَّات الجيِّدة تُسهم في بناء شخصيَّة أبنائنا الأخلاقيَّة. لذلك، يجب توفيرها في البيوت المسيحيَّة. كذلك، يجب الاستماع إلى الموسيقا الجيِّدة. وفي هذا الإطار، يجب على الآباء والأمَّهات أن يأخذوا بعين الاعتبار أعمار أبنائهم وأذواقهم مِن أجل توفير وسائل التَّسلية والتَّرفيه التي تُسهم في بُنيانهم أخلاقيًّا.

٣. **كُن مُتوازنًا في منح الثِّقة لأبنائك المراهقين، وفي مُساءلتهم.** فيجب على المُراهقين أن يشعروا بأنَّ آباءهم وأمَّهاتهم يَثقون بهم. ويجب عليهم أن يُدركوا، في الوقت نفسه، أنَّهم تحت المُساءلة. ويمكن للأبوَيْن أن يمنحا الثِّقة لأبنائهما مِن خلال احترام خُصوصيَّتهم، وتحميلهم المسؤوليَّة، وتقديم النَّصيحة لهم أحيانًا مع ترك القرار النهائيِّ لهم. ويمكن للأبوَيْن أن يَضعا الأبناء تحت المُساءلة مِن خلال رَسْم الحدود، وتوفير الخيارات، وطرح الأسئلة، وتقديم النَّصائح. ولا شَكَّ أنَّ التَّواصُل عنصرٌ مهمٌّ جدًّا في تحقيق هذا التَّوازن بين الثِّقة والمساءلة. ويجب على الأبوَيْن أن يحذرا مِن عواقب فتح أبواب التَّواصُل عنوةً مع أبنائهم، ومِن عواقب اللجوء إلى التلصُّص على أبنائهم ومراقبتهم خِفيةً. فالمراهقون، عُمومًا، يحترمون الكبار الذين يلتجئون إلى الأسئلة والطَّلبات الصَّريحة والمباشرة. ولكنَّهم لا يحترمون الكبار الذين يُراوغون معهم ويتلصَّصون عليهم في سبيل الحصول على المعلومات.

٤. **إذا كنت مُتيقِّنًا مِن أنَّ ابنك المراهق واقع في مشكلة أخلاقيَّة (أو كانت لديك شكوك قويَّة في ذلك)، ولا تدري كيف تُصارحه بذلك، رَتِّب له لقاءً مع شخصٍ تحترمانه كلاكما لمناقشة الموضوع.** يمكنك الاستعانة براعي الكنيسة وزوجته، أو بالجَدِّ والجَدَّة، أو بمُعلِّمي الكتاب المقدَّس لتقديم النُّصح والإرشاد لأبنائك المراهقين الذين يواجهون أوقاتًا عصيبة. ويقتضي التَّنويه هنا إلى ضرورة الاستعانة بشخص مِن نفس جنس ابنك أو ابنتك. ويُفَضَّل أن يكون ذلك الشَّخص مُتطوِّعًا (يُقدِّم خدماته هذه مجَّانًا). ولكن في بعض الأحيان، قد يتطلَّب الأمر الاستعانة باختصاصيِّين في هذا المجال – ولا سيَّما إذا كانت المشكلة الأخلاقيَّة مُعقَّدة أو أنَّها مشكلة قائمة منذ فترة طويلة.

٥. **تَجَنَّب مضايقة أبنائك في ما يَخُصُّ اهتمامهم بالجنس الآخر.** ومن المؤسف أنَّ عددًا كبيرًا مِن المراهقين والمراهقات يُسيئون فهم الجنس والقضايا الأخلاقيَّة بسبب عدم نُضج الأبوَيْن في هذه المسائل. ولمَّا كانت روح الفكاهة مُهمَّة في حياتنا، يمكن استخدامها بحكمة لتَخَطِّي حاجز الخجل في الموضوعات الحسَّاسة. ولكن يجب عليك أن تحذر مِن عواقب محاولة إغاظة أبنائك مِن خلال النُّكات. فقد يُؤدِّي ذلك إلى تَعلُّقهم بالجنس الآخر ظَنًّا منهم أنَّ هذا هو الحُبّ. بعبارة أخرى، فإنَّ هذا النَّوع مِن المُزاح قد يُفضي إلى تَشَكُّل بعض المفاهيم الخاطئة لدى الأبناء، أو إلى وقوعهم في فَخِّ المشاعر العاطفيَّة الزَّائفة. وقد يؤدِّي ذلك أيضًا إلى انزلاقهم في مُنحدر العلاقات العاطفيَّة الخادعة التي تُفضي عادةً إلى انسحاق القلب والتحطُّم النفسيِّ.

٦. **اضبط لسانك.** فالكلمات التي نَتَفَوَّه بها تعكس أفكارنا وتُعَبِّر عن شخصيَّاتنا وتثبِّت ماهيَّة شخصيَّاتنا. لذلك، إذا أردتَ أن تكون طاهرًا ونقيًّا، وأردتَ لأبنائك أن يكونوا طاهرين وأنقياء، يجب عليك أن تفتكر بأفكار طاهرة وأن تبتعد عن أيِّ كلام بذيء. «وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ، وَلاَ القَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ، وَالهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ...» (أفسُس ٥: ٣ و ٤).

العِفَّة - دور الأبناء المراهقين

١. **أكرم أباك وأمَّك.** قد لا تُدرك أنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين التمرُّد والفساد الأخلاقيِّ. ويبدو أنَّ الأبناء الذين يقاومون آباءهم وأمَّهاتهم يعجزون عن مقاومة التَّجربة. ومِن الأمثلة الكتابيَّة على ذلك أبناء «عالي» الكاهن (انظر ١صموئيل ٢: ١١-٢٥).

٢. **املأ ذهنك بأمور جيِّدة.** صحيحٌ أنَّنا لا نستطيع أن نمنع كُلَّ فكرة خاطئة، ولكنَّنا نستطيع أن نُدَرِّب أذهاننا على التَّفكير في الأمور السَّليمة والصَّحيحة. لذلك، اقرأ كُتُبًا جيِّدة. ودَرِّب نفسك على قراءة مقطع مِن الكتاب المقدَّس يوميًّا. وإذا كنت تُدرك أنَّك وقعت في فَخِّ التَّفكير في أمورٍ سيِّئة، أو أنَّك صِرت ضحيَّة عادةٍ سيِّئة، استخدم الكتاب المقدَّس لتطهير ذهنك. «بِمَ يُزَكِّي الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلاَمِكَ» (المزمور ١١٩: ٩). كذلك، احفظ مِن الكتاب المقدَّس آياتٍ ترى أنَّها مناسبة ومفيدة لك. يمكنك أيضًا أن تُعيد صياغة هذه الآيات بكلماتك الشخصيَّة، وأن تضع اسمك فيها كما لو كانت موجَّهة إليك تحديدًا.

٣. **تجنَّب مصادر التَّجربة.** فالكتاب المقدَّس يُشَجِّعنا في أغلب الأحيان على التصدِّي للتَّجربة، ولكنَّه يوصينا بأن «نَهرب» مِن المزالق الأخلاقيَّة: «اهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا» (١كورنثوس ٦: ١٨). «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا» (٢تيموثاوس ٢: ٢٢). «فَتَرَكَ [يوسُفُ] ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ» (تكوين ٣٩: ١٢). لذلك، إذا أدركت أنَّك موجود في مكان أو موقف أو مع شخص يمكن أن يوقعك في تجربة، اهرب من ذلك المكان أو الموقف أو الشَّخص.

٤. **لا تَسمح لحُبِّ الفضول لديك أن يوقعك في أمورٍ تَعلم أنَّها مُنافية للأخلاق.** ولا شَكَّ أنَّ أحد الفِخاخ الأساسيَّة التي يستخدمها الشَّيطان في هذا المجال هو الكتب والمجلَّات غير الأخلاقيَّة. لذلك، يجب علينا أن نفعل ما فعله «أيُّوب» إذ قال: «عَهْدًا قَطَعْتُ لِعَيْنَيَّ» (أيُّوب ٣١: ١). بعبارة أخرى، يجب أن نقطع عهدًا لأنفسنا بأنَّنا سنتجنَّب النَّظر إلى أيِّ شيءٍ قد يوقعنا في الخطيَّة. وهناك فَخٌّ آخر يستخدمه الشَّيطان في هذا المضمار ألا وهو فضولنا بشأن أجسادنا. لكن يجب علينا أن نَعلم أنَّ الله القدُّوس هو الذي خلَقنا، وأنَّه لم يُعْطِنا أجسادًا شرِّيرة. لذلك، ينبغي لنا أن نتعامل مع المناطق الحسَّاسة مِن أجسادنا بلياقة. فحُبُّ الفضول قد يجرفنا بسهولة إلى فَخِّ إساءة استخدام أجسادنا. فقد نتعرَّض للتَّجربة بأن نُفَكِّر أحيانًا قائلين: «لو أمكنني أن أُجَرِّب هذا الأمر لربَّما أبعدته عن تفكيري». لكنَّ هذه مُجَرَّد كذبة. فالتورُّط في الأفكار، أو الصُّور، أو الأفلام، أو الأفعال غير الأخلاقيَّة لا يمكن أن يقود المرء إلى الطَّهارة، بل يجرفه بعيدًا عنها. وحينئذٍ، مِن السَّهل أن تصير الأفكار والأفعال غير الطَّاهرة عاداتٍ سيِّئة يصعب التخلُّص منها. لذلك، عندما يُجَرِّبك الشَّيطان لإشباع حُبِّ الفضول لديك في مثل هذه الأمور، اتبع ما يقوله لك سِفْر الأمثال ٤: ١٥ «تَنَكَّبْ عَنْهُ [أي: ابْتَعِد عنه]. لاَ تَمُرَّ بِهِ. حِدْ عَنْهُ وَاعْبُرْ».

٥. **أَحِطْ نفسك بمجموعة مِن الأصدقاء الجيِّدين.** فالأصدقاء مُهِمُّون في هذه المرحلة مِن عُمرك. ومع أنَّ الشُّبَّان والشَّابَّات يرغبون في أن يكونوا محبوبين مِن الجميع، فإنَّ وجود بعض الأصدقاء الأوفياء مِن حولك أكثر أهميَّة مِن أن يكون لديك أصدقاء لهم شعبيَّة جارفة. كذلك، فإنَّ حياة العِفَّة والطَّهارة أكثر أهميَّة مِن أن تكون محبوبًا من الجميع. والكتاب المقدَّس يُحَذِّرنا قائلًا: «لا تَضِلُّوا: فَإِنَّ الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الجَيِّدَةَ» (١كورنثوس ١٥: ٣٣). بعبارة أخرى، فإنَّ رُفقاء السُّوء يُفسدون أخلاقنا.

٦. **اعمل بجِدٍّ واجتهادٍ.** قد تبدو هذه النَّصيحة في غير مكانها. ولكنَّ الجِدَّ مفيد على الصَّعيد الأخلاقيِّ مِن أوجه عديدة: أوَّلًا، إنَّ مُجَرَّد تركيزنا على ما نقوم به مفيد لأذهاننا. ثانيًا، إنَّ العمل يساعد على الحَدِّ مِن قوَّة الرغبات الجنسيَّة لأنَّ الجسد يُفرغ طاقته في العمل الذي تقوم به الآن. ثالثًا، إنَّ العمل تدريب جيِّد يُسهم في بناء وتقوية الشخصيَّة.

٧. **حافظ على نظافتك وهندامك، ولكن تَجَنَّب المبالغة وعدم الحِشمة.** فما نراه يؤثِّر فينا. ولكنَّ مظهرنا الخارجيَّ يؤثِّر في الآخرين وفينا على حَدٍّ سواء. والكتاب المقدَّس يُعَلِّم الحِشمة لأنَّ قِلَّة الحِشمة تُفضي إلى الخطيَّة. والحقيقة هي أنَّ الله والأشخاص المحترمين يُقَدِّرون الشخصيَّة المسيحيَّة. لذلك، اجعل شخصيَّتك تعكس إيمانك المسيحيَّ الحقيقيَّ.

٨. **إذا وقعتَ في فَخِّ أفكارٍ أو عاداتٍ لا يمكنك التخلُّص منها، التجئ إلى أحد المؤمنين النَّاضجين.** كذلك، يمكنك مُصارحة والديك أو راعي كنيستك بمشكلتك. اسمح لهم بمُساءلتك. فعلى سبيل المثال، اطلب منهم أن يسألوك بين الحين والآخر عن أحوالك. تَوَخَّ الصِّدق. صَلُّوا معًا. فقد يتمكَّن هؤلاء الأشخاص مِن مساعدتك على اكتساب القوَّة التي تحتاج إليها لتعيش مُنتصرًا في المسيح يسوع.

الخُلاصة

إنَّ فترة المراهقة هي فترة زاخرة بالتَغييرات. وكثيرًا ما يجد المراهقون صعوبة في فهم أنفسهم – ولا سيَّما عندما يبتدئ الوعي الذاتيِّ بالتشكُّل لديهم، وعندما يختبرون تغييرًا في مشاعرهم، وعندما يشعرون بالتَّبكيت في ضمائرهم. لذلك، فإنَّهم في حاجة ماسَّة إلى علاقات وطيدة مع آبائهم وأمَّهاتهم في هذه السَّنوات مِن حياتهم. وينبغي أن يَتِمَّ وَضْع الأساس المَتين لهذه العلاقة في فترة الطُّفولة مِن خلال تفاعل الأبوَيْن مع أبنائهم وسَدِّ حاجاتهم. وفي مرحلة

المراهقة، يواجه المراهقون تَحَدٍّ مُهِمٍّ ألا وهو: بناء شخصيَّتهم الأخلاقيَّة. وهو تَحَدٍّ يتطلَّب تعاونًا مشتركًا بين الأهل والمراهقين أنفسهم.

لِنُفَكِّر معًا

١. في ضَوْء صفات الأطفال المذكورة في هذا الفصل، ما أنواع القصص والأنشطة الملائمة لهم؟ وما أنواع القصص التي قد تُفسِد طفولتهم؟

٢. ما الأمور التي تُسهم في تعزيز التَّواصُل بين الآباء والأمَّهات من جهة والمراهقين من جهة أخرى؟ وما الأمور التي قد تصنع حواجز بينهم؟

٣. كيف يمكن للآباء والأمَّهات أن يَحموا أبناءهم الأبرياء من مشاعر الذَّنب السابقة لأوانها أو التي لا مُبَرِّر لها؟

٤. كيف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتجاوبوا مع ابنهم الذي يشعر بعذاب الضَّمير لأنَّه فعل شيئًا خاطئًا؟ وكيف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتجاوبوا مع ابنهم الصَّغير البريء الذي يقول إنَّه يريد أن «يَقبل يسوع»؟ وكيف يمكن للآباء والأمَّهات أن يُحبِطوا أبناءهم مِن خلال ردود الأفعال الخاطئة على مواقف كهذه؟

٥. لماذا ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتَّكلوا على الرُّوح القُدُس في جذب أبنائهم للمسيح في الوقت الذي يراه مُناسبًا؟ وكيف يمكن للآباء والأمَّهات أن يحافظوا على التَّوازن بين عدم المُبالاة والقلق في ما يَخُصُّ حياة أبنائهم الروحيَّة؟

٦. اذكر بعض الطُّرق العمليَّة التي قد تُسهم في حصول الأبناء على معلومات مُضَلِّلة ومغلوطة عن الجنس؟ ما الذي يمكن للآباء والأمَّهات أن يفعلوه لحماية أبنائهم وإرشادهم؟ كيف تُقَدَّم التَّجربة للمراهقين اليوم؟ وما الذي ينبغي لهم القيام به لتجنُّبها؟

٧. كيف يختلف الطفل ابن العاشرة عن ابن السَّادسة؟ وكيف يختلف ابن الرَّابعة عشرة عن ابن العاشرة؟

٨. ما المخاوف التي تتشكَّل لدى المراهقين بسبب التَّغييرات التي تطرأ في هذه المرحلة؟ وما الذي يفعله المراهقون في أغلب الأحيان للتأقلم مع هذه المخاوف؟

لِنَعمل معًا

١. بصفتك أبًا أو أمًّا، قَيِّم معايير الحِشمة في بيتك. هل هناك جوانب ينبغي تحسينها؟ ما الخطوات التي ينبغي اتِّخاذها؟ (ملاحظة: تَذَكَّر أنَّ الضَّغط المُفْرِط على الأبناء قد يؤدِّي إلى نتائج عكسيَّة).

٢. بصفتك عضوًا في العائلة، فَكِّر في الوقت الذي عَقَدْتَ العَزْمَ فيه على تكريس حياتك للربِّ. متى ابتدأتْ علاقتك بالمسيح؟ مَن الذي أثَّر فيك؟ عندما تُقَيِّم الوضع الآن، هل تعتقد أنَّك أخذت قرارًا مبكِّرًا أو متأخِّرًا في ما يَخُصُّ دعوة المسيح لحياتك؟ ما الذي ساعدك، وما الذي أعاقك في اتِّخاذ القرارات السَّليمة؟ هل واجهت تحدِّيات روحيَّة في فترة المراهقة تتمنَّى أن لا يواجهها أبناؤك المراهقون في المستقبل؟ دَوِّنوا أفكاركم أو ناقشوها معًا كعائلة.

٣. في ضوء سنوات طفولتك، ما الذِّكريات المفضَّلة لديك؟ اذكر بعضًا منها. لا شَكَّ أنَّ شخصًا أو أكثر كانوا مسؤولين عن هذه الذِّكريات الجميلة. عَبِّر عن شكرك لهم إن كان ذلك ممكنًا. ما هي أسوأ ذكرياتك؟ هل ما زالت هذه الذِّكريات تؤلمك؟ إذا كان الأمر كذلك، ربَّما يتعيَّن عليك تدوينها أيضًا. اذكر هذه الأمور في صلاتك. اقرأها بصوتٍ مسموع في محضر الله. أخبره أنَّك تَصفح عن الأشخاص الذين تَسَبَّبوا في إيذائك لأنَّك تَعلم يقينًا أنَّه قادر على جعل كُلِّ الأشياء تعمل معًا للخير في حياتك (انظر رومية ٨: ٢٨). احرق هذه اللَّائحة كعلامة منظورة على أنَّك ستتوقَّف عن تَحميل هؤلاء الأشخاص مسؤوليَّة مشكلاتك بعد اليوم. إذا لاحظت أنَّ المشكلة ما تزال مستمرَّة، ناقشها مع راعي كنيستك.

الفصل الثَّالث

التَّعارُف والخِطبة

المقدِّمة

توجد في كُلِّ ثقافة أعراف أو عادات اجتماعيَّة مقبولة للعثور على شريك حياة. وفي الثَّقافة الغربيَّة، فإنَّ هذا يحدث عادةً على مدى فترة زمنيَّة طويلة نسبيًّا، ومِن خلال مجموعة من الأنشطة التي تُعرف بالمُواعدة أو التَّعارُف (سوف نَستخدم هاتين الكلمتين بالمعنى نفسه تقريبًا في هذا الفصل). ومع أنَّ التَّعارُف قد يحدث بطرائق عديدة، فإنَّ الغاية منه هي أن يتعَرَّف الشابُّ والفتاة أحدهما إلى الآخر. وفي هذه الفترة، قد يقوم الشابُّ والفتاة بالعديد مِن الأشياء (كالذَّهاب معًا إلى أحد المطاعم، أو التنزُّه معًا، أو صَرْف وقتٍ طويل في التخاطب مِن خلال الرَّسائل أو الهاتف أو اللقاءات الشخصيَّة). وكما هي حال الكثير من العادات والتَّقاليد في المجتمعات غير المؤمنة، فإنَّ التَّعارُف ينطوي على الخير والشرِّ. لذلك، إذا لم يكن الأشخاص الذين يبتدئون التَّعارُف قد سَلَّموا حياتهم للربِّ يسوع، قد يجدون أنَّ الغاية الأساسيَّة مِن هذه العلاقات هي ليست إدخال البهجة إلى قلب الطَّرف الآخر أو إرضاء الله، بل هي إمتاع ذواتهم. لذلك، سوف نتطرَّق في هذا الفصل إلى التَّعارُف بمفهومه السَّليم والصَّحيح.

أمَّا بخصوص الخِطبة في الثَّقافة الغربيَّة، فإنَّها لا تحدث عادةً إلَّا بعد فترة مِن التَّعارُف. ويتوقَّف طول هذه المُدَّة على الشابِّ والفتاة. ومع أنَّ التَّعارُف والخِطبة ليسا مُلزِمَيْن كالزَّواج، فإنَّ الخِطبة تُعَدُّ مؤشِّرًا قويًّا على التزام الشابِّ والفتاة أحدهما تُجاه الآخر، ورغبتهما الجادَّة في الزَّواج. لذلك، فإنَّ مَن يُقْدِمون على الخِطبة هُم، في أغلب الأحيان، الأشخاص الجادُّون. كذلك، فإنَّ عدد الأشخاص الذي يفسخون الخِطبة أقَلُّ بكثير مِن الذين يتوقَّفون عن الخروج معًا. وعندما يرغب الشابُّ في التقدُّم لخِطبة الفتاة، فإنَّه يطلب موافقتها على أن تكون

زوجته. ويُقال في هذه الحال إنَّه «طَلَبَ يدها للزَّواج». فإن وافقت على طلبه، فإنَّهما يُعربان عن رغبتهما في الزَّواج أمام الأهل والأصدقاء. وخلافًا لما يحدث في دول الشَّرق الأوسط، فإنَّ الخِطبة في الدُّول الغربيَّة لا يُرافقها حفل كبير.

وفي هذا الفصل، سنتطرَّق إلى بعض المبادئ الكتابيَّة والممارسات العمليَّة المختصَّة بالتَّعارُف والخِطبة في إطار الثَّقافة الغربيَّة. فإن كانت عادات التَّعارُف والخطبة في بلدك أو ثقافتك مختلفة كثيرًا عن ما سنتحدَّث عنه، فإنَّ هذا لا يعني بالضَّرورة أنَّ العادات في بلدك خاطئة أو صحيحة. فكما هي الحال في جميع جوانب الحياة، فإنَّ المَرجع الأساسيَّ الذي ينبغي لنا جميعًا أن نسترشد به هو الكتاب المقدَّس. لذلك، أثناء قراءة هذا الفصل، حاول أن تُطَبِّق المبادئ الكتابيَّة على العادات والتَّقاليد السَّائدة في مجتمعك في ما يَخُصُّ العثور على شريك الحياة.

والسُّؤال الذي يطرحه كثيرون هو: هل النَّموذج الغربيّ للتَّعارُف هو أسلوب جيِّد لاختيار شريك الحياة، أو للتعرُّف إلى شريك الحياة المُحتَمَل؟ ويجب أن لا ننسى أنَّ هناك أساليب أخرى- في الثَّقافات المختلفة- للتعرُّف إلى شريك الحياة. فعلى سبيل المثال، قد يُساعد الأبوان الأبناء في ترتيب أمور الزَّواج في بلدان الشَّرق الأوسط. ومع أنَّنا لا نقرأ عن فترة التَّعارُف بين الشُّبَّان والفتيات في الكتاب المقدَّس، فإنَّنا نقرأ أنَّ الشَّريعة اليهوديَّة كانت تَمنح الزَّوج والزَّوجة «شهر عسلٍ» طويلٍ (يمتدُّ سنةً كاملة) لا يُعطَى فيها الزَّوج عملًا بهدف التعرُّف إلى زوجته.

ولكنَّ مُجَرَّد التحدُّث وإثارة التساؤل حول موضوع التَّعارُف بين الجنسَيْن في هذا الفصل لا يعني أنَّنا نُطالب بإلغاء هذه المُمارسة. فالكتاب المقدَّس لا يتحدَّث عن ممارسات محدَّدة في هذا الأمر، ولكنَّه يُقَدِّم بعض المبادئ. وينبغي لنا أن نتطرَّق إلى هذا الموضوع لأنَّنا إذا اتَّبعنا المبادئ الكتابيَّة بهذا الصَّدَد، مِن المؤكَّد أنَّ مُمارسات التَّعارُف لدينا ستكون مُختلفة عن المُمارسات المألوفة في مجتمعنا وثقافتنا.

ولا نُخطئ إن قُلنا أيضًا إنَّنا إذا اتَّبعنا المبادئ الكتابيَّة بأمانة، فإنَّ مُمارساتنا ستختلف عن أساليب التَّعارُف المقبولة حتَّى في كنائس كثيرة.

وقد لا يَتَّفق بعض القُرَّاء مع الإرشادات والاقتراحات الواردة في هذا الفصل. وقد يقول بعضٌ منهم إنَّ آلاف الزِّيجات النَّاجحة قد تَمَّت دون التقيُّد بهذه الاقتراحات. وقد يكون هذا صحيحًا. ولكنَّنا نُقَدِّم هذه الاقتراحات كطرائق مُحتملة لاحترام المبادئ الأزليَّة. فإن راقبنا ألف بيتٍ في وقتنا الحاضر، سنرى بأُمِّ أعيننا أنَّ عددًا كبيرًا منها يواجه المتاعب بسبب تجاهُل

العائلات للمبادئ الإلهيَّة! وبزيادة الضُّغوط الرَّامية إلى تشجيع النَّاس على الأنانيَّة والخطيَّة، تزداد الحاجة إلى تأسيس الزَّواج على كلمة الله ومبادئه الأزليَّة.

لماذا نَتعرَّف إلى الجنس الآخر؟

قد تبدو دوافع التَّعارُف واضحة وغير مهمَّة أوَّل وهلة. ولكن يبدو أنَّ مفهوم التَّعارُف لدينا قد تَشَوَّه كثيرًا بسبب عدم التَّفكير في دوافعنا بنزاهة، وبسبب ابتعادنا عن الكتاب المقدَّس في تقييم هذه الدوافع، وبسبب عدم لجوئنا إلى العقل والمنطق في تحليل دوافعنا. لذلك، سنبدأ بالحديث عمَّا يقوله الكتاب المقدَّس:

«وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ.... لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (تكوين ٢: ١٨ و ٢٤).

«مَنْ يَجِدُ زَوْجَةً يَجِدُ خَيْرًا وَيَنَالُ رِضًى مِنَ الرَّبِّ....الزَّوْجَةُ الْمُتَعَقِّلَةُ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ» (أمثال ١٨: ٢٢؛ ١٩: ١٤).

«يُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (إنجيل مَتَّى ١٩: ١٢).

«غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ» (١كورنثوس ٧: ٣٢).

«لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ» (١تسالونيكي ٤: ٣-٥). (ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ مُفَسِّري الكتاب المقدَّس يَختلفون في تفسير معنى العبارة «يَقتني إناءَهُ بقداسة وكَرامَة». ولكن حتَّى لو لم يكن المعنى المقصود هو «يَقتني زوجة» كما تقول بعض التَّرجمات، فإنَّه ما زال بإمكاننا إعادة صياغتها بما يَتَّفق مع موضوعنا لنجد أنَّها عبارة صحيحة).

وفي ضوء هذه الآيات الكتابيَّة، سنناقش باختصار ثلاث نقاط عن الدَّافع مِن التَّعارُف:

النُّقطة الأولى: يجب أن يكون دافِعُنا الأسمى هو إرضاء اللّه.

والحقيقة أنَّه من الواضح جدًّا أنَّ أُناسًا كثيرين يَتعارفون دون التَّفكير في مشيئة الله لهذه

العلاقة. فهناك مَن يُريد رفيقًا أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخر. وهناك مَن يبحث عن علاقة لكي يشعر بالأمان. وهناك مَن يبحث عن إشباع رغباته الجسديَّة فحسب.

لكن يجب على المؤمنين أن يُخْضِعوا خُطط التَّعارُف لمشيئة الله. وهذا لا يعني بالضَّرورة أنَّه ينبغي على الشَّابِّ أن يَطرح هذا السُّؤال البسيط (والمهمّ): «هل مشيئة الله هي أن أُواعِد فُلانة؟» بل يعني -بالحريِّ- أن يُفَكِّر بنزاهة في موضوع التَّعارُف والزَّواج في ضَوْء مشيئة الله لحياته. والسُّؤال الذي يَطرح نفسه هنا هو: هل يمكن لأيِّ شخصٍ أن يتَّخذ قرارات عمليَّة مُحَدَّدة في ما يَخُصُّ التَّعارُف قبل أن يطلب إرشاد الله لحياته؟ والمؤسف حقًّا هو أنَّ كثيرين مِمَّن بدأوا مرحلة التعارف لم يطرحوا، بشكل جِدِّيٍّ، الأسئلة التَّالية: ما الشَّيء الذي يريدني الله أن أقوم به؟ كيف يمكن لحياتي أن تُسهم في بناء ملكوت الله؟ هل هناك استعدادات ينبغي لي القيام بها في ضوء إرشاد الله لحياتي؟ فالإجابة عن هذه الأسئلة ستؤثِّر لا في اختيار الشَّخص الذي نرغب في التعرُّف إليه فحسب، بل وأيضًا في اختيار الوقت المناسب، وفي بعض الحالات تؤثِّر في اتِّخاذ قرارٍ في ما إذا كان التَّعارُف والزواج هو إرادة الله لحياتنا أم لا.

فإذا لم نُعطِ الأولويَّة لمشيئة الله، مِن المؤكَّد أنَّ الزَّواج (والحياة بأسْرِها) لن يكون حسب توقُّعاتنا ولن نشعر بالرِّضا والاكتفاء. والحقيقة هي أنَّنا لن نوفي هذه النُّقطة حَقَّها مهما شَدَّدنا عليها. فهي السَّبب في عدم نجاح زيجاتٍ كثيرة في وقتنا الحاضر – حتَّى في إطار الكنيسة.

النُّقطة الثَّانية: الزَّواج هو الدَّافع السَّليم الوحيد للتَّعارُف.

قد يبدو، في الظَّاهر، أنَّ هذا الأمر واضح وعابر. ولكن مِن المُرَجَّح أنَّ هذه هي النُّقطة الأكثر إهمالًا بين النَّاس والأكثر إثارةً للجدل. فعندما يكون التَّعارُف شيئًا عابرًا، أو مُجَرَّد طريقة مُمتعة لتمضية الأمسية، أو شيئًا مُبهجًا يقوم به المرء خارج المنزل في عُطلة نهاية الأسبوع، أو طريقة لمساعدة شخصٍ آخر على نسيان مُشكلته الرُّوحيَّة أو العاطفيَّة أو الاجتماعيَّة، فإنَّ هذا يَدُلُّ على أنَّ لدى الأشخاص الذين يفعلون ذلك مفاهيم مغلوطة وخطيرة عن التَّعارُف. وهذا لا يعني أنَّه ينبغي للشابِّ والفتاة أن يَقتنعا مِن أوَّل لقاءٍ بينهما أنَّ كُلًّا منهما قد خُلِق لأجل الآخر. لكنَّ هذا بالتأكيد تحذيرٌ بعدم التَّعارُف لأهدافٍ أخرى غير الزَّواج.

وفي ما يلي لائحة تحوي أربع طرائق شائعة يتمُّ فيها تجاهل هذه النُّقطة:

أ. مُواعدة أكثر مِن شخص في آنٍ واحد. فعلى سبيل المثال، إذا كان الشابُّ يواعد العديد

مِن الفتيات مِن أجل المُتعة اللَّحظيَّة، ولا يريد أن يُعَمِّق علاقته بأيٍّ منهُنَّ، فإنَّ هذا يُضعف أمانته مع شريكه المستقبلي.

ب. مُواعدة الشَّخص نفسه مرارًا وتكرارًا تحت مُسَمَّى «الصَّداقة» فقط. فإذا كان الشَّابُّ يُواعد فتاةً «دون قيدٍ أو شرطٍ»، فإنَّه يتجاهل الواقع. فالمُواعدة قد تُفضي إلى علاقة وطيدة يمكن أن تؤذي الطَّرف الآخر في حال فَسْخِها.

ج. المُواعدة بهدف مساعدة الطَّرف الآخر على التغلُّب على مشكلاته. فنحن نضع علامات استفهام كبيرة على نزاهتنا عندما نخلط بين الرِّفقة وعمل الرُّوح القُدُس. كذلك، فإنَّ أيَّ التزامٍ نَتَعَهَّد به أمام الله تحت ضغط التعلُّق بشخصٍ ما هو ليس التزامًا صادقًا. فما يبدو -في الظَّاهر- أنَّه تُقَدُّم في علاقتنا بالله قد يكون مُختلِطًا -في الحقيقة- بالتقدُّم في العلاقة بالجنس الآخر حتَّى إنَّ المرء يعجز عن تمييز نُمُوِّه الروحيِّ في نهاية المطاف. والقاعدة السَّليمة الوحيدة في هذا الإطار هي عدم مُواعدة أيِّ شخص بهدف مساعدته على الخروج مِن مُشكلاته الروحيَّة.

وهناك مشكلة أخرى قد تنشأ بمعزلٍ عن التَّعارُف والمُواعدة، وهي أن يحاول أحد الأشخاص أن يُقَدِّم «المشورة» إلى صديقته (أو العكس) في ما يَخُصُّ مشكلاتها الشخصيَّة، أو الروحيَّة، أو الاجتماعيَّة. ونتيجة لهذه الرِّعاية، وهذا الاهتمام، والوقت الذي يصرفه الشَّخصان معًا، قد يشعر أحدهما أو كلاهما بالانجذاب إلى الآخر دون حتَّى أن يَقصدا أو يُدركا ذلك. وما أكثر الأشخاص الذين لَحِقَ بهم الأذى بسبب مِثل هذا النَّوع من «المساعدة».

وهذا كُلُّه يجب أن يُنَبِّهنا إلى حقيقة مُهمَّة ألا وهي أنَّ هناك طرائق صائبة وأخرى غير صائبة لمساعدة الآخرين في حَلِّ مشكلاتهم الشخصيَّة والروحيَّة. ولا يَجْدُر بأيِّ شخصٍ أن يُواعد الآخر لهذه الغاية.

د. المُواعدة المُبَكِّرة.[٧] وقد تكون هذه النُّقطة مُثيرة للجدل. ولكن يجب علينا ألَّا نبتدئ التَّعارُف إلَّا إذا كُنَّا مُستعدِّين للزَّواج. فإذا ابتدأنا في ذلك قبل سنواتٍ مِن الوقت الذي نريد الزَّواج فيه، فإنَّ هذا الأمر سيضع ضغوطًا شديدة على الطَّرفين. والحقيقة هي أنَّ عدم قدرة المرء على تأجيل التَّعارُف مسؤول عن عدم قدرته على احتمال ضغوط الزَّواج. وكلتا الحالتين من عدم القدرة على ضبط النفس قبل الزواج وعدم القدرة على احتمال الضغوط بعد الزواج تُشيران إلى الأنانيَّة وعدم النُّضج. فالسَّنوات التي تَسبق

الزَّواج ضروريَّة للنُّضج على جميع المستويات: العاطفيَّة، والشخصيَّة، والروحيَّة. أمَّا إذا انخرط المرء في عمليَّة التَّعارُف قبل أن يَنضج، فقد يُؤثِّر ذلك سلبًا على نُمُوِّه ونُضجه. ولكن إذا قام الشابُّ والفتاة بتأجيل التَّعارُف إلى أن يصيرا مُستعدَّيْن للزَّواج، ستكون لديهما الحُرِّيَّة اللَّازمة لتوجيه التَّعارُف بينهما نحو الزَّواج. (ويجدر التَّنويه إلى أنَّ «كون الشخص مُستَعِدًّا للزَّواج» قد يُفهَم بطرائق عديدة تبعًا للأشخاص. لذلك، سوف نُوضِّح المعنى المقصود هنا في الصَّفحات اللَّاحقة. والنُّقطة التي يجب التحذُّر منها هي: التَّعارف الكثير المتعدِّد }مُواعدة الكثير مِن الأشخاص{، والذي يتمُّ في وقتٍ سابقٍ لأوانه).

إذًا، النُّقطة الثَّانية التي ذكرناها هي أنَّ التَّعارُف يجب أن تكون لغاية الزَّواج فقط. في ضوء ذلك، إذا كنت شابًّا، يجب أن يَقتصر التَّعارُف لديك على الفتاة التي ترى -بعد الصَّلاة والتَّفكير في الأمر- أنَّها ستكون زوجة المستقبل. (والأمر نفسه يَصِحُّ على الفتاة أيضًا). لذلك، لا تبتدئ عمليَّة التَّعارُف إلَّا عندما تكون جاهزًا للانتقال مِن المُواعدة الهادفة إلى الزَّواج القائم على قرارٍ حكيمٍ دون إبطاءٍ أو تأجيل.

النُّقطة الثَّالثة: الرَّغبة المُلِحَّة في الرِّفقة هي دافعٌ فطريٌّ ينبغي تلبيته إمَّا مِن خلال الزَّواج القائم على إرشاد الله، أو مِن خلال توجيه هذه الرَّغبة المُلِحَّة نحو هدفٍ أسمى.

فالله هو الذي خَلَقنا ذكورًا وإناثًا. لذلك، فإنَّ الرَّجُل يرغب في أن تكون له زوجة. والمرأة ترغب في أن يكون لها زوج. ولكن كما ذكرنا في النُّقطة الأولى، فإنَّ التَّركيز المُفْرِط على هذه الرَّغبة يمكن أن يقضي على مُتعة الزَّواج. لذلك، إذا لم يتزوَّج المؤمن (أو المؤمنة)، لأنَّه اختار ذلك أو بسبب ظرفٍ ما، يجب عليه أن يُعيد توجيه رغبته في الرِّفقة في اتِّجاهٍ آخر.

ونحن نَذْكُر هذا الأمر في هذا الجزء المُختصِّ بالتَّعارُف لأنَّ عدم فهم هذه النُّقطة يمكن أن يُفضي إلى إحباطٍ شديدٍ عند الأشخاص الذين يَتوقون إلى التعرُّف إلى شخصٍ مِن الجنس الآخر دون تحقُّق ذلك. فنحن نَميل- بغريزتنا- إلى الرِّفقة. وهذا الدَّافع جدير بالاحترام ولا حاجة للتَّقليل مِن أهميَّته. ولكن يمكن للمرء، بِحُكْم الرَّغبة أو الضَّرورة، أن يَستعيض عن ذلك بدوافع أسمى للمحافظة على هذا الدَّافع عفيفًا وسليمًا وصِحِّيًّا. فقد يَحْرِم المرء نفسه مِن أفراحٍ وإنجازاتٍ كثيرة بسبب سَعْيِهِ وراء أمور مُحتملة التَّحقيق وتجاهُله أمورًا يمكن

تحقيقها بكل تأكيد.

قصَّة مِن واقع الحياة

قبل سنواتٍ طويلة، كان أحد خُدَّام الربِّ جالسًا في الطَّائرة بانتظار الإقلاع. وقد شاءت الأقْدار أن يجلس بجانب صبيٍّ ثرثار يتراوح عمره بين العاشرة والثانية عشرة. كان الصبيُّ قد أمضى عُطلته الصيفيَّة في بلدة في ولاية فرجينيا، وكان آنذاك عائدًا إلى بيته في بوسطن. وقد ذَكَر الصبيُّ أثناء ثرثرته أنَّه ترك محبوبته وراءه في فرجينيا. وبينما كان خادم الربِّ يفكِّر في ردٍّ مناسب يجاوب به الصبيَّ، قال الصبيُّ إنَّه لم يتأثَّر كثيرًا لأنَّ لديه محبوبة أخرى في بوسطن، وأنَّه مُتشوِّق للقائها ثانيةً حال عودته!

وسوف نتحدَّث عن هذه النُّقطة بمزيدٍ من التَّفصيل في الفصل الرَّابع (بعنوان: العُزوبة). ولكن يَجْدُر القول إنَّ عدم التمكُّن مِن تلبية الرَّغبة المستمرَّة في وجود رفيق قد يؤثِّر سلبًا في جهوزيَّة المرء للزَّواج بمرور السِّنين.

هل نحن جاهزون؟

قد يكون ردُّ فعلنا أن نبتسم أو نعبس عندما نُفَكِّر في عدم نُضج الأطفال في سِنِّ العاشرة أو الثَّانية عشرة. ولكنَّ ما يُثير القلق حقًّا هو أن يكون لدينا أبناء في سِنِّ الثَّامنة عشرة أو العشرين يُفَكِّرون كأطفال في سِنِّ العاشرة. ونحن لا نحاول هنا أن نُقَلِّل مِن احترامنا للشُّبَّان والفتيات الأكبر سِنًّا. ولكنَّنا نحاول أن نقول إنَّ العُمر في حَدِّ ذاته لا يكفي للمُواعدة. فبلوغ الشَّخص «عُمرًا مُحَدَّدًا» لا يعني بالضَّرورة أنَّه صار جاهزًا.

ولكي نكون عمليِّين، سنذكُر سِتَّة مُتطلَّبات للتَّعارُف، ثُمَّ سنناقش كُلًّا مِن هذه المتطلَّبات بإيجاز: (١) العلاقة الوطيدة بالمسيح؛ (٢) الطَّهارة الأخلاقيَّة؛ (٣) الخضوع للسُّلطة؛ (٤) المفهوم الكتابيُّ للمحبَّة؛ (٥) القِيَم الكتابيَّة؛ (٦) روح المسؤوليَّة. ويجب على الشُّبَّان والشابَّات الذين يُفَكِّرون في الزَّواج أن يُفَكِّروا في هذه المتطلَّبات. كذلك، يجب على الآباء والأمَّهات الذين يُرشدون أبناءهم في هذه المرحلة أن يتأمَّلوا في هذه المتطلَّبات. ومِن الواضح أنَّ هذه المتطلَّبات ليست سهلة القياس على غِرار العُمر أو الطُّول أو الوزن. لذلك، فإنَّها تتطلَّب

حُسن تمييز. وعلى أيِّ حال، فإنَّنا على يقين بأنَّ الأشخاص الذين يرغبون في أن تكون علاقاتهم العاطفيَّة مَرضيَّة أمام الله سيأخذون هذه المتطلَّبات على محمل الجِدِّ.

١. **العلاقة الوطيدة بالمسيح.** فالشابُّ (أو الشابَّة) الذي لم يُسَلِّم حياته للربِّ يسوع المسيح لم يتعامل بعد مع أبرز قضيَّة في الحياة. وهذا يعني أنَّه لا يمتلك الأساس اللَّازم للتَّعامل مع هذا الموضوع المهم (أي: العلاقة العاطفيَّة). والمبدأ نفسه يَصِحُّ على الشَّخص الذي يُعاني فتورًا روحيًّا. فالعلاقة العاطفيَّة تنطوي على قرارات كثيرة. وهذه القرارات تتطلَّب حكمة. وبصراحة، فإنَّ الأشخاص الذين ما زالوا يرفضون الله هُم حمقى (تنقصهم الحِكمة الألهيّة) يفتقرون إلى أبسط مستويات الفهم. «مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ المَعْرِفَةِ، أَمَّا الجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الحِكْمَةَ وَالأَدَبَ....بَدْءُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ القُدُّوسِ فَهْمٌ» (أمثال ١: ٧؛ ٩: ١٠).

في ضوء هذه الحقيقة، يبدو أنَّ الحكمة تقتضي مِن المرء أن لا يبتدئ أيَّ علاقة عاطفيَّة بعد ولادته الروحيَّة (أو تجديده الروحيِّ) مباشرةً. فالأشخاص الذين سَلَّموا أنفسهم لله يحتاجون بعض الوقت لتعميق فهمهم الروحيِّ وتكريسهم قبل أن يتمكَّنوا مِن اتِّخاذ قرارات حكيمة في ما يَخُصُّ العلاقات العاطفيَّة. كذلك، فإنَّ العلاقات العاطفيَّة التي تنشأ في الوقت غير المناسب قد تُبعِد المؤمنين الجُدُد عن الله، وتؤثِّر سلبًا في نُموِّهم الروحيِّ. والحقيقة هي أنَّهم في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى تعميق علاقتهم بالله وزيادة نموِّهم الروحيِّ لكي يكونوا جاهزين لموضوع مثل التَّعارُف.

٢. **الطَّهارة الأخلاقيَّة.** «اِمْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا...» (أمثال ٣١: ١٠ و ١١). ولا نُبالغ إن قُلنا إنَّ واحدة من مباهج الحياة الزوجيَّة العُظمى هي أن يَعلم الزَّوج والزَّوجة أنَّ العلاقة الحميمة المُتبادلة بينهما (ليس على المستوى الجسديِّ فحسب، بل على المستويين الفكريِّ والعاطفيِّ أيضًا) حَصريَّة؛ أي أنَّها خالصة، وعفيفة، وليست مُلَطَّخة بسبب خيانة أحدهما للآخر. فالمحبَّة طاهرة. وهذه الطَّهارة في الزَّواج تتعمَّق جدًّا مِن خلال الطَّهارة قبل الزَّواج. فالشابُّ اليافع الذي يملأ فكره بخيالات غير طاهرة، أو بقصص وصور خلاعيَّة، أو الذي يُمَتِّع نفسه بممارسات غير أخلاقيَّة، هو شخص يفتقر إلى الإخلاص المطلوب في فترة التَّعارُف وفترة ما بعد الزَّواج.

ولا شَكَّ أنَّ جميع الشُّبَّان مُعرَّضون لخطر السقوط في فَخِّ السُّلوكيَّات غير الأخلاقيَّة.

وكم هو مؤسف أن نقول إنَّ هذا هو الواقع الذي نعيشه في مجتمعنا اليوم. ولكنَّنا نشكر الله على وجود أشخاص يقاومون التَّجربة. ولكن مِن جهة أخرى، هناك مَن يَلهثون وراء شهواتهم ويفعلون كُلَّ ما يجرؤون على فعله. والنُّقطة التي نودُّ التَّركيز عليها هنا هي أنَّ الأشخاص الذين يَلهثون وراء شهواتهم ليسوا جاهزين للتَّعارُف والمُواعدة.

ولكن ماذا عن الشَّبيبة الذين وقعوا في الفخِّ أصلًا – لا في مُخيِّلاتهم فحسب، بل في ممارساتهم وعلاقاتهم أيضًا؟ فهل هؤلاء أكْفاء للمُواعدة والزَّواج؟ إنَّ الحديث هنا لا يشمل جميع المبادئ المختصَّة بالتعامل مع مثل هذه المواقف. ولكنَّ الأمر الذي نعرفه يقينًا هو أنَّ السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة السَّابقة تؤثِّر سلبًا في استعداد المرء للتَّعارُف. ولكنَّ سِجلَّ الممارسات غير الأخلاقيَّة، في حَدِّ ذاته، لا يُجرِّد المرء مِن حَقِّه في التَّعارُف – ولا سيَّما إذا كان قد أظهر توبةً حقيقيَّة وصار طاهرًا. وهذه الطَّهارة تتطلَّب –دون أدنى شَكٍّ- قبول الغفران مِن الله. وهي تتطلَّب أيضًا اختبار التَّجديد الروحيِّ الحقيقيِّ وتطهير القلب. فيجب على المرء الذي يرغب في التطهُّر مِن ممارساته غير الأخلاقيَّة أن يختبر ما اختبره كاتب المزمور ٥١: «اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي....قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي....ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. القَلْبُ المُنْكَسِرُ وَالمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لا تَحْتَقِرُهُ» (المزمور ٥١: ٢ و ١٠ و ١٧). ومع أنَّ الغُفران يحدث فورًا، فإنَّ تطهير القلب والشخصيَّة لا يتأتَّى إلَّا مِن خلال الشَّركة المستمرَّة مع الله، ومِن خلال التأمُّل المستمرِّ في كلمته، ومِن خلال الحياة المُنضبطة.

وهناك سؤالان يَطرحهما النَّاس غالبًا: الأوَّل هو: هل ينبغي للشَّخصين المُتواعِدَيْن أن يُصارِحا أحدهما الآخر بأخطائهما السَّابقة؟ والثَّاني هو: متى ينبغي القيام بهذه المُصارحة؟ والحقيقة هي أنَّ التَّعارُف الذي نحن بصدده هنا هو مُعضلة في حَدِّ ذاته. فاللِّقاءات الأولى تتركَّز عادةً حول التَّعارف السطحيِّ. لذلك، مِن غير اللَّائق أن يُصارح الواحد الآخر بتجاربه السَّابقة. كذلك، فإنَّ مُصارحة الواحد الآخر بمثل هذه الموضوعات الحسَّاسة بعد مرور بعض الوقت على العلاقة يمكن أن يكون مُدمِّرًا للعلاقة في أحسن الأحوال. لذلك، سوف نتطرَّق إلى أحد الاقتراحات العمليَّة عند حديثنا عن خطوات التَّعارُف.

ونودُّ أن نُؤكِّد، مرَّة أخرى، على حقيقة أنَّ الطَّهارة الأخلاقيَّة هي مَطلب مُسَبَّق للتَّعارُف. وهو مَطلب مُسَبَّق لا ينبغي التَّنازل عنه.

٣. **الخضوع للسُّلطة.** لقد تحدَّثنا في الفصلين الأوَّل والثَّاني عن أهميَّة العلاقات السُّلطويَّة السَّليمة. وكما أنَّ التَّعارُف هو عمليَّة تقوم على اتِّخاذ القرارات، وكما أنَّ الأبوَيْن هُما القنوات البشريَّة التي وَفَّرها الله لتقديم المشورة للأبناء، يجب على الأبناء الذين يرغبون في اتِّخاذ قرارات حكيمة في ما يَخُصُّ التَّعارُف أن يتمتَّعوا بعلاقات سليمة مع آبائهم وأمَّهاتهم. فالأبناء المُطيعون يعيشون في أمان. وعلى النَّقيض مِن ذلك، فإنَّ الأبناء غير المُطيعين يعيشون في خطر. ولا شَكَّ أنَّ هناك حالات لا يسعى فيها الآباء والأمَّهات إلى إرضاء الله، بل إنَّهما يُقدِّمان مشورة غير كتابيَّة لأبنائهم. وفي حالاتٍ كهذه، قد يجد الأبناء أنفسهم في مواقف صعبة يتعيَّن عليهم فيها أن يُقَرِّروا متى ينبغي لهم أن يُطيعوا آباءهم وأمَّهاتهم، ومتى ينبغي لهم فيها أن يتبعوا الطَّريق الإلهيِّ الأعلى سُلطةً (من سُلطة والديهم).

ومع ذلك، فإنَّ الشَّيء الذي ينبغي للشَّبيبة الحذر من عواقبه هو التمرُّد أو العصيان. فالكتاب المقدَّس والحياة نفسها يؤكِّدان أنَّ الأشخاص المُتمرِّدين يعانون عادةً عدم انضباط على مستوى الشَّهوات الجسديَّة. لذلك فإنَّ الأبناء المُتمرِّدين مُعَرَّضون للتجارب الجنسيَّة أكثر مِن غيرهم. وهذا يعني، ببساطة، أنَّهم ليسوا جاهزين للتَّعارُف. ومِن المؤسف أن نقول إنَّ بعض أكثر الأشخاص تمرُّدًا يتوقون أكثر مِن غيرهم إلى التَّعَرُّف إلى الجنس الآخر.

وعلاوة على المخاطر الأخلاقيَّة للتمرُّد، هناك خطر السَّماح لهذا التمرُّد بأن يكون الأساس الذي يعتمد عليه الشَّخص في اتِّخاذ قراراته المُتعلِّقة بالمُواعدة والتَّعارُف. فالأبناء الذين اعتادوا الاستسلام لردود أفعالهم الفِطريَّة في تعاملهم مع الوالدَيْن يميلون، دون وعيٍ كاملٍ، في أغلب الأحيان إلى التصرُّف بالطَّريقة نفسها عند اختيار الشَّخص الذي سيواعدونه. فإذا كانت هناك خلافات حادَّة بين الابن والأبوَيْن على أمورٍ مثل الملابس، والسيَّارات، وتسريحات الشَّعر، والموسيقا، وغيرها مِن الأشياء، قد يميل الشابُّ أو الفتاة إلى الخروج مع شخصٍ يُشَجِّعه على التمرُّد على والديه. ولا شَكَّ أنَّ هذا يحدث في اللَّاوعي. فالابن المتمرِّد يَظُنُّ أنه يفعل ما يريد. ولا حاجة للقول إنَّ البدء في علاقة تعارف (من جهة الابن المتمرِّد) بدافع الضغينة أو نكايةً بطرفٍ ثالثٍ (الطرف الثالث في هذه الحال هو الأهل) يُشكِّل أساسًا هشًّا ودافعًا خاطئًا للدخول في علاقةٍ مدى الحياة

مع الشريك المتوقَّع لهذا الابن. ومن جهة أخرى، إذا التقى شابٌّ مُتمرِّدٌ بفتاة مُتمرِّدة، سيكون عنصر الانجذاب بينهما قائمًا لا على الأهداف أو الطُّموحات المشتركة، بل على الشَّكاوى والسَّلبيَّات المشتركة. وقد يقومان، في نهاية المطاف، باتِّخاذ قراراتٍ طائشة تؤذيهما لا هُما فحسب، بل وكُلَّ الأشخاص المحيطين بهما أيضًا.

لذلك، نودُّ أن نؤكِّد مرَّة أخرى أنَّ التَّعارُف بالجنس الآخر هو عمليَّة اتِّخاذ قرارات. والطَّريقة السَّليمة الوحيدة للبدء في التَّعارُف والمواعدة هي أن يخضع المرء للأشخاص الذين منحهم الله سُلطانًا على حياته.

٤. **المفهوم الكتابيُّ للمحبَّة.** فنحن نُواجه في كُلِّ يوم مفاهيم مغلوطة عن المحبَّة. فالأغاني التي نسمعها، والكتب التي نقرأها، والإعلانات التي نشاهدها في زماننا الحاضر تَصِف الحُبَّ على المستوى الشَّهوانيِّ فقط. وبالطبع، فإنَّ العلاقة تشمل مشاعر الانجذاب بين الرجل والمرأة، ولكن مِن المؤسف أن نقول إنَّ التركيز الزائد في الوقت الحاضر على هذا الانجذاب جعل «الحُبَّ» في نظر كثيرين مُجَرَّد مشاعر أنانيَّة تتمحور حول الذَّات. ومِن المؤسف أيضًا أن نقول إنَّ ما يُحِبُّه هؤلاء الأشخاص الذين نراهم مُلتَصِقَيْن الواحد بالآخر هو ليس الطَّرف الآخر، بل أنفسهم. وفي غمرة هذه المشاعر الجميلة، لا يمكن لهؤلاء الأشخاص أن يقتنعوا بأنَّ هذا الحُبَّ الذي يشعرون به هو ليس حُبًّا للآخر، بل للذَّات.

ويكفي أن ننظر إلى قصَّة شمشون في الكتاب المقدَّس لنُدرك العواقب المؤسفة للافتتان بشخصٍ ما. فنحن نرى هنا بهجةً لا توصَف نابعة مِن التودُّد إلى الجنس الآخر. ثُمَّ نرى المشاعر المُلتهبة بين «عصفورَيْ الحُبِّ» (شمشون ودليلة). ثم ابتدأت العداوة والمتاعب. وفجأةً، وجد شمشون نفسه أعمى بعد أن صار عبدًا مهزومًا قابعًا في السِّجن. وعند قراءتنا قصَّة شمشون، لا يَسَعُنا إلَّا أن نستخلص منها أنَّ شمشون كان أعمى وضعيفًا وتحت العبوديَّة قبل وقتٍ طويلٍ مِن وقوعه بيد أعدائه. وهذه العواقب نفسها تَصِحُّ على أيِّ شخصٍ ينظر إلى الحُبِّ نظرة خاطئة أو غير واقعيَّة.

فوفقًا لتعليم الكتاب المقدَّس، فإنَّ المحبَّة تقترن بالتَّضحية. وهذا يَتَّضِح مِن خلال استعداد المرء لتقديم وقته وقدراته وموارده للمحبوب. وهذا التَّفاني والتعهُّد مدى الحياة لأجل خير الشَّخص الآخر يتطلَّب تفكيرًا حكيمًا وجادًّا. وهذا التَّفكير الحكيم الجادُّ بعيد كُلَّ البعد عن مفهوم الأشخاص المُنقادين بمشاعرهم. كذلك، فإنَّ هذا التَّفاني النَّابع

مِن المحبَّة الحقيقيَّة يتطلَّب إنكارًا للذَّات. فهو يعني العطاء بصرف النَّظر عن المشاعر الوقتيَّة. فليست هناك حالة عاطفيَّة تدوم إلى الأبد – ولا حتَّى الحُبُّ المُلتهب. وكم هو مؤسفٌ أنَّ الأشخاص الذي يُساوون بين الحُبِّ والمشاعر المُتأجِّجة يجدون في أغلب الأحيان أنَّ مفاهيمهم الخاطئة تجد ما يؤكِّدها، وليس ما يَنفيها ويُصَحِّحُها، مِن خلال علاقاتهم السطحيَّة. وما أن يفيقوا مِن سُباتهم حَتَّى يجدوا أنَّ الزَّواج الذي طالما حلموا به هو أكبر خيبة أمل في حياتهم. لذلك، يجب أن يتم تصحيح المفاهيم المُتعلِّقة بالمحبَّة قبل البدء في مُواعدة الجنس الآخر.

وعندما نَفهم المحبَّة فهمًا سليمًا، لن نستمرَّ في النَّظر إليه كشيءٍ «نَقَع فيه» رغمًا عنَّا. كذلك، لا ينبغي لنا أن نَسعى وراء الحُبِّ بكل جوارحنا في اللَّحظة الأولى التي تقع فيها أعيننا على الشَّخص الذي نَظُنُّ أنه شريك الحياة. فمع أنَّ الحُبَّ بين الرَّجُل والمرأة ينطوي على مشاعر قويَّة، يجب علينا أن نَعلم أنَّ هذه المشاعر تأتي وتذهب. والمحبَّة الحقيقيَّة الباقية لا تعمل بشكل أساسيٍّ مِن خلال المشاعر، بل مِن خلال التَّكريس والتَّفاني والعطاء.

٥. **القِيَم الكتابيَّة.** فنحن نتطلَّع في مرحلة الطُّفولة إلى ما سيحدث الآن. ونحن نتطلَّع في مرحلة الرُّشْدإلى ما سيحدث مستقبلًا. وفي المسيح، فإنَّنا نتعلَّم أن نتطلَّع إلى الأبديَّة. ويمكننا قول الكثير عن هذه النَّظرات الثَّلاث إلى الحياة، وعن تأثيرها في القِيَم. فالثَّقافة المعاصرة انتقلت إلى نظام قِيَمٍ يُرَكِّز على الحاضر ولا يتطلَّع إلى المستقبل. ولكنَّ هذه النَّظرة طفوليَّة مِن أوجه عديدة. ولطالما حَذَّر أجدادنا مِن عواقب التَّفكير الآنيِّ الذي يُفَكِّر فيه اليافعون. والحقيقة هي أنَّ هناك حكمة كبيرة في النَّظرة التي تُرَكِّز على المستقبل. ولكنَّ هذه النَّظرة لا تخلو مِن فَخٍّ أيضًا. فالعمل الجادُّ والادِّخار يمكن أن يجعلا المرء يعيش في رفاهية تقوده تدريجيًّا إلى فَخِّ الحياة المادِّيَّة البَحتة. لذلك، قال يسوع إنه لا يَجْدُر بنا أن نكنز كنوزًا على الأرض، بل ينبغي لنا أن نستثمر حياتنا وممتلكاتنا المادِّيَّة في ملكوت السَّماوات.

ولا شَكَّ أنَّ البيوت تحكمها قِيَم مُعَيَّنة. فأنماطُنا في الحياة، والعمل، واللَّعب، والشِّراء، والعطاء، وحتَّى في النَّوم والأكل، تقوم –في الأصل- على قِيَمِنا. وحيث إنَّ المُواعدة تقتضي اتِّخاذ خطواتٍ نحو تأسيس بيتٍ وعائلة، يجب أن يكون فهم نظام القِيَم مطلبًا مُسَبَّقًا

للمُواعدة. فهل أنا أعيش لأجل اللَّحظة؟ أَم لأجل المستقبل؟ أم لأجل الأبديَّة؟

ويقتضي التَّنويه إلى أنَّه عندما تكون قِيَمُنا قائمة على الأبديَّة، فإنَّنا لن نتجاهل الحاضر أو المستقبل. فالقِيَم الأبديَّة تساعدنا في الحفاظ على نظرتنا السَّليمة للخطط الحاضرة والمستقبليَّة. وفي الواقع، فإنَّنا نُخَطِّط للمستقبل، ونَعمل في الحاضر مُنتظرين مُلاقاة الربِّ وتقديم حسابٍ عن الأمانة التي وضعها بين أيدينا.

٦. **روح المسؤوليَّة.** فالزَّواج يَعْرِضُ دائمًا أُناسًا لديهم مشكلات بحاجة إلى حَلٍّ وحاجاتٍ بحاجة إلى إشباع. ومِن أجل حَلِّ هذه المشكلات وإشباع هذه الحاجات، يجب أن يكون لدينا روح المسؤوليَّة. وفي هذا الإطار، فإنَّ تدريب الأب والأمِّ هو ضرورة مُلِحَّة. فالآباء والأمَّهات الذين يُقَدِّمون لأبنائهم كُلَّ ما يطلبون، والذين لا يوكلون لأبنائهم أيَّ مهامٍّ أو أعمالٍ، والذين يُنَظِّفون الأوساخ التي يُخَلِّفُها أبناؤهم وراءهم ويُدافعون عن سوء سلوك أبنائهم – هؤلاء الآباء والأمَّهات يُدَمِّرون أيَّ حِسٍّ بالمسؤوليَّة لدى أبنائهم. ولكنَّ روح المسؤوليَّة هذا مُهِمٌّ جدًّا لحياة أبنائهم وشخصيَّاتهم.

في ضوء ذلك، يجب على الشُّبَّان والفتيات الذين يُفَكِّرون في المُواعدة أن يَعلموا أنَّ العمل والادِّخار يسبقان الشِّراء، وأنَّ العمل يسبق الرَّاحة، وأنَّ الأخطاء تتطلَّب علاجًا، وأنَّ المشكلات تتطلَّب حَلًّا، وأنَّ الامتيازات تتطلَّب جدارةً بالثِّقة. فالكثير مِن العائلات مُفَكَّكة اليوم بسبب أزواجٍ وزوجاتٍ تَخَلُّوا عن مسؤوليَّاتهم الفرديَّة والمشتركة.

كيف نُقْدِم على هذه الخطوة؟

سوف نتطرَّق الآن إلى المبادئ التي ينبغي أن تُرشد الأبناء (ذكورًا وإناثًا) في اختيار شريك الحياة. وسوف نتطرَّق أيضًا إلى بعض الاقتراحات العمليَّة التي قد تُسهم في تطبيق هذه المبادئ في مرحلة المُواعدة والتَّعارُف. ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ هذه الاقتراحات هي مُجَرَّد اقتراحات. فنحن نَعلم أنَّ الظُّروف تتباين بين النَّاس. لذلك، قد لا تكون هذه الاقتراحات ملائمة لجميع الأشخاص الذين يتواعدون. ولكنَّنا نُقَدِّم هذه الاقتراحات كطرائق عمليَّة تُظهر احترامنا لمبادئ الكتاب المقدَّس. وكُلَّما زاد إجلالنا لله واحترامنا لوصاياه، زادت بَرَكَتَهُ علينا.

١. في الأصل، يجب أن يبدأ التَّعارُف بموافقة الوالِدين. وقد كان هذا المبدأ أحد المبادئ الجوهريَّة في الكتاب المقدَّس في التَّعامل مع حالات الزَّواج. (على سبيل المثال، نقرأ في

سِفْر التَّكوين ٢٤: ٢-٤: «وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ... أَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ». وهذا لا يعني أنَّه ينبغي للأبوَيْن أن يَتولَّيا موضوع زواج أبنائهما مِن الألف إلى الياء. ولكنَّ المقصود هنا هو أنَّ تجاهل الأبناء التامَّ للأبوَيْن في الثَّقافة الغربيَّة هو السَّبب في كثيرٍ مِن المشكلات الزوجيَّة.

ومِن المؤسف حقًّا أنَّ بعض الآباء والأمَّهات يفتقرون إلى علاقةٍ سليمةٍ بأبنائهم. لذلك، لا يمكنهم فِعل أيِّ شيءٍ في ما يَخُصُّ زواج أبنائهم. مِن جهة أخرى، قد يُبدي الأب والأمُّ حماسًا شديدًا تُجاه زواج ابنهما أو ابنتهما لكي يتجنَّبا كلام النَّاس. لذلك، قد يُشَجِّعا ابنهما أو ابنتهما على الزَّواج مِن أيِّ شخصٍ دون أن يأخذا مشاعره بعين الاعتبار.

أمَّا الأبوان المؤمنان اللَّذان يبحثان عن مصلحة أبنائهما، فإنَّهما يستمرَّان في تقديم المشورة لهم قَبل مرحلة التَّعارُف وبعدها. ويمكن للأبوَيْن أن يفعلا ذلك مِن خلال الكُرَّاسات التَّدريبيَّة أو مِن خلال الخبرات التعليميَّة العمليَّة الملائمة. فعلى سبيل المثال، يمكن للأبوَيْن أن يُوَجِّها الدَّعوة إلى أبنائهما الذين يقتربون مِن سِنِّ المُواعدة لمرافقتهما في موعد. أو يمكن للأب أن يصطحب ابنته في موعد! وهناك أسباب عديدة لانخراط الآباء والأمَّهات في موضوع المُواعدة والتَّعارُف. فمعرفة الآباء والأمَّهات لأبنائهم المراهقين وحاجاتهم تَفوق إدراك الأبناء. كذلك، فإنَّ نظرة الآباء والأمَّهات إلى العلاقة وفرص نجاحها هي أكثر موضوعيَّةً مِن نظرة الأبناء أنفسهم. ولا ننسى أيضًا أنَّه يمكن للآباء والأمَّهات الذين يراقبون العلاقة مِن بُعد أن يروا أمورًا قد لا يَفطن إليها الشَّخصين المُتواعِدَيْن. مِن جهة أخرى، فإنَّ الأب والأمَّ يمتلكان سنواتٍ مِن الخبرة بِحُكْم علاقتهما أحدهما بالآخر، وبِحُكم العلاقات الأخرى التي رأوها خلال حياتهم.

ولا شكَّ أنَّه ينبغي حَتَّى للأبوَيْن المؤمِنَيْن أن يفحصا قلبيهما ودوافعهما عند تقديم المشورة لأبنائهما. فلا ينبغي أن يكونا مَدفوعَيْن بدوافع أخرى (كالرَّغبة في مُصاهرة عائلة غنيَّة، أو الرَّغبة في الارتقاء اجتماعيًّا، أو عدم الشُّعور بالأمان، أو الأنانيَّة). فينبغي للآباء والأمَّهات المؤمنين أن يُقَدِّموا المشورة لأبنائهم على أساس رغبتهم القلبيَّة في تأسيس عائلاتٍ تَقِيَّة تُسهم في بناء ملكوت الله وتحافظ على الميراث الرُّوحِيِّ.

اقتراحات عمليَّة

في ما يلي مجموعة اقتراحات عمليَّة للبدء في المُواعدة والتَّعارُف بالجنس الآخر. وهذه الاقتراحات تَفترض أنَّ والِدَي الشابِّ والفتاة مؤمنان مسيحيَّان، وأنَّهما يريدان الأفضل لابنهما وابنتهما. ولكنَّا نَعلم أنَّ هناك آباءً وأمَّهات غير مؤمنين. لذلك، إذا وجد الشابُّ (أو الفتاة) نفسه بلا عائلة مؤمنة، يمكنه طلب المشورة مِن راعي الكنيسة، أو أحد مُعَلِّمي الكتاب المقدَّس، أو أحد المؤمنين النَّاضجين.

ويمكن للشَّابِّ الذي يرغب في التعرُّف إلى إحدى الفتيات أن يجلس أوَّلًا مع والديه لمناقشة الأمر. ومِن المهمِّ أن يدور الحديث لا عن الفتاة فحسب، بل وأيضًا عن الاستعداد الشخصيِّ، والأهداف المستقبليَّة، والإجراءات المنطقيَّة لتحقيق هذه الأهداف. وسيكون مِن الرَّائع أن تُصَلُّوا معًا لأجل الوصول إلى قرارٍ سليم. وإذا كان لدى والِدَيْك اعتراضات، ناقشوها ولا تتجاهلوها. وقد تكون الاعتراضات سطحيَّة أو عميقة. ويجب النَّظر إلى الاعتراضات العميقة باعتبارها نصيحة بعدم الاستمرار في العلاقة – في الوقت الحاضر على الأقل. أمَّا الاعتراضات السَّطحيَّة فيمكن معالجتها مِن خلال النِّقاش وتوضيح وجهات النَّظر.

بعد ذلك، إذا أَصَرَّ الشَّابُّ على أنَّ الله يَقوده إلى الاستمرار في العلاقة، يجب عليه أن يطلب موافقة الفتاة. وفي حين أنَّ بعض الشُّبَّان يُفَضِّلون التحدُّث إلى الفتيات شخصيًّا لتحديد موعدٍ معها، فإنَّ بعضهم الآخر يُفَضِّل التحدُّث إلى الأهل أوَّلًا لضمان موافقة الأبوَيْن قبل سؤال الفتاة.

وفي مُطلق الأحوال، إذا تَحَدَّث الشابُّ إلى أهل الفتاة، يجب ألَّا يَقتصر الحديث على طلب الإذن بالخروج مع ابنتهم. فيجب عليه أن يُعَبِّر لِوالديها عن رغبته في اتِّباع مشيئة الله، ورغبته في إكرامهما. كذلك، يجب عليه أن يُبدي استعداده لسماع مخاوفهما وتعليماتهما في ما يَخُصُّ ابنتهما وعلاقته بها. وقد تكون هذه فرصة ملائمة للشابِّ لطلب صلواتهما والتَّأكيد لهما بأنَّه على استعدادٍ تامٍّ لسماع نصائحهما المستقبليَّة.

وعندما يتوفَّر هذا الاستعداد والانفتاح (مع الأهل)، فإنَّ الأساس الذي تُبنى عليه العلاقة ينطوي على بَرَكة عظيمة. كذلك، عندما يُدرك الآباء والأمَّهات أنَّ أبناءهما يرغبون في إكرامهما، فإنَّ ثقتهم بهم تزداد. ويمكن تَجَنُّب الكثير مِن المخاوف وسوء الفهم مِن خلال مصارحة الوالِدَيْن مُنذ البداية. مِن جهة أخرى، إذا لم يَكُن الأبوان مُطَّلِعَيْن على ما يجري في

حياة أبنائهما، فإنَّ ذلك قد يُفضي إلى شعورهما بالحزن والإحباط. ولا شَكَّ أنَّ هذا يؤثِّر سلبًا في علاقة الأبناء بآبائهم وأمَّهاتهم.

قصَّة مِن واقع الحياة

كان «سام» يُصَلِّي مُنذ بضعة أشهر مِن أجل علاقته بـ «كريستا» قبل أن يبتدئ باتِّخاذ خطوات عمليَّة لمواعدتها. وعندما شَعَر بأنَّه أَشْبَعَ الأمر صلاةً وتمحيصًا، قَرَّر مُصارحة والديه بالأمر.

سُرَّ الأبوان بابنهما «سام» لكونه مؤمنًا أمينًا ومَنَحاهُ بَرَكَتَهُما وموافقتهما كي يبدأ عمليَّة التَّعارُف تلك إن كان مستعدًّا لها.

بعد ذلك، أخذ «سام» موعدًا للتحدُّث على انفرادٍ مع والد «كريستا». وقد أخبره بما لديه، وأجرى معه حديثًا صريحًا فوجده موافقًا على العلاقة. بل إنَّهما صَلَّيا معًا.

ثُمَّ تَحَدَّث «سام» إلى «كريستا» فوجدها مستعدَّة لبدء علاقة بينهما. وأثناء فترة المُواعدة، استمرَّ «سام» في طلب المشورة مِن والديه ووالديها. وأخيرًا، تَكَلَّلَت علاقتهما بالزَّواج.

وفي السَّنوات الأولى مِن زواجهما، مَرَّ «سام» و «كريستا» بأوقاتٍ عصيبة. فقد مات طفلهما الثَّاني. وبعد مُدَّة مات والد كريستا وأخوها في حادثٍ فُجائيٍّ. ولكنَّ علاقاتهما الوطيدة بالعائلتين ساعدتهما لا في تجاوز الحزن فحسب، بل وأيضًا في ترتيب إجراءات الدَّفن والتأقلم مع التَّغييرات اللَّاحقة بحكمة تركت تأثيرًا عميقًا في مجتمعهما.

٢. **يجب أن تكون الأهليَّة للعلاقة الزَّوجيَّة واضحة كُلَّ الوضوح.** فنحن نحيا في مجتمع يعيش حالة متزايدة مِن التَّردِّي الأخلاقيِّ. ولا شَكَّ أنَّ الفوضى الجنسيَّة العامَّة توقِع مُراهقين كثيرين في علاقات تُفسد الأخلاق، وفي شِراكٍ عاطفيَّة ونفسيَّة وروحيَّة لا يمكن تَخَيُّل عواقبها لِشِدَّتها. في ضوء ذلك، فإنَّ الحقيقة مؤلمة: هناك عُزَّاب كثيرون لا يَنجون مِن العواقب والرَّوابط النَّاجمة عن العلاقات غير الأخلاقيَّة السَّابقة.

ولأنَّ المشكلات الأخلاقيَّة تستمرُّ في الضَّغط على المجتمع المسيحيِّ، ينبغي تَوَخِّي الحذر الدَّائم في هذا الأمر. وسوف نتطرَّق إلى النِّقاط الأساسيَّة هنا.

إنَّ الكتاب المقدَّس يوصينا بأن نحيا حياةً طاهرة قبل الزَّواج وبعده. وهو يُرَكِّز على أهميَّة الصَّراحة بشأن ماضينا. وفي أزمنة الكتاب المقدَّس، كان الزِّنى قبل الزَّواج سببًا مقبولًا لفسخ الخِطبة. أمَّا إذا تَمَّ الزِّنى بعد الزَّواج، فكان حُكْمُهُ في العهد القديم هو الرَّجْم حتَّى الموت (انظر سِفْر التَّثنية ٢٢: ٢٠ و ٢١).

ولكن هل هذا يعني أنَّ الأخطاء الأخلاقيَّة التي تحدث قبل الزَّواج تجعل المرء غير أهلٍ للزَّواج؟ ليس بالضَّرورة. لكنَّها تُشير إلى أنَّه مِن حَقِّ الشَّخص الذي حافظ على طهارته وعِفَّته أن ينظر إلى الشَّخص الآخر على أنَّه غير أهلٍ للزَّواج. وقد يكون إخفاء الماضي المُلَطَّخ خطيَّة بِحَقِّ شريك الحياة.

وإذا كان الشَّخص الذي اقترف خطيَّةً أخلاقيَّةً قد تاب وقَبِلَ المسيح مُخَلِّصًا لحياته، قد يَطرح أُناسٌ أسئلةً كهذه: ألا يمكن ترك الماضي في الماضي؟ ما دام الله يَغفر خطايا البشر، لِمَ لا يفعل البشر الأمر نفسه؟ لماذا يرغب المؤمنون في مناقشة خطايا الآخرين السَّالفة؟ ومِن دواعي الأسف أنَّ هذا التَّفكير يتجاهل أمورًا عديدة: أوَّلًا، إنَّه يتجاهل الغَيْرَة المتأصِّلة في المحبَّة الزوجيَّة؛ وهي محبَّة تُطالب بعدم تقديم هذا الحُبِّ لأيِّ شخصٍ آخر غير شريك الحياة (انظر سِفْر التَّثنية ٢٢: ١٤؛ نشيد الأنشاد ٨: ٦). لذلك، فإنَّ الأشخاص الذي يُغمضون أعينهم عن السُّلوكيَّات غير الأخلاقيَّة السَّالفة للشَّخص الذي يُفَكِّرون في الزَّواج منه هم أشخاص ساذجون. فالعلاقة الزوجيَّة حميمة جدًّا، والمحبَّة الزوجيَّة حصريَّة جدًّا حتَّى إنَّها لا تسمح للنَّاس بممارسة هذه الألاعيب. أمَّا الخطأ الثَّاني فيكمُن في عبارة «سَامِح وانْسَ». فهذا التَّفكير يتجاهل العواقب المستمرَّة للسلوكيَّات غير الأخلاقيَّة. فقد يحصل المرء على الغفران، ولكنَّ الألم لا يزول. فقد غَفَر الله خطيَّة داود مع بثشبع، ولكنَّ عواقب تلك الخطيَّة طارَدَتْهُ إلى آخر يوم في حياته. لذلك، يجب علينا ألَّا نستخفَّ بعواقب السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة السَّالفة على زواج المرء في المستقبل وذلك للأسباب التَّالية:

أ. كُلَّما تمادى المرء في إشباع غرائزه الجنسيَّة بطرائق تُخالف مشيئة الله، قَلَّ استمتاعه بالجنس الطبيعيِّ. «لا تَضِلُّوا! اللهُ لا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا...» (غلاطيَّة ٦: ٧ و ٨). وهذا

المبدأ العامُّ له تطبيق خاصٌّ هنا. وهو يُرَكِّز على عواقب القرارات النَّابعة مِن شهوات الجسد. فعندما يَستمرُّ المرء في إشباع رغباته الجنسيَّة بطرائق خاطئة، قد يصير ذهنه مُستعبدًا للجنس المخالف للطَّبيعة. ولا شَكَّ أنَّ الشَّهوات الجنسيَّة المخالفة للطَّبيعة تُفسد المحبَّة الطَّاهرة التي يريدها الله للزَّوجين في إطار العلاقة الزوجيَّة.

ب. عندما تكون العلاقات الجنسيَّة غير مُنضبطة ولا أخلاقيَّة، هناك خطر تَفَشِّي الأمراض. إنَّ عدم وجود ضوابط للجنس تجعل المرء مُعَرَّضًا للإصابة بالأمراض التي يحملها شُركاؤه (وأيضًا شركاء شركائه) في الزِّنى. ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ الأمراض الجنسيَّة مُتفشِّية في وقتنا الحاضر بين الأشخاص الذين يمارسون الزِّنى. والحقيقة هي أنَّ عواقب تلك الأمراض وخيمة – لا على الكبار المُهْمِلين فحسب، بل وعلى الأطفال الأبرياء أيضًا.

ج. العلاقات الجنسيَّة، بما فيها العلاقات غير الأخلاقيَّة، تُسهم في وجود روابط بين الطَّرفين. «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنِ التَصَقَ بِزَانِيَةٍ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ؟ لأَنَّهُ يَقُولُ: يَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (١كورنثوس ٦: ١٦). وفي حين أنَّ الكتاب المقدَّس واضح في تعليمه بأنَّ العلاقات الجنسيَّة ليست مُساوية للزَّواج، فإنَّ هذه الآية تُقِرُّ بوجود تَبِعات للاتِّحاد الجنسيِّ. فالشَّخصان اللَّذان يرتبطان بعلاقة جنسيَّة لا يعودا ينظران أحدهما إلى الآخر كما كانا في السَّابق. كذلك، فإنَّهما لن يتمكَّنا مِن النَّظر إلى نفسيهما كما كانا في السَّابق أيضًا.

د. إن صار الشابُّ أَبًا أو صارت الفتاة أُمًّا بسبب علاقة غير مشروعة، وأُلقي عاتق تربية الطفل على شخص واحد، فإنَّ هذه الأبوَّة أو هذه الأمومة يتبعها التزامات لا يمكن تجاهلها عند الرَّغبة في بدء علاقة جديدة.

هـ. حتَّى إذا كان المرء قد تاب عن سُلوكيَّاته غير الأخلاقيَّة في الماضي، فإنَّ تلك الخطايا قد تجلب ذكريات إلى فراش الزوجيَّة تُؤثِّر سلبًا في اتِّحاد الزَّوجين.

في ضوء ما سَبَق، مِن الواضح أنَّ مسألة الأهليَّة للزَّواج تَتوقَّف كثيرًا على مدى تورُّط الشَّخص في السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة. فبعض الأشخاص متورِّطون في علاقات سابقة كثيرة مِمَّا يجعل الخيار الأفضل الذي يُنصَح بهِ لهم هو العزوبيَّة. أمَّا الأشخاص الذين لم يتورَّطوا إلى هذا الحَدِّ فقد يختبرون الحُرِّيَّة ذات يوم.

اقتراحات عمليَّة

إذا نظرنا إلى الثَّقافات المختلفة حول العالم، نجد أنَّها تتفاوت في موقفها مِن الحديث عن الموضوعات الجنسيَّة. ففي الغرب، لا يواجه النَّاس حَرَجًا في الحديث عن أيِّ موضوع تقريبًا حتَّى إنَّ قُدسيَّة العلاقات الجنسيَّة قد اختفت. وفي ثقافات أخرى، قد يكون الحديث عن الجنس مِن المحظورات حتَّى إنَّه مِن الصَّعب على أيِّ شخصٍ أن يتحدَّث عن الجوانب الأساسيَّة فيه.

ولكن بِغَضِّ النَّظر عن الثَّقافة السَّائدة، إذا مارس المرء الجنس مع طَرَف آخر قبل الزَّواج، ينبغي له مُصارحة شريك الحياة المُستقبليّ بذلك قبل زواجهما. ومع أنَّ هذه المصارحة قد تكون مؤلمة وصادمة، فإنَّها تبقى أفضل مِن افتضاح الأمر بعد زواجهما.

وعند رغبة الشَّابِّ في مصارحة الفتاة التي يُفَكِّر في الزَّواج بها بماضيه غير الأخلاقيِّ (أو العكس) مِن الأفضل أن يجري الحديث بحضور طرف ثالث كالأبوَيْن، أو راعي الكنيسة، أو أحد المُشيرين الأتقياء- إن أمكن ذلك. وعندما يجري مِثل هذا الحديث في فترة التَّعارُف أو الخِطبة، قد يكون مِن الضَّروريِّ قطع العلاقة، ولو مؤقَّتًا، مِن أجل إعطاء الشَّخص الآخر فُرصة للتَّفكير بموضوعيَّة في إمكانيَّة استمرار هذه العلاقة. وفي حال التخوُّف من وجود أمراض جنسيَّة، يمكن للفحوص الطبيَّة أن تزيل مِثل هذه المخاوف (أو تؤكِّدها). ويجب على الطَّرفين أن يتَّخذا قرارات واضحة بخصوص ما ينبغي فعله بخصوص العلاقات السَّابقة والمسؤوليَّات المُترتِّبة عليها. وإذا كان هناك أبناء مِن علاقات سابقة، يجب التَّفكير لا في المسؤوليَّات فحسب، بل وأيضًا في مُتطلَّبات الوالد (أو الوالدة) الآخر لذلك الطِّفل. فهل يمكن لأب ذلك الطِّفل أن يَظهر في السَّنوات القادمة وأن يُطالب بحَقِّه في زيارة ابنه أو ابنته؟ أو هل يمكن لأمِّ ذلك الطِّفل أن تظهر في السَّنوات القادمة وأن تُطالب بالنَّفقة أو بأيِّ حقوق أخرى؟ كذلك، يجب التَّفكير مَليًّا في تَبِعات الخطايا الجنسيَّة على حياة الأجيال القادمة. فهل طبيعة الخطايا السَّابقة تتطلَّب شرحًا أو تفسيرًا للأبناء في السَّنوات القادمة؟

وعند البحث في هذه القضايا، لا ينبغي نَشْر أخبار الشَّخص الآخر على المَلأ (رغم أنَّ المبدأ العام هو أنَّ الخطيئة تُجاه شعب الرب يجب تصحيحها بين شعب الرب). ومع ذلك، فإنَّ الصِّدق مع الأشخاص ذوي الصِّلة مَطلبٌ ضروريٌّ. والحقيقة هي أنَّ الأشخاص الذين يُبدون شجاعةً وصِدقًا في مواجهة أخطاء الماضي يُبلون حسنًا في مواجهة تَبِعات تلك الأخطاء في الحاضر والمستقبل. وبالمقابل، إذا حاول الشَّخص أن يُغَطِّي سلوكيَّاته غير الأخلاقيَّة التي

اقترفها في الماضي، فإنَّ الله قادرٌ على جَلْبِ تَبِعاتها عليه على نحوٍ ساخرٍ ومؤلمٍ في آنٍ واحد. وهذا يُذَكِّرُنا بما قاله ناثان لداود: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هذِهِ الشَّمْسِ. لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ» (٢صموئيل ٢١: ١١ و ١٢). والحقيقة هي أنَّ الكتاب المقدَّس واضح في أنَّ الله يُبغض الفساد الأخلاقيَّ. وهو يُبغض أيضًا أيَّ محاولة لتغطية الخطيَّة.

ويقتضي التَّنويه أيضًا إلى أنَّ الأبوَيْن اللَّذين يكتشفان وجود سلوكيَّاتٍ غير أخلاقيَّة في حياة خطيب ابنتهما (أو خطيبة ابنهما) سيواجهان مشكلاتٍ بسبب ذلك. فمِن جهة، قد يشعران بالاشمئزاز أو الغضب مِن هذا الشَّاب الذي يرغب في الزَّواج من ابنتهما العفيفة الطَّاهرة (أو مِن هذه الفتاة التي ترغب في الزَّواج من ابنهما المهذَّب الخَلوق). ومِن جهة أخرى، قد يُسيطر عليهما خوفٌ باطنيٌّ مِن إعثار الشابِّ أو الفتاة إذا طلبا منه الحديث عن ماضيه (ولا سيَّما إذا كان الشابُّ أو الفتاة حديث الإيمان). وبسبب خوفهما مِن إيذاء مشاعر الشابِّ والفتاة، قد يُفَضِّلان التَّغاضي عن أمورٍ ينبغي مناقشتها. وقد يشعر الأبوان أحيانًا بحاجتهما إلى المساعدة من أحد الأشخاص المحايدين (مِثل راعي الكنيسة أو أحد أصدقاء العائلة).

وعند وجود مواقف صعبة، مِن الأفضل تدوين النِّقاط التي تحتاج إلى حَلٍّ. فقد يساعد ذلك في توضيح الأمور المُبهمة وفي النَّظر إليها بموضوعيَّة أكبر. كذلك، يمكن كتابة لائحة بالعوامل الإيجابيَّة والسلبيَّة للمُباينة بينهما.

كذلك، فإنَّ الصَّلاة تسمح للمؤمنين بالتَّواصُل مع الآب السَّماويِّ. فالحكمة في القرارات تتأتَّى -في نهاية المطاف- مِن المؤمنين الذين يطلبون وجه الله. فعندما يُصَلُّون ويُطيعون مبادئ الكتاب المقدَّس، فأنَّهم ينالون حكمة مِن فوق.

٣. **يجب أن يَتِمَّ التَّعارُف في جَوٍّ مِن التَّواصُل الصَّريح والسَّليم أثناء عمليَّة تقييم التَّوافُق للزَّواج.** ولكي تتعلَّم أن تُحِبَّ شخصًا آخر، ينبغي لك أن تتعلَّم كيفيَّة التعرُّف إليه. بعبارة أخرى، لا يمكننا الانتقال إلى علاقة حُبٍّ حقيقيَّة إلَّا مِن خلال فهمنا لذلك الشَّخص. ومِن المؤسف حقًّا أنَّ التعلُّق بذلك الشَّخص قد يحدث في المُخيِّلة وليس في التَّعارُف الحقيقيِّ. ومِن المؤسف أيضًا أنَّ بعض المُمارسات التي تَتِمُّ في فترة المُواعدة تُعيق التَّعارف اللَّازم للحُبِّ بسبب تركيزها على مشاعر العشق غير الحقيقيَّة. وحيث إنَّ معرفة الشَّخص

الآخر تتحقَّق مِن خلال التَّواصُل، يجب التَّخطيط للتَّعارُف بطريقة تجعل التَّواصُل سهلًا وفاعلًا. مِن جهة أخرى، يجب تَجَنُّب كُلّ ما مِن شأنه أن يُعيق عمليَّة التَّواصُل.

اقتراحات عمليَّة

في ضوء الحاجة إلى التَّواصُل الفعَّال في فترة التَّعارُف، ألم يَحِن الوقت لإعادة تقييم المعايير المقبولة للمُواعدة أثناء اللَّيل؟ فالمُواعدة في وقتٍ متأخِّر مِن اللَّيل تُؤجِّج المشاعر أكثر مِمَّا يُشَجِّع على التَّفكير. لذلك، ما الذي يَمنع مِن التَّخطيط للمُواعدة في فترة ما بعد الظُّهر، أو في السَّاعات الأولى مِن المساء؟

وقد يجد الشابُّ والفتاة صعوبة أحيانًا في إيجاد الكلام المناسب – ولا سيَّما في اللِّقاءات الأولى. لذلك، إليكم بعض الأفكار عن المراحل الأولى مِن التَّعارُف: خَطِّطا لموعد مع كُلٍّ من العائلتين بالتَّبادُل (مثلًا، الموعد الأوَّل مع عائلة الشابِّ، والثَّاني مع عائلة الفتاة). فالحديث العابر مع العائلة حول أيِّ موضوعٍ (كالقيام برحلة معًا) يمكن أن يفتح أبواب الحديث وأن يُفسح المجال لكما للتَّعارُف. كذلك، يمكنكما التَّخطيط للقيام ببعض الأمور المُسلِّية معًا (مِثل حَلِّ الأحاجي، أو لعب الشِّطرنج، أو التمتُّع بالمناظر الطبيعيَّة، أو غير ذلك). فهذه الأنشطة ستفتح بينكما أبواب الحديث في المراحل الأولى مِن التَّعارُف.

بعد قليل، سأعرض رسمًا توضيحيًّا يُبَيِّن أنَّ تمييز التَّوافُق الروحيِّ يجب أن يَحتلَّ الأولويَّة القصوى في فترة التَّعارُف. ولكن لكي نتمكَّن من مناقشة الموضوعات الجدِّيَّة مع الآخرين (مِثل قناعاتهم ومعتقداتهم الشخصيَّة)، فإنَّ أغلبيَّة النَّاس يحتاجون إلى التَّعارُف أوَّلًا – ولا سيَّما إذا كانوا ينتمون إلى مجتمعٍ آخر. وفي ما يلي دليل موجز للموضوعات التي يمكن الحديث عنها، حسب التَّرتيب: الحقائق، الاهتمامات، المعتقدات. ومن الضروري التحدُّث بصدق حول هذه المواضيع. لذلك، اطرحا الأسئلة وتحدَّثا أوَّلًا عن نفسيكما، وعائلتيكما، ومكان عملكما، ومجال عملكما، والأحداث الأساسيَّة في حياتكما، وطفولتكما، والجدّ والجَدَّة، وغير ذلك. ثُمَّ انتقلا إلى الحديث عن اهتماماتكما: الهوايات، ومجالات العمل، والأطعمة، والأنشطة (يمكنكما التطرُّق إلى الجوانب الإيجابيَّة والسلبيَّة). ويمكن لهذا الحديث أن يتوسَّع بسهولة ليشمل مناقشة الأهداف، والآمال، والمخاوف، والخطط. فإن تحدَّثتما عن هذه الموضوعات، سُرعان ما ستجدان قاعدة مشتركة للحديث عن معتقداتكما.

وفي ما يَخُصُّ المؤمنين المسيحيِّين، لا ينبغي أن يتعرَّف أحدكما إلى الآخر في فترة المُواعدة بطريقة عشوائيَّة. فالكتاب المقدَّس يَصِف كِياننا بمستوياته المختلفة ويُبيِّن لنا ترتيب هذه المستويات حسب أولويَّتها النسبيَّة. ولتوضيح ذلك، فإنَّ أهميَّة «القلب» و «الرُّوح» و «النَّفس» تفوق الصِّفات الجسديَّة والجاذبيَّة. فقد قال الربُّ لصموئيل عن أليآب (ابن يسَّى): «لا تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (١صموئيل ١٦: ٧). ويمكنك أن تجد في الشَّكل التَّالي (المُستخلص مِن ١تسالونيكي ٥: ٢٣) ترتيبًا مُقترحًا للأولويَّات عند التَّعارُف:

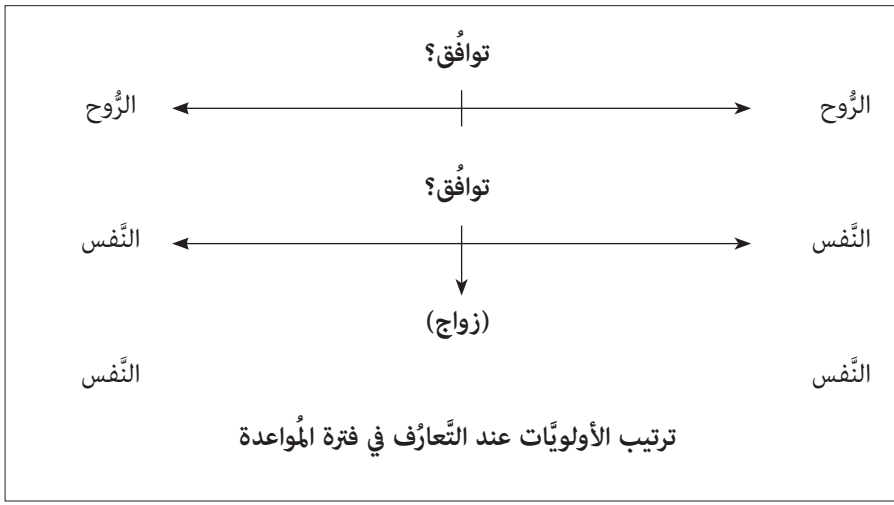

ترتيب الأولويَّات عند التَّعارُف في فترة المُواعدة

إذًا، فإنَّ الأولويَّة الأولى هي مناقشة وتمييز التَّوافُق الروحيِّ. فهل لديكما نفس القناعات، والأهداف، والقِيَم، والرؤية في ما يَخُصُّ ملكوت الله؟ ويأتي في المرتبة الثَّانية التَّوافُق في الشخصيَّة. فهل أنتما مُنسجمان في الشخصيَّة؟ (والنَّفس هُنا تشمل الصِّفات التي تُشَكِّل الشخصيَّة: الفكر، والإرادة، والعاطفة). ومع ذلك، فإنَّ توافُق الشَّخصين في المعتقدات لا يعني بالضَّرورة أنَّهما سينسجمان معًا كزوج وزوجة. ومع أنَّ التَّوافق الروحيَّ يتطلَّب تشابُهًا، فإنَّ هذا لا يَنطبق على الشخصيَّة. فالشخصيَّات المتشابهة تتنافر أحيانًا. والشخصيَّات المُتنافرة تنجذب بعضها إلى بعض أحيانًا. فعلى سبيل المثال، إذا كان الشخصان عنيدين، قد يجدان صعوبة بالغة في الانسجام معًا. مِن جهة أخرى، قد يحتاج الرَّجُل الهادئ والرَّصين إلى زوجة

شخصيَّتها مَرِحَة.

إنَّ الغاية مِن التَّعارُف هي التحقُّق مِن وجود توافق روحيٍّ وشخصيٍّ بين الطَّرفين. وبعد التحقُّق مِن التَّوافُق (مِن خلال الصَّلاة، والخروج معًا، وطلب مشورة الوالدَيْن)، يكون الطَّرفان جاهزين للزَّواج والاتِّحاد الجسديِّ.

ونرى هُنا، مِن جديد، الحكمة في التَّرَيُّث في التَّعارُف إلى أن يصير المرء جاهزًا للزَّواج. وهناك عدد مِن الشُّبَّان والشَّابَّات يَرَوْن أنَّه مِن المناسب أن يُكَرِّسوا سنة أو سنتين مِن حياتهم للخدمة في الكنيسة. وإذا كَرَّس هؤلاء الشُّبَّان والشَّابَّات وقتًا للنموِّ على الصَّعيدَيْن الشخصيِّ والروحيِّ في أواخر سِنِّ المُراهقة، يمكنهم تأجيل المُواعدة والتَّعارُف إلى أن يحين الوقت المناسب لذلك. ولكن لا حاجة للمُبالغة في المماطلة في هذا الأمر لئلَّا نواجه المخاطر النَّاجمة عن التَّعارُف الطَّويل بسبب «عدم شعورنا بأنَّنا مستعدُّون للزَّواج». بعبارة أخرى، إذ نظرنا إلى التَّعارُف كعمليَّة نقوم فيها باتِّخاذ قرار حكيم بشأن الزَّواج، وتَعَمَّدنا تأجيل التَّعارُف إلى أن نلتقي بالأشخاص الجاهزين مبدئيًّا لاتِّخاذ ذلك القرار، ستكون هناك، على الأرجح، حكمة فائقة قبل الزَّواج (على حساب الغراميَّات). كذلك، سيكون هناك استقرار أكبر في العلاقة بعد الزَّواج (وغراميَّات أكثر ديمومة).

٤. **الانخراط في علاقات جسديَّة حميمة في فترة التَّعارُف يُشَوِّش الفكر، ويهدم الاحترام والثِّقة بين الطَّرفين، وهما (أي الاحترام والثِّقة) أمران ضروريَّان للحياة الزوجيَّة المتينة.** والحقيقة هي أنَّ الكتاب المقدَّس يزخر بالتحذيرات والأمثلة على مخاطر التَّلاعُب بأمورٍ كهذه. «وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ،...لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ المَعْصِيَةِ» (أفسُس ٥: ٣ و ٦). ومع ذلك، فإنَّ أشخاصًا كثيرين مِمَّن يتواعدون يُخَطِّطون ويتَّفقون على زمان المواعدة ومكانها بما يضمن اقترابهما مِن هذه الخطيَّة قدر الإمكان. والحقيقة هي أنَّ الشَّابَّ والفتاة اللَّذين يتعمَّد كُلٌّ منهما إثارة المشاعر الجنسيَّة لدى الآخر، بالرَّغم من عدم الوقوع في الزِّنى فعليًّا، هُما مُذنِبَيْن وخاطِئَيْن. فقد قال يسوع: «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (إنجيل مَتَّى ٥: ٢٨).

لقد نظرنا قبل قليل إلى رسمٍ توضيحيٍّ يُبيِّن أنَّ الانسجام الروحيَّ يجب أن يحتلَّ الأولويَّة الأولى عند الشَّخصين المُتواعِدَيْن. ولكنَّنا نجد أنَّ الأسلوب المُتَّبع في المُواعدة والتَّعارُف في

الثَّقافة الغربيَّة هو عكس ذاك الذي رأيناه في الرَّسم التَّوضيحيِّ. فهناك علاقات لا حصر لها تقوم على الانجذاب الخارجيِّ. والمشكلة الحقيقيَّة هي أنَّ هذا الانجذاب نحو الحُسْنِ والجمال يبقى مُسيطرًا طوال فترة التَّعارُف. والأمر المؤسف في هذا الانجذاب الجسديِّ هو أنَّه يقود إلى عدم العِفَّة ويعيق عمليَّة التَّعارف إلى حَدٍّ بعيد. فالشَّابُّ والفتاة اللَّذان يَتَرَكَّز جُلُّ اهتمامهما في فترة التَّعارُف على شهواتهما الحِسِّيَّة كالتَّقبيل والملامسة قد يتزوَّجان في نهاية المطاف، ولكنَّهما يكونان كالغريبين الواحد عن الآخر (بدرجاتٍ مُتفاوتة). فهذه الشَّهوات الحِسِّيَّة التي رَكَّزا عليها في فترة التَّعارُف تمنع كُلًّا منهما مِن معرفة الآخر شخصيًّا. لذلك، فإنَّهما يُهملان التَّعارف على مستويات أعمق، ويتغاضيان عن ملاحظات كثيرة مهمَّة بسبب انهماكهما في الملذَّات الجسديَّة.

في ضوء ما سبق، قد تساعد المبادئ التَّالية في وضع موضوع التَّلامُس الجسديِّ أثناء فترة التَّعارُف في منظوره الصَّحيح:

أ. الامتناع عن الملامسات الجسديَّة في فترة التَّعارُف هو تعبير عن الحُبِّ. فعندما يمتنع الشابُّ عن ملامسة الفتاة وتقبيلها، فإنَّه يعني بذلك: «أنا أُقَدِّرك وأحترمك إلى حَدٍّ يمنعني من تعريضك لأيِّ خطرٍ أخلاقيٍّ أو روحيٍّ».

ب. إنَّ عدم الامتناع عن مُلامسة الطَّرف الآخر وتقبيله هو مؤشِّرٌ على الأنانيَّة. وعندما يُصِرُّ الشخص على ملامسة الآخر وتقبيله فكأنَّه يقول: «إنَّ جُلَّ اهتمامي الآن مُنصبٌّ على ما أريد، وعلى ما أشعر به في هذه اللَّحظة. فأنا لا أُبالي كثيرًا بمصلحتك وباستقرار علاقتنا في المستقبل».

ج. المُلامسات الجسديَّة قابلة للتَّمادي. فالسَّماح بالأمور الصَّغيرة يمكن أن يُفضي إلى المزيد والمزيد. فالشابُّ والفتاة اللَّذان يسمحان لنفسَيْهما بأمورٍ صغيرة يتجاوزان كُلَّ ما كانا يُفَكِّران فيه في أغلب الأحيان. لذلك، فإنَّ أفضل طريقة هي تأجيل ذلك كُلِّه إلى ما بعد الزَّواج. وهذا السُّلوك يَصُبُّ في مصلحة الطَّرفين في نهاية المطاف لأنَّه يسمح لهما بتقييم التَّوافق الروحيِّ والشخصيِّ بينهما في فترة التَّعارُف.

د. عدم ضبط النفس يُقَلِّل الاحترام. ففي الظَّاهر، قد يبدو أنَّ العلاقة الجسديَّة الحميمة في فترة التَّعارُف تُعَبِّر عن المحبَّة. بعبارة أخرى، كأنَّ أحدهما يقول للآخر: «أنا أُحِبُّك».

أمَّا الرِّسالة التي يمكن قراءتها بين السُّطور مِن خلال هذه المُمارسات الحِسِّيَّة فهي: «أنا عاجز عن ضبط نفسي وعن القيام بما أعلم أنَّه صواب». وعندما تزول بهجة الزَّواج الأولى، فإنَّ ضحالة تلك «المحبَّة» تكشف عن حقيقة مؤلمة.

هـ. إذا قام الشابُّ أو الفتاة بإثارة شهوة الآخر دون إشباعها، فإنَّه –في حقيقة الأمر- قد خدعه. فالعواطف الجسديَّة القويَّة قبل الزَّواج فيها خداع مؤكَّد للشَّخص الآخر. بل إنَّها تنطوي على خداعٍ للطَّرفين لأنَّها تُوَلِّد لديهما شعورًا زائفًا بالفرح والسَّلام. وإذا اختار أحد الشَّخصين الانسحاب مِن العلاقة، فإنَّ ما حدث بينهما يُعَدُّ خداعًا لشريك الحياة المُستقبليِّ.

و. إنَّ عدم القدرة على ضبط النَّفس أثناء فترة التَّعارُف يُضعِف وفاء المرء وإخلاصه لشريكه بعد الزَّواج. فالشَّيء المؤكَّد هو أنَّ عدم قدرة المرء على ضبط شهواته لا يُسَمَّى حُبًّا، بل إشباعًا للشَّهوات. وكُلَّما زاد انغماس المرء في إشباع شهواته في فترة التَّعارُف، زادت فُرصة قيامه بذلك بعد الزَّواج. ومِن السَّهل على الأزواج الذين اعتادوا إشباع لَذَّاتهم الفرديَّة أن يبحثوا عن إشباع تلك الشَّهوات خارج إطار الزَّواج.

ز. عندما يضبط الشَّابُّ والفتاة نفسيهما في فترة التَّعارُف، فإنَّهما يمنحان نفسَيْهما فُرصة جيِّدة لتقييم علاقتهما. فالتَّعارُف عمليَّة تنطوي على العديد مِن القرارات. والقرارات الحكيمة تتطلَّب تفكيرًا متروِّيًا. وكما ذكرنا سابقًا، فإنَّ العلاقة الجسديَّة الحميمة في فترة التَّعارُف تهدم الموضوعيَّة. وهذا المبدأ لا يقتصر على العلاقة الجسديَّة فقط. فإذا لم يمتلك الشابُّ والفتاة القدرة على ضبط نفسَيْهما، قد يواجهان صعوبة في ضبط الوقت الذي يصرفانه معًا. أو قد يواجهان صعوبة في ضبط عدد مرَّات اللِّقاء بينهما. أو قد يواجهان صعوبة في العثور على وسيلة أخرى غير المُلامسات الجسديَّة للتَّعبير عن مشاعرهما. لذلك، فإنَّ أيَّ إخفاق في ضبط النَّفس قد يمنع الشَّخصين مِن تحليل العلاقة بنظرة هادئة وتقييمها بحكمة، أو مِن الإجابة عن السُّؤال المهم: «هل يمكننا التعهُّد بأنَّنا سنكون أوفياء أحدُنا للآخر طَوال الحياة؟»

اقتراحات عمليَّة

في ضوء المبادئ السَّابقة، مِن الأفضل للمؤمنين أن يتجنَّبوا المُلامسات الجسديَّة إلى ما بعد

الزَّواج. كذلك، يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يَتَّفِقا على أوقات اللِّقاء، وأماكن اللِّقاء، والأنشطة التي سيُمارسانها معًا لكي تكون فترة التَّعارُف بينهما سليمة على مُستوى الرُّوح ومستوى النَّفس، ولكي يُحَصِّنا نفسَيْهما مِن التَّجارب الشَّهوانيَّة. لذلك، يجب تَجَنُّب الخروج معًا في ساعات مُتأخِّرة. ويجب تَجَنُّب الذَّهاب إلى أماكن مُظلمة أو خافتة الأضواء. بالمقابل، يمكن للشَّابِّ والفتاة أن يُخَطِّطا للقيام بأنشطة أو لمناقشة موضوعات تُعَزِّز معرفتهما الواحد للآخر على المستويَيْن الروحيِّ والشخصيِّ.

ولكي نكون أكثر دِقَّةً وتحديدًا، يجب علينا أن نُنَوِّه إلى حقيقة أنَّ الرِّجال -عامَّةً- ينجذبون مِن خلال ما يرونه بأعينهم. أمَّا النِّساء فينجذبن مِن خلال ما يَشْعرن به. في ضوء ذلك، يجب على الفتاة المؤمنة أن تحتشم في ملابسها عند خروجها في موعد. ويجب على الشابِّ المؤمن أن يمتنع عن مُلامسة الفتاة بطريقة عاطفيَّة. فبهذه الطَّريقة، يمكن للشَّابِّ والفتاة أن يَتجنَّبا التَّجارب.

وبناءً على ما سَبَق، إذا كان الشَّابُّ والفتاة يُدركان أهميَّة ضبط النَّفس مِن أجل الوصول إلى تقييمٍ موضوعيٍّ لعلاقتهما، يجب عليهما أن يتَّفِقا على رَسْم حدودٍ لأوقات اللِّقاء، وأماكن اللِّقاء، ومُدَّة اللِّقاء، والمُكالمات الهاتفيَّة، والرَّسائل. وإن وجدا أنَّهما يتجاوزان هذه الحدود، ينبغي لهما أن يَعلما أنَّ هناك خَطْبًا ما. وفي حالٍ كهذه، يجب عليهما أن يَضبطا نفسيهما أكثر مِن السَّابق.

وقد يتعيَّن على الشَّابِّ والفتاة أن يمتنعا عن اللِّقاء والحديث معًا بضعة أسابيع (أو رُبَّما مُدَّة شهر) مِن أجل الصَّلاة وتقييم العلاقة. وسوف نتحدَّث عن تقييم العلاقة في النُّقطة القادمة.

٥. **ما دامت فترة التَّعارُف هي عمليَّة اتِّخاذ قرارات، يجب أن تكون لها أهداف مُحَدَّدة.** وقد ذَكَرنا أكثر مِن مَرَّة في هذا الفصل أنَّ فترة التَّعارُف تنطوي على اتِّخاذ قرارات كثيرة. ولكنَّنا لم نتحدَّث عن ماهيَّة هذه القرارات التي ينبغي اتِّخاذها. لذلك، لنتحدَّث عن الموضوع بعموميَّة بادئ الأمر. فالزَّواج ليس مُجَرَّد اتِّحادٍ بين شخصين، بل بين عائلتين. لذلك، فإنَّ عمليَّة اتِّخاذ القرار تَتَعَدَّى مسألة التَّقييم الشخصيِّ. ويمكننا أن نرى ذلك بوضوح مِن خلال زواج عيسو في العهد القديم. فقد تَزَوَّج عيسو امرأتين مِن الحِثِّيِّين «فَكَانَتَا مَرَارَةَ نَفْسٍ لإِسْحَاقَ وَرِفْقَةَ» (تكوين ٢٦: ٣٥). فقد جَلَبَت هاتان الزَّوجتان معهما عقليَّةً وثنيَّةً، وقِيَمًا وثنيَّة، وميراثًا وثنيًّا لا ينسجم مع عقليَّة إسحاق ورِفقة (أبَوَيْ عيسو)، ولا مع

قِيَمِهما، ولا مع ميراثهما. والحقيقة هي أنَّنا لا نَعلم يقينًا ما إذا كان عيسو قد عاش مع زوجتيه بسلام. ولكنَّنا نَعلم أنَّ أباه وأُمَّه لم يعيشا بسلام. ولا شَكَّ أنَّ التوتُّر في العلاقات بين عائلتي الزَّوجين يُفضي إلى توتُّرٍ في العلاقة بين الزَّوجين.

ويمكننا أن نَرى مِن خلال عيسو وزوجتيه السَّبب الرَّئيسيَّ لعدم التَّوافق: الاختلافات الروحيَّة. فإن لم يَكُن الرَّجُل والمرأة واحدًا في الرُّوح، لن يتمَكَّنا مِن اختبار الوحدة التي قَصَدها الله للزَّوجين. فالكتاب المقدَّس يقول بوضوحٍ تامٍّ: «لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلمُؤمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤمِنِ؟» (٢كورنثوس ٦: ١٤ و ١٥).

اقتراحات عمليَّة

في ما يلي لائحة بمصادر الخلاف المُحتملة التي ينبغي للشابِّ والفتاة أن يُفَكِّرا فيها في فترة التَّعارُف. وللمساعدة في التَّمييز، فإنَّ هذه اللَّائحة مُرَتَّبة وفقًا للأولويَّات التي تحدَّثنا عنها سابقًا: الرُّوح، ثُمَّ النَّفس، ثُمَّ الجسد. قد يُساعد ذلك في تقييم درجة أهميَّة كُلِّ جانب. ويجب أخذ الاختلافات الروحيَّة على مَحمل الجِدِّ ومناقشتها نقاشًا صريحًا ولطيفًا. وفي حال عدم وجود توافُق روحيٍّ بين الشَّخصين (اختلافات لا يمكن إيجاد حَلٍّ لها)، قد يكون هذا سببًا كافيًا لإنهاء العلاقة. ومع أنَّ الاختلافات بين الشَّخصين على المستويَيْن الآخرَيْن قد تكون سببًا في إنهاء العلاقة أيضًا، فإنَّ فُرصة إيجاد توافُقٍ بين الطَّرفين تبقى أكبر مِن الحالة الأولى (أي في حال عدم التَّوافق روحيًّا).

الرُّوح

- ✓ العلاقة الشخصيَّة بيسوع المسيح. فعلى سبيل المثال، إذا كان الشابُّ (أو الفتاة) غير مؤمنٍ أو يُعاني ابتعادًا عن حياة الإيمان وفي علاقته بالربِّ يسوع، يجب أن يُحسب غير ملائم للخروج في موعد مع فتاة (أو شاب) مُكَرَّسَة للمسيح. وينبغي للفتاة (أو الشاب) أن تأخذ قرارًا حاسمًا بهذا الخصوص.
- ✓ الاختلاف في النُّضج الروحيِّ.
- ✓ الاختلاف في التَّطبيقات العمليَّة للإيمان. فإذا كان الشَّاب والفتاة ينتميان إلى كنيستين مُختلفتين في العقيدة والتَّطبيق، يجب عليهما ألَّا يتجاهلا هذه الاختلافات.

بل يجب عليهما أن يُفَكِّرا لا في إمكانيَّة توافقهما فحسب، بل وأيضًا في ما إذا كان ذلك التَّوافُق سيُعَزِّز أهدافهما الروحيَّة، وما إذا كانت التَّغييرات التي سيقومان بها ستؤدِّي إلى ابتعادهما عن أيٍّ مِن العائلتين.

- ✓ الاختلاف في الأمور العقائديَّة. (الفصل بين الكنيسة والدَّولة، دور المرأة، نظام الكنيسة والتَّأديب الكنسيِّ. أحداث الأيَّام الأخيرة، الكرازة للأطفال، عدم المُمانعة في الشُّؤون القانونيَّة والاقتصاديَّة، وغير ذلك).
- ✓ الاختلاف في الدَّعوة إلى الخدمة أو الرُّؤية للخدمة. والنُّقطة المهمَّة هي ليست فقط ما إذا كان الشَّخص الآخر يُفَكِّر في الخدمة أَم لا، بل: بأيَّة طريقة يُفَكِّر فيها. فمفهوم أحد الأشخاص عن الخدمة قد يتمحور حول النَّاس؛ في حين أنَّ مفهوم شخصٍ آخر قد يتمحور حول بعض الأنشطة أو حول مكان مُعيَّن أو مجموعة أشخاص مُحَدَّدين.
- ✓ الاختلاف في القِيَم. فقد عَلَّمنا يسوع قِيَمًا تؤثِّر تأثيرًا عمليًّا جدًّا في أمور كثيرة كالعمل، والمُتعة، والإنفاق، والاستثمار، والدَّيْن (القرض). وقد يختلف المؤمنون اختلافًا بَيِّنًا في تفكيرهم وممارستهم لهذه الأمور. فعلى سبيل المثال، هناك أزواج كثيرون يختلفون حول الأمور الماليَّة.

النَّفس

- ✓ الاختلاف في ما يُحِبُّه المرء وما لا يُحِبُّه. وقد تكون الاختلافات بين الشَّخصين حول أمور بسيطة كالألوان أو الطَّعام، أو حول أمور أكثر أهميَّة كالعمل أو الطَّقس.
- ✓ الاختلاف في الخلفيَّة التَّعليميَّة.
- ✓ الاختلاف في الثَّقافة. فالعمل الإرساليُّ، والخدمة، والسَّفر تُفسح الفرصة أمامنا للتعرُّف إلى أُناسٍ مِن ثقافات أخرى. وهذا -بدوره- يُفسح المجال أمام زواج شخصين مِن ثقافتين مختلفتين. ومع أنَّ زواجًا كهذا ليس خاطئًا في حَدِّ ذاته، فإنَّه قد ينطوي على الكثير مِن العقبات التي ينبغي تجاوزها إذا كان يتوجَّب على أحد الشَّخصين أن يترك بلده، وشعبه، وعائلته، وأنواع الأطعمة التي اعتاد عليها، وعاداته، وأن يتأقلم مع ثقافة جديدة. لذلك، يجب طلب النَّصيحة الصَّريحة مِن الأشخاص العاملين في الحقل الإرساليِّ، وقادة الكنائس، والأزواج الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين (مِن الأفضل

أن يأخذ الشَّابُّ والفتاة نصيحة هؤلاء الأشخاص قبل البدء في الخروج معًا).

- ✓ الاختلاف في العادات والتَّقاليد. إنَّ العادات والتَّقاليد هي أمور تَخُصُّ الممارسات الاجتماعيَّة والسلوكيَّة، وتوقُّعات المجتمع أو العائلة. فما يُعَدُّ أمرًا عاديًّا ومقبولًا لدى فئةٍ معيَّنة قد يُعَدُّ وقاحةً أو أمرًا مُستهجنًا لدى فئةٍ أخرى. فعلى سبيل المثال، قد يعتقد الشابُّ أنَّه لا عيب في أن يأكل اللَّحم بيديه. ولكنَّ الفتاة التي نشأت في بيئة مختلفة قد ترى أنَّ أكل اللَّحم باليدين هو أمرٌ مُقَزِّز.
- ✓ الاختلافات العاطفيَّة. لقد ذكرنا آنفًا أنَّ الاختلافات العاطفيَّة قد تكون مفيدة. فعلى سبيل المثال، فإنَّ الشَّخصيَّة المرحة والمُفعمة بالحيويَّة قد تجد التَّوازن مِن خلال شريك حياة مُسالمٍ ورصين. ولكنَّ التَّوافُق العاطفيَّ لا يعني أنَّه ينبغي على شخصٍ قادمٍ مِن القُطب المتجمِّد الشماليِّ أن يجد شريك حياةٍ مِن القُطب المتجمِّد الجنوبيِّ. فهناك أعرافٌ وتقاليدٌ تَخُصُّ العواطف أيضًا. فعلى سبيل المثال، قد يرى أُناسٌ أنَّ الرَّجُل الذي يبكي هو شخص ضعيف. ولكنَّ أُناسًا آخرين يرون في ذلك صِفَة مُثيرة للإعجاب. وهناك أيضًا مشكلات مُرتبطة بعدم الاستقرار العاطفيِّ وبالمشاعر الأنانيَّة. فبعض الأشخاص ينهارون عاطفيًّا بسبب أيِّ ضغطٍ بسيط. وهناك أشخاص يعانون تَقَلُّبًا في المِزاج، أو يتجهَّمون، أو يكتئبون عندما لا تسير الأمور كما يشاءون. وهناك أشخاص يمتعضون ويشعرون بالمرارة ويسقطون في فَخِّ الإشفاق على الذَّات. لذلك، يجب عدم الاستخفاف بهذه الاختلافات العاطفيَّة. فقد تُخفي هذه الأنماط السلوكيَّة العاطفيَّة وراءها مشكلاتٍ أعمق لا يمكن «موازنتها» بوجود أيِّ شريك.
- ✓ الجروح والنُّدوب النفسيَّة والعاطفيَّة. لا يمكننا أن نُنكر أنَّنا قد واجهنا جميعًا مواقف جعلتنا نفقد شعورنا بالأمان، أو نغضب، أو نشعر بالذَّنب أو الخوف. ولكن هناك أشخاص تَعَرَّضوا لإساءاتٍ و/أو اقترفوا خطايا أَحْدَثَتْ أضرارًا نفسيَّة وعاطفيَّة جسيمة. ومع أنَّ هذه الأضرار قابلة للشِّفاء في المسيح، فإنَّ الجروح النفسيَّة والعاطفيَّة التي تبقى دون علاج قد تؤثِّر سلبًا على الحياة الزوجيَّة.
- ✓ الاختلاف في القدرات الفكريَّة. فمع أنَّ البشر يتفاوتون في القدرات الفكريَّة، فإنَّ التَّبايُن الكبير في الذَّكاء بين شخصين يمكن أن يُفضي إلى إحباط كبير بعد الزَّواج. فهل أنت مستعدٌّ (أو هل أنتِ مُستعدَّة) لتعليم شريك الحياة طَوال الحياة؟ وهل أنت

مستعدٌّ لاختيار شريك حياة لا يمكنك أن تشرح له وجهة نظرك، أو لا يمكنك أن تُشاركه أفكارك واكتشافاتك لأنَّه لا يمتلك قدراتك الفكريَّة؟ وهل يمكنك التأقلم مع المشكلات التي قد يتسبَّب بها شريك الحياة بسبب عدم استيعابه للأشياء، أو بسبب عدم قدرته على توصيل المعلومات بطريقة صحيحة لأبنائك أو للآخرين؟

- ✓ الاختلاف في الشخصيَّة والطِّباع. فكما أنَّ فترة التَّعارُف تساعدك في معرفة الشَّخص الآخر، فإنَّها تَجعلك- أنت أيضًا- مكشوفًا له. لذلك، يجب أن يكون التَّواصُل والتَّفاعل صادقًا، ولطيفًا، ومحترمًا.

الجسد

- ✓ اختلاف العُمر. فمِن المفضَّل أن يكون هناك تقارُب في العُمر لأنَّ الفجوة العُمريَّة تزيد احتماليَّة وجود اختلافات أخرى.
- ✓ اختلاف العِرْق. فالاختلاف في لون البشرة أو الشَّكل لا يُعَدُّ مشكلة جسيمة في حَدِّ ذاته. ولكن إن كان ذلك مقرونًا باختلافات ثقافيَّة أو باختلافات في الأعراف العاطفيَّة، يجب التَّفكير في هذه الأمور مَلِيًّا. علاوة على ذلك، يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يتوقَّعا (أثناء تقييم علاقة التعارف بينهما) ردود فعل وآراء متفاوتة مِن الآخرين حول موضوع العِرْق، وقد تتميّز هذه الآراء بالحياديَّة والإنصاف أو يشوبها التحامل. وفي الجوهر، فإنَّ أساس التَّوافُق هنا يعتمد على قدرة كُلِّ طَرَف على قبول الآخر كما هو بالرَّغم مِن كُلِّ ما قد يُفَكِّر فيه الآخرون.
- ✓ الإعاقات الجسديَّة. ومع أنَّ الإعاقة الجسديَّة لا تَعني عدم التَّوافُق بين الشَّخصين، فإنَّها تتطلَّب مِن كِلا الطَّرفين فهم الآخر وقبوله كما هو. وفي الواقع، يجب على كُلِّ شخصٍ يُفَكِّر في الزَّواج أن يَعرف محدوديَّات شريك الحياة المستقبليِّ وحاجاته. ولكن يجب على بعض الأشخاص أن يأخذوا بعين الاعتبار أنَّ الزَّواج مِن شخص مُعَيَّن قد يتطلَّب اهتمامًا خاصًّا وغير عاديٍّ بشريك الحياة. فإذا لم يُدرك الشابُّ أو الفتاة هذه النُّقطة ويَقبل بها، قد تُؤدِّي إلى الإحباط على مستويات مختلفة لاحقًا.
- ✓ الزَّواج مِن الأقارب. فالمعايير الكِتابيَّة التي تَمنع الزَّواج مِن الأقارب كانت تَستثني أفراد العائلة المُقَرَّبين (العائلة المباشرة التي تشمل الوالدَيْن والإخوان والأخوات)،

والأعمام والأخوال، والعَمَّات والخالات، والأقارب بالمُصاهرة. كذلك، فإنَّ البحوث الطبِّيَّة الحديثة تؤكِّد أنَّ زواج الأقارب (ولا سيَّما أولاد العَمِّ أو العَمَّة أو أولاد الخال أو الخالة) لا يخلو مِن خطر. فزيجات كهذه تزيد مِن احتماليَّة إنجاب أطفال مُشَوَّهين أو مختلِّين عقليًّا.

- ✓ المسافة بين العائلتين. بسبب توافُر وسائط النَّقل السَّريعة، لم تَعُد هناك مشكلة في زواج شخصين مِن عائلتين تفصل بينهما كيلومترات كثيرة. لذلك، فإنَّ زواجًا كهذا لا يُعَدُّ خاطئًا، ولكنَّه يتطلَّب مِن الشَّابِّ والفتاة أن يُفَكِّرا في طريقة لِحَلِّ التَّعقيدات التي قد تنشأ في فترة التَّعارُف أو عند الزَّواج. فعلى سبيل المثال، كيف سيتعامل الشابُّ أو الفتاة مع مسألة الحنين إلى الأهل؟ وهل سيتمكَّن الشابُّ أو الفتاة مِن زيارة أهله بين الحين والآخر؟ ومع أنَّ هذه قد لا تُعَدُّ مشكلة كبيرة، فإنَّ الحكمة تقتضي مِن الشَّابِّ والفتاة أخذها بعين الاعتبار أثناء العمل على تحسين التَّوافق بينهما.

في ضوء ما سَبَق، إذا نظرنا إلى فترة التَّعارُف على أنَّها عمليَّة أخذ قرار، سنُدرك أنَّ المنطق يقتضي مِن الشَّابِّ والفتاة أن يستغلَّا لقاءاتهما لتعزيز التَّعارُف بينهما. فكلَّما زادت معرفة الشَّخصين المُتواعِدَيْن أحدهما بالآخر (لا على الصَّعيد الشخصيِّ فحسب، بل على صعيد الثَّقافة والعائلة أيضًا)، زادت قدرتهما على اتِّخاذ قرارات حكيمة في ما يَخُصُّ مستقبلهما.

وهذا كُلُّه لا يعني أنَّ كُلَّ موعدٍ بين شابٍّ وفتاةٍ يُفَكِّران في الزَّواج يجب أن يكون نقاشًا جادًّا حول المعتقدات، والقِيَم، والتَّوافق. فليس هناك ما يَمنع مِن أن يتمتَّع الشابُّ والفتاة برفقتهما ووقتهما. ولكنَّ المقصود هنا هو أنَّ التَّواصُل السَّليم مُهِمٌّ جدًّا للتَّعارُف السَّليم. كذلك، ينبغي التَّحذير مِن أنَّ التَّعارُف الذي يَقتصر على النُّزهات والتَّسلية قد يُفضي إلى ارتباطٍ عاطفيٍّ بين شخصين لا يعرف الواحد منهما الكثير عن الآخر – بدلًا مِن التَّعارف الحقيقيِّ.

ولكي يحافظ الشابُّ والفتاة على سلامة التَّواصُل وفاعليَّته بينهما، يُنصَح بأن يدرسا الكتاب المقدَّس معًا في أوقات مُنتظمة. ويمكن للشَّابِّ والفتاة أن يختارا آياتٍ أو موضوعات أو أسئلة كتابيَّة لمناقشتها معًا في اللِّقاء القادم. فمِن شأن ذلك أن يُعطي كلَّ واحد من الطَّرفَيْن فُرصة للتَّعبير عن نفسه ولمعرفة الطَّرف الآخر معرفة أوثق وأعمق.

٦. **إذا قَرَّر أحد الطَّرفين إنهاء العلاقة، يجب عليه القيام بذلك بطريقة لائقة ومحترمة.** فهناك

أسباب كثيرة قد تُفضي إلى عدم تَكَلُّل العلاقة بالزَّواج. وقد يكون إنهاء العلاقة مؤلمًا. ولكنَّه قد يكون أقَلُّ إيلامًا عندما يَتِمُّ ذلك بلياقة واحترام.

اقتراحات عمليَّة

إذا تَبَيَّن بوضوح لأحد الطَّرفين أنَّه ينبغي له إنهاء العلاقة، يجب مناقشة ذلك فورًا بكُلِّ صراحة ولُطف. فالتَّأجيل لن يفعل شيئًا سوى تأجيل الألم وزيادة حِدَّته. كذلك، فإنَّ تَجَنُّب الحديث في الموضوع أو اللُّجوء إلى أساليب التَّواصُل غير المباشرة قد يُفضي إلى سوء الفهم بين الطَّرفين. لذلك، فإنَّ أفضل طريقة للقيام بذلك بأقل الأضرار هو التحدُّث وجهًا لوجه (وليس مِن خلال رسالة عاديَّة أو إلكترونيَّة). وفي الوقت نفسه، يجب أن يكون الحديث لطيفًا ولا لُبس فيه.

وقد يجد بعض الأشخاص صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة في موقفٍ كهذا. كذلك، قد نَظُنُّ أحيانًا أنَّ ذِكْر السَّبب الحقيقيِّ سيؤذي مشاعر الشَّخص الآخر. وعلى أيِّ حال، يجب التَّفكير مَليًّا وسَلَفًا في الكلمات التي سنقولها. وقد يتوجَّب على الشَّابِّ أو الفتاة أن يستعين بوالديه. وأيًّا كان الموقف، يجب على الشَّابِّ المؤمن أو الفتاة المؤمنة أن يمتلكا اللَّياقة والحكمة اللَّازمتين لذِكْر الأسباب الحقيقيَّة الموجِبة لإنهاء العلاقة. فالأسباب السطحيَّة أو الغامضة ستدفع الشَّخص الآخر إلى التَّفكير في أسبابٍ قد تكون من صُنْع خياله. مِن جهة أخرى، ليس مِن اللَّائق أن يَطلب المرء تفسيرًا لأسباب فسخ العلاقة. وفي حين أنَّ التَّواصُل الواضح مطلوب، فإنَّنا قد لا نحصل عليه دائمًا. ففي بعض الأحيان، ينبغي لنا قبول قرار الطَّرف الآخر بإنهاء العلاقة دون معرفة الأسباب.

ولا نُخطئ إن قُلنا إنَّ أسباب إنهاء علاقتنا بشخصٍ ما ترتبط بالدَّوافع التي دَفَعَتنا إلى مواعدته في الأصل. ولكي نكون عَمليِّين، لنبحث معًا موقفًا مُحتملًا ونَرى الفرق بين الكلمات غير الملائمة لإنهاء العلاقة، والكلمات الملائمة التي تَتَّسِم بالوضوح والاحترام.

لنفترض أنَّ السَّبب الحقيقيَّ لإنهاء العلاقة هو أنَّ الشَّابَّ عنيد.

كلمات واضحة، ولكنَّها غير لطيفة: «أنا لا أُحِبُّ عنادك. أعتقد أنَّه ينبغي لنا أن نفسخ علاقتنا».

كلمات مُبهمة: «أشعر بأنَّ الله لا يريدنا أن نستمرَّ في هذه العلاقة».

كلمات مُحترمة: «هناك أمور كثيرة أُقَدِّرها فيك وفي شخصيَّتك. ولكنِّي أشعر بعدم الرَّاحة بسبب التوتُّرات التي تحدث بيننا، ولا سيَّما عندما نَختلف في وجهة النَّظر. والحقيقة هي أنِّي أرى أنَّ ما يحدث بيننا لن يُمكِّننا مِن تأسيس بيتٍ يُمَجِّد الله. لذلك، أعتقد أنَّه مِن الأفضل لِكِلَينا أن نُنهي هذه العلاقة بسلام».

وفي بعض العلاقات، قد لا تكون الأسباب الموجِبة لإنهاء العلاقة واضحة تمامًا. فقد يشعر أحد الطَّرفين بشكوكٍ مُعيَّنة دون أيَّة خيوط واضحة تُشير إلى ضرورة فسخ العلاقة. في حالٍ كهذه، قد يكون هناك بديل آخر ألا وهو «تجميد» العلاقة. فعلى سبيل المثال، قد يَتَّفق الطَّرفان على عدم اللِّقاء مُدَّة ثلاثة أشهر لكي يمنحا نفسَيْهما مُهلة للتَّفكير مَلِيًّا في نقاط الاختلاف، أو للبحث بموضوعيَّة أكبر في بعض القرارات أو الشُّكوك الشخصيَّة.

في حال اللُّجوء إلى هذا الخِيار، يجب التقيُّد بالإرشادات التَّالية: أوَّلًا، يجب الاتِّفاق على مُدَّة تجميد العلاقة. فهل سيتم تجميد العلاقة مُدَّة شهر، أم شهرين، أم ستَّة أشهر؟ فعند الاتِّفاق على مُهلة مُحَدَّدة، يمكن للطَّرفين أن يُفَكِّرا في أهدافهما بوضوحٍ أكبر. ويجب اختيار الوقت في ضوء طبيعة المشكلة التي تتطلَّب حَلًّا. فعلى سبيل المثال، قد يكون تجميد العلاقة مُدَّة شهرٍ كافيًا لمعرفة الموقف الشخصيِّ مِن بعض الأمور العقائديَّة المُختلَف عليها. ولكن في حال وجود مشكلة أخلاقيَّة سابقة أو حاليَّة تحتاج إلى معالجة، لن تكون فترة الستَّة أشهر طويلة البتَّة. ومع ذلك، يجب ألَّا تكون المُهلة المُتَّفق عليها طويلة جدًّا لكي لا يفقد الطَّرفان إحساسهما بأهدافهما.

ثانيًا، يجب تحديد طبيعة العلاقة بوضوح. عدم الخروج معًا؟ التَّعارف المحدود؟ عدم تبادل الرَّسائل؟ عدم الخوض في مناقشات مُطَوَّلة إلَّا بالاتِّفاق المتبادل؟ ففي حال عدم تحديد طبيعة العلاقة أثناء تجميدها، قد يجد الشَّابُّ والفتاة نفسَيْهما يصرفان وقتًا معًا دون أن يقصدا ذلك.

ثالثًا، لا ينبغي استخدام مهلة تجميد العلاقة كوسيلة لفسخ العلاقة ببطء. فإذا كان أحد الطَّرفين مُقتنعًا بضرورة إنهاء العلاقة، فإنَّ النَّزاهة تُحَتِّم عليه عدم الاستمرار في إعطاء الأمل للشَّخص الآخر مِن خلال تأجيل وقت إنهاء العلاقة. ويجب ألَّا يشمل اتِّفاق تجميد العلاقة شرطًا

يُبيح للطَّرفين مواعدة أشخاصٍ آخرين. وفي حال إعطاء حُرِّيَّةٍ كهذه، يجب اعتبار العلاقة مُنتهية.

والحقيقة هي أنَّنا لا نستطيع أن نَذكر جميع السِّيناريوهات المُحتملة لإنهاء العلاقة. لذلك، فإنَّ النِّقاط التي ينبغي تَذَكُّرها هي أن تُعالج الموقف باحترام، ووضوح، ولُطف.

ما الخُطوة التَّالية؟

لقد رَكَّزنا حتَّى الآن على أنَّ التَّعارُف هو عمليَّة اتِّخاذ قرار. والنُّقطة الجوهريَّة في هذه العمليَّة هي قرار الزَّواج. والخِطبة هي الخُطوة التي يُعْرِب الشَّابُّ والفتاة مِن خلالها عن التزامهما وإصرارهما على المِضيِّ في العلاقة نحو الزَّواج. وأرجو أن تكون الصَّفحات السَّابقة قد بَيَّنَتْ أنَّ الخِطبة ليست قرارًا طائشًا، بل هي التزامٌ عقلانيٌّ قائمٌ على المشورة الحكيمة، والصَّلاة القلبيَّة، والإيمان والمحبَّة المُتبادلَيْن.

في أزمنة الكتاب المقدَّس، كانت الخِطبة مُلْزِمَة حَتَّى إنَّ الشَّابَّ والفتاة كانا يُسَمَّيان زوجًا وزوجة. وقد كان فَسْخ الخِطبة يُسَمَّى «إخلاءً»- أي: «طلاقًا» (إنجيل مَتَّى ١: ١٩).

لذلك، كيف ينبغي لنا أن نَنظر إلى الخِطبة في وقتنا الرَّاهن؟ وهل الخِطبة أمرٌ جادٌّ؟ وهل مِن الصَّواب فسخ الخِطبة؟ ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ الخِطبة في أزمنة الكتاب المقدَّس كانت تُرافقها إجراءات لحماية الطَّرفين، ومن بينها: موافقة أهل الشابِّ وأهل الفتاة، والمهر، وعلامة العُذرة، وغيرها. ومع ذلك، يبدو أنَّ نظرتنا الحاليَّة إلى الخِطبة يمكن أن تكون مشابهة جدًّا لمفهوم الخِطبة في الكتاب المقدَّس لو أنَّنا عقدنا العَزم على أن يكون التَّعارُف مرحلة اتِّخاذ قرار وليس وقتًا يخوض فيها الشابُّ والفتاة علاقةً عاطفيَّة. علاوة على ذلك، حيث إنَّ العهد الجديد يوصينا بأن نكون صادقين وجديرين بالثِّقة دون حَلْفٍ أو قَسَم، يجب على المؤمن المسيحيِّ أن يحفظ وعوده التي يقطعها. وقد يقول أحدهم إنَّ «فسخ الخِطبة يبقى أفضل مِن التسبُّب بدمارٍ قد يستمرُّ مدى الحياة». ولكن أليس الأفضل مِن ذلك هو أن نَتَّخذ خطوات مناسبة لمَنع خِطبة كهذه من أن تحدث من الأصل؟ فالخِطبة بمفهومها السَّليم لن تكون مُمكنةً إلَّا في ظِلِّ تَعارُفٍ سليم. بعبارة أخرى، فإنَّ المعايير المُتدنِّية للتَّعارُف لا بُدَّ أن تُفضي إلى نظرة مُتدنِّية إلى الخِطبة.

في الفقرات التَّالية، سنذكر بعض الإرشادات المُختصَّة لا بالنَّظرة السَّليمة إلى الخِطبة فحسب، بل وأيضًا بكيفيَّة البدء في الخِطبة والانتقال مِنها إلى الزَّواج.

لقد ذَكَرنا للتوِّ أنَّ الخِطبة كانت حَدَثًا مُهمًّا وله وَزْنُهُ في أزمنة الكتاب المقدَّس. وقد ذَكَرنا أيضًا أنَّه ينبغي لنا أن نَنظر إلى الخِطبة بذات الجِدِّيَّة في وقتنا الرَّاهن. وهناك العديد مِن حجارة الأساس التي تُبنى عليها هذه النَّظرة إلى الخِطبة. لذلك، لنتفحَّص هذه النِّقاط بعناية:

أوَّلًا، إنَّ الشابَّ الذي يَحيا بحسب وصايا الكتاب المقدَّس سينظر إلى شريكة حياته المستقبليَّة كإنسانة خاضعة لوالديها. فهي ليست له -أيًّا كان حُبُّه لها- إلى أن يتزوَّجها رسميًّا. لذلك، مِن اللَّائق والصَّواب أن نقول إنَّ الخطوة الأولى في الخِطبة هي طلب موافقة والِدَي الفتاة. وهذا يعني أنَّه لا يليق بالشَّابِّ أن يذهب إلى والد الفتاة ووالدتها وأن يُخبرهما أنَّه سيخطب ابنتهما؛ بل يجب عليه أن يطلب موافقتهما، وأن يناقش معهما إمكانيَّة زواجه مِن ابنتهما. وإذا كان الشَّابُّ قد نجح في إنشاء علاقة مع والديِّ الفتاة أثناء فترة التَّعارُف، ستكون هذه الخطوة طبيعيَّة جدًّا.

ثانيًا، إنَّه لأمرٌ كتابيٌّ أيضًا أن ننظر إلى الخِطبة كالتزام وتَعَهُّد. فلا ينبغي النَّظر إليها كما لو كانت المرحلة الأخيرة للتَّمييز واتِّخاذ قرار. ففي الأصل، يجب أن تكون فترة الاختبار قبل الخِطبة.[٨] وفي حال خيانة أحد الطَّرفين ثقة الآخر في فترة الخِطبة، أو في حال افتضاح أمره أثناء فترة الخِطبة (كالخيانة أو عدم العِفَّة، أو الخداع بشأن الخلاص)، قد يكون مِن الضروريِّ فَسْخ الالتزام (٢كورنثوس ٦: ١٤).

في بعض الثَّقافات، حيث لا يُسمح للشَّابِّ والفتاة بالخروج معًا أو التحدُّث معًا أو التَّواصُل معًا قبل الخِطبة، قد يبدو الأمر مختلفًا بعض الشَّيء. فما دام التَّعارُف لم يحدث بين الشَّابِّ والفتاة قبل الخِطبة، قد يكتشف أحدهما أو كلاهما أثناء فترة الخِطبة عدم وجود انسجام بينهما. ولكن حتَّى في مواقف كهذه، إذا كان الطَّرفان يُحِبَّان الربَّ، وإذا كان كُلٌّ منهما قد تَعَهَّد بالاهتمام بمصلحة الآخر، ستكون حالات فسخ الخِطبة نادرة.

ثالثًا، إذا كان الشَّابُّ والفتاة ينظران إلى الخِطبة كَتَعَهُّدٍ بالزَّواج، فهذا يعني أنَّهما سينظران إلى الفترة الفاصلة بين الخِطبة والزَّواج باعتبارها فترة للاستعداد لحفل الزَّواج ولبدء الحياة الزوجيَّة معًا (وليس للتعارف). لذلك، يجب ألَّا تكون هذه الفترة أطول مِن الوقت اللَّازم للاستعداد للزَّواج. فالخِطبة الطَّويلة هي دليل على عدم فهم الطَّرفين للخِطبة بمفهومها الصَّحيح (إلَّا إذا كان التَّأخير ناجمًا عن ظروف خارجة عن إرادتهما). كذلك، فإنَّ الخِطبة الطَّويلة تضع ضغوطًا كثيرة على الطَّرفين.

رابعًا، التعهُّد بالزَّواج لا يَمنح الشَّابُّ والفتاة امتيازات الزَّواج. لذلك، يقول «إيرفنهيرشبيرغر»: «بِغَضِّ النَّظر عن قوَّة الرِّباط الذي يَجمع بين الشابِّ والفتاة في فترة الخِطبة، فإنَّ جسد كُلٍّ منهما ما زال ملكيَّة فرديَّة ليست مِن حَقِّ الآخر».[٩] وفي ضوء الآية ١كورنثوس ٦: ٢٠، فإنَّ أجسادنا ليست ملكًا لنا فحسب، بل هي ملك لله. لذلك، فإنَّ أيَّ تجاوزٍ لهذا المبدأ هو خَطِيَّة (انظر سِياق هذه الآية). وهذا يعني أنَّ المبادئ التي ذكرناها آنفًا في ما يَخُصُّ المُلامسة الجسديَّة في فترة التَّعارُف تَنطبق أيضًا على فترة الخِطبة. فالعلاقة السَّليمة الطَّاهرة في فترة الخِطبة تُعَزِّز الفرح عند الشابِّ والفتاة، وتُدَعِّم وفاءهما أحدهما للآخر بعد الزَّواج. أمَّا العلاقة الجسديَّة في فترة الخِطبة فتبقى مَصْدر إزعاجٍ للشابِّ والفتاة بعد الزَّواج.

في ضوء هذه النَّظرة إلى الخِطبة، كيف ينبغي للمرء أن يتصرَّف في هذه الفترة؟ إذا افترضنا أنَّ التَّعارُف تَمَّ بصورة سليمة بين الشابِّ والفتاة، إليك الاقتراحات التَّالية:

١. صَلِّ طالبًا الحكمة والإرشاد من الله.

٢. ناقش استعدادك للزَّواج مع والديك. وإن تَعَذَّر عليك طلب نصيحتهما، ربما يمكنك استشارة راعي الكنيسة. فمِن الحكمة دائمًا اتِّخاذ القرارات المصيريَّة تحت إشراف ومشورة الأشخاص الأتقياء الذين وضعهم الله في حياتك.

٣. تَقَرَّب إلى والديِّ الطَّرف الآخر، واطلب موافقتهما، وبركتهما، ونصيحتهما في ما يَخُصُّ زواجكما. ولكن لا تفعل ذلك مِن خلال رسالة أو مِن خلال الهاتف إلَّا إذا كانت زيارتك لهما مستحيلة.

٤. بعد أخذ موافقة والديِّ الفتاة، اطلب يدها. وفي هذا الوقت، ربما تكون الفتاة جاهزة للردِّ بعد أن صَلَّت في الأمر وطلبت نصيحة والديها. وفي حالٍ كهذه، سيكون الأمر رائعًا. ولكن حتَّى لو لم تكن جاهزة للردِّ، لا تضغط عليها، بل امنحها الوقت الذي تحتاجه.

٥. إذا كُنتِ فتاةً وعَرَضَ عليك الشابُّ الزَّواج، لا تتسرَّعي في إعطاء موافقتك قبل طلب موافقة والديك. وإذا لم يكُن الشَّابُّ قد تَحَدَّث إلى والديك في الأمر، اسأليه عن استعداده للقيام بذلك.

٦. اختما تَعَهُّدكما بالصَّلاة، واطلبا معًا مِن الله أن يرشدكما في خططكما الآنِيَّة وفي حياتكما الزوجيَّة المستقبليَّة. وعند إعلان الأمر للوالدين، اطلبا منهما أن يُصَلِّيا لأجلكما أيضًا.

٧. تَعَهَّدا شفويًّا بالحفاظ على عِفَّتكما وطهارتكما طَوال فترة الخِطبة. فمِن شأن هذا التعهُّد أن يحميكما مِن مخاطر الشَّهوة، وأن يُعَمِّق احترام كُلٍّ منكما للآخر.

٨. ناقشا بينكما وبين والديكما الوقت اللَّازم للاستعداد لحفل الزِّفاف. وكما ذكرنا آنفًا، يجب ألَّا تكون فترة الخِطبة طويلة جدًّا أو قصيرة جدًّا. لذلك، كونا حَكيمَيْن في تحديد الفترة اللَّازمة للانتقال مِن الخِطبة إلى الزَّواج. فقرار الزَّواج يَفتح الأبواب على مِصراعيها أمام قرارات أخرى ينبغي للشابِّ والفتاة أن يَتَّخذاها. لذلك، فإنَّ التَّواصُل الصَّريح بينكما هو حاجة مستمرَّة ومُلِحَّة.

٩. ناقشا خطط الزَّواج مع راعي الكنيسة، واسألاه عن استعداده لتقديم المشورة لكما قبل زواجكما. كذلك، ناقشا خطط زواجكما مع المسؤولين في الكنيسة، واحجزا موعدًا، واحصلا على كُلِّ المعلومات اللَّازمة المُختصَّة بإجراءات زواجكما.

الخُلاصة

مِن أجل تلخيص هذا الفصل، لنُراجع معًا أهمَّ المفاهيم الأساسيَّة: إنَّ فترة المُواعدة والتَّعارُف هي فترة تحضيريَّة للزَّواج. لذلك، يجب أن يَقتصر التَّعارُف على الأشخاص المؤهَّلين للزَّواج. كذلك، فإنَّ المُواعدة هي عمليَّة تَعارُف تُرَكِّز- في المقام الأوَّل- على التَّوافق الرُّوحِيِّ، ثُمَّ على التَّوافق الشَّخصيِّ. ولأنَّ عمليَّة اتِّخاذ القرار في فترة المُواعدة والتَّعارُف بالغة الأهميَّة، لا ينبغي أن نَسمح لها بالتأثُّر بعواطفنا المُنجرفة. وهذا يقتضي مِن الشابِّ والفتاة أن يؤجِّلا جميع أشكال التَّعبير الجسديِّ عن المحبَّة إلى ما بعد الزَّواج. مِن جهة أخرى، يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يَطلبا نصيحة الأبوَيْن والقادة الروحيِّين لكي يتمكَّنا مِن اتِّخاذ قرارات سليمة في فترة المُواعدة والتَّعارُف. وعندما يَقتنع الشَّابُّ تمامًا بأنَّه- والفتاة- صارا جاهزين للزَّواج، يجب عليه أن يطلب موافقة والديها، ثُمَّ أن يَطلب يد الفتاة. ويجب النَّظر إلى الخِطبة كتَعَهُّد لا ينبغي فَسْخُه (إلَّا في حالة الخداع أو عدم الأمانة). كذلك، يجب عدم إطالة فترة الخِطبة أكثر مِن الوقت اللَّازم للتَّخطيط لحفل الزِّفاف.

والحقيقة هي أنَّ الضُّغوط على الزَّواج والبيوت تزداد وتزداد. وإذا كان هناك وقتٌ ما نحتاج فيه إلى وضع أساسٍ قويٍّ لبيوتنا، فإنَّ الوقت المناسب لوضع هذا الأساس هو الآن. فقد أعطانا الله مبادئ تُتيح لنا وضع أساسٍ متينٍ لبيوتنا. ولا شَكَّ أنَّ البيوت المُتزعزعة (حتَّى في

الأوساط المسيحيَّة) هي دلالة واضحة على مَيل الإنسان إلى اتِّباع طُرُقه وأساليبه الشخصيَّة. ولكن إذا كُنَّا مُقتنعين بكلمات المزمور ١٢٧: ١، ينبغي لنا أن نَتَّبع طُرُق الربِّ: «إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ البَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ البَنَّاؤُونَ».

لِنُفَكِّر معًا

١. ما بعض المشكلات المحتملة للمُواعدة والتَّعارُف قبل أن يَنضج المرء روحيًّا؟ ما بعض المفاهيم المغلوطة التي قد تؤثِّر عكسيًّا على نظرة المؤمنين الجُدُد للمُواعدة أو الزَّواج؟

٢. ما الذي ينبغي للشابِّ والفتاة أن يفعلاه في حال عدم تقديم الأبوَيْن للنَّصيحة أو المشورة اللَّازمة، أو في حال حصولهما على الردِّ التَّالي من الأبوَيْن: «أنت في سِنٍّ تسمح لك باتِّخاذ القرارات بنفسك»؟

٣. هل يتوقَّع الله مِن أيِّ شابٍّ أن يواعد فتاةً لا يَشعر تُجاهها بأيِّ انجذاب (أو العكس)؟ في ضوء ذلك، كيف يمكن لهذا الشَّخص أن يُصَحِّح مفهومه (مِن خلال طلب مشورة الوالدين، وطلب مشورة الله، والأمور التي تحدَّثنا عنها في هذا الفصل في ما يَخُصُّ التَّوافُق بين الشَّابِّ والفتاة).

٤. كيف يمكن لشابٍّ وفتاة يتواعدان أن يكونا صادِقَيْن في مناقشة الاختلافات الشخصيَّة دون أن يجرح أحدهما مشاعر الآخر؟ كيف ينبغي لكُلٍّ منهما معالجة الجوانب المُحرجة أو المُزعجة في حديث الآخر، أو عاداته، أو سلوكيَّاته؟

٥. كيف يمكن للشابِّ والفتاة أن يُكْرِما أبوَيْهما إذا كان الأبوان يريدان منهما البقاء في كنيسة يَرى الشابُّ والفتاة أنَّها كنيسة مُرْتَدَّة؟

٦. إذا أدركت الفتاة أنَّ الشَّاب الذي تُواعده يعاني جروحًا عاطفيَّة لم تَندَمِل بعد بسبب والديه، ولكنَّه يُبدي نُضجًا روحيًّا في الجوانب الأخرى، كيف ينبغي لها التَّفكير في الأمر؟ (قد تَظهر الجروح العاطفيَّة التي لم تَندمل بعد مِن خلال إلقاء اللَّوم على الآخرين، وعدم إظهار الغُفران والمحبَّة لهم).

٧. ما عواقب الرَّغبة الشَّديدة لدى أحد الطَّرفين في تَمَلُّك الآخر في فترة المُواعدة أو التَّعارُف؟ وما عواقب الإفراط في عدم الرَّسميَّة؟

٨. ما فوائد اتِّفاق الطَّرفين المُسَبَّق على شروط المُواعدة (أي في مرحلة مُبَكِّرة مِن العلاقة)؟

٩. ما المخاطر الكامنة وراء المُغازلة بين الشابِّ والفتاة؟ إذا بادَرَت الفتاة إلى مُغازلة الشَّابِّ بإفراط أثناء فترة المُواعدة، كيف ستكون حالها في البيت (بعد الزواج)؟

لِنَعمل معًا

١. ناقشوا، كآباء وأمَّهات، رؤيتكم لأبنائكم عند اختيار شريك حياتهم. رَتِّبوا لمناقشة هذا الموضوع معهم لكي يَعلموا ما تتوقَّعونه منهم. وإذا كان الأبناء في سِنِّ المُواعدة، أظهروا انفتاحًا في تَقَبُّل أفكارهم وآرائهم- ولا سِيَّما إذا كانت تلك الأفكار والآراء تتطلَّب مِنكم تغيير توقُّعاتكم. اسألوهم عن ما يتوقَّعونه منكم.

٢. إذا كنت قد ابتدأت في مواعدة إحدى الفتيات (أو العكس)، قَيِّم إجراءات التَّعارُف التي استخدمتها. ما مدى موضوعيَّتك؟ ما مدى معرفتك بمُعتقداتها (مُعتقداته)؟ وشخصيَّتها (شخصيَّته)؟ وعائلتها (عائلته)؟ ما مدى وضوحك ونجاحك في عرض مُعتقداتك؟ كيف كان تَقَبُّل الفتاة (الشَّابِّ) لعائلتك؟ اكتب لائحة بالأمور التي تتطلَّب مزيدًا مِن الإيضاح. ناقش مع أبوَيْك أو راعي كنيستك الوسائل التي يمكنك مِن خلالها تحسين تواصُلك مع الطَّرف الآخر في فترة التَّعارُف.

٣. اكتب لائحة بالصِّفات التي ترغب في توافُرها في شريك الحياة. ثُمَّ قَيِّم نفسك في ضوء هذه اللَّائحة. هل هناك جوانب ضعف لديك؟ ما الذي يمكنك القيام به لتحسين هذه الجوانب؟

٤. إذا لم تكُن قد ابتدأت المُواعدة بعد، ما الأجزاء التي أثارت اهتمامك في هذا الفصل أكثر مِن غيرها؟ هل تَتَّفق في الرَّأي مع هذه الأفكار؟ هل تشعر بأنَّ بعض النِّقاط تحتاج إلى مزيدٍ مِن الإيضاح؟ ناقش هذه النِّقاط مع والدَيْك، وفَكِّر في إجاباتهما.

الفصل الرَّابع

العُزوبَة

المُقدِّمة

لا شَكَّ أنَّ الشُّبَّان والفتيات يميلون إلى التحدُّث عن المُواعدة والخِطبة والزَّواج أكثر مِن الحديث عن العُزوبة. ورُبَّما كان السَّبب في ذلك هو أنَّ عدد الأشخاص الذين يتزوَّجون يفوق بكثير عدد الأشخاص الذين يختارون حياة العُزوبة. كذلك، فإنَّ أغلبيَّة الشُّبَّان والفتيات يرغبون في الزَّواج. ولكنَّ أشخاصًا كثيرين يجدون أنفسهم، ويا للأسف، في مواقف لم يُفَكِّروا فيها مَلِيًّا، وفي مواقف لم يُحَذِّرهم أحدٌ منها.

ومع أنَّ هذا الفصل يَخُصُّ العُزَّاب (الأشخاص الذين لم يتزوَّجوا)، فإنَّه لا يَقتصر عليهم. فالعُزَّاب هُم، في الوقت نفسه، أفراد في عائلاتنا، وأعضاء في كنائسنا، وجيران لنا، وأصدقاء لنا. لذلك، يجب علينا جميعًا أن نَفهم التحدِّيات التي تواجههم، وأن نَعرف الانتصارات التي يُحَقِّقونها وذلك للأسباب التَّالية: أوَّلًا، يجب أن يَجِد العُزَّاب مَن يفهمهم لأنَّ كُلَّ شخص في عائلة الله ثمين. وإذا أردنا أن تكون علاقاتنا بالمؤمنين الآخرين سليمة، فإنَّنا في حاجة ماسَّة إلى أن يفهم بعضُنا بعضًا. ثانيًا، عندما نَتعلَّم عن العُزَّاب، سندرك في أحيان كثيرة أنَّ المشكلات التي تواجههم تتفاقم بسبب أنَّ الأشخاص المحيطين بهم عديمو الاكتراث والاهتمام. ثالثًا، يجب علينا جميعًا أن نُفَكِّر مَلِيًّا في العُزوبة لأنَّ هناك مواهب وموارد كثيرة مدفونة أو غير مكتشفة لدى العُزَّاب يمكن استخدامها لأجل ملكوت الله.

لماذا أنا أعزب أو عزباء؟

إنَّ الأسئلة التي تبدأ بالكلمة «لماذا؟» ليست مفيدة دائمًا- ولا سِيَّما عندما تُطرح بدافع الغضب أو الإحباط. ومع ذلك، يمكننا أن نطرح الأسئلة التي تبدأ بالكلمة «لماذا» بصراحة

تامَّة. وكما هي الحال في أيِّ أمرٍ آخر، يمكننا- عادةً- أن نكون أكثر نفعًا وفائدةً عندما نَفهم أنفسنا. وهذا هو ما يدفعنا إلى بحث هذا الموضوع هنا.

ومِن الجَليِّ أنَّ فَهْم سبب قيام النَّاس بما يقومون به لا يَقِلُّ صعوبةً عن فهم النَّاس أنفسهم. ولكنَّ مؤمنين كثيرين يُخطئون في تحديد السَّبب الحقيقيِّ لعُزوبة أشخاصٍ مُعَيَّنين بسبب كثرة الأسباب المتداخلة والخارجة عن إرادة الشخص في هذا الموضوع. ومع ذلك، لا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ بعض الأشخاص يختارون بأنفسهم حياة العزوبة لأنَّهم وجدوا الجواب للسُّؤال «لماذا؟». وفي الوقت نفسه، فإنَّ كثيرين يعيشون حياة العُزوبة لا لأنَّهم اختاروا ذلك، بل لأنَّ هذا هو الواقع الذي فُرِضَ عليهم. وهذا هو السَّبب الرَّئيسيّ في الحَيْرة القائمة.

إنَّ الله- في نَظَر المؤمنين المسيحيِّين- هو الربُّ والسيِّد. لذلك، عندما يُبدون استعدادهم للزَّواج ثُمَّ يجدون أنفسهم عُزَّابًا، فإنَّهم يجدون أنفسهم أمام سؤالٍ مشروع ألا وهو: «هل هذه هي مشيئة الله لحياتي؟» وقد تَخْطُر ببالهم أسئلة «منطقيَّة» لاحقة لهذا السؤال الأوَّل مِثل: «لماذا» و «هل أنا سَيِّئ (أو سَيِّئة) إلى هذا الحَدِّ؟» و «هل أنا خارج مشيئة الله؟» و «هل الأمر وما فيه هو أنِّي لم أُوَفَّق في العثور على شريك حياة مناسب؟» وعند هذه النُّقطة، مِن السَّهل على المرء أن يفقد نظرته الموضوعيَّة للأشياء. فالمشاعر الشخصيَّة قد تَجعل الأمور ضَبابيَّة. وكما قالت «إيفيلين موماو» في كتابها "Woman Alone" («المرأة العَزباء»): «إنَّ الأسباب الحقيقيَّة تَختلف في أغلب الأحيان عن الأسباب التي يَشعر بها المرء». [١٠]

وإذا حَلَّلنا الأسئلة المذكورة آنفًا، سنجد أنَّها تندرج تحت ثلاث فئات مِن الأسباب المحتملة للعزوبة، وهي: الصِّفات الشخصيَّة، ومشيئة الله، والظُّروف. والآن، لنُلْقِ نظرة فاحصة على كُلِّ فئة مِن هذه الفئات الثَّلاث.

الصِّفات الشخصيَّة

ترتبط الرِّفقة، في قلوبنا وأذهاننا، ارتباطًا وثيقًا بمحبَّة الآخرين وقبولهم لنا شخصيًّا. ولكن في الواقع، فإنَّ الرِّفقة قد تُفضي أيضًا إلى البُغض والرَّفض. ولأنَّنا نرغب- في أعماقنا- في أن نكون مقبولين، فإنَّنا نُقنع أنفسنا بأنَّ الأمر ينبغي أن يكون كذلك دائمًا في الحياة الزوجيَّة. وعندما نُدرك أنَّ قطار الزَّواج قد فاتَنا، مِن السَّهل أن نفترض أنَّنا لم نتزوَّج بسبب رفض الآخرين لنا.

وأقَلُّ ما يمكن أن يُقال بهذا الخصوص هو أنَّ مشاعر الرَّفض قد تترك تأثيرًا مُدَمِّرًا إذا لم تُعالَج.

فهي قد تُدَمِّر العلاقات. وقد تَستنزِف المرء روحيًّا. وقد تؤثِّر عميقًا في نفسيَّته فتتركه حُطامًا.

وقد يأخذ الشُّعور بالرَّفض أشكالًا عديدة عند الأشخاص الذين يَقضون حياتهم دون زواج. فقد ينشأ غضب مِن الجنس الآخر كَكُلّ. وقد ينعكس الغضب إلى الدَّاخل فيَشعُر المرء بسببه بأنَّه فاشل. وهذا- بدورِه- قد يؤدِّي إلى الاكتئاب. مِن جهة أخرى، قد يَسعى المرء، دون أن يدري، إلى السَّيطرة على الآخرين. وقد يحاول- تحديدًا- أن يَختبر محبَّتهم. فالشَّخص الذي يَشعر بالرَّفض يحاول أحيانًا أن يُبرهِن لنفسه والآخرين على أنَّه مرفوض. كذلك، قد يؤدِّي الشُّعور بالرَّفض إلى دفع الأعزب (أو العزباء) إلى إثبات كفاءته. لذلك، قد يندفع الأعزب (أو العزباء)[11] بكل جوارحه إلى الانغماس في عمله، أو في هوايته، أو في الدِّراسة، أو في وسائل التَّرفيه عن الذَّات كي يقول لجميع المُحيطين به: «أنا قادر على العيش بمفردي. شكرًا جزيلًا».

ومع أنَّ الشُّعور بالرَّفض قد يكون مُجَرَّد شعورٍ وليس حقيقيًّا، فإنَّ ردود الفعل المُتَقَدِّم ذِكرُها هي عديمة النفع في كلتا الحالتين، بل إنَّها قد تُفضي إلى عَزل الشَّخص حتَّى عن أصدقائه الحقيقيِّين.

وبعد أن ذَكَرنا أنَّ مشاعر الرَّفض، ولا سِيَّما تُجاه الجنس الآخر عامَّةً، ليست حقيقيَّة عادةً، لا بُدَّ مِن الإقرار بأنَّ الشخصيَّة والطِّباع تؤثِّر- إلى حَدٍّ ما- في عُزوبة المرء أو زواجه. فهي عناصر مهمَّة في التَّعامُل مع شريك الحياة ومع النَّاس جميعًا. لذلك، يجب على المؤمنين (مِن الجنسين) أن ينجذبوا إلى الشخصيَّة المُتَّزنة النَّاضجة. وإذا كان المرء يَستخدم هذا المعيار للعثور على شريك حياة ملائم، يجب عليه أن يَستخدم المعيار نفسه لتجنُّب شريك حياة غير ملائم.

ومع ذلك، فإنَّ الشَّخص الوحيد (إن جاز التَّعبير) القادر على فحص الإنسان والموافقة عليه، أو رُبَّما عدم الموافقة عليه، هو ليس شريك الحياة المُرتقَب، بل الله. لذلك، يجب على الأشخاص الذين يَشعرون بالرَّفض في فترة العُزوبة أن يتعلَّموا مُصارحة الله بمشاعرهم. وفي هذا السِّياق، يمكننا تطبيق الكلمات التي قالها بولُس لتلميذه تيموثاوس: «اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ للهِ مُزَكًّى...» (٢تيموثاوس ٢: ١٥). فينبغي لنا أن نُدرك أنَّ النَّاس ليسوا قادرين دائمًا على تقييم الآخرين تقييمًا سليمًا. فهناك أشخاص متوافقون تمامًا ويَصلحون كزوجَيْن، ولكنَّهم لا يتزوَّجون البَتَّة. وهناك أشخاص اتَّخذوا القرار وتَزَوَّجوا، ولكنَّهم يفتقرون إلى الانسجام كزوجَيْن. والمقصود هنا، ببساطة، هو أنَّ حياة العُزوبة التي تحظى بقَبول الله هي أكثر امتلاءً مِن أيِّ حياةٍ زوجيَّة لا تحظى بقَبوله.

في ضوء ما سَبَق، هل يمكن أن يكون فِيَّ أو في شخصيَّتي «عَيْبٌ ما» إن لم أتزوَّج؟ ربَّما! ولكن يجب علينا أن نتذكَّر أنَّ الأشخاص الذين يتزوَّجون ليسوا بلا عيوب. ولكن كما سنرى لاحقًا، هناك عناصر عديدة قد تجعلنا نُخطئ في افتراض أنَّ السَّبب الرَّئيسيَّ في العُزوبة يعود إلى عيوبٍ في شخصيَّاتنا أو شخصيَّات الآخرين (الَّذين لم يتزوَّجوا).

مِن جانب آخر، ينبغي لنا أن نُقَيِّم أنفسنا في أوقاتٍ دَوريَّة- لا مِن جهة أهليَّتنا للزَّواج، بل مِن جهة صِحَّتنا النفسيَّة والاجتماعيَّة والروحيَّة. لذلك، اسأل نفسك: هل أواظب على تطوير قدراتي الذهنيَّة ومهاراتي؟ هل تَتَّسِم علاقاتي بالآخرين بالحُنُوِّ، والاهتمام، ومَدِّ يد العَون؟ هل تَتَّسِم علاقتي بالربِّ بالعُمق المتنامي، وزيادة فهم طُرُ قه ومقاصده لحياتي؟ ووفقًا لقول السيِّدة «موماو Mumaw»: «لاحِظ جوانب الضُّعف لديك، واعقد العَزم على معالجتها مُعالجة بَنَّاءة».[١٢]

وهناك صِفَة يمكن أن تكون سببًا في استمرار حياة العزوبة لدى أُناسٍ ألا وهي شعور المرء بعدم الأمان على الصَّعيد الشخصيِّ؛ وهي صِفَة تَظهر في شكل تَرَدُّد وتوقُّعات تُخالف الواقع. والحقيقة هي أنَّ الأشخاص الذين يشعرون بعدم الأمان يبقون عُزَّابًا- لا لأنَّهم لا يرغبون في الزَّواج، ولا بسبب انعدام الفُرَص، بل لأنَّهم يخشون اتِّخاذ قرار خاطئ. لذلك، فإنَّهم يجدون أنَّ عدم اتِّخاذ قرار هو الحَلُّ الأسهل. كذلك، فإنَّ الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الفئة يَتوقَّعون- في أغلب الأحيان- مِن شريك الحياة المُرتقب أكثر مِمَّا يتوقَّعونه مِن أنفسهم. لذلك، فإنَّهم يجدون صعوبة بالغة في العثور على شخصٍ تنطبق عليه شروطهم ومعاييرهم. والحقيقة هي أنَّه ينبغي للأشخاص الذين يَبقون عُزَّابًا لأسبابٍ كهذه أن يُحَلِّلوا شخصيَّاتهم في ضوء حقيقة قبول المسيح لهم. فإن أدركنا حقيقة قبول المسيح لنا بالرَّغم مِن ضعفاتنا، سنتمكَّن مِن قبول شريك الحياة غير الكامل.

مشيئة اللّه

إنَّ العامل الثَّاني الذي يُنْظَر إليه كسبب في العزوبة هو مشيئة الله. والحقيقة هي أنَّ دور الله في حياتنا هو موضوعٌ طويل وشائك تَصْعُب معالجته في هذا الكتاب. ومع ذلك، يجب علينا أن نتحدَّث عنه بإيجاز إن أردنا أن نَفهم الحياة فهمًا صحيحًا.

إنَّ الكتاب المقدَّس يُعلن الحَقَّ لنا. ولكنَّه قد لا يُفَسِّر الحَقَّ المُعلَن. فعلى سبيل المثال،

نحن نَعلم- مِن خلال الكتاب المقدَّس- أنَّ الله هو صاحب السِّيادة والسُّلطان على الكون كُلِّه: «إِنَّ إِلهَنَا فِي السَّمَاءِ. كُلَّ مَا شَاءَ صَنَعَ» (المزمور ١١٥: ٣). كذلك، فإنَّ الكتاب المقدَّس يُخبرنا أنَّ الخطيَّة موجودة في العالم، وأنَّ الأشياء ليست على الحال التي ينبغي أن تكون عليها. فهناك ألم، وصراع، وسوء فهم، وخيانة، وظُلم، وجُور، وتجربة، وشَرٌّ، وضيقات، ومرض، وموت. «اللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ على بَنِي البَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟...لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ» (المزمور ٥٣: ٢ و ٣). «لأَنِّي غِرْتُ مِنَ المُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ» (المزمور ٧٣: ٣). «قَدْ رَأَيْتُ عَبِيدًا على الخَيْلِ، وَرُؤَسَاءَ مَاشِينَ على الأَرْضِ كَالعَبِيدِ.... الوَقْتُ وَالعَرَضُ [أي: المفاجآتُ] يُلاَقِيَانِهِمْ كَافَّةً» (الجامعة ١٠: ٧؛ ٩: ١١). «فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ» (رومية ٨: ٢٢). «لأَنَّ كُلَّ مَا فِي العَالَمِ: شَهْوَةَ الجَسَدِ، وَشَهْوَةَ العُيُونِ، وَتَعَظُّمَ المَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ العَالَمِ» (١يوحنَّا ٢: ١٦). كذلك، فإنَّ الكتاب المقدَّس يُعلن لنا أنَّ الله أعطى الإنسان حُرِّيَّة الاختيار: «وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا» (رؤيا ٢٢: ١٧). «حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمُ. اخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. لِذلِكَ مَقَتُّ ذلِكَ الجِيلَ، وَقُلْتُ: إِنَّهُمْ دَائِمًا يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ...» (عبرانيِّين ٣: ٩ و ١٠).

ولكن كيف يمكن للمرء أن يُوَفِّق بين سيادة الله القدُّوس، والفساد المُتَفَشِّي في هذا العالم، وحُرِّيَّة الإنسان في الاختيار؟ فعلى سبيل المثال، ما دامت مشيئة الله هي أن يَخلُص جميع النَّاس (١تيموثاوس ٢: ٤)، لماذا لا يَخلُص الجميع؟ ولماذا يَسمح الله بحدوث أمورٍ خاطئة في العالم؟ وهل يُدير الله عالمنا وحياتنا الفرديَّة؟ أَم أنَّه لا يتدخَّل، ويَسمح للأشياء بأن تأخذ مَجراها الطَّبيعيّ؟

لقد شُنَّت حروب لاهوتيَّة على هذه الأسئلة نفسها. ومع أنَّنا لن نحاول دحض جميع الآراء التي لا نَتَّفق معها، فإنَّنا نَوَدُّ أن نقول، ببساطة مُتناهية، إنَّ سيادة الله، والأحداث التي تجري في حياة الإنسان، وإرادة الإنسان الحُرَّة تشترك جميعها في تشكيل نظرة المرء السَّليمة إلى الحياة. فقد قام الله، بمُقتضى سيادته، لا بخلق العالم فحسب، بل وأيضًا بالإشراف عليه وإحاطته بقدرته ومقاصده. وفي الوقت نفسه، فإنَّ الله «يَسمح للعالم بالمُضيِّ قُدُمًا» وفق قوانين مُحَدَّدة ومبادئ مُعيَّنة وضعها هو. بعبارة أخرى، إنَّ الإنسان يستطيع أن يرى السَّبب والنَّتيجة في كلِّ شيء مِن حوله مع أنَّه لا يَرى يَدَ الله. وفي إطار هذه القوانين والقيود، أعطى اللهُ الإنسانَ حُرِّيَّةً. فالإنسان قادرٌ على الاختيار.

ولا شَكَّ أنَّ الإنسان المحدود عاجز عن إدراك هذه السِّيادة الإلهيَّة المُطلقة وهذه الحكمة الإلهيَّة التي تَسمح بوجود الخطيَّة، وتُعطي الإنسان حُرِّيَّة الاختيار، وتَسمح للأشياء بأن تأخذ مجراها الطبيعيّ، وتَجعل- في الوقت نفسه- كُلَّ الأشياء تَعمل معًا للخير في حياة الأفراد (رومية ٨: ٢٨). ولكن يمكننا أن نَقبل هذا الحَقَّ بالإيمان. ويمكننا أن نختبره. ولكنَّه يبقى أكبر وأعظم مِن قدرتنا على الاستيعاب.

والآن، كيف ترتبط كلُّ هذه الأشياء بالعزوبة؟

أوَّلًا، إنَّ النَّظر إلى الأمر بهذه الطَّريقة يُتيح للمرء حُرِّيَّة تقييم الأحداث غير المُبْهِجَة في حياته (والتي هي خارج نِطاق سيطرته) وقبولها كجزءٍ مِن سياق التَّاريخ البشريِّ. فليست جميع الأشياء في حياته هي «مشيئة الله» بالمعنى المباشر. فقد تكون عُزوبته ناشئة عن خيانة، أو حادث، أو سوء فهم، أو أيِّ سبب آخر. مِن جهة أخرى، فإنَّه يمتلك مُطلق الحُرِّيَّة في استخدام حِكمته لتقييم التَّغييرات التي قد تطرأ على حالته. بعبارة أخرى، إذا وجد المرء نفسه، بعد سنواتٍ مِن العزوبة، في وضع يَجعل الزَّواج مُحتملًا، لا ينبغي له- بالضَّرورة- أن يَنظر إلى الأمر كما لو كان «علامةً مِن السَّماء». ولكن يمكنه- بكُلِّ تأكيد- أن ينظر إليه كموقف يقتضي منه استخدام الحكمة نفسها التي استخدمها طَوال حياته. فليس بالضرورة أن يكون الله قد غيَّر رأيه، ولكن ما تغيَّر هو الظروف التي يجتاز فيها هذا الشخص.

ثانيًا، إنَّ هذه النَّظرة إلى الحياة تُعطينا الحُرِّيَّة في أن نَقبل كلمة الله- لا تفسيرنا للأحداث البشريَّة- بوصفها المصدر الرَّئيسيّ لمشيئة الله. وعندما نُدرك أنَّ مشيئة الله قد أُعلِنَت بوضوح مِن خلال المبادئ التي نقرأها في كلمته، يجب علينا أن نُدرك أيضًا مسؤوليَّتنا عن دراسة كلمة الله ومُمارسة الحكمة في خياراتنا. فهناك أشخاص كثيرون، ومنهم العُزَّاب، يُعانون تشويشًا بسبب محاولة تفسير مشيئة الله مِن خلال تحليل أحداث الحياة بصورة أساسيَّة. وهم لا ينجحون في اتِّخاذ قرارات حاسمة لأنَّ كُلَّ ظرفٍ جديد يُفسح المجال أمامهم لاحتمالات أخرى. وقد يكون أيٌّ منها هو مشيئة الله. لذلك، فإنَّ عمليَّة اتِّخاذ القرارات لديهم هي أشبه ما يكون باليانصيب. فعندما يَتَّخذون قرارًا، فإنَّهم يأملون في أن يكونوا قد أصابوا «رقم الحَظِّ» لمشيئة الله. ويا لها مِن راحة في أن يَخرج المرء مِن دائرة الشكِّ الدَّائم هذه، وأن يدخل إلى رِحاب كلمة الله الثَّابتة. «إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ....سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (المزمور ١١٩: ٨٩، ١٠٥).

ولا شَكَّ أنَّ الله يَعمل أحيانًا على فَرْض مشيئته علينا في قرارات مُعَيَّنة. فعلى سبيل المثال، فقد قاد اللهُ فيلبُّس إلى الوزير الحبشيِّ. ولكِنَّه يتوقَّع مِنَّا، في أغلب الأحيان، أن نَتَّخذ قراراتنا مِن خلال تطبيق الحكمة التي اكتسبناها مِن كلمته على المواقف الحياتيَّة.

أمَّا البَرَكة الثَّالثة التي نَحصل عليها عندما نُدرك أنَّ سيادة الله واسعة النِّطاق حتَّى إنَّها تَسمح بتدفُّق التَّاريخ البشريِّ وبممارسة الإنسان حُرِّيَّة الاختيار، فهي أنَّنا نَعلم أنَّنا نمتلك الحُرِّيَّة التي نحتاج إليها لتسليم حياتنا لمشيئته الصَّالحة. فقدرة الله المُطلقة تجعله قادرًا على تحقيق مشيئته في حياة شعبه دون التَّلاعب بمجرى الأحداث الطبيعيِّ. لذلك، مع أنَّ بقاءنا دون زواج قد يكون نَصيبنا لأسباب «مُجْحِفَة وظالمة»، فإنَّ الله قادر على استخدام كُلِّ ما يَحْدُث في حياتنا لتحقيق مقاصده فينا ومِن خلالنا. ولا شكَّ أنَّ الشَّخص الذي يستودع حياته بأسرِها بين يدي الله سيختبر آلاف الأشياء التي قد تبدو أسباب حدوثها- في الظَّاهر- خارج مشيئة الله؛ ولكنَّه سيجد أنَّ هذه الأشياء نفسها تجري على نحوٍ رائعٍ وبديعٍ لتحقيق قصد الله في حياته حتَّى إنَّه يعجز عن وصفه. «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨).

لذلك، هل هي مشيئة الله أن أكون أعزبًا؟ ربَّما. ولكنَّ السُّؤال الأكثر أهميَّةً هو: «هل وَضَعْتُ عُزوبتي بين يَدَيِ اللهِ؟» كذلك، «هل أستخدم عزوبتي بما يَتَّفق مع كلمة الله؟» فإن كانت الإجابة عن هذين السُّؤالين هي: «أجل»، يمكن لأيِّ شخصٍ أن يقول بملء الثِّقة: «أنا في صميم مشيئة الله». وإذا شَعَر- ذات يومٍ- بأنَّ هناك فرصة للزَّواج، فإنَّه يمتلك كُلَّ المقوِّمات التي يحتاج إليها لاتِّخاذ القرار الحكيم والمناسب. فحيث أنَّه قد قام بكُلِّ خطوة في مرحلة العُزوبة وفقًا للمبادئ التي تُعَلِّمها كلمة الله، مِن المؤكَّد أنَّه لن يسير خُطوة واحدة خارج مرحلة العُزوبة إن كانت هذه الخطوة تُخالف هذه المبادئ.

الظُّروف

إنَّ العامل الثَّالث الذي يُنظر إليه- عادةً- كسبب في العزوبة هو الظُّروف. وبقدر ما يرتبط هذا الأمر- في أغلب الأحيان- بمشيئة الله، فإنَّ النِّقاش السَّالف قد زَوَّدنا بمبادئ عديدة لفهم الأمر. ومع ذلك، ينبغي لنا أن نوضِّح بِضْع نقاط.

أوَّلًا، إذا كان المرء يَختبر نُموًّا مستمرًّا في علاقته بالله مِن خلال كلمته، فإنَّ الظُّروف

ستكون براهين جديدة ومُهِمَّة تؤكِّد مشيئة الله. فهناك أشخاص كثيرون مُستعدُّون للشَّهادة عن بَرَكة الله، وإرشاده، وتوقيته في أحلك الأوقات مِن حياتهم.

قصَّة مِن واقع الحياة

كانت «تينا» شابَّة عزباء تُعَلِّم في مدرسة مسيحيَّة. ولكن بسبب شخصيَّتها وقدراتها، كانت تَشعُر بأنَّها قد تَصلُح للعمل في مهنة التَّمريض أكثر مِن مهنة التَّعليم. صَلَّت تينا في الأمر واستفسرت عن تفاصيل البرنامج التَّدريبيِّ لمهنة التَّمريض. ولأسبابٍ عديدة، كانت نفقات الدِّراسة تَفوق قدراتها الماليَّة. لذلك، فقد قَبِلَت تينا الأمر ونَظَرت إليه بوصفه تأكيدًا مِن الله بأنَّه ينبغي لها مُتابعة عملها كمُعَلِّمة- لا أن تَدرس التَّمريض في الوقت الحاضر.

وبعد سنوات، كانت تينا تُعَلِّم في مدرسة أخرى حين عَلِمَت بوجود معهدٍ صغير للتَّدريب على التَّمريض أقرب إلى بيتها وأرخص تكلفةً مِن المعهد السَّابق. كذلك، كانت لديها صديقة مؤمنة ترغب في دراسة التَّمريض أيضًا. وهكذا، فقد التحقت تينا وصديقتها بالدِّراسة. وكان إيمانهما وصداقتهما عونًا رائعًا لكلتيهما- ولا سيَّما في فترة الدِّراسة الصَّعبة.

ولكن كما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ الظُّروف قد تكون مُربكة للمرء الذي يضع كُلَّ اتِّكاله عليها لمعرفة مشيئة الله. ومِن وجهة نظرنا، قد تبدو الظُّروف فوضويَّة أحيانا، بل وحتَّى مُناقضة لوعود الله. وهذا يُذَكِّرنا بأيُّوب. فما دامت الظُّروف المُتقلِّبة قد تَسَبَّبت في إرباك شخصٍ حكيمٍ كأيُّوب، أليس مِن البديهيِّ أن تكون سببًا في إرباك أشخاصٍ عاديِّين مِثلنا؟ بلى! لذلك فإنَّ أفضل نصيحة يمكن تقديمها لجميع الأشخاص (عُزَّابًا كانوا أو متزوِّجين) في وسط الظُّروف المُتقلِّبة هي أن يَتبعوا شهادة أيُّوب نفسه إذ قال: «هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ» (أيُّوب ١٣: ١٥).

وبمعزل عن الظُّروف التي تُساعد النَّاس أو تُربكهم عند تفكيرهم في اختيار حياة العُزوبة، هناك ظروف أخرى خارجة عن إرادتهم تُرغمهم على عدم الزَّواج. وتَذكُر «إيفيلين موماو» ظُروفًا عديدةً قد تدفع المرء إلى العزوبة (وقد بقيت إيفيلين نفسها عزباء إلى ما بعد السِّنِّ «الطَّبيعيَّة» للزَّواج).[١٣]

١. عدم التَّكافؤ بين أعداد الذُّكور وأعداد الإناث المؤهَّلين للزَّواج. ففي بعض الدُّول، نجد أنَّ عدد الإناث يَفوق كثيرًا عدد الذُّكور. وفي دول أخرى، قد نجد الأمر معكوسًا. وبغض النّظر عن هذا الوضع، وفي ضوء المعايير المسيحيَّة للزَّواج وغيرها مِن العوامل، قد يعاني أيُّ مجتمعٍ محلِّيٍّ كَنَسيٍّ نقصًا في أعداد الأشخاص المؤهَّلين للزَّواج (سواء مِن الذُّكور أو الإناث).

٢. المسؤوليَّات المُلقاة على عاتق المرء قد لا تَسمح له بالزَّواج. فإذا كان الشَّخص يَعتني بأشخاصٍ غير قادرين على إعالة أنفسهم، أو بشخص مُعاق في العائلة، قد يقتضي الأمر منه أن يبقى دون زواج. وقد ينخرط أُناسٌ في خدمة مسيحيَّة تَحول دون زواجهم فيبقون عُزَّابًا. ويبدو أنَّ الرَّسول بولس كان أحد هؤلاء الذين يَرَون أنَّ مسؤوليَّاتهم لا تَسمح لهم بالزَّواج.

٣. الشَّخص المُصاب بإعاقة ما قد يُلغي فكرة الزَّواج. ونقتبس هنا كلمات السيِّدة «موماو»: «مِن المدهش حقًّا أنَّ أناسًا كثيرين مُصابين بالعمى أو الصَّمَم أو الشَّلل أو المرض قد تَزَوَّجوا. ومع ذلك فقد كانت هذه العوامل نفسها سببًا في تأجيل زواج كثيرين أو إلغائه».[١٤]

٤. إنَّ ضِيْق الزَّمان الحاضر جَعَل الزَّواج غير مُتاحٍ لبعض النَّاس. ويبدو أنَّ هذا هو السَّبب الكامن وراء النَّصيحة التي قَدَّمها الرَّسول بولس إلى كنيسة كورنثوس. فقد شَجَّعهم جميعًا قائلًا: «الدَّعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَلْيَلْبَثْ فِيهَا» (١كورنثوس ٧: ٢٠). ويمكننا أن نَلحظ في الأصحاح نفسه أنَّ الرَّسول بولس يَميل إلى التَّشجيع على عدم الزَّواج «لِسَبَبِ الضِّيقِ الحَاضِرِ» (العدد ٢٦)، وهذا التشجيع يجب فهمه في ضوء «الضيق الحاضر» الذي كان المؤمنون يعيشون فيه وليس كقاعدة عامَّة. وعبر القرون، وجد المؤمنون المسيحيُّون أنفسهم في مواقف تَحول دون زواجهم. وفي أوقاتٍ أخرى، كان «الضِّيق» الذي يتحدَّث عنه بولس الرَّسول يَتَمَثَّل في الاضطهاد، أو الفقر، أو رُبَّما الفقر النَّاشئ عن الاضطهاد.

وكما أشَرنا (ضِمنيًّا) آنفًا، فإنَّ العوامل الخارجيَّة التي تُرغِم المرء على عدم الزَّواج قد تُفضي إلى شعورٍ بالامتعاض. وسوف نتحدَّث في جزءٍ آخر مِن هذا الفصل عن بعض الأمور التي قد تساعد في تَجَنُّب هذه المشاعر السلبيَّة. أمَّا الآن، سنُرَكِّز حديثنا- مِن جديد- على فكرة أنَّ تسليم حياتنا لله هو أساس شعور الإنسان (الأعزب أو المتزوِّج) بالاكتفاء. لذلك فإنَّ السَّبب الكامِن وراء عزوبتنا ليس أكثر أهميَّة مِن علاقتنا وشركتنا بالله الحيِّ.

ما الأمور التي ينبغي تَوَقُّعها؟

إنَّ مواقف العائلات والمجتمعات قد تترك تأثيرًا هائلًا على العُزَّاب- ولا سِيَّما عندما يُفَكِّرون في احتماليَّة بقائهم دون زواج. فالنَّاس ينظرون- عادةً- إلى العُزوبة نظرة دُونِيَّة. وعندما يَدخل الشَّابُّ أو الفتاة سِنَّ الثَّلاثين أو الأربعين، فإنَّهم يتعرَّضون لضغوطٍ أكبر كي يتزوَّجوا. وما أكثر ما يُنظَر إلى العُزَّاب مِن النِّساء والرِّجال كما لو كانوا ناقصين لأنَّهم لم يتزوَّجوا!

ومع أنَّنا كُنَّا نَتمنَّى أن تبقى هذه العقليَّة خارج إطار الكنيسة والمؤمنين، فإنَّ الواقع يقول إنَّ الضُّغوط نفسها تُمارس على العُزَّاب في أوساط المؤمنين. كذلك، فإنَّ هناك ضغوطًا أُخرى يمارسها المؤمنون على العُزَّاب دون أن يُدركوا ذلك. وعلاوة على هذه العوامل الخارجيَّة، هناك أيضًا مشاعر الأعزب المُختلطة التي يُساء فهمها أحيانًا، وردود أفعاله، ورغباته. ولكن لا يَجْدُر بنا أن نَظُنَّ أنَّ جميع المشاعر الداخليَّة أو حتَّى الضُّغوط الخارجيَّة خاطئة. ومع أنَّ العُزَّاب يواجهون صراعاتٍ بسبب عزوبتهم، فإنَّهم يحصلون على فُرَص كثيرة أيضًا.

لذلك، ما المشاعر المُرافقة للعُزوبة؟ وما الذي يمكن للأعزب أن يتوقَّعه؟ سوف نتطرَّق إلى الجوانب السلبيَّة والإيجابيَّة مِن هذه الأسئلة. وقد تَعَمَّدنا البدء بالجوانب السلبيَّة لكي نُنهي حديثنا بإيجابيَّة ومعنويَّات عالية. وبعد أن ننتهي مِن وَصْف العُزوبة، سنذكر بعض الإرشادات التي قد تساعد في التَّأقلم مع العوامل السلبيَّة وفي استغلال الفرص الإيجابيَّة.

العوامل السلبيَّة في حياة العُزوبة

١. مِن المُرَجَّح أنَّ الأعزب سيُصدَم بتوقُّعات الآخرين وإلحاحهم بضرورة أن يتزوَّج. ولا شَكَّ أنَّ الضَّغط يكون شديدًا لدى العُزَّاب الأصغر سنًّا. ومع أنَّ هذا- في حَدِّ ذاته- قد لا يكون سلبيًّا، فإنَّه قد يصير سلبيًّا أحيانًا، أو قد يُنظَر إليه مِن الشَّخص الأعزب على أنَّه سلبيّ. والحقيقة هي أنَّ الجانب السلبيَّ يزداد حِدَّةً عندما يكون الأعزب راغبًا في الزَّواج ولكنَّه غير قادر على ذلك. وإذا كان لدى الأعزب إخوة وأخوات أصغر سِنًّا قد تَزَوَّجوا، قد يَشعر الأعزب بمشاعر غير مُريحة يلمسها الآخرون ويتساءلون بشأنها تحت عنوان «ما المشكلة؟ لماذا لا يستطيع الزواج؟» وإذا ابتدأوا بطرح الأسئلة وإبداء الملاحظات، قد يزداد الضَّغط عليه فيصرخ في أعماقه قائلًا: «أنا غير قادر على تحقيق ما يتوقَّعه الآخرون مِنِّي!»

٢. قد يَشعُر الأعزب أحيانًا بأنَّه متروك ومهجور. وهذا هو ما قالته إحدى العازبات: «أنا لا أجد مكاني وسط الشُّبَّان والفتيات، ولا وسط المتزوِّجين. لا أدري أين مكاني!» وفي هذا الوقت الذي تتعرَّض فيه العائلات- عامَّةً- لهجمات شرسة، وفي الوقت الذي تفوق فيه أعداد المتزوِّجين أعداد العُزَّاب، وفي الكنائس التي يهتمُّ فيها القادة بالعائلات أكثر مِن غيرهم مِن خلال العظات والنَّدوات والكتب الموجَّهة إلى العائلة، لا شَكَّ أنَّ العُزَّاب سيشعرون بأنَّهم مُهْمَلون. ومِن دواعي الأسف أنَّ شعورهم هذا قد يكون صحيحًا.

٣. قد يشعر الأعزب أحيانًا بأنَّ لا أحد يَفهمه. فالإنسان يَتوق دومًا إلى أن يكون معروفًا، ومفهومًا، ومقبولًا مِن الآخرين. ويُعَدُّ هذا واحدًا مِن أقوى الرَّوابط الزَّوجيَّة. والمؤسف هو أنَّ عُزَّابًا كثيرين لا يُدركون أنَّ هناك أزواجًا كثيرين يتوقون- بالقدر نفسه- إلى وجود شخص يفهمهم. وهُم يُعانون أكثر مِن العُزَّاب لأنَّهم يُدركون أنَّه ينبغي لشريك الحياة أن يَسدَّ هذه الحاجة؛ ولكنَّ شريك الحياة لا يقوم بدوره. وبالرَّغم من ذلك، فإنَّ العُزَّاب يواجهون في أغلب الأوقات شعورًا بالإحباط بسبب رغبتهم في كشف مكنونات قلوبهم لشخصٍ آخر، ولكنَّهم غير قادرين على ذلك.

٤. قد يشعر الأعزب أحيانًا بأنَّه شخص عديم الفائدة. وهذا هو- في الواقع- الوجه الآخر لإحدى منافع العُزوبة- «الحُرِّيَّة». فلأنَّ العُزَّاب لا يُعيلون أحدًا عادةً، فإنَّهم يمتلكون- في أغلب الأحيان- حُرِّيَّة أكبر مِن غيرهم للذَّهاب والمجيء كيفما يشاءون. والمشكلة هي أنَّهم قد يُبالغون أحيانًا في هذه الحُرِّيَّة. وحين يقعون في هذا الفَخِّ، يبدو أنَّ النَّاس لا يعودون يَتَّكلون عليهم في أيِّ شيء مفيد. وهناك مشكلة أخرى وثيقة الصِّلة بهذه قد تحدث في العائلات ألا وهي أن يَشعُر العُزَّاب بأنَّ الآخرين يَستغلُّونهم. فلأنَّهم «أحرار» (بمعنى التحرُّر مِن الأعباء والمسؤوليَّات العائليَّة)، قد يتوقَّع منهم إخوانهم المتزوِّجون وأخواتهم المتزوِّجات أن يقوموا بالأشياء التي لا يرغبون في القيام بها. ومِن وجهة نظر العُزَّاب، فإنَّ الآخرين يرغبون في وجودهم، ولكن لغاية واحدة فقط ألا وهي القيام بالمهام الصَّعبة أو غير المرغوب بها. ومع أنَّ الأمر قد يبدو كذلك، فإنَّه- ويا للأسف- قد يكون كذلك حقًّا أحيانًا.

٥. الأعزب مُعَرَّض دائمًا للوقوع في التَّجارب الجنسيَّة. والحقيقة هي أنَّ جميع الأشخاص مُعَرَّضون لهذه التَّجارب. ولكن في هذا العصر الذي تكثر فيه التَّجارب الجنسيَّة، قد يشعر

العُزَّاب أحيانًا بأنَّ التَّجارب التي يواجهونها تفوق الوصف. ولكنَّ المشكلات لا تأتي مِن الخارج فحسب. فالرَّغبات الجسديَّة على أهبة الاستعداد للتَّعاون مع التَّجارب الخارجيَّة. لذلك، قد يشعر الشَّخص بصراعٍ مرير. وقد تتفاوت حِدَّة هذه المشكلة من يومٍ لآخر، ومن شخصٍ لآخر، ومن مرحلةٍ لأخرى مِن مراحل الحياة. ولكنَّ الشَّيء المؤكَّد هو أنَّ الجميع يواجهون هذه التَّجارب.

٦. لا بُدَّ للأعزب أن يخوض صراعات تَخُصُّ هُويَّته وشخصيَّته. فعلى سبيل المثال، فإنَّ جميع النَّاس لا يُحِبُّون علامات التقدُّم في العُمر. ولكنَّ العُزَّاب- خاصَّةً- يحاولون في أغلب الأحيان إخفاء أعمارهم الحقيقيَّة والحفاظ على نضارتهم. وقد يعاني بعضهم صراعًا بسبب سعيهم الدَّائم لإثبات كفاءتهم. وقد يكون هذا الدَّافع قويًّا جدًّا عند الأعزب الذي عانى وتألَّم بسبب فشل علاقته العاطفيَّة. والحقيقة هي أنَّ هذه الصِّراعات الخاصَّة بالهُويَّة تزداد حِدَّةً دائمًا إذا أصَرَّ العُزَّاب على رفض حياة العُزوبة. وبالمقابل، فإنَّ حِدَّتها تَخِفُّ إذا قبلوا حياة العُزوبة قبولًا حقيقيًّا.

وسوف نُقَدِّم المزيد من الإرشادات للتكيُّف مع هذه العوامل السلبيَّة للعُزوبة بعد أن نتطرَّق إلى بعض العوامل الإيجابيَّة.

العوامل الإيجابيَّة في حياة العُزوبة

١. لقد ذَكَرنا للتوِّ أنَّ الأعزب لا يكون مسؤولًا عن عائلة في الحالات العاديَّة. وهذا يجعله «حُرًّا طليقًا»، أو كما قال بولس الرَّسول في ١كورنثوس ٧: ٣٢: «بِلا هَمٍّ».

٢. في ضوء تَحَرُّر الأعزب من المسؤوليَّات العائليَّة، فإنَّه يكون- عادةً- قادرًا على التنقُّل. فبإمكانه أن يُغَيِّر مكان عمله أو سكنه أو مهنته بسهولة. كذلك، مِن الأسهل على الأعزب أن يَتَكَيَّف مع الظُّروف الطَّارئة بأقل قدرٍ مِن الضَّغط والتوتُّر. ومع ذلك، فإنَّ هذه المرونة تتراجع في أغلب الأحيان بتقدُّم العُمر. وفي ما يَخُصُّ العازبات الأكبر سِنًّا، قد تبدو التَّغييرات الكبيرة وكأنَّها تنطوي على تهديد كبير. ومِن شأن هذا الشُّعور أن يَجعل التكيُّف صعبًا جدًّا لديهنَّ.

٣. إنَّ الأعزب هو شخص قادر- في أغلب الأحيان- على تركيز كُلِّ جهده وتفكيره على عمله. وكُنَّا قد نَصَحنا في الفصل الخاصِّ بالتَّعارُف بإبعاد الذِّهن عن الرَّغبات الجنسيَّة مِن خلال

التَّركيز على أهداف أخرى. ولا شَكَّ أنَّ المؤمن الأعزب قادر- في أغلب الأحيان- على تركيز طاقته على دعوة الله لحياته، أو رُبَّما على عمله. فذات يوم، نَظَر يسوع إلى تلاميذه وقال: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِـــي. لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِـي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِـي وَأُمِّي» (إنجيل مَتَّى ١٢: ٤٩ و ٥٠). ومع أنَّ يسوع قَصَدَ شيئًا آخر هنا أيضًا، يبدو أنَّه يقول إنَّه وَجَّه طاقته وأهدافه- التي كان بمقدوره أن يستخدمها وسط عائلته- نحو مأموريَّته على الأرض. وقد أمكنه القيام بذلك لأنَّه كان أعزبًا.

٤. يستطيع الأعزب- في أغلب الأحيان- مساعدة عائلته بطرائق يعجز عنها إخوته المتزوِّجون وأخواته المتزوِّجات. فالأبوان المُسِنَّان والإخوة والأخوات المُعاقون يحتاجون إلى رعاية يستطيع العُزَّاب القيام بها عادةً. وفي أوقاتٍ مُعيَّنة، قد تكون هناك أحوال ماديَّة صعبة في العائلة تدفع المرء إلى اختيار حياة العُزوبة (بدلًا مِن الزَّواج) لِسَدِّها.

٥. باستطاعة الأعزب- في أغلب الأحيان- أن يَخدم الربَّ بطرق تستعصي على المتزوِّجين. لذلك، نجد في أغلبيَّة الخدمات الإرساليَّة، وكُلِّيَّات اللَّاهوت، ومراكز الرِّعاية الصِحِّيَّة المسيحيَّة وظائف شاغرة مناسبة للعُزَّاب فقط بسبب طبيعة المهام المطلوبة منهم.

٦. مِن البديهيِّ أنَّ الحاجات المادِّيَّة للشَّخص الأعزب أقَلُّ بكثير مِن حاجات العائلة المؤلَّفة مِن زوجين وأبناء. لذلك، قد يتمكَّن العُزَّاب أحيانًا مِن تخصيص مزيدٍ من الوقت أو المال لعمل الربِّ. ولطالما تَرَك المؤمنون العُزَّاب وراءهم سِجِلًّا حافلًا بالعطاء والتَّضحية. ولا شَكَّ أنَّ الرَّبَّ يسوع والرَّسول بولس مَثَلان واضحان على العُزَّاب الذين أسهمت حاجاتهم المادِّيَّة البسيطة في امتداد ملكوت الله. فيسوع لم يكن يمتلك منزلًا (إنجيل لوقا ٩: ٥٨). كذلك، فإنَّ الرَّسول بولس لم يَقبل أجْرًا مادِّيًّا مُقابل خدمته أحيانًا (انظر ١كورنثوس ٩).

٧. قد يَختبر العُزَّاب أحيانًا نعمة الله وأعماق الشَّركة معه على نحوٍ لا يُدركه المُتزوِّجون. فقد تصير حاجاتنا هي النَّافذة التي نَرى من خلالها مجد الله بوضوح أكبر. فعلى سبيل المثال، فإنَّ يوسُف الصِّدِّيق عانى وتألَّم وشعر بالوحدة أثناء وجوده وحيدًا في مصر. ومع ذلك، فإنَّ الكتاب المقدَّس يقول: «وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ» (تكوين ٣٩: ٢). ومِن خلال تلك العلاقة والشَّركة العميقة مع الربِّ، تَمَكَّن يوسُف مِن مقاومة إغواء زوجة فوطيفار وأظهر حكمة عظيمة في حياة التَّقوى والطَّهارة. لذلك، سواء كُنَّا في حاجة إلى الحكمة، أو القوَّة، أو الرِّفقة، أو أيِّ شيءٍ آخر، يمكننا أن نَتَّكل على الربِّ. فمِن خلال اتِّكالنا عليه،

سنفهم مشيئته بوضوحٍ أكبر، وسندخل إلى أعماق جديدة في الشَّركة معه. وباستطاعة العُزَّاب أن يروا قدرة الله على سَدِّ حاجتهم إلى رفيق. وحينئذٍ، يمكنهم أن يقولوا بملء الفرح: «الربُّ رَاعِيَّ فَلا يُعْوِزُني شَيْء» (المزمور ٢٣: ١).

ما الأمور التي ينبغي تَجَنُّبها؟

بعد أن تطرَّقنا إلى بعض العوامل السلبيَّة والإيجابيَّة لحياة العزوبة، سنذكر الآن مجموعة نقاط قد تُسهم في حَلِّ مشكلات العُزوبة والاستفادة مِن إيجابيَّاتها. ولا شَكَّ أنَّه لا يكفي أن نَعرف الأمور التي ينبغي تَجَنُّبها في حياة العُزوبة. فيجب علينا أن نَعرف أيضًا كيفيَّة تجنُّبها. لذلك، ستجد اقتراحات عمليَّة مع كُلِّ تحذير.

١. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا الوَحدة.** ولا شَكَّ أنَّه ليس بمقدور العُزَّاب أن يكونوا دائمًا برفقة آخرين. ولكنَّ المهمَّ هو أن لا ينسحبوا مِن العلاقات الاجتماعيَّة وأن لا يَعزلوا أنفسهم عن الآخرين.

- احرص على بناء صداقات حميمة مع أشخاصٍ مِن نفس الجنس. وقد كان داود ويوناثان (في العهد القديم) صديقين حميمين. وإذا كنت تواجه مشكلة في تكوين الصَّداقات الحميمة، ادرس موضوع الصَّداقة. والحقيقة هي أنَّ سِفْر الأمثال يحوي مبادئ كثيرة مفيدة بهذا الخصوص.
- اقبَل دعوات العائلات للتعرُّف إليهم. لا تَعتذر، ولا تَشعر بأنَّك تَتَطَفَّل عليهم. فأنت في حاجة إليهم، وهُم في حاجة إليك.
- استمتع برفقة أصدقائك بين الحين والآخر- بما في ذلك العائلات. يمكنك أن تدعوهم للخروج معك لتناول القهوة أو الحلويات. يمكنكم أيضًا القيام بنُزهة معًا إلى أحد المنتزهات. أو يمكنك دعوتهم لحضور حفل أو نشاط خاصّ في الكنيسة.
- اخْتَر أشخاصًا يمكنك اللُّجوء إليهم طلبًا للنُّصح والمشورة عندما يتعيَّن عليك اتِّخاذ قرارات مهمَّة. فالانفراد في اتِّخاذ القرارات المهمَّة هو واحد من المزالق التي يقع فيها العُزَّاب. فإذا كنت عضوًا في كنيسة جيِّدة، تَذَكَّر أنَّك لست مُضطرًّا لاتِّخاذ قراراتك المهمَّة منفردًا.

- حافظ على علاقتك بأفراد عائلتك قدر الإمكان. ادْعُ أبناء أخيك أو أختك لزيارتك أو للخروج في نُزهة معًا. وفي حال عدم وجود أقارب، يمكنك القيام بالأمر نفسه مع أشخاصٍ مِن الكنيسة. كذلك، يمكنك مساعدة الأقارب مِن خلال مُجالسة أطفالهم أثناء غيابهم، أو مِن خلال الاهتمام بحديقتهم المنزليَّة، أو مِن خلال المساعدة في تنظيف البيت وصيانته، وغير ذلك.

٢. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا الانغماس في أنفسهم وشؤونهم.** فالعُزَّاب معرَّضون للوقوع في مشكلةً يمكننا أن نُسَمِّيها «التَّمركز حول الذَّات». وهذا لا يعني أنَّهم أكثر أنانيَّة- بطبيعتهم- مِن الآخرين، بل إنَّ حياة العزوبة قد تجتذبهم بسهولة إلى التَّمركز حول أنفسهم. وعلاوة على مخاطر العُزلة الاجتماعيَّة التي تَطَرَّقنا إليها في النُّقطة السَّابقة، هناك أيضًا خطر الأهداف الأنانيَّة في العمل، وخطر الاهتمام بالمصلحة الشخصيَّة في العلاقات، وخطر الانغماس في المُتَع والملذَّات. ويقتضي التَّنويه، مَرَّة أخرى، إلى أنَّ هذه المخاطر لا تقتصر على العُزَّاب، بل هي تَسري على جميع الأشخاص. ولكنَّ المقصود هنا هو أنَّ تَحَرُّر الأعزب مِن المسؤوليَّات العائليَّة قد يُضعف رَهافة حِسِّه تُجاه حاجات الآخرين، أو قد يجعله شخصًا مُنهمكًا في نفسه وشؤونه فقط.

- مارِس العطاء. فالعطاء يتطلَّب حِسًّا مُرهفًا وإدراكًا لحاجات الآخرين. كذلك، فإنَّ إدراك حاجات الآخرين يتطلَّب منك التَّفكير فيهم. والعطاء لا يقتصر على الأمور الماليَّة فحسب. فالأعزب قادر على العطاء مِن خلال توفير وسيلة مواصلات للآخرين، ومِن خلال زيارة المرضى أو الأشخاص الوحيدين، أو مِن خلال مشاركة الطَّعام مع المحتاجين، أو مِن خلال مساعدة الآخرين في القيام بعملهم.

- تَعَهَّد بالاهتمام بمجموعة مِن الأطفال أو الأشخاص المُسِنِّين وعاملهم كما تُعامل أفراد عائلتك. وهذه نُقطة مهمَّة في حياة الأعزب الذي ليست لديه عائلة قريبة من مكان إقامته. بالرَّغم من ذلك، لا تُبالغ في تدليلهم، بل ابحث عن فرص لمساعدتهم بطرائق نافعة ودائمة. فعلى سبيل المثال، إذا كنت تَهتمُّ بمجموعة مِن الأطفال، اعلم أنَّ الكُتُب هي استثمار أفضل مِن الحلوى. وإذا تَعَهَّدت بمساعدة مجموعة مِن الأطفال، ابحث لا عن الأطفال الذين يوجد مَن يعتني بهم جيِّدًا، بل عن الأطفال المُهمَلين.

- اطلب مِن الربِّ أن يَكشف لك بعض الطَّرائق التي يمكنك مِن خلالها خدمة الآخرين

في عملك. اكتب لائحة بالأشياء التي يمكنك القيام بها، وضَعْ خُطَّة للقيام بالأمور التي تبدو عمليَّة.

٣. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا الوقوع في فَخِّ الكآبة كَرَدِّ فعلٍ سلبيٍّ على حياة العُزوبة.** فهناك أشخاص يختارون حياة العُزوبة بأنفسهم. ولا شَكَّ أنَّ هؤلاء لا يشعرون بهذه المشاعر السلبيَّة بالقدر الذي يختبره الأشخاص الذين فُرِضَت عليهم حياة العُزوبة رغمًا عن إرادتهم. والحقيقة هي أنَّ هناك مَزالق كثيرة يمكن أن يَقَع فيها العُزَّاب. وإليك أربعة منها:

أ. **الامتعاض.** فقد يَشعر العُزَّاب بالغضب أحيانًا بسبب «نصيبهم» في الحياة. ومع أنَّهم قد لا يُصارحون الآخرين بذلك، فإنَّ كثيرين منهم يُحَمِّلون الآخرين، وأنفسهم، والحياة، بل وحتَّى الله، مسؤوليَّة إحباطهم وعدم سعادتهم كعُزَّاب. بعبارة أخرى، فإنَّهم يَنظرون إلى أنفسهم كضحايا. وقد لا يُدرك العُزَّاب أنفسهم وجود مشاعر الغضب هذه. فقد تكون هذه المشاعر مكبوتة، أو مُختبئة وراء جدار إنكار الحقيقة. وقد لا يبدو ذلك غضبًا. أو قد لا يبدو ذلك غضبًا مِن حياة العُزوبة. فقد يَطفو على السَّطح في شكل إشفاقٍ على الذَّات، أو في شكل حِدَّة مِزاجٍ عامَّة، أو في شكل عدم مُبالاة. وقد يَطفو ذلك على السَّطح أيضًا في شكل ازدراءٍ بالمجتمع واستهتارٍ بتوقُّعات النَّاس مِن العُزَّاب.

وهذا لا يعني البَتَّة أنَّ جميع العُزَّاب غاضبون في أعماقهم. ولكنَّه يعني- ببساطة- أنَّ الامتعاض هو رَدُّ فعلٍ شائع عند البشر جميعًا عندما لا يحصلون على ما يريدون. وهذا يعني أيضًا أنَّ الامتعاض الذي يبقى دون علاج يؤثِّر سلبيًّا في حياتنا- دائمًا.

ويقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ مُلاحظات النَّاس غير اللَّائقة قد تُوَلِّد امتعاضًا. فقد يقول أحدهم: «ألَمْ تلتقي بعد بفتى الأحلام؟» أو «كيف يُعقل أنَّ شخصًا لطيفًا مثلك لم يتزوَّج حتَّى الآن؟» فقد لا ينزعج الأعزب إن وَجَّه له أحد أصدقائه المقرَّبِيْن سؤالًا كهذا عندما يكونان بمفردهما. أمَّا إذا تَمَّ توجيه سؤالٍ كهذا بحضور آخرين، فقد يكون السُّؤال مُحرِجًا ويُسَبِّب امتعاضًا.

ولا بُدَّ مِن القول إنَّ الأعزب الذي يَسمح للامتعاض بالتَّرعرع في أعماقه يخسر تدريجيًّا فُرصته في زواجٍ سعيد. والسَّبب في ذلك هو- ببساطة- أنَّ الامتعاض يَجعل الشَّخص يُركِّز على نفسه. والأشخاص المُنهمكون في التَّفكير في أنفسهم لا يجذبون الآخرين للزَّواج بهم.

- اقبل حقيقة عزوبتك. وهذا لا يعني- بالضَّرورة- أن تقول: «سوف أقبل حقيقة أنِّي لن أتزوَّج أبدًا»، بل يعني أن تقول: «سوف أقبل حقيقة أنِّي لم أتزوَّج حتَّى الآن».
- اكتب لائحة بالأمور الإيجابيَّة في حياتك. ما الأشياء التي ينبغي أن تشكر الله عليها؟ مَن هم الأشخاص الذين أثَّروا إيجابيًّا في حياتك؟ ما الأشياء التي تستمتع بها والتي لا يمكن لآخرين في عالمنا أن يستمتعوا بها؟
- اكتب لائحة بالأمور الإيجابيَّة عن عزوبتك. ما الأمور التي ساعدتك حياة العُزوبة في القيام بها؟ ما الأماكن التي تَمَكَّنت مِن زيارتها بسبب عزوبتك؟ ما الأمور التي علَّمَك إيَّاها الله كشخص أعزب والتي لم تَكُن لتتعلَّمها في حال زواجك؟
- راقب أنماط تفكيرك بأمانة. هل تشعر بالامتعاض في أعماقك؟ هل تصرف الوقت في التَّفكير: «ماذا لو...؟» هل ترى نفسك ضَحِيَّة؟ تَحَدَّث بصدق إلى الرَّبِّ في هذا الخصوص (يمكنك أن تُصارحه بما تشاء). ابحث عن شخصيَّات في الكتاب المقدَّس يمكنك التمثُّل بها. ادرس حياتهم. اكتب الآيات التي تعكس أنماط التَّفكير الإيجابيَّة عن الحياة. اقرأها. احفظها. أعِد صياغتها بكلماتك. ثُمَّ اشكر الله على التَّغييرات التي يمكن لهذه الأمور أن تُحْدِثَها في تفكيرك.

ب. **انعدام الهدف.** فهناك فَخٌّ آخر قد يَقتنص العُزَّاب وهو انعدام القصد أو الهدف في حياتهم. وهذا يَعكس نمطًا سلبيًّا آخر في التَّفكير. وهو سلبيٌّ لأنه يَحصر العُزَّاب في إطارٍ فكريٍّ يُفضي إلى الشُّعور بالفراغ، وعدم الرِّضا، والإحباط.

وقد يأخذ انعدام الهدف أشكالًا عديدة. ففي المرحلة المُبَكِّرة من العُزوبة، قد يعيش الأعزب- أحيانًا- بعقليَّة «انتظار الخروج مِن النَّفق المُظلم». لذلك، فهو يعمل، ويعيش، ويبني علاقاته كما لو كان كُلُّ شيء مؤقَّتًا (وقد يَفعل ذلك دون وعي). وبسبب هذه العقليَّة التي تَنظر إلى كُلِّ شيء كما لو كان مؤقَّتًا، قد يُضَيِّع العُزَّاب فُرَصًا ثمينة للتَّدريب، أو الخدمة، أو التعلُّم لأنَّهم لا يريدون اتِّخاذ قرارات مهمَّة قبل حدوث ذلك التَّغيير الذي يترقَّبونه.

ومِن دواعي الأسف أنَّ الأعزب قد يُضَيِّع سنوات عديدة مِن حياته في رَتابَة مُضْجِرَة. فالانتظار الطَّويل يصير جدولًا ثابتًا وروتينًا لا مَعنى له. وحينئذٍ، لا يعود الأعزب قادرًا على النُّهوض في الصَّباح لأنَّه يَشعُر بالضَّجر مِن عمله. وقد يَنظر إلى الحياة بمُجملها على

أنَّها مُضْجِرَة وغير مُشبِعَة لقلبه. وكُلَّما تَقَدَّم الأعزب في السِّنِّ، تفاقم شعوره بانعدام الهدف في الحياة.

- لا تتوقَّف عن التعلُّم. فالحياة تُوَفِّر منهاجًا كاملًا في الوعي والتعلُّم. كذلك فإنَّ الطَّبيعة، والنَّاس، والعلاقات، والعمل، وأوقات المرح تُوَفِّر لنا فرصًا مستمرَّة لزيادة فهمنا، واختبار معتقداتنا وتعزيزها، وتوسيع مداركنا، وتطوير مهاراتنا. وبالنِّسبة إلى المؤمن الذي يستمرُّ في تشكيل ذهنه وفقًا لكلمة الله، فإنَّ هذا لا يُعَدُّ تمرينًا ذهنيًّا، بل نُمُوًّا في الحكمة.

- لا تَغفل عن أيِّ فُرَص لزيادة كفاءتك وفعاليَّتك. وهذه النُّقطة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنُّقطة السَّابقة. ولكن في حين أنَّ التعلُّم يمكن أن يُمارَس في الحياة بأسرها، فإنَّ هناك فرصًا تعليميَّة أو تدريبيَّة مُحَدَّدة مُتخصِّصة يمكننا الاستفادة منها. ولا شَكَّ أنَّك لست مُضطرًّا لقبول كُلِّ فُرصة تُتاح لك. لكن- في الوقت نفسه- يجب عليك أن تُقَيِّم الفرص المُتاحة- ولا سِيَّما تلك التي تَتَّفِق مع اهتماماتك أو التي قد تزيد مِن كفاءتك وفاعليَّتك في ملكوت الله.

- ضَع أهدافًا. وقد تتضمَّن الأهداف القصيرة الأجل قراءة كُتُب مُعَيَّنة، أو متابعة دراسات أو مشاريع مُحَدَّدة. أمَّا المشاريع طويلة الأجل فتخُصُّ أشياءً كالخدمة أو المهنة. ويجب أن تكون أهدافك واضحة بالقدر الذي يَحميك مِن التخبُّط، وأن تكون- في الوقت نفسه- مَرِنَة بالقدر الذي يَسمح لك بإجراء التَّغييرات التي تقتضيها الحكمة. والحقيقة هي أنَّ معرفة وُجهتك وما تقوم به هو جزء مُهِمٌّ مِن تَجَنُّب انعدام الهدف.

ج. **أحلام اليَقَظة.** إنَّ الشَّكل الثَّالث للتَّفكير السلبيِّ هو عالم الخيالات أو الأفكار التي لا وجود لها. ولا شَكَّ أنَّ النَّاس جميعًا لديهم أحلام يَقَظة. ولكن هناك أشخاص يستغرقون في أحلام اليقظة كوسيلة للهرب مِن الواقع. وقد يسقط العُزَّاب في هذا الفَخِّ نتيجة عدم قبولهم لأنفسهم أو وضعهم أو حياتهم عامَّةً. وقد تكون أحلام اليقظة- أحيانًا- شكلًا مِن أشكال التَّعويض. فإذا شَعَر الأعزب بأنَّه مرفوض في العالم الحقيقيِّ، قد يَلتجئ إلى صُنع عالمٍ وهميٍّ يَشعُر فيه بأنَّه قويٌّ، وذكيٌّ، وبَطَلٌ، ومتزوِّجٌ، ومحبوبٌ. وقد تكون التخيُّلات الجنسيَّة أيضًا شكلًا مِن أشكال التَّعويض إذ إنَّها تُعَوِّض المرء عَمَّا يفتقده في حياته الحقيقيَّة.

ولكنَّ أحلام اليقظة لا تملأ الفراغ النَّاجم عن الشُّعور بانعدام الهدف في الحياة. فعندما تُستخدم للهروب مِن الواقع، فإنَّها تملأ الذِّهن بالفراغ وتَجعله أكثر كسلًا. وحينئذً فإنَّ الهُوَّة بين العالم الحقيقيِّ والعالم الوهميِّ تَتَّسِع أكثر فأكثر.

وحيث إنَّ الاقتراحات الإيجابيَّة التي قَدَّمناها للتغلُّب على الامتعاض والشُّعور بانعدام الهدف تُساعد في التغلُّب على أحلام اليقظة، فإنَّك تفعل حسنًا إن قرأتَ تلك الاقتراحات مَرَّة أخرى.

- احفظ الآية فيلبِّي ٤: ٨. اعترف بلسانك أنَّك تُخْضِع ذهنك لسُلطان الرُّوح القُدس. حَدِّد كُلَّ يوم الأمور التي تريد لذهنك أن ينشغل بها في «أوقات الفراغ». وقد يتطلَّب هذا تدريبًا. ولكنَّك ستجدهُ مُجديًا إذ إنَّه سيمنعك مِن الضَّياع في عالم الأوهام.
- حَدِّد أيَّ أفكار غير سَوِيَّة تَفتكر فيها. فالتخيُّلات الخاطئة- ولا سِيَّما تلك التي تُشبع الذَّات- تُبنى على مفاهيم مغلوطة مُعَيَّنة. ويمكنك معرفة هذه المفاهيم المغلوطة عادةً مِن طريق التأمُّل في الآيات الكتابيَّة التي تتحدَّث عن هذه المشكلة.
- عَمِّق علاقتك بالله. فوراء تلك العبوديَّة لعالم الأوهام شخصٌ لم يَجِد بعد الشِّبع الذي يريده الله أن يتمتَّع به. فالله هو مصدر كُلِّ هدف ومغزى وشبع في الحياة.

د. **الإنكار.** إنَّ الشَّكل الرَّابع للتَّفكير السلبيِّ الذي يَقَع فيه العُزَّاب عادةً هو إنكار الواقع. فقد يُنكر الأعزب حاجته المُلِحَّة إلى رفيق. وقد يَظُنُّ الأعزب- في عقله الباطن- أنَّ هذه هي الطَّريقة الوحيدة للتكيُّف مع هذا الواقع. وقد يزيد مَيْلُ الأعزب لإنكار مشاعره الحقيقيَّة في حال فشل علاقته العاطفيَّة السَّابقة وانهدام الثقة بسبب خيانة الطَّرف الآخر. فقد نُحاول أحيانًا إخفاء ألمنا. وقد تحاول الفتيات العازبات «إلغاء ردود أفعالهنَّ الأنثويَّة تجاه الرِّجال، والتَّظاهر بالقسوة أو تحجُّر المشاعر لكي يَحمين أنفسهنَّ مِن أيِّ علاقة عاطفيَّة جديدة قد تُسَبِّب لهُنَّ الألم».[١٥] وقد يحاول العُزَّاب أيضًا كَبْح مشاعرهم الحقيقيَّة تجاه النِّساء في محاولة منهم لإقناع أنفسهم بأنَّ هذه المشاعر لم يَعُد لها وجود في حياتهم.

ولكنَّ هذه المشاعر موجودة. والحقيقة هي أنَّ الإنكار لا يُسهم إلَّا في جعل علاقاتنا باردة. فعندما نحاول حماية أنفسنا مِن الألم، فإنَّنا نَحرم أنفسنا مِن أفراح كثيرة.

- كُنْ صادقًا مع نفسك والله في ما يَخُصُّ مشاعرك الداخليَّة. اسأل الله أن يُرشدك إلى التَّجاوب السَّليم مع رغباتك وأشواقك الداخليَّة.
- اتَّخِذ عملك، ودعوتك، وخدمتك في ملكوت الله «رفيقًا» لك. وَظِّف طاقاتك وقدراتك وتكريسك في خدمة الله. وهذا هو ما قاله الرَّسول بولس- في ما يبدو أنَّه وَصْفٌ لخبرته الشخصيَّة-: «غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ» (١كورنثوس ٧: ٣٢).
- ارفض السَّماح لآلام الماضي بمنعك مِن أفراح الحاضر. فالتَّعامُل مع الآخرين يَنطوي دائمًا على مُخاطرة. ولكن إذا رَكَّزنا على الهَدَفَيْن الرَّئيسَيْن للصَّداقة- ألا وهُما: العطاء والرِّعاية- فإنَّنا نُسهم في التَّخفيف مِن المخاطر.

٤. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا مُلاحقة شريك الحياة المُحتمَل.** فمع أنَّ الرَّجُل قد يرغب في التقرُّب إلى إحدى النِّساء، فإنَّه يميل إلى الابتعاد عن المرأة التي تندفع إليه وتُفضي بكُلِّ مكنونات قلبها له. والعكس صحيح أيضًا. فالحُبُّ ليس سَعيًا دؤوبًا من أجل «الفوز» بأحد القلوب. في حقيقة الأمر، إنَّ «الحُبِّ» المتهوِّر يُخفي وراءه أنانيَّة. وفي أغلب الأحيان فإنَّ الشَّخص المُلاحَق يُدرك ذلك في عقله الباطن ويخشى مُتطلَّبات الشَّخص الذي يُلاحقه.

- رَكِّز على الصِّدق في علاقاتك. تَكَلَّم، واضحك، وتفاعل مع الآخرين بصدق واهتمام حقيقيّ.
- اقبَل المعاملة اللَّطيفة التي يُبديها الجنس الآخر واشكرهم عليها بصدق. لا تُبالغ في تقديم الشُّكر، ولا تُجامل. وأفضل طريقة لاختبار صِدق امتنانك هو أن تسأل نفسك: «كيف سيكون رَدُّ فعلي لو صَدَر هذا السُّلوك عن شخصٍ مِن نفس جنسي؟»
- تَذَكَّر دائمًا حقيقة أنَّ الشُّعور الحقيقيَّ بالرِّضا والسَّعادة في الحياة لا يعتمد على الحالة الاجتماعيَّة أو الزوجيَّة للمرء. لذلك، يمكننا إعادة صياغة أمثال ٢١: ٩ على النَّحو التَّالي: «خَيْرٌ لي أن أعيش وحيدًا في شقَّة صغيرة على العيش في قَصْرٍ مع شخصٍ لا أنسجم معه».
- احترم شخصيَّة الآخرين. فإنَّ محاولة السَّيطرة على الآخرين يُعَدُّ هجومًا على خُصوصيَّاتهم. لذلك، إذا شعرت بأنَّك مُهتمٌّ بشخصٍ مِن الجنس الآخر، اسأل نفسك بأمانة عن الأمور التي تجتذبك إليه. حاول أن تَصِف ذلك الشَّخص وصفًا موضوعيًّا آخذًا بعين الاعتبار جوانب القوَّة وجوانب الضَّعف لديه. كُن مُرَهَف الحِسِّ لا مِن جهة مشاعرك تجاه الآخرين فحسب، بل وأيضًا تجاه مشاعرهم هُم أيضًا.

٥. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا استخدام أصدقائهم لِسَدِّ حاجتهم إلى الرِّفقة بطرائق تنتهك مبادئ الصَّداقة السَّليمة.** والحقيقة هي أنَّ العُزَّاب الذين يُبغضون عُزوبتهم مُعَرَّضون للوقوع في هذا الفَخِّ. فعلى سبيل المثال، قد تسعى المرأة العزباء، عن وعي أو دون وعي، إلى سَدِّ حاجاتها للرِّفقة مِن خلال طلب مشورة الرِّجال لا النِّساء (ونحن نتحدَّث هنا عن حاجتها للشُّعور بالأمان، وحاجتها إلى مَن يفهمها، وحاجتها إلى وجود شخصٍ بقربها). وقد تَشعر- دون حتَّى أن تدري- بأنَّ لديها مشكلات دائمة تحتاج لمناقشتها مع ذلك الشَّخص. كذلك، قد يَسعى الرَّجُل الأعزب إلى سَدِّ حاجته إلى الرِّفقة (مِثل حاجته إلى الشُّعور بأنَّه مقبول، وبأنَّ هناك مَن يَعتمد عليه) مِن خلال مساعدة النِّساء والدِّفاع عن حقوقهنَّ. وقد يندفع الرَّجل- دون أن يدرك دوافعه- إلى مساعدة النِّساء على التغلُّب على مشكلاتهنَّ.

وقد يَلجأ العُزَّاب إلى اختيار رِفْقة بديلة مِن الجنس نفسه. فقد تَنشأ صداقة بين سيِّدتين غير متزوِّجتين أو رَجُلين غير متزوِّجين، ثُمَّ تصير هذه الصَّداقة شُعورًا بالتملُّك يُقَيِّد حُرِّيَّتهما ويُؤثِّر سلبًا في علاقتهما بالآخرين. وفي حال زواج أحدهما، قد يَنظر الآخر إلى ذلك على أنَّه خيانة. وهذا دليلٌ كافٍ على أنَّ الصَّداقة التي كانت تَجمع بينهما هي رِفْقة بديلة للتَّعويض عن الزَّوج أو الزَّوجة غير الموجودَيْن.

ويَقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ هذه العلاقات قد تكون غير سليمة دون الحاجة لوجود عُنصر غير أخلاقيٍّ فيها. فقد تَجِد المرأة رَجُلًا رفيقًا لها، وقد يجد الرَّجُل فيها رفيقة جَيِّدة أيضًا، دون إدراك الارتباط العاطفيِّ (مع أنَّه غير رومانسي) الحاصل بينهما. وقد ينزعج أيٌّ منهما في حال ظهور أيِّ تلميحات -من الآخرين- بخصوص كون العلاقة غير لائقة. وقد ينطبق الأمر نفسه على علاقات الأصدقاء مِن الجنس نفسه.

ولكن عندما يكون الدَّافع مِن وراء العلاقة هو البحث عن رفقة، وليس عن صداقة سليمة، قد ينتقل التعلُّق غير اللَّائق مِن اللاوعي إلى الوعي دون أن يدرك الشَّخصان ذلك. بل إنَّهما قد ينجرفان إلى خطيَّةٍ لم يَقْصِدها أيٌّ منهما. والحقيقة هي أنَّ الصَّداقات التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى بين الجنسين تَشهد عن وجود خطرٍ كهذا. وهو خَطَر قائم أيضًا في الصَّداقات بين الأشخاص مِن الجنس نفسه.

- عند وجود مشكلة شخصيَّة لديك تتطلَّب مشورة مُتكرِّرة، اطلب المساعدة مِن شخص ناضج روحيًّا مِن الجنس نفسه. ويُفَضَّل أن يكون هذا الشَّخص أكبر مِنك سِنًّا.

- قَيِّم صداقاتك تقييمًا نزيهًا. هل اكتشفتَ أنَّك تَتَّكِل على أحد الأشخاص أكثر مِن اللَّازم بحيث أصبح هذا الصديق مُقيَّدًا في هذه الصداقة؟ فمع أنَّه مِن الرَّائع أن يكون لدينا أصدقاء مُقَرَّبون يمكننا أن نأتمنهم على أسرارنا، فإنَّ حُبَّ السَّيطرة والتملُّك ليس سُلوكًا لائقًا. لذلك، مِن الأفضل أن يكون لديك العديد مِن الأصدقاء المُقَرَّبين على أن يكون لديك صديق مُقَرَّب واحد.

- احرص على بناء صداقاتك والمحافظة عليها مِن خلال التَّفاعل المتفائل والإيجابيِّ. وقد ترغب في تقييم الموضوعات التي تناقشونها عادةً- هل يَغلب عليها طابع التَّشجيع والتَّفاؤل، أَم أنَّها تُرَكِّز على المشكلات وتأخذ طابع التذمُّر؟ ولا شَكَّ أنَّ الآية أمثال ١٧: ٢٢ تُبَيِّن تأثير الجوانب التي نُرَكِّز عليها في صداقاتنا: «القَلْبُ الفَرْحَانُ يُطَيِّبُ الجِسْمَ، وَالرُّوحُ المُنْسَحِقَةُ تُجَفِّفُ العَظْمَ».

- اسأل الله –في غِناه ونعمته- أن يُشبع كُلَّ حاجاتك غير المُشبَعة. «وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَل صَالِحٍ» (٢كورنثوس ٩: ٨). وهذا يَسري على العُزَّاب، والأرامل، واليتامى، والمتزوِّجين أيضًا. وفي ما يَخُصُّ العُزَّاب المؤمنين، يمكن أن تكون الشَّركة مع الله غَنِيَّة جِدًّا وأكثر مِن مُشبِعَة لحاجة المرء للرِّفقة. وما أكثر العُزَّاب الذين شَهِدوا أنَّهم وجدوا هذا الشِّبْع مِن خلال علاقتهم بالله حتَّى إنَّهم لم يُدركوا حاجتهم إلى الزَّواج، ولم يتذمَّروا مِن عُزوبتهم. فالحياة- في نظرهم- مُشْبِعَة وغنيَّة حتَّى إنَّهم لا يشعرون بأيِّ نقصٍ لكونهم غير متزوِّجين.

قصَّة مِن واقع الحياة

كانت «ماري» أرملة ولديها أربعة أبناء. وبعد عيشها بضع سنواتٍ كأرملة، لاحت في الأُفُق فرصة وجود رفيق مُناسب لها. ولكنَّ نظرتها إلى الأمر كانت جديرة بالملاحظة. فقد كانت تخوض صِراعًا داخليًّا في ما يَخُصُّ الزَّواج ثانيةً إذ كانت تقول في نفسها: «لقد صارت شركتي المُشْبِعَة مع الله غالية جدًّا على قلبي حتَّى إنِّي أخشى فقدان هذا الجزء مِن علاقتي به في حال زواجي ثانيةً».

ومع أنَّ ماري تَزَوَّجت ثانيةً، فإنَّ كلماتها تبقى شاهدةً على مبدأ كفاية الله. «أَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيه» (كولوسي ٢: ١٠).

كيف يمكنني أن أخدِم؟

إنَّ الكثير من الاقتراحات الإيجابيَّة في الجزء السَّابق تعكس الإمكانات المُتاحة للعُزَّاب. وقد ذَكَرنا أيضًا أنَّ الرَّسول بولس كَتَب في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس أنَّ العُزَّاب يمكن أن يكونوا نافعين جِدًّا في الكنيسة. والآن، نَوَدُّ أن نُرَكِّز تركيزًا خاصًّا على بعض الاقتراحات الخاصَّة باستثمار الفُرَص المُتاحة في فترة العُزوبة.

ولنبدأ بوضع مفهوم الخدمة بأسره في إطاره الكِتابيِّ. فقبل سنوات، نُشِرَت مقالة في مجلَّة "Christian Focus" بعنوان: «هأَنَذا- اخدِموني». والمغزى مِن هذه المقالة الصَّريحة هو أنَّ الدَّافع الكامِن وراء الكثير مِن الخدمات الكنسيَّة اليوم هو أن يخدمنا الآخرون. فالنَّاس يريدون مِن «خدمتهم (التي يقومون بها أمام الناس)» أن تخدمهم- مِن خلال تأكيد أهميَّتهم، وتحسين صورتهم أمام الآخرين، وإشباع مشاعرهم وطموحاتهم. وقد خَتَم الكاتب مقالته بالقول إنَّ «الله يُعطينا الفُرصة لتكريس حياتنا لمجده. ويمكننا أن نذهب إلى عالمنا للسَّبب نفسه الذي دَفَعَ المسيح للمجيء إلى العالم. وما دام المسيح يحيا فينا، يمكننا أن نبدأ بدايةً جديدةً كُلَّ يوم- لا لكي نُخْدَم، بل لكي نَخْدِم».[١٦]

إنَّ خدمةً كهذه هي نِتاج المحبَّة- محبَّتنا لله أوَّلًا، ثُمَّ شعورنا بالالتزام بكُلِّ ما يَؤول إلى خير الآخرين. إنَّ الخدمة التي أساسها التَّعبير العمليِّ عن المحبَّة- وليس إظهار تعدُّد مواهبنا أو شغل «منصبٍ» مهم في الخدمة- هي التي تعطينا شُعورًا سليمًا وصِحِّيًّا بالأمان أو القيمة. «وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا» (١كورنثوس ١٣: ٢ و ٣). فعندما تتدفَّق المحبَّة مِن قلوبنا، نحو الأعلى أوَّلًا (أيْ: لله)، ثُمَّ إلى الخارج (أيْ: للآخرين)، فإنَّها تُحَرِّرنا مِن انهماكنا في أنفسنا وتُعطينا التَّواضُع اللَّازم الذي يجعلنا نقول: «هأَنَذَا أَرْسِلْنِي» (إشعياء ٦: ٨).

وفي ضوء الموقف السَّليم مِن الخدمة، ما الذي يمكن للأعزب أن يَفعله؟ لَعَلَّ أفضل طريقة لمناقشة هذا الموضوع هي أن نُوَزِّع الاحتمالات إلى فئات:

١. **فُرَص الكِرازة:** ولا شَكَّ أنَّه مِن السَّهل علينا أن نتخيَّل ما كان سيَحْدُث للكرازة دون وجود العُزَّاب. فالكرازة تبدأ في البيت، ولكنَّها لا ينبغي أن تبقى محصورة فيه، بل يجب أن تنطلق إلى الخارج. ومع أنَّه بمقدور المتزوِّجين أن يخرجوا وأن يخدموا، فإنَّ العُزَّاب

يمتلكون مرونة أكبر مِن المتزوِّجين على الحركة والتنقُّل. لذلك، فإنَّهم الأشخاص المثاليُّون للقيام بالكثير مِن مشاريع الخدمة.

والحقيقة هي أنَّ الكنائس والخدمات حول العالم تبحث- في أغلب الأحيان- عن عُزَّابٍ للخدمة. فالعُزَّاب يتكيَّفون بسرعة أكبر مِن العائلات مع الاختلافات الثقافيَّة. وهناك مهامٌّ تتطلَّب سَفَرًا؛ وهو أمر لا يُحَبِّذه المتزوِّجون كثيرًا بسبب مسؤوليَّاتهم تجاه عائلاتهم. وهناك خدمات تقتضي التَّضحية بالرَّاحة؛ وهو أمرٌ أصعب على العائلات أيضًا.

مِن جهة أخرى، فإنَّ الكرازة المحليَّة تُقَدِّم فرصًا للعُزَّاب. فبإمكان العُزَّاب أن يخدموا مِن خلال التَّرنيم، أو درس الكتاب، أو الزِّيارات. وهناك سُجونٌ تَسمح بالزِّيارات الجماعيَّة أو الفرديَّة.

لقد ذَكَرنا للتوِّ تأثير الرَّسول بولُس ككارز أعزب. وقد كانت خدمته تتطلَّب سَفَرًا كثيرًا وتنطوي على مصاعب جَمَّة. ولكِنْ لأنَّه كان يَعلم أنَّه يخدم الربَّ يسوع المسيح، فقد كانت خدمته تملأ قلبه بالفرح والشِّبْع. فنحن لا نَجِد في شهادته التي شَهِد بها في نهاية حياته ما يُشير إلى نَدَمِه أو عدم رِضاه. «قَدْ جَاهَدْتُ الجِهَادَ الحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ البِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ اليَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ العَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا» (٢تيموثاوس ٤: ٧ و ٨).

٢. **فُرَص الرِّعاية.** فالكثيرون في عالمنا اليوم في حاجة إلى الرِّعاية: المُسِنُّون، والمُعاقون، والمرضى، والعاجزون، والمفجوعون بموت أحِبَّائهم، هم بعض الأمثلة لِمَن هم في حاجةٍ إلى الرِّعاية. وهناك فُرص كثيرة أمام العُزَّاب للخدمة؛ وهي فُرص قد لا تَصْلُح تمامًا للمتزوِّجين.

والحقيقة هي أنَّ العديد مِن فُرص الرِّعاية هذه تُناسب التَّكوين الطَّبيعيَّ للمرأة أكثر مِن التَّكوين الطبيعيِّ للرَّجُل- ولا سيَّما المرأة التي سَمَحت لأنوثتها أن تتشكَّل وفقًا لعمل الله في حياتها. أمَّا صِفات «المرأة الفاضلة» فكثيرة، ومِن بينها: الهدوء، والوداعة، والإيمان، والاحترام، والحَياء، والحكمة، واللُّطف، والعِفَّة، والتَّعاطُف- وهي جميعها صِفات تُضاف إلى الاحتشام في سُلوكها وشكلها. ولا شَكَّ أنَّ المرأة الفاضلة هي الشَّخص النموذجيُّ لرعاية الآخرين.

ومع أنَّه بإمكان الرِّجال أن يقوموا بعمل الرِّعاية، فإنَّ للمرأة خدمة خاصَّة في هذا المجال في أغلب الأحيان. وقد تجد العازبات ما يُشبع نفوسهنَّ في خدمة الرِّعاية هذه.

بعبارة أخرى، فإنَّ الزَّواج ليس الغاية الوحيدة التي خُلِقَ الرَّجُل والمرأة لأجلها. وكم نَشكر الله على العازبات اللَّاتي كَرَّسْنَ أنفسهنَّ لرعاية آخرين.

في ضوء ذلك، ليس مِن باب المُصادفة أنَّ الكلمة «مُمَرِّضة» في اللُّغتين العبريَّة واليونانيَّة تَرِد بصيغة المؤنَّث دائمًا. كذلك، مِن المُلاحظ- حتَّى في الأزمنة المعاصرة- أنَّ أغلبيَّة العاملين في مهنة التَّمريض في المستشفيات ومراكز الرِّعاية هُنَّ مِنَ النِّساء. وإذا نَظَرنا إلى الحاجة المُلِحَّة إلى الرِّعاية الإنسانيَّة في هذا العالم المُتألِّم، فإنَّ هناك فرصًا عظيمةً أمام النِّساء العازبات لتوفير هذه الرِّعاية- وهي فُرص لا يمكن للأمَّهات توفيرها. كذلك، فهي فُرص مُشبعة، للشعور الأنثوي، لدى أعداد كبيرة مِن النِّساء العازبات.

ولكن ينبغي للعازبات المؤمنات أن يَعلمن أنَّ بعض فُرص الرِّعاية في عالمنا هذا لا تُناسبهنَّ. فهناك مخاطر أخلاقيَّة وروحيَّة في العديد مِن مِهَن التَّمريض. لذلك، يجب على العازبات اللَّاتي يَرغبن في الخدمة في مجال الرِّعاية الصحيَّة أن يَرْفُضْنَ بعض عروض العمل المُغرية (إذا كانت غير لائقة)، وأن يُقَدِّمن هذه الرِّعاية في الأماكن التي تصون كرامتهنَّ وعِفَّتهُنَّ.

٣. **الفُرص التَّعليميَّة.** فهناك حاجة ماسَّة في صفوف شعب الربِّ لمُعلِّمين أكْفاء. وسواء كان المُعَلِّمون يُعَلِّمون في مدارس خاصَّة أو حكوميَّة، فإنَّ أمامهم فرصة ثمينة للتَّأثير في طُلَّابهم إيجابيًّا. علاوة على التَّعليم في هذه الأماكن، فإنَّ مدارس الأحد ومدارس الكتاب المقدَّس الصيفيَّة تُوَفِّر فُرصًا للمُعَلِّمين.

وهناك حاجة لمُعَلِّمين مِن الجنسين. ولكن يبدو أنَّ هناك عوامل عديدة جَعلت عدد المُعَلِّمات يفوق عدد المُعَلِّمين. ورُبَّما يرجع السَّبب في ذلك إلى أنَّ أغلبيَّة المؤسَّسات التَّعليميَّة تبحث عن مُعَلِّماتٍ للأطفال. ولا شَكَّ أنَّ النِّساء ينجحْنَ في تعليم الأطفال. ولكنَّ هذا التَّركيز على المُعَلِّمات مُؤسفٌ أحيانًا- لا لأنَّ النِّساء لَسْنَ مؤهَّلات، بل لأنَّ رجالًا كثيرين يتنازلون عن هذا الامتياز وهذه المسؤوليَّة مِن خلال عدم تقديرهم لفُرص التَّعليم المُتاحة لهم.

والحقيقة هي أنَّ التَّعليم نادرًا ما يكون مِهنةً تُدِرُّ دَخْلًا جيِّدًا للمرء. وقد يكون هذا أحد الأسباب التي تَجعل الرِّجال يُحجِمون عن العمل في هذه المهنة. ولكن كما أنَّ الرِّعاية مُلائمة للمرأة- مِن أوجُه عديدة- أكثر مِن الرَّجُل، فإنَّ التَّعليم مُلائم للرَّجُل.

فالعلاقة التي نَراها بين المُعَلِّم والتِّلميذ في العهد الجديد (انظر مثلًا إنجيل مَتَّى ١٠: ٢٤ و ٢٥) تَعكس وضعًا يُشير في الغالب إلى أنَّ المُعَلِّم رَجُل. ولا شَكَّ أنَّ النِّساء لَهُنَّ مكانتهنَّ كمُعَلِّمات. ولكن هناك مكانة خاصَّة للرِّجال كمُعَلِّمين أيضًا. ويمكن للرِّجال أن يجدوا في هذه المهنة شبعًا لا يمكن لأيِّ مبلغٍ مِن المال أن يَمنحه للمرء- وهو شعور ناشئٌ عن مساعدة غير المُتعلِّمين على اكتساب المعرفة، ومساعدة البُسطاء على اكتساب الحكمة. والحقيقة هي أنَّ التَّعليم يَفتح الباب على مِصراعيه اليوم أمام العُزَّاب المُكَرَّسين للمساهمة في امتداد ملكوت الله وخدمة الكنيسة.

٤. **الفُرص المكتبيَّة.** فعمل الله يتطلَّب أعمالًا مكتبيَّة. وهناك حاجة لموظَّفي المكاتب- بدرجات متفاوتة- في جميع الجهود المُنَظَّمة التي يقوم بها شعب الله. فالكُتَّاب، والطَّابعون، والمُنَسِّقون، والمُراسلون، وغيرهم قادرون على تقديم خدمات عظيمة للكنيسة- سواء في مجال الكرازة، أو النَّشر، أو تقديم المساعدات، أو المشورة، أو التَّدريب، أو الرِّعاية، أو يمكن الدَّمج بين أكثر من واحد من هذه المجالات في نفس الوقت.

وحيث توجد خدمة مسيحيَّة، هناك مَن يَدعمها بالمال والمتطوِّعين. وهناك أوقات يَتِمُّ فيها إنشاء مراكز «الخِدمة التطوُّعيَّة» دون تقديم أيَّة مزايا تُذْكَر للعاملين. بل إنَّ رواتبهم لا تكاد تكفي سَدَّ حاجاتهم الشخصيَّة الأساسيَّة. ومع ذلك، فقد اختبر عُزَّابٌ كثيرون فَرَح العطاء المُضَحِّي في مراكز الخدمة التطوُّعيَّة هذه.

كذلك، فإنَّ الخدمات الإرساليَّة، ودُور النَّشر المسيحيَّة، وكُلِّيَّات اللَّاهوت، وخدمات الإغاثة، ومراكز المشورة هي في حاجة ماسَّة إلى أفراد يُقَدِّرون الخدمة- في حَدِّ ذاتها- أكثر مِن الأجر العالي. مِن جهة أخرى، فإنَّ العديد مِن هذه البرامج والخدمات يتطلَّب مزيدًا مِن الأفراد عدا عن أولئك العاملين في الوظائف المكتبيَّة. فهناك حاجة إلى الطَّبَّاخين، والأوصياء، والميكانيكيِّين، والصَّحافيِّين، وعُمَّال الصِّيانة والإنتاج، والمُشيرين، والعُمَداء، وموظَّفي العلاقات العامَّة.

وقد لا تؤثِّر الحالة الزوجيَّة للموظَّف أو العامل أو الخادم سلبًا أو إيجابًا أحيانًا. ولكن هناك وظائف يُفَضَّل (أو رُبَّما يَلزم) أن يقوم بها شخص أعزب. فعلى سبيل المثال، هناك برامج خاصَّة للخدمة وسط الجانحين مِن الأحداث والمراهقين (أي الذين اقترفوا جُنحةً قبل بلوغهم سِنَّ الرُّشْد). وفي حالات كهذه، تدعو الحاجة إلى عُزَّاب مُمتلئين مِن

روح الربِّ كي يخدموا بينهم ويكونوا قدوة لهم. وهناك كُلِّيَّات لاهوت وبرامج تعليميَّة تابعة للإرساليَّات لديها وظائف مشابهة.

وبعد أن ألقينا نظرة على العديد مِن فُرَص الخدمة المتاحة للعُزَّاب، قد يتساءل المرء: هل مِن الصَّواب أن يَعمل العُزَّاب في وظائف عاديَّة؟ وهل يُتوقَّع مِن العُزَّاب أن ينظروا إلى عُزوبتهم كشيءٍ يُلزمهم بخدمةٍ من «نوع خاص»؟ هناك جانبان لهذا الموضوع. فَمِن جهة، يمكننا القول إنَّ العُزَّاب يمتلكون مُطلق الحُرِّيَّة في العيش كبقيَّة النَّاس. ولكِن مِن جهة أخرى، يمكننا النَّظر إلى «بَقِيَّة النَّاس» وطَرْح السُّؤال التَّالي: هل يعيش أغلبيَّة النَّاس (أي أغلبيَّة أعضاء الكنيسة) ذلك التَّكريس الذي يريده الله منهم مِن نحوه ومِن نحو ملكوته- سواء كانوا عُزَّابًا أم متزوِّجين؟

ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّه ينبغي لكُلِّ مؤمن أعزب أو متزوِّج أن يَسعى إلى جَعْل عمله خدمة لله ولشعب الله. وهذا ينطبق على أيِّ عمل يقوم به المرء (مهما بدا مُمِلًّا أو هامشيًّا أو ليس متعلِّقًا بملكوت الله). فينبغي للمُزارع، والمُقاول، والموظَّف، والمُمرِّضة، والمُعلِّم، والمُرسلين، وغيرهم، أن يبحثوا عن طرائق يستخدمون فيها أعمالهم ووظائفهم لخدمة الربِّ وكنيسته.

وهذا لا يعني أنَّ هذه هي فُرص الخدمة الوحيدة المُتاحة للعُزَّاب، بل إنَّ الغاية هنا هي التَّأكيد على أنَّه باستطاعة العُزَّاب أن يخدموا بطرائق توافق حياة العُزوبة التي يَعيشونها. علاوة على ذلك، فقد ذَكَرنا فُرص الخدمة هذه كي نُبَيِّن الغِنى الموجود في حياة العُزَّاب المؤمنين. فمع أنَّه لا توجد لديهم زوجات أو أزواج أو أبناء في الجسد، ولكنَّ «بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ....لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ» (إشعياء ٥٤: ١ و٥). وعندما يفيض هذا الفَرَح مِن حياة الأعزب، فإنَّ هذا مؤشِّرٌ أنَّ الربَّ قد بَثَّ الحياة وأنَّه هو صاحب السِّيادة في حياة هذا الأعزب.

كيف ينبغي أن تكون علاقة البيت والكنيسة بالعُزَّاب؟

لقد ذكرنا آنفًا أنَّ العُزَّاب يخوضون- أحيانًا- صراعًا داخليًّا لتحديد مكانهم المناسب والمجموعة التي ينتمون إليها. وهذا يحدث في البيت والكنيسة على حَدٍّ سواء. ففي البيت، يواجه الأعزب- في أغلب الأحيان- الأسئلة التَّالية:

١. هل سيأتي اليوم الذي أترك فيه بيت أبي لأعيش مستقلًّا؟ وإن أردتُ القيام بذلك، ما الأسباب التي سأقولها لهما لتبرير رحيلي؟

٢. إذا عِشْتُ في بيت أبي، ما مدى مسؤوليَّتي أمام أبي وأمِّي في ما يَخُصُّ مواعيدي وخططي ومشترياتي؟

٣. إذا عِشْتُ في بيت أبي، هل يمكنني دعوة أصدقائي؟ مِن جهة أخرى، إذا قام أبي وأمِّي بدعوة ضيوف أو بالتَّخطيط لشيءٍ ما، هل أنا مُلْزَم دائمًا بالحضور والمشاركة؟

٤. عندما يَهرم أبي وأمي وأبدأ بالاضطلاع ببعض المسؤوليَّات، هل ينبغي لي دائمًا الإذعان لهما، أم ينبغي لي أن أبدأ في اتِّخاذ القرارات التي أراها مناسبة؟

٥. إذا كان أبي أو أمِّي في حاجة إلى الرِّعاية، هل أنا مُلْزَم أكثر مِن أخواني المتزوِّجين وأخواتي المتزوِّجات برعايتهما؟

إنَّ العثور على إجابات لهذه الأسئلة ليس سهلًا دائمًا. فكلُّ موقف يختلف عن سِواه. ولا توجد إجابات واحدة لجميع الأشخاص. ومع ذلك، هناك إرشادات عامَّة قد تكون ذات فائدة:

١. **حين يعيش العُزَّاب مع آبائهم وأمَّهاتهم، يجب أن يكون هناك احترام مُتبادل ومُراعاة مُتبادلة للمشاعر.** بعبارة أخرى، يجب على العُزَّاب أن يحترموا آباءهم وأمَّهاتهم. وما دام الأب والأم يتمتَّعان بالصحَّة الجسديَّة والعقليَّة، فإنَّهما المسؤولان المباشران عن تدبير شؤون المنزل. ويجب على الابن الأعزب (أو الابنة العزباء) أن يحترم ذلك. وبالمقابل، يجب على الآباء والأمَّهات أن يحترموا أبناءهم العُزَّاب الرَّاشدين. ومع أنَّه ينبغي لهم الاستمرار في تقديم النُّصح والمشورة لأبنائهم العُزَّاب الرَّاشدين، فإنَّه ينبغي لهم أيضًا أن يحترموا قراراتهم، وخططهم، وحاجاتهم قدر الإمكان في إطار بيتهم.

وعندما يعيش العُزَّاب في البيت نفسه مع آبائهم وأمَّهاتهم، يجب أن تكون حدود المسؤوليَّات والامتيازات واضحة. ويمكن للآباء والأمَّهات أن يحترموا رُشْد أبنائهم العُزَّاب بطرائق عديدة. فعلى سبيل المثال، يمكنهم أن يُراعوا خصوصيَّة غُرفهم، وأن يُوكِلوا إليهم بعض المسؤوليَّات، وأن يتجنَّبوا التَّداخُل بين خطط الأبناء واهتماماتهم وخطط العائلة واهتماماتها. ويجب على العائلة أن توزِّع المهام؛ أي أن تُحَدِّد الشَّخص المسؤول عن غَسْل

الملابس، والشَّخص المسؤول عن تنظيف المنزل، والشَّخص المسؤول عن الطَّهي، وغير ذلك مِن مهام. وإذا كان الأعزب شريكًا في مشروعٍ تجاريٍّ تُديره العائلة، يجب توضيح المهام والمسؤوليَّات أيضًا. وفي جميع الأحوال، فإنَّ التَّواصُل الصَّادق والصَّريح ضرورة مُلِحَّة.

وقد يواجه العُزَّاب الذين يعيشون وسط أهلهم تحدِّيات خاصَّة عندما يَهرم الأبوان وتتراجع قدرتهما على القيام بمهامهما ومسؤوليَّاتهما. وسوف نُقَدِّم المزيد مِن الإرشادات في الفصل الثَّامن. ولكنَّ نُشير هنا إلى أنَّ احترام المُسِنِّين ينبغي أن يَشمل فهم الصِّراعات التي تُرافق سِنَّ الشَّيخوخة. والسُّؤال الذي يَطرح نفسه هنا هو: هل العُزَّاب يتحمَّلون مسؤوليَّة أكبر مِن إخوانهم المتزوِّجين وأخواتهم المتزوِّجات في أوقاتٍ كهذه؟ والجواب هو: لا! ولكن في الوقت نفسه، قد يكون العُزَّاب مُتاحين أكثر مِن إخوتهم المتزوِّجين وأخواتهم المتزوِّجات بِحُكْم مسؤوليَّاتهم القليلة نسبيًّا. وإذا نظرنا إلى الخدمة لا كَعِبْءٍ ثقيل، بل كفرصة، فإنَّنا نُقَلِّل فرصة شعورنا بالامتعاض والحقد والظُّلم في حالات كهذه. بمعنى آخر، إذا كانت العائلة بأسرها لديها روح الخدمة، ومستعدَّة للمساعدة والتَّضحية وإيثار الآخرين، لن يَشعر أيُّ عضو فيها بالحاجة لمقارنة وضعه بأوضاع الآخرين.

٢. **إذا عَقَد العُزَّاب العَزم على الاستقلال عن الأهل والسَّكن بمفردهم، ينبغي أن يفعلوا ذلك بسبب رؤيتهم وأهدافهم الشخصيَّة، لا كَرَدِّ فعل على ما يجري في منازل أهلهم، ولا كوسيلة للهرب مِن الأبوَيْن.** فقد يَشعر العُزَّاب بالحاجة إلى مزيد مِن الهدوء أو العُزلة. أو قد يشعرون بحاجتهم إلى تَعَلُّم مبادئ تدبير شؤون البيت بأنفسهم. أو قد يرغبون في الوجود بالقرب مِن أماكن عملهم أو خدمتهم. ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ التوتُّر المتكرِّر في العلاقة بين العُزَّاب والأبوَيْن لا يعني- بالضَّرورة- أنَّ أحدهما على خطأ. فقد تكون هذه دلالة واضحة على ضرورة الجلوس معًا لمناقشة الخيارات المُتاحة كي يَشعر الجميع بالرَّاحة. ولا شَكَّ أنَّ حكمة الطَّرفين، ومُراعاة كُلٍّ منهما مشاعر الآخر تساعد في فهم الواحد للآخر. وقد يُفضي ذلك إلى اقتراح ترتيبات جديدة لمصلحة الأبوَيْن والعُزَّاب. وفي حالات كهذه، يجب على الأبوَيْن ألَّا يَنظرا إلى رغبة أبنائهم في الاستقلال بحياتهم كما لو كانت رفضًا لهما.

٣. **حين يعيش العُزَّاب مع الأهل، يجب على الجميع أن يتجنَّبوا التصرُّف، بطريقة غير منصفة، وفق افتراضاتهم المُسبقة المبنيَّة على الماضي.** وقد لا يُقَدِّر كُلٌّ مِن الأبوَيْن والعُزَّاب ما

يقوم به الواحد لأجل الآخر. وهُم لا يفعلون ذلك- في أغلب الأحيان- عن قصد، بل عن غير قصد. وقد يكون السَّبب في ذلك- غالبًا- هو عدم إدراك الأبوَيْن لحقيقة أنَّ ابنهما الصَّغير قد صار راشدًا. بل إنَّهما قد ينسيان أنَّه لا يَقِلُّ رُشدًا عن إخوته المتزوِّجين وأخواته المتزوِّجات. بل إنَّهما قد يحاولان إصدار التَّعليمات له، والتحكُّم في قراراته ووقته وأمواله بطرائق خانقة تَخلو مِن أيِّ مُراعاة لمشاعره. وبالمقابل، قد يستمرُّ الأعزب في الارتباط بأبوَيْه كما لو كان طفلًا صغيرًا عديم المسؤوليَّة. فهو يتوقَّع مِن أُمِّه أن تُنَظِّف غُرفته. وهو يتوقَّع مِن أبيه أن يُعالج أخطاءه. وهو يتوقَّع الحصول على ثلاث وجبات طعام يوميًّا، والنَّوم على سرير نظيف وجاهز، والتمتُّع بحياة خالية مِن الهموم والمشكلات.

لذلك، يجب على الأعزب وأبوَيْه أن يَقبلوا- بوعي تامٍّ- حقيقة أنَّه صار شخصًا راشدًا. ولا شَكَّ أنَّ الحكمة تقتضي مِن الطَّرفين إجراء نقاشات دوريَّة في أمور مِثل الخُطط (قصيرة الأجل وطويلة الأجل)، والتوقُّعات، والتَّرتيبات الماليَّة، والتَّغييرات المُحتملة على جدول الأعمال، والأعباء، والمسؤوليَّات.

إنَّ فَهْمَنا بعضنا لبعض مُهِمٌّ جدًّا مِن أجل الحفاظ على العلاقات الطيِّبة في البيت. ولكنَّ العُزَّاب لديهم علاقات أخرى في الكنيسة. لذلك، يجب عليهم أن يفهموا دورهم في الكنيسة، وأن يُقابَلوا بالفهم أيضًا. وكما ذكرنا آنفًا، يبدو- أحيانًا- أنَّ مفاهيم «المجموعة» في الكنيسة تأخذ الجميع بعين الاعتبار- باستثناء العُزَّاب. فهناك مجموعة للشَّبيبة، ومجموعة للمُتزوِّجين الجُدُد، ومجموعة للأشخاص الذين بلغوا مُنتصف العُمر، ومجموعة للمُسِنِّين. ولكن أين هو مكان الشَّخص الأعزب؟

في ضوء ذلك، إذا أرادت الكنائس أن تستفيد من قدرات العُزَّاب وطاقاتهم، يجب عليها أن تَعمل بطريقة تَجعل العُزَّاب يَشعرون حقًّا بأنَّ الكنيسة هي بيتهم. وفي ما يلي بعض النِّقاط التي قد تُساعد في تحقيق ذلك:

١. **الحفاظ على احترام حياة العُزوبيَّة.** فقد وَصَف الرَّسول بولُس العُزوبة بأنَّها موهبة مِن الله (١كورنثوس ٧: ٧). وقد قال يسوع إنَّ هناك أشخاصًا يختارون عدم الزَّواج مِن أجل ملكوت السَّماوات (إنجيل مَتَّى ١٩: ١٢). وهذا يُرينا أنَّ يسوع وبولس كانا يُدركان الصَّلابة الذهنيَّة اللَّازمة لموهبة حياة العزوبة وأنَّ هذه الدَّعوة ليست مُوَجَّهة إلى جميع النَّاس. وهذا يعني أنَّ العُزوبة جديرة بالاحترام والتَّقدير.

ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ البيت يتحمَّل جزءًا مِن المسؤوليَّة في الحفاظ على احترام العُزَّاب. فيجب على الأبوَيْن أن يُعَلِّما أبناءهما أن يَحترما العُزَّاب. والتَّطبيق العمليُّ لذلك يعني أن يمتنع الأبوان والأبناء عن جميع أشكال الضَّحِك والمُزاح والسُّخرية أثناء حديثهم عن غير المُتزوِّجين.

٢. **ضَمُّ العُزَّاب إلى الخدمات الكنسيَّة.** فيجب أن يُسمح للعُزَّاب باختبار الفرح النَّاشئ عن المشاركة في التَّعليم، والكرازة، وإنجاز المشاريع المختلفة. ويمكن لخُدَّام الربِّ أن يساعدوا العُزَّاب بذات الطَّريقة التي يساعدون فيها المُتزوِّجين؛ أي مِن خلال تقديم عظاتٍ عن أدوارهم، وحاجاتهم، وطاقاتهم. كذلك، يمكن لخُدَّام الربِّ أن يفعلوا ذلك مِن خلال الإشارة المباشرة إلى العُزوبة، أو مِن خلال الإشارة غير المباشرة (أي مِن خلال الإشارة إلى العُزَّاب البارزين في الكتاب المقدَّس).

ويمكن للمتزوِّجين في الكنيسة أن يُسهموا بطرائق عمليَّة فعَّالة في دَمْج العُزَّاب في جماعة المؤمنين في الكنيسة. فعلى سبيل المثال، يمكنهم أن يَضُمُّوهم إلى كُلِّ ما يجري في الكنيسة مِن زيارات، وعِظات، ونقاشات، ومشورة. علاوة على ذلك، يمكنهم أن يُعَبِّروا للعُزَّاب عن تقديرهم لكُلِّ ما يفعلونه لأجل الكنيسة. ويمكنهم أيضًا أن يدعوهم للمشاركة في الأنشطة العائليَّة.

٣. **يجب ضَمُّ العُزَّاب إلى مجلس الكنيسة.** فينبغي لكُلِّ كنيسة أن تأخذ قراراتٍ، وأن تُناقش خُططًا، وأن تضع أهدافًا. ولا شَكَّ أنَّ لِكُلِّ مجموعة إجراءاتها وطُرقها في الوصول إلى قرارٍ جماعيٍّ. فهناك مجموعات تعقد اجتماعًا للأعضاء. وهناك مجموعات تُجري مقابلات معهم على انفراد. وهناك مجموعات تُجري مقابلات مع الآباء أو الأمَّهات. وفي ضوء الأسلوب المُعتمَد، قد يتم إقصاء العُزَّاب. فإذا كان قادة الكنيسة يرغبون في الاستفادة مِن طاقات العُزَّاب وقدراتهم في الكنيسة، يجب عليهم أن يحرصوا على ضَمِّ العُزَّاب (والأرامل أيضًا) في خُطَط الكنيسة وقراراتها. وفي حال اختيار أسلوب «إجراء لقاءات مع الآباء والأمَّهات»، يجب الاهتمام لا بطلب رأي العُزَّاب في الكنيسة فحسب، بل وبإطلاعهم على نتائج اجتماعاتهم.

الخُلاصة

إنَّ العُزَّاب يمتلكون طاقات وقدرات كثيرة. ولكنَّ القرارات التي يواجهونها، والمسؤوليَّات المُلقاة على عاتقهم قد تفرض عليهم تحدِّيات وصراعات ليست بالقليلة. وفي البيت المسيحيِّ والكنيسة، لا ينبغي أن يكون إحساس الشَّخص بالانتماء والقبول قائمًا على حالته الاجتماعيَّة (أو الزوجيَّة). فلا شَكَّ أنَّ كُلَّ شخصٍ فريد في ذاته. ولكُلِّ إنسان جوانب قوَّة وجوانب ضعف. لذلك، فإنَّ كُلَّ شخصٍ هو جدير بالفهم.

وينبغي للعُزَّاب أن يقبلوا عُزوبتهم، وأن يُبقوا أعينهم مفتوحة على فُرص الخدمة في ملكوت الله- ولا سِيَّما تلك الفُرص التي توافق قدراتهم ومواهبهم.

وحين يَتفهَّم شعب الله العُزَّاب، ويتعلَّم العُزَّاب أن يَفهموا أنفسهم، يمكنهم التَّعاون معًا. ويمكن سَدّ الحاجات عند العُزَّاب وبواسطتهم حين يجد كُلٌّ منهم مكانه الصَّحيح في عائلته وكنيسته.

لِنُفَكِّر معًا

١. كيف يُسيء النَّاس المتزوِّجون فَهْم أقرانهم العُزَّاب أحيانًا؟

٢. إلى أيِّ مَدى يمكن للشَّخص الأعزب أن يُناقش رغبته في وجود رفيق له، أو أن يُقِرَّ بذلك؟ أين يَكْمُن التَّوازن بين الصِّدق والتكتُّم؟

٣. ما بعض المفاهيم والمبادئ الخاطئة الشَّائعة لدى النَّاس- خارج الكنيسة- عن العُزوبة والتي تؤثِّر سلبًا في العُزَّاب المؤمنين؟ كيف يمكن التصدِّي لهذه التَّأثيرات؟ هل توجد لدى الكنيسة مفاهيم خاطئة عن العُزوبة؟ هل يُعامَل العُزَّاب- في أيِّ مجالٍ مِن المجالات- كأعضاء مِن الدَّرجة الثَّانية في الكنيسة؟

٤. عندما يبدو أنَّ الشَّخص الأعزب متأثِّر كثيرًا بالعوامل السلبيَّة للعُزوبة، ما المساعدة التي يمكن لأصدقائه أن يُقَدِّموها له؟

٥. عندما يجد المرء نفسه في وَضْعٍ يَتعرَّض فيه لتجربة مستمرَّة، ما أفضل طريقة للتَّعامل مع الموقف؟ كيف يمكن للمرء أن يَعرف إن كان الصُّمود هو الحَلُّ المناسب أم الهرب (كما فَعل يوسُف)؟

٦. ما أساليب «مُلاحقة الجنس الآخر» التي ينبغي للعُزَّاب تَجَنُّبها؟ كيف يمكن للشَّخص الأعزب

أن يكون ودودًا ومُنطلقًا في علاقاته دون أن يُساء فهمه بأنَّه يسعى وراء علاقة عاطفيَّة؟

٧. حين يبدو أنَّ العُزَّاب يُقيمون صداقات غير بَنَّاءة- قد تؤدِّي إلى وجود نوعٍ من الارتباط والاتِّكال العاطفي (مع أنَّه قد لا يكون بالضرورة رومانسيًّا)، كيف يمكن مُصارحتهم بذلك ومساعدتهم دون جرح مشاعرهم؟

٨. كيف يمكن استخدام مواهب العُزَّاب وقدراتهم أفضل استخدام في وقتنا الحاضر؟ ما هي الطَّرائق التي من خلالها يمكن أن نقع في خطأ، المُبالغة في توقُّعاتنا المطلوبة مِن العُزَّاب؟

لِنَعمل معًا

١. بصفتكم آباء وأمَّهات، ناقشوا مع أبنائكم احتماليَّة العُزوبة. تَحَدَّثوا عن بعض العُزَّاب في الكتاب المقدَّس، وعن استخدام الله لهم كخُدَّام مُفْرَزين له. اكتبوا لائحة بالطَّرائق المُحتملة للخدمة كعُزَّاب في وقتنا الحاضر. ناقشوا أيضًا ما يُعَلِّمه الكتاب المقدَّس عن الشُّعور بالرِّضا والفرح.

٢. بصفتك شخصًا غير متزوِّج، قَيِّم عُزوبتك. ما الأجزاء التي ترغب في مراجعتها في هذا الفصل والتعمُّق في دراستها. هل تسمح لله بأن يمتلك حياتك؟ رَتِّب موعدًا لمناقشة أيَّة أسئلة أو صراعات مع شخصٍ تَثِق به.

٣. بصفتكم كنيسة أو مجموعة، قَيِّموا قبولكم للعُزَّاب ومدى استفادتكم من مواهبهم وطاقاتهم. هل هُم جزء من عائلة الكنيسة؟ هل هناك أساليب ساهمت في إهمال العُزَّاب؟ اذكروا بعض الخطوات المحتملة التي يمكن للكنيسة اتِّخاذها لِضَمِّ العُزَّاب أكثر فأكثر إلى الخدمات الكنسيَّة، أو لرفع مستوى الخدمات المُقدَّمة لهم لِسَدِّ حاجاتهم.

الفصل الخامس

الزَّواج

المقدِّمة

إنَّ الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن الزَّواج بصفته سِرًّا. والكلمة «سِرّ» المستخدمة في الكتاب المقدَّس في هذا السِّياق لا تُشير إلى وجود لُغْزٍ، بل تُشير إلى نوعٍ مِن المعرفة لا يمكننا الحصول عليه إلَّا بإعلانٍ إلهيٍّ. فهناك أمور مُختصَّة بالزَّواج لم يَكُن بمقدورنا معرفتها إلَّا لأنَّ الله أعلنها لنا.

إنَّ الزَّواج، بحسب إعلان الله، هو اتِّحاد. وهو يربط الرَّجُل والمرأة بروابط قلبيَّة غير منظورة ولكنَّها حقيقيَّة لكي لا يبقى الشَّخصان المُتحابَّان مُنفصلين. والله يريد للنَّاس أن يعرفوا هذا المبدأ وأن يُطَبِّقوه مِن خلال التعهُّد بالزَّواج مدى الحياة. وهذا التعهُّد يَعكس- بِدَوْرِه- علاقة المحبَّة الأسمى بين المسيح وكنيسته. فإذا نظرنا إلى الأمر بهذه الطَّريقة، سنفهم في الحال سبب ما كَتَبه الرَّسول بولس عن الزَّواج إذ قال: «هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ» (أفسُس ٥: ٣٢).

وهذا يساعدنا أيضًا على رؤية سبب الفوضى العارمة التي نراها في العلاقات الزوجيَّة بسبب اتِّكال الإنسان على فهمه الذاتيّ. فبمعزلٍ عن إعلان الله، سينظر الرِّجال والنِّساء إلى الزَّواج مِن خلال أعينهم فقط، وفي ضوء أهدافهم الآنِيَّة أو قصيرة الأجل. ولا شَكَّ أنَّهم سيُفَكِّرون في الزَّواج في ضوء سعادتهم الشخصيَّة، وحاجاتهم، وراحتهم- لا في إطار اتِّخاذ قرار البدء في العلاقة والزَّواج فحسب، بل في اتّخاذ قرار الطلاق والانفصال أيضًا إذ إنَّ كثيرين يبحثون عن ما يوافقهم ويُناسبهم على الصَّعيد الشخصيِّ.

وعلى النَّقيض مِن الزِّيجات الفاشلة السَّائدة في كُلِّ مكان، ينبغي للمؤمنين أن يقفوا في الثغر ويحافظوا على أنفسهم وزيجاتهم مِن خلال القول والفِعل. فكلمة الله صادقة. وتعاليم الكتاب المقدَّس صحيحة. لذلك، لِنَجعل ما جَمَعَهُ الله يدوم إلى نهاية حياتنا على الأرض.

خُطَّة اللّه: رَجُل واحد وامرأة واحدة- إلى أن يُفَرِّق الموت بينهما

«لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (تكوين ٢: ٢٤). هذا هو المبدأ الأوَّل الذي نجده في الكتاب المقدَّس بخصوص الزَّواج. وبعد أن اقتبس يسوع هذه الكلمات، قال: «إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ» (إنجيل مَتَّى ١٩: ٦) وقد عَلَّم الرَّسول بولس أيضًا: «فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَحْتَ رَجُل هِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ بِالرَّجُلِ الحَيِّ. وَلكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَقَدْ تَحَرَّرَتْ مِنْ نَامُوسِ الرَّجُلِ» (رومية ٧: ٢). وهذا يُرينا أنَّ تعليم الكتاب المقدَّس واضح: رَجُل واحد، امرأة واحدة، إلى أن يُفَرِّق الموت بينهما.

إنَّ اتِّحادًا كهذا يتطلَّب التزامًا وتكريسًا. لذلك فإنَّ كُلًّا من الزَّوج والزَّوجة مَدْعُوٌّ للتَّضحية بنفسه، وبمحبَّة شريك حياته بتلك المحبَّة التي تَستثني أيَّ شُركاء آخرين. «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا...كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ....وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسِهِ» (أفسُس ٥: ٢٥ و ٢٨ و ٣٣). «وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا....كَذلِكَ العَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالْقَدَاسَةِ...لِكَيْ يَنْصَحْنَ الحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ» (أفسُس ٥: ٣٣؛ تيطُس ٢: ٣ و ٤).

ولكن ما معنى أن نُحِبَّ؟ إنَّ الجانب المنظور للمحبَّة الزوجيَّة مُلَوَّن بألوان زاهية، ومُفعم بالمشاعر المتدفِّقة والأحلام الورديَّة. وهذا هو ما يجذب الرِّجال والنِّساء جميعًا في مختلف الحضارات إلى الزَّواج لأنَّ المحبَّة الزوجيَّة تبدو رائعة. ولكنَّ المحبَّة الزوجيَّة لا تقتصر على المشاعر، بل إنَّها تتطلَّب التزامًا وتكريسًا.

وقد تبدو المحبَّة- في ظاهرها- جَذَّابة وسهلة. وهي بالفعل كذلك. فمِن السَّهل على الزَّوج أن يُحِبَّ زوجته ما دامت تفعل كُلَّ ما يُسِرُّه ويُرضيه، وهي تُبادله المحبَّة بنفس الطريقة (ما دام يفعل ما يُسِرُّها ويرضيها). ولكنَّ الحياة ستضع هذه المحبَّة تحت الاختبار إن عاجلًا أَم آجلًا، حيث سيجد كلُّ واحد منهما أنَّ الأمور لن تسير دائمًا بحسب رغبته (أو رغبتها). وهنا يأتي دور الجزء الأعمق مِن المحبَّة- الالتزام والتَّكريس. فقد لا تسير خُطط الزَّوجين كما ينبغي، أو قد يواجهان ظرفًا عصيبًا، أو قد يَمرض أحدهما أو يُصاب في حادث، أو قد تزداد المسؤوليَّات عليهما. وحينئذٍ، سيُدرك العروسان أنَّ المحبَّة ليست مشاعر مُتدفِّقة فقط. فالمحبَّة تعني العطاء، والبَذْل، والتَّضحية، والبكاء، وعدم النَّوم، والرِّعاية، والغفران، والاحتمال، والتَّكَيُّف، والعطاء ثُمَّ العطاء ثُمَّ العطاء أكثر فأكثر.

وهذا لا يعني أنَّ الحُبَّ لن يعود مُمتعًا بعد السَّنة الأولى مِن الزَّواج. فهناك فرح عميق ينبع مِن المحبَّة المستمرَّة التي هي- في الحقيقة- أعمق بكثير مِن تلك المحبَّة التي يَشعر به الزَّوجان في بداية علاقتهما الزوجيَّة. ولكنَّ هذه المحبَّة العميقة ليست مُتاحة إلَّا للأشخاص المُكَرَّسين الذين يُبدون استعدادًا حقيقيًّا لتجاوز مُتعة الحصول على المحبَّة مِن شريك الحياة، واختبار فرح تقديم المحبَّة المُضَحِّية إلى شريك الحياة.

لذلك، لا يمكن لأفراح المحبَّة الزوجيَّة الحقيقيَّة أن تصير واقعًا ملموسًا في حياة الزَّوجين إلَّا مِن خلال ممارسة مبدأ المحبَّة المُضَحِّية. وإذا أمكن للمرء أن يَرى المحبَّة كالتزامٍ وتكريسٍ عندها فقط يمكنه أن يُبدي استعداده لممارسة المحبَّة المُضَحِّية. ولكن لا بُدَّ مِن الإقرار بأنَّ التَّضحية والتَّكريس اللَّذين يُميِّزان المحبَّة الزَّوجيَّة يَفوقان إدراك الإنسان الخاطئ وقُدْرَته. «المَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ» (١يوحنَّا ٤: ٧). لذلك فإنَّ المحبَّة الزوجيَّة تدفع الزَّوج والزَّوجة إلى السُّجود والانكسار أمام الله والاعتراف بعدم قدرتهما على امتلاك هذه المحبَّة لولا سُكْنى المسيح في قلوبهم. ويقتضي التَّنويه أيضًا إلى أنَّ المسيح لا يَحيا إلَّا في الأشخاص الذين يُفْرِغونَ أنفسهم. لذلك، فإنَّ المحبَّة الزوجيَّة هي أشبه بتمرينٍ يَشمل الانكسار والنموِّ الروحيِّ في آنٍ واحد. والحقيقة هي أنَّ أعمق أبعاد المحبَّة الزوجيَّة هي روحيَّة لأنَّ مَصدر المحبَّة التي لا تموت هو المُخَلِّص الذي لا يموت.

الزَّوجة الفاضلة

نأتي الآن إلى تخصيص الحديث عن الشَّريكين في العلاقة الزوجيَّة. فمِن المعلوم لدينا أنَّ الزَّواج يتألَّف مِن زوج وزوجة. ولكن ما الصِّفات الواجب توافرها في الزَّوج والزَّوجة للحصول على زيجات تَتَّسِم بالثَّبات والدَّيمومة؟ وهل ينبغي لجميع الأزواج والزَّوجات أن يكونوا نُسخة طِبْق الأصل بعضهم عن بعض؟ ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ الصُّورة التَّقليديَّة عن الزَّوجة ودورها قد تَغَيَّرت كثيرًا في وقتنا الحاضر حتَّى إنَّها أحْدَثَت ثورة في مفاهيم الزَّواج. لذلك، سنبتدئ حديثنا بهذه الآيات الكِتابيَّة التي تَصِف الزَّوجة الفاضلة:

> «امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى غَنِيمَةٍ. تَصْنَعُ لَهُ خَيْرًا لاَ شَرًّا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا. تَطْلُبُ صُوفًا وَكَتَّانًا وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ. هِيَ كَسُفُنِ التَّاجِرِ. تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ بَعِيدٍ. وَتَقُومُ

إِذِ اللَّيْلُ بَعْدُ وَتُعْطِي أَكْلاً لأَهْلِ بَيْتِهَا وَفَرِيضَةً لِفَتَيَاتِهَا. تَتَأَمَّلُ حَقْلاً فَتَأْخُذُهُ، وَبِثَمَرِ يَدَيْهَا تَغْرِسُ كَرْمًا. تُنَطِّقُ حَقَوَيْهَا بِالقُوَّةِ وَتُشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا. تَشْعُرُ أَنَّ تِجَارَتَهَا جَيِّدَةٌ. سِرَاجُهَا لاَ يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ. تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى المِغْزَلِ، وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالفَلْكَةِ. تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلفَقِيرِ، وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى المِسْكِينِ....تَفْتَحُ فَمَهَا بِالحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ المَعْرُوفِ. تُرَاقِبُ طُرُقَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ الكَسَلِ» (أمثال ٣١: ١٠ وما يليها مِن آيات).

«وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى، فَتَشِينُ رَأْسَهَا، لأَنَّهَا وَالمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ....فَلْتَتَغَطَّ» (١كورنثوس ١١: ٥ و ٦).

«كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ،...وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ القَلْبِ الخَفِيَّ فِي العَدِيمَةِ الفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الوَدِيعِ الهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ» (١بُطرس ٣: ١-٤).

«كَذلِكَ العَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالقَدَاسَةِ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ الكَثِيرِ، مُعَلِّمَاتِ الصَّلاَحِ، لِكَيْ يَنْصَحْنَ الحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتِ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ» (تيطُس ٢: ٣-٥).

إذًا هذه هي المرأة المَرْضِيَّة عند الله. ويمكننا أن نرى مدى بُعْد المرأة المعاصرة عن هذه الصُّورة مِن خلال توضيح الفروق بين الفِكْر البشريِّ وفِكْر الله:

	وفق مَعايير البشر، أنتِ امرأة مثاليَّة إذا كُنْتِ:		وَفق مَعايير اللّه، أنتِ امرأة مثاليَّة إذا كُنْتِ:
١.	جميلة.	١.	هادئة ورزينة.
٢.	جَذَّابة وتمتلكين قَوامًا جميلًا وممشوقًا.	٢.	ذات خُلُق رفيع.
٣.	ترتدين ملابس تكشف مفاتنك.	٣.	وَفِيَّة وداعمة ومُخْلِصَة لزوجك.
٤.	ذات بشرة ناعمة وفاتحة.	٤.	تُغَطِّين شعرك وتلبسين ملابس مُحتشمة.
٥.	فاتنة في حديثك وسلوكك.	٥.	تُحسنين تدبير بيتك وتهتمِّين بكل ما يحتاج إليه أهل بيتك مِن طعام وملابس.

٦.	صاحبة ابتسامة رائعة، وضحكة فاتنة، وتفاؤل دائم.	٦.	تَتجنَّبين النَّميمة والغيبة.
٧.	تحملين شهادة جامعيَّة من جامعة مرموقة.	٧.	تُنجبين الأطفال وتوفِّرين لأهل بيتك جَوًّا مُلائمًا لحياة التَّقوى.
٨.	متزوِّجة مِن رَجُل غنيٍّ.	٨.	تُحسنين استقبال الضُّيوف وتُعاملينهم بلُطْف- ولا سيَّما الفقراء.
٩.	تمتلكين مسارًا مهنيًّا خاصًّا بك.	٩.	تطلبين الحكمة مِن الله وتمارسينها في حياتك الشخصيَّة وفي تقديم النُّصْح والمشورة للفتيات والنِّساء الأصغر سِنًّا.

ومِن السَّهل علينا أن نَرى التَّبايُن الكبير بين هاتين اللَّائحتين ومدى تأثير ذلك على الحياة العائليَّة من الناحية العمليَّة. لذلك، إذا تَخَيَّلنا الحياة العائليَّة بوجود زوجة دُنيويَّة، سنجد أنَّها حياة فوضويَّة، وأنَّ الأبناء الصِّغار هُم مَصْدر إزعاج للأبوَيْن، وأنَّ الطَّعام الذي تتناوله العائلة غير صِحِّيٍّ، وأنَّ مجادلات كثيرة تَحْتَدِم بين الزَّوجين بسبب السيَّارة، والأثاث، والعمل، وغير ذلك. بالمقابل، إذا تَخَيَّلنا الحياة العائلية بوجود زوجة تَقِيَّة، سنرى مزيدًا مِن الأبناء، ومزيدًا مِن الحُبِّ، ومزيدًا مِن الرِّضا، وطعامًا صِحِّيًّا، وتعاونًا، وبيتًا يَتوق الزَّوج إلى العودة إليه مساءً، وبيتًا يَشعر فيه الأبناء بالأمان.

الزَّوج التَّقيُّ

ما الذي يقوله الكتاب المقدَّس عن الزَّوج؟

«زَوْجُهَا أَيْضًا فَيَمْدَحُهَا» (أمثال ٣١: ٢٨).

«أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ المَسِيحُ أَيْضًا الكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا،...كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلكَنِيسَةِ....فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسِهِ» (أفسُس ٥: ٢٥ وما يليها مِن آيات).

«وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ» (أفسُس ٦: ٤).

«كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الحَيَاةِ، لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ» (١بطرس ٣: ٧).

«لِيَكُنْ يَنْبُوعُ عِفَّتِكَ مُبَارَكًا، وَاغْتَبِطْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ، فَتَكُونَ كَالظَّبْيَةِ المَحْبُوبَةِ وَالوَعْلَةِ البَهِيَّةِ، فَتَرْتَوِيَ مِنْ فَيْضِ فِتْنَتِهَا، وَتَظَلَّ دَائِمًا أَسِيرَ حُبِّهَا. لِمَاذَا تُوْلَعُ يَا ابْنِي بِالمَرْأَةِ العَاهِرَةِ أَوْ تَحْتَضِنُ الغَرِيبَةَ؟ فَإِنَّ تَصَرُّفَاتِ الإِنْسَانِ مَكْشُوفَةٌ أَمَامَ عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَهُوَ يُبْصِرُ جَمِيعَ طُرُقِهِ» (أمثال ٥: ١٨-٢١- التَّرجمة التَّفسيريَّة).

ونَرى هُنا أيضًا أنَّ معايير الله للرَّجُل تَختلف كثيرًا عن معايير العالم. فما نوع الرِّجال الذين يَحْظَوْنَ بالإعجاب في عالمنا اليوم؟ وما الأشياء التي يَظُنُّ الرِّجال أنَّها مُهِمَّة لسعادتهم وشعورهم بالرِّضا كرجال؟ لِنَنظر إلى كِلتا الصُّورتين:

	وَفْق معايير البشر، أنتَ رَجُلٌ مثاليٌّ إذا كُنْتَ:		وفق مَعايير اللّه، أنتَ رَجُلٌ مثاليٌّ إذا كُنْتَ:
١.	وَسيمًا.	١.	تُقاوم التَّأثيرات الشرِّيرة.
٢.	طويل القامة وقويَّ البُنية.	٢.	تَتَفَهَّم زوجتك، وتعاملها باحترام، وكُنتَ أمينًا لها.
٣.	ترتدي ملابس غالية الثَّمن.	٣.	تُعامل أبناءك بلُطْف.
٤.	تقود سيَّارة رياضيَّة أو فاخرة.	٤.	تَعمل بِجدٍّ واجتهادٍ لِسَدِّ حاجات عائلتك.
٥.	صاحب أموال كثيرة ويمكنك السَّفر كما تشاء.	٥.	تُدَبِّر بيتك دون انشغالٍ بالماديَّات لأنَّك تُرَكِّز على الاستثمار في السَّماء.
٦.	تَشغل وظيفة مرموقة وتحمل لقبًا طَنَّانًا.	٦.	تَتَصَدَّق على الفقراء والأرامل.
٧.	قادرًا على تقديم إثباتات على نجاحك الماديِّ (كأن يكون لديك سيَّارات أخرى، أو أملاك، أو غير ذلك).	٧.	تقود زوجتك وأبناءك في عبادة الله وتسبيحه.
٨.	تحمل شهادة عالية ولديك استثمارات طويلة الأجل.	٨.	تُقَدِّم لعائلتك تعليمًا وتدريبًا يُسْهم في بُنيانهم روحيًّا.
٩.	متزوِّجًا بامرأة جميلة.	٩.	تُبدي فهمًا سليمًا لطُرُق الله فتكون بذلك مَصْدر إرشاد وتشجيع لآخرين.

ويمكننا أن نرى هنا أيضًا الفَرْق الشَّاسع بين بيتٍ يُدَبِّرُه رَجُلٌ دُنيويٌّ، وبيت يُدَبِّره رَجُلٌ تَقِيٌّ. لذلك، إذا تَخَيَّلنا الحياة العائليَّة بوجود رَجُلٍ دُنيويٍّ، يمكننا أن نرى مزيدًا مِن المال؛ ولكنَّنا سنرى أيضًا أنَّ العائلة لا تصرف وقتًا معًا، وأنَّ هناك خلافات كثيرة بين أفراد العائلة، وأنَّ الحياة العائليَّة سريعة أكثر مِن اللَّازم. بالمقابل، إذا تَخَيَّلنا الحياة العائليَّة بوجود رَجُلٍ تَقِيٍّ، يمكننا أن نرى المحبَّة، والقيادة الحكيمة، والتفهُّم، والشُّعور بالأمان.

ولتوضيح الصُّورة أكثر، فَكِّر في رَجُل دُنيويّ مَتَزَوِّج بامرأة دُنيويَّة. وعلى النَّقيض مِن ذلك، فَكِّر في رَجُلٍ تَقِيٍّ مُتزوِّجٍ بامرأة فاضلة. فمِن المُرَجَّح أنَّ العلاقة بين الزَّوجين في الحالة الأولى ستكون مُمتلئة بأشياءٍ مادِّيَّة، ولكنَّها ستكون خالية مِن الفرح، والهدف، والشُّعور بالاكتفاء. أمَّا في الحالة الثَّانية، فسيكون التَّركيز مُنصبًّا على استخدام الموارد المادِّيَّة لتحقيق مقاصد سماويَّة أبديَّة. وهي علاقة مُفعمة بالمحبَّة والشُّعور بالأمان والرِّضا.

وعندما نُفَكِّر في معايير الله للزَّوج والزَّوجة في إطار الزَّواج، قد يكون الموضوع المُثير للجَدَل أكثر مِن غيره في وقتنا الحاضر هو خضوع الزَّوجة للزَّوج. ولكن لنتأمَّل في ما تقوله كلمة الله: «وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ المَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ المَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ المَسِيحِ هُوَ اللهُ» (١كورنثوس ١١: ٣). وأيضًا: «أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ المَرْأَةِ كَمَا أَنَّ المَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الكَنِيسَةِ،...وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الكَنِيسَةُ لِلمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (أفسُس ٥: ٢٢-٢٤).

وكثيرًا ما يُفَسَّر خضوع الزَّوجة للزَّوج كما لو كانت تَقِلُّ عنه في الأهميَّة، أو كما لو كانت غير مُساوية له، أو كما لو كانت تحت العُبوديَّة. وقد يكون هذا هو شعور المرأة التي تعيش مع زوجٍ أنانيٍّ مُتَسَلِّط. ولكنَّ هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة عندما يكون الزَّوج مؤمنًا تَقِيًّا مُطيعًا لدعوة الله لحياته. والحقيقة هي أنَّ سوء فهم النَّاس لدور الرَّجُل ودور المرأة يَعود، في الأصل، إلى سوء فهمهم لمعنى الإنجاز الشخصيِّ. ففي عقليَّة العالم، فإنَّ الحُرِّيَّة والإنجاز يَعنيان أن يتمكَّن المرء مِن فِعْل ما يريد. لذلك، فإنَّ المرأة تَحسد الرَّجُل على دَوْرِهِ لأنَّه يبدو أكثر إشباعًا للإنسان. ولكِنَّ الحقيقة مُغايرة. فالحُرِّيَّة الحقيقيَّة والشِّبع الحقيقيُّ يَنبعان مِن إرضاء الله وخدمة الآخرين. لذلك، لا يجوز أن نقول إنَّ أحد الزَّوجين يَفوق الآخر أهميَّةً.

والآن، هل يجوز للزَّوج أن يَفعل ما يَحلو له؟ قطعًا لا! فهو حُرٌّ فقط في إظهار المزيد مِن التفهُّم والمحبَّة لزوجته وأبنائه، وفي سَدِّ حاجاتهم.

وهل الزَّوجة مُطالَبة بإرضاء زوجها في كُلِّ صغيرة وكبيرة؟ وهل هي مُطالَبة بدعمه وتشجيعه في كُلِّ ما يفعل- سواء كان ذلك بحكمة أو حماقة؟ وفقًا لتعليم الكتاب المقدَّس، فإنَّ الزَّوجة تخضع لسلطة الزَّوج. لذلك، يجب عليها أن تُطيعه، وأن تَخضع له، وأن تقف إلى جانبه. فالكتاب المقدَّس لا يَذْكُر أيَّ استثناءات، ولا يُشير إلى الأمور التي يمكن للزَّوجة أن تُخالِف فيها زوجها، أو إلى الأمور التي يمكنها رفضها، أو إلى الأمور التي قد تُقرِّر أنَّها ليست حكيمة. ومع ذلك، فإنَّ هذا لا يَمنع وجود حوارٍ بَنَّاءٍ بين الزَّوجين. ولكن إذا كان الزَّوج يَستغِلُّ سُلطته ويُسيء مُعاملة زوجته، يمكن للزَّوجة أن تلتجئ إلى سُلطات أعلى (مثل راعي الكنيسة أو السُلطات الرَّسميَّة إذا كان هناك خطر) لحمايتها. وإذا طَلَب الزَّوج مِن زوجته أن تقوم بأمرٍ يُخالف كلمة الله، ينبغي لها أن تُطيع الله أكثر مِن النَّاس (انظر أعمال ٥: ٢٩). ويبقى هناك بُعْدٌ آخر لهذا السُّؤال. وهو أكثر أهميَّة مِن الحديث عن ما يمكن للمرأة القيام به، وعن ما لا يمكنها القيام به. ونحنُ نتحدَّث هنا عن نظرة المرأة نفسها إلى علاقتها بزوجها. فإن كانت الزَّوجة تَرى أنَّ مساندتها وخضوعها لزوجها هو «خضوع للربِّ»، يمكنها أن تتحرَّر في تفكيرها وعلاقتها به دون أن تَشعر بالعُبوديَّة. كذلك، إذا كانت الزَّوجة تَرى أنَّها تُعين زوجها وتساعده في أن يكون أفضل ما يُمكنه أن يكون كزوجٍ (مِن خلال أفعالها، وكلماتها، وسلوكها)، ستجد أنَّ زوجها يعاملها معاملة أفضل. كذلك، فهي ستجد أنَّها تمتلك الحكمة اللَّازمة لمعالجة المشكلات التي قد تطرأ في الحياة الزوجيَّة.

إنَّ وجود القيادة القائمة على المحبَّة مِن جانب الزَّوج، والدَّعم القائم على المحبَّة مِن جانب الزَّوجة مُهِمٌّ جِدًّا لدى الربِّ حَتَّى إنَّه أَفْسَحَ للزَّوجين المجال للتَّعبير عن ذلك بصورة علنيَّة. فبحسب ما جاء في الأصحاح ١١ مِن رسالة كورنثوس الأولى، نَرى أنَّ شعر المرأة الطَّويل والمُغَطَّى، وشَعْر الرَّجُل القصير والمكشوف يَشهدان عن خضوع الزَّوج للمسيح، وخضوع الزَّوجة لزوجها.

وما أكثر المسائل المُعَقَّدة والمشكلات المؤلمة التي تواجه الزَّوجين عندما لا يُطيعان وصايا الله لِكُلٍّ منهما. فالأزواج يَشعرون بأنَّ زوجاتهم يُهَدِّدْن كِيانهم ويتحايلنَ عليهم. والزَّوجات يَشعرن بأنَّ أزواجهنَّ يُسيئون فهمهنَّ ويتسلَّطون عليهنَّ. وبدلًا مِن هَدْر الوقت في مناقشة الصِّفات السلبيَّة للأزواج والزَّوجات، لنُرَكِّز على أربعة مبادئ ينبغي فهمها لدى معالجة المشكلات الزوجيَّة:

١. **الأشخاص الوحيدون الذين يختبرون بَرَكة الله هم أولئك الذين يُطيعون وصاياه.** إنَّ طريقة الرَّجُل في التَّفكير عمليَّة في أغلب الأوقات ومُوَجَّهة نحو الموقف. ولا شَكَّ أنَّه ينبغي لنا التَّفكير في المواقف، ولكن ينبغي أن نفعل ذلك في ضوء ما تقوله كلمة الله. ويجب على الزَّوج أن يكون القائد. أمَّا الزَّوجة فينبغي لها أن تَدعم زوجها. وعندما يكون الرَّجُل ضعيفًا، يمكن للمرأة مساعدته ودعمه لكي يكون قويًّا. ولكن لا يمكنها أن تأخذ مكانه. وعندما تَحيد الزَّوجة عن الطَّريق، ينبغي للزَّوج أن يُخبرها بذلك، وأن يُشَجِّعها، وأن يَنتهرها، وأن يُحِبَّها، وأن يَسُدَّ حاجاتها. وفي مُطلق الأحوال، لا يجوز للزَّوج أن يَحيد عن المثال الذي وضعه السيِّد المسيح له. ولا ينبغي للزَّوج بأيِّ حالٍ مِن الأحوال أن يُرغم زوجته على دعمه. ونُعيد القول إنَّ إطاعة الله هي الطَّريقة الوحيدة للحصول على بَرَكته.

٢. **عندما لا يُطَبِّق أحد الزَّوجين وصايا الله، فإنَّه يضع ضغوطًا على الآخر. فمِن الصَّعب على الزَّوجة أن تحترم زوجها وأن تدعمه إن لم يَكُن يُحِبُّها.** وعندما تكون الزَّوجة غير خاضعة، مِن الصَّعب على زوجها أن يُحِبَّها وأن يُراعي مشاعرها. لذلك، يجب على الزَّوجين أن يَفتحا قلبيهما الواحد للآخر، وأن يَفحصا نفسيهما بروح الصَّلاة: «هل أنا الشَّخص الذي يريدني الله أن أكونه؟»

٣. **أكثر الطُّرق فاعليَّة في مساعدة شريك الحياة غير الصَّالح هو أن تكون أنت شخصًا تقيًّا بكلِّ معنى الكلمة وأن تفعل كُلَّ ما يوصيك الله أن تَفعله.** فالزَّوجة المُتمرِّدة لن تُطيع زوجها بسهولة. ومع ذلك، قد يستطيع الزَّوج أن يكسب احترامها وخضوعها مِن خلال تعميق محبَّته لها، وإظهار المزيد مِن الاهتمام والتفهُّم لها. كذلك، إذا كان الزَّوج جلفًا قاسيًا، مِن الصَّعب على الزَّوجة أن تُملي عليه أن يُحِبَّها. ولكن يمكن للمرأة التقيَّة أن تكسب قلب زوجها لا بالجَدَل والنِّقاش، بل مِن خلال خضوعها ودعمها له (انظر ١بُطرس ٣).

٤. **بالرَّغم من احتماليَّة حدوث أخطاء في اختيار شريك الحياة، فإنَّ رباط الزَّواج يربط الزَّوجين مدى الحياة.** فنحن نعيش في عالم متهوِّر وطائش تَكْثُر فيه الآلام والمشكلات. وهناك أشخاص كثيرون يُدركون بعد فترة قصيرة مِن زواجهم أنَّهم اقترفوا خطأً فادحًا ويلومون أنفسهم على غباوتهم. وحينئذٍ، لا شَكَّ أنَّ حياتهم ستتدهور أكثر فأكثر بعد ذلك. لذا، ما الذي يمكن فِعله بعد اقتراف هذه الغلطة الفادحة؟

«إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا للهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الوَفَاءِ بِهِ، لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ. أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ. لاَ تَدَعْ فَمَكَ يَجْعَلُ جَسَدَكَ يُخْطِئُ، وَلاَ تَقُلْ قُدَّامَ المَلاَكِ: «إِنَّهُ سَهْوٌ»» (الجامعة ٥: ٤-٦).

إنَّ الله يدعونا إلى الوفاء بنذورنا. لذلك، حتَّى لو أخطأنا في اختيار شريك الحياة، يجب علينا أن نَقبل حقيقة أنَّ هذا الشَّريك هو العلاقة الشرعيَّة الوحيدة لدينا. وعندما نقرِّر أن نَفي بنذورنا، فإنَّنا قد نتألَّم. ولكنَّ الله راغبٌ وقادر على مساعدة كُلِّ مَن يَتَّكِل عليه.

الحاجات الأساسيَّة وكيفيَّة تلبيتها

عندما خَلَق اللهُ الرَّجُل والمرأة، جَعَلَ كُلًّا منهما يُكَمِّل الآخر. وقد أشارَ الله إلى ذلك بقوله: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ» (تكوين ٢: ٨١). لذلك، فقد خَلَق الله المرأة لِتُكَمِّل نَقْص الرَّجُل فيكون الاثنان لا خَصْمَيْن، بل رَفيقَيْن على جميع الأصعدة: جسديًّا، واجتماعيًّا، وعاطفيًّا، وفكريًّا، وحتَّى روحيًّا.

والحقيقة هي أنَّ الكثير مِن المشكلات والخلافات بين الزَّوجين (وفي العلاقات الأخرى) في وقتنا الحاضر نابعة- مباشرةً- مِن التَّركيز على الحقوق، والتَّغاضي عن المسؤوليَّات. لكن عندما تعود الأمور إلى وضعها الصَّحيح (أي: التَّركيز على المسؤوليَّة الفرديَّة تُجاه الطرف الآخر، والتقليل من المطالبة بالحقوق الشَّخصيَّة) في إطار الزَّواج، مِن المؤكَّد أنَّ الخلافات بين الزَّوجين ستتضاءل، وأنَّ كُلًّا منهما سيُفَكِّر في طرائق جديدة لخدمة الآخر. فبدلًا مِن أن يكون كُلٌّ منهما مُنهمكًا في فِعل ما يريد، سيُرَكِّز كُلٌّ منهما على تلبية حاجات الآخر.

وسوف نُرَكِّز في هذا القسم على بعض حاجات الأزواج والزَّوجات. ونرجو أن يكون هذا الجزء مفيدًا للأشخاص الذين يُفَكِّرون جديًّا في الاضطلاع بمسؤوليَّاتهم على أكمل وجه في إطار علاقتهم الزَّوجيَّة.

الحاجات الأساسيَّة للزَّوجة

إنَّ فهم حاجات الزَّوجة -بالتمايز والتقابل مع حاجات الزوج- يَعتمد على فهم الأنوثة والذُّكورة، وعلى فهم الفروق بين الجنسين. ولا شَكَّ أنَّ المفاهيم عن الرَّجُل والمرأة تختلف باختلاف الثَّقافات والأزمنة. وفي وقتنا الحاضر الذي تَكثر فيه الدَّعوة إلى المساواة بين الجنسين،

لم يَعُد كثيرون يُقِرُّون بوجود فروقٍ بين الذكر والأنثى. وبالرَّغم من ذلك، فإنَّ إهمال الفروق بين الجنسين غير واقعيٍّ ولا يُوافق تعليم الكتاب المقدَّس أيضًا.

ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ المفاهيم الثقافيَّة عن الذَّكر والأنثى لم تَكُن جميعها صحيحة قبل القرن العشرين أيضًا. فما دام الله قد خَلَق الإنسان ذكرًا وأنثى، فإنَّ هذا يُؤكِّد أنَّهما ليسا مُتشابهَيْن تمامًا. ولكن ينبغي لنا أن نُدرك أنَّ الاختلاف بينهما لا علاقة له بالقيمة أو الأهميَّة. فعلى سبيل المثال، عندما يكون هناك مشروع ينبغي إنجازه، فإنَّ الرَّجُل يَنظر إلى المشروع ويُفَكِّر في كيفيَّة تحقيقه. أمَّا المرأة فقد تنظر إلى المشروع نفسه كوسيلة لبناء العلاقات. وبالرَّغم مِن هذا الاختلاف في طريقة التَّفكير، لا يمكننا القول أنَّ أحدهما أفضل مِن الآخر. ولكنَّ هذا يؤكِّد حقيقة أنَّ الرَّجُل والمرأة مُختلفان.[١٧]

في ضوء ما سَبَق، ما حاجات المرأة؟

١. **إنَّ الزَّوجة بحاجة إلى شخصٍ يَفهمها.** «كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ» (١بُطرس ٣: ٧). إنَّ هذه الآية تُرينا أنَّ الزَّوج قد يميل إلى الانهماك في أمورٍ أخرى خارج إطار بيته وعائلته. وقد يُفضي ذلك إلى إهمال الأمور المختصَّة بزوجته- ولا سِيَّما تلك المُهِمَّة لديها. فلكُلِّ امرأة عاداتها، ومخاوفها، وميولها، والأمور التي تُحِبُّها ولا تُحِبُّها. وهي تَشعُر، في إطار العلاقة الزَّوجيَّة، بحاجتها إلى مَن يفهمها. ويمكن للزَّوج أن يُظهر فَهمه لزوجته مِن خلال اهتمامه بها. فالكتاب المقدَّس لا يقول إنَّ الزَّوج مُطالب فقط بمعرفة زوجته، بل إنَّهُ يُطالبه بأنْ يَعيشَ مَعَها وَفْقًا لمعرفته بها.

٢. **إنَّ الزَّوجة بحاجة إلى شخصٍ يَقبلها كما هي.** ويمكن القول إنَّ هذه الحاجة هي امتداد لحاجتها إلى مَن يَفهمها. والكتاب المقدَّس يَصِف العلاقة الزوجيَّة الوطيدة بأنها «مَعرفة» الواحد للآخر. فالزَّواج يَجعل كُلًّا مِن الزَّوج والزَّوجة يَعرف ذِهن الآخر وقلبه «على حقيقته». وقد تكون هذه المعرفة مؤلمة أو رائعة. وهذا يَعتمد على الاستعداد لتقديم القَبول للطَّرف الآخر. فالزَّوج يُرسل رسائل رَفْضٍ واضحة إلى زوجته عندما يُقارنها سلبيًّا بنساءٍ أُخريات، أو عندما يَهزأ بشخصيَّتها، أو عندما يُلقي عليها مسؤوليَّات كثيرة ثُمَّ ينتقدها بسبب إخفاقها. ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ قَبول الزَّوج للزَّوجة لا يعني موافقته على كُلِّ ما تَفعله أو قبوله لكلِّ طِباعها، ولكنَّه يعني احترام شخصيَّتها الفريدة ومساعدتها على تحقيق خُطَّة الله لحياتها.

٣. **إنَّ الزَّوجة بحاجة إلى شخصٍ يُحِبُّها ويُكرمها.** ولا شَكَّ أنَّ المحبَّة تَختلف أيضًا عن القبول. والحقيقة هي أنَّ قَبول الزَّوج لزوجته وحُبَّه لها يتوقَّفان على فهمه لها. ورُبَّما كان الحُبُّ والإكرام هو الحاجة الأساسيَّة للزَّوجة في إطار الزَّواج. لذلك، ليس مِن باب المُصادفة أنَّ العهد الجديد يوصي الرَّجُل مرارًا وتكرارًا بأن يُحِبَّ زوجته. فقد كَتَب الرَّسول بولس: «كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلكَنِيسَةِ» (أفسُس ٥: ٢٨ و ٢٩). والكلمة «يُرَبِّي» في هذا النَّصِّ تعني حرفيًّا: «يُدْفِئ- كما يُدْفِئ الطَّائر صِغارَهُ». فالزَّوجة بحاجة إلى مَن يَفهمها. وهي بحاجة إلى مَن يَقبلها كشخص. وهي بحاجة أيضًا إلى الشُّعور بمحبَّة زوجها لها، وإلى ذلك الشُّعور بالأمان النَّاشئ عن ضَمِّه لها بالقرب مِن قلبه- لا لسببٍ آخر سوى أنَّها عزيزة وغالية على قلبه.

ويَقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ توفير هذه الحاجات الثَّلاث هو عمليَّة تراكُميَّة. فكُلُّ خطوة تَتوقَّف على الخطوة التي سَبَقَتها. فلا يمكن للزَّوج أن يَقبل زوجته إن لم يَفهمها. وهو لا يَقدر أن يُحِبَّها ما لم يَفهمها ويَقبلها.

٤. **إنَّ الزَّوجة بحاجة إلى قائدٍ حازمٍ وحكيم.** «كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الحَيَاةِ، لِكَيْ لا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ» (١بطرس ٣: ٧). وعندما يُشير الكتاب المقدَّس إلى المرأة بأنَّها «الإناء الأضعف»، فإنَّه لا يَعني أنَّها أضعَف مِن الرَّجُل في كُلِّ شيء. وكما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ هذا لا يعني أنَّها أقَلُّ شأنًا مِن الرَّجُل. ولكنَّ هذا يُشير إلى أنَّ المرأة تنجذب إلى القُوَّة التي عند الرَّجُل- على أن تكون قُوَّة مُنضبطة وتحت السَّيطرة وتحافظ على مراعاة الآخرين في نفس الوقت. ومِن دواعي الأسف أنَّ الرِّجال يميلون إلى الإفراط في استخدام القوَّة للسَّيطرة على النِّساء. بعبارة أخرى، فإنَّهم يَستغلُّون ضعف المرأة. ولكنَّ هذه «القوَّة» تفقد جاذبيَّتها سريعًا. لذلك، ينبغي للزَّوج أن يَستخدم قوَّته بحسب القصد الإلهيِّ- أي لحماية زوجته وأبنائه مِن الأذى والضِّيق (المادِّيِّ، والعاطفيِّ، والروحيِّ). كذلك، ينبغي للزَّوج أن يَقود عائلته برفقٍ وحُنُوٍّ ولُطف.

٥. **إنَّ الزَّوجة بحاجة إلى شخصٍ وَفِيٍّ ومُخْلِص.** «اِجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ، كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لأَنَّ المَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالمَوْتِ. الغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالهَاوِيَةِ. لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ»

(نشيد الأنشاد ٨: ٦). فالمحبَّة الزَّوجيَّة العميقة لا تَحتمل وجود مُنافسين. لذلك، فإنَّ الحُبَّ لا يَخلو مِن الغَيْرَة المنضبطة اللَّائقة التي تقول: «أنا لك، وأنت لي». بعبارة أخرى، فإنَّ الزَّوجة بحاجة إلى الشُّعور بالأمان النَّاشئ لا عن محبَّة زوجها لها فحسب، بل وأيضًا عن عدم وجود مُنافساتٍ لها في قلبه. ولا شَكَّ أنَّ هناك غَيْرَة مُفرطة أساسها الأنانيَّة. وهذه الغَيْرَة تَظهر مِن خلال الشكِّ والخوف. والحقيقة هي أنَّ الغَيْرَة العمياء تضع قَيْدًا خانقًا على الزَّوج. وعلى الرَّغم من ذلك، فإنَّ الزَّوجة في حاجة إلى زوجٍ مُخْلِص. ولا شَكَّ أنَّ الزَّوج الذي يَفهم هذه الحاجة عند زوجته يُحافظ على ثقتها. فهو لا يُغازل نساءً أُخريات، ولا ينظر إلى المجلَّات الإباحيَّة. بل إنَّه يَحفظ عينيه، ولسانه، وقلبه. وهو يُرَكِّز على إظهار محبَّته المُخْلِصَة للمرأة الوحيدة التي اختارها زوجةً له.

الحاجات الأساسيَّة للزَّوج

إنَّ حاجات الزَّوج تختلف كثيرًا عن حاجات الزَّوجة، بل ربَّما تكون على النَّقيض منها. فالله خَلَق المرأة في ضوء حاجات الرَّجُل (تكوين ٢: ١٨). لذلك، فقد زَوَّدها بكُلِّ ما يلزمها لإشباع هذه الحاجات. والآن، ما حاجات الزَّوج؟

١. **إنَّ الزَّوج بحاجة إلى الشُّعور بأنَّ هناك مَن هو في حاجة إليه.** فقد أعطى اللهُ الرَّجُل مسؤوليَّة القيادة في البيت. لذلك، عندما يُدرك الزَّوج أنَّ زوجته تَعتمد عليه، فإنَّ رُجولته تدفعه إلى القيام بمسؤوليَّته تجاهها وإعالتها، والاعتناء بها، وحمايتها. وهو يشعر بالرِّضا والاكتفاء مِن خلال تلبية حاجات زوجته. وكما أنَّ الزَّوج قد يُسيء استخدام قُوَّته مِن خلال التسلُّط على زوجته، قد تُسيء الزَّوجة استخدام ضعفها واتِّكالها على زوجها مِن خلال التَّحايُل عليه. وما أكثر الزَّوجات اللَّاتي يَستخدمن دموعهنَّ، وصُداعهنَّ، وأنينهنَّ لاستدرار عطف الزَّوج مِن أجل تحقيق مصالحهنَّ الشَّخصيَّة. ولكنَّ هذا التَّظاهُر بالضَّعف لن يدوم طويلًا. لذلك، فإنَّ المرأة الحكيمة تَسمح لزوجها بإشباع حاجاتها دون التَّحايُل عليه للحصول على ما تُريد.

٢. **إنَّ الزَّوج بحاجة إلى شخص يَقبله كما هو.** فالإنسان- بِطَبيعته- بحاجة إلى الشُّعور بالقبول. ولمَّا كان الزَّواج هو أعمق وأوطد صداقة ممكنة بين البشر، فإنَّه يوفِّر البيئة الملائمة لتلبية هذه الحاجة. ولكنَّ الزَّواج قد يترك تأثيرًا سلبيًّا على الزَّوج إذا كان يَشعر

بأنَّه مرفوض. فانتقادات الزَّوجة الدَّائمة، وحديثها عن إخفاقات الزَّوج أمام الآخرين هما أقوى مؤشِّرَيْن شائعَيْن يُعَبِّران عن رفض الزَّوجة للزَّوج. وكما ذكرنا سابقًا (أثناء الكلام عن حاجة الزوجة للقبول)، فإنَّ القبول لا يعني بالضَّرورة موافقة الزَّوجة الكاملة على كُلِّ ما يفعله الزَّوج. ولكنَّه يعني أن ترى زوجها كما هو (بدلًا مِن مقاومة هذا الواقع)، ومساعدته على تحقيق خُطَّة الله لحياته لكي يكون الإنسان الذي يريده الله أن يكونه.

٣. **إنَّ الزَّوج بحاجة إلى شخص يُشَجِّعه ويَدعمه.** وقد قال اللهُ لتوضيح قَصْدِه مِن خَلْق زوجةٍ لآدم: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ» (تكوين ٢: ١٨). إذًا، المرأة «مُعين» لزوجها. وهذا لا يعني البَتَّة أنَّها شيءٌ كَمالِيٌّ، أو شخص موجود لوقت الحاجة فقط؛ بل يعني أنَّها خُلِقَت للقيام بدورٍ داعِمٍ رئيسيٍّ في مؤازرة زوجها. ففكرها وإرادتها وطاقاتها هي مِلْك لها لتستخدمها. ولكنَّها ليست في مُنافسة مع زوجها، بل هُما يَتَّحدان معًا في الفِكْر والإرادة والطَّاقة فيُكَمِّل أحدهما الآخر. ولا شَكَّ أنَّ مقدار تشجيع المرأة ودعمها لزوجها يَتوقَّف على مدى استعداد الزَّوج لقبول ذلك منها والتَّعاون معها. والحقيقة هي أنَّ الزَّوجة الحكيمة تُدرك أنَّ لكُلِّ زوج جوانب ضعف. لذلك، فإنَّها لا تفشل وتتراجع عن دعمه وتشجيعه في حال إخفاقه أو فشله. بل إنَّها تسنده، وتساعده- مِن خلال وجودها في حياته- على تَخَطِّي ضعفه وتحويله إلى قُوَّة، وكذلك تعضيد وترسيخ جوانب القوَّة لديه. وقد يكون امتنان الزَّوجة واحدًا مِن أفضل الطَّرائق العمليَّة لتشجيع زوجها. فابتسامتها، وعبارات الشُّكر، وقدرتها على الحفاظ على فَرَحِها حتَّى في الأوقات العصيبة هي أمور تُشبع إحدى الحاجات الأساسيَّة لدى زوجها.

٤. **إنَّ الزَّوج بحاجة إلى أنوثة زوجته في البيت.** «حِكْمَةُ الْمَرْأَةِ تَبْنِي بَيْتَهَا، وَالْحَمَاقَةُ تَهْدِمُهُ بِيَدِهَا» (أمثال ١٤: ١). «كَذلِكَ الْعَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالْقَدَاسَةِ...لِكَيْ يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ» (تيطُس ٢: ٣-٥). ومع أنَّ الزَّوج مسؤول عن القيادة في البيت، فإنَّه لا يستطيع أن يَبني البيت بمفرده. فهو بحاجة إلى زوجته لإيجاد بيئة مُنَظَّمة، وجميلة، ونظيفة، ومُفعمة بالرِّعاية والعناية. وعلى النَّقيض مِن التَّفكير السَّائد حاليًّا، فإنَّ تدبير المنزل ليس عملًا وضيعًا ومُمِلًّا لا يُناسب إلَّا المرأة التي تَفتقر إلى الذَّكاء؛ بل هو عمل يتطلَّب تكريسًا، وإبداعًا، وذكاءً، ومهاراتٍ إداريَّة رفيعة المستوى. والحقيقة هي أنَّ أُنوثة الزَّوجة هي القلب

النَّابض للبيت. لذا، فإنَّه لا غِنى عنها. أمَّا المرأة التي تُفَضِّل العمل خارج المنزل فإنَّها تترك في بيتها وحياتها الزوجيَّة فراغًا لا يمكن لأيِّ شخصٍ آخر أو شيءٍ آخر أن يُعَوِّضه.

٥. **إنَّ الزَّوج بحاجة إلى زوجة وَفِيَّة ومُخْلِصَة.** «امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا» (أمثال ٣١: ١٠ و ١١). فإخلاص الزَّوجين ضرورة مُلِحَّة في العلاقة الزوجيَّة. فكما أنَّ المحبَّة المُخْلِصَة تُفْضي إلى مشاعر حُلوة في العلاقات البشريَّة، فإنَّ الخيانة تُفْضي إلى المَرارة. ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ الخطر الأكبر الذي يَتَهَدَّد العلاقة الزَّوجيَّة هو أن يُدرك أحد الزَّوجين أنَّ شخصًا ثالثًا قد نجح في تَدنيس قُدْسِيَّة العلاقة الزوجيَّة. لذلك فإنَّ الزَّوجات في حاجة إلى أزواجٍ مُخْلِصين. كذلك، فإنَّ الأزواج في حاجة إلى زوجاتٍ مُخْلِصات. ولا شَكَّ أنَّ الزَّوجة التَّقِيَّة تُحافظ على أخلاقها، وكلامها، ومظهرها، وتحتفظ بجمالها ومفاتنها لزوجها فقط. «وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّل، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَال صَالِحَةٍ» (١تيموثاوس ٢: ٩ و ١٠).

ولا شَكَّ أنَّ فَهْم كُلٍّ مِن الزَّوجين حاجات الآخر هو الخطوة الأولى التي يَخطوها الحُبُّ لتلبية هذه الحاجات. فإن رَكَّزنا على حاجاتنا بدلًا مِن حاجات شريك حياتنا، قد نتعَثَّر بسهولة برثاء الذَّات بدلًا مِن القيام بخطوات واسعة قائمة على المحبَّة. فنجاح العلاقة الزوجيَّة يَعتمد كثيرًا على مدى استعدادنا للتَّضحية بذواتنا في سبيل توفير الحاجات العميقة لشريك حياتنا. فهذا هو المِحَكُّ الحقيقيُّ للمحبَّة. والمحبَّة هي «إسْمِنْت» الزَّواج إن جاز التَّعبير (أي: اللَّاصق القويُّ للعلاقة الزَّوجيَّة).

أخطاء شائعة في الزَّواج

هناك أخطاء كثيرة تُحيط بالزَّواج. ويبدو أنَّ الضُّغوط المؤدِّية إلى الوقوع في هذه الأخطاء هي في تزايد مستمر بسبب زيادة صعوبة الحياة وتعقيداتها. وما أكثر الأخطاء التي قد يقترفها الزَّوج والزَّوجة في أيَّامنا هذه. لذلك، سنكتفي بالحديث عن أبرز هذه الأخطاء:

١. **العبوديَّة الماليَّة:** فهناك ضغوط هائلة على الزَّوجين للشِّراء، والتملُّك، والاستهلاك. فالشَّيء الذي لا يمكننا دفع ثمنه اليوم سندفعه لاحقًا. فهذه هي الرسالة التي نسمعها تتردَّد في المجتمع من حولنا. ولكِنْ سُرعان ما يجد العريس والعروس نفسَيْهما غارِقَيْن إلى آذانهما

في الدُّيون؛ في حين أنَّ الحُبَّ لم يَصِلْ بعد إلى الكاحِلَيْن. ففي دراسة أُجريت سنة ١٩٩٦، قال ٧٥ بالمئة مِن الأزواج المُطَلَّقين والزَّوجات المُطَلَّقات في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة إنَّ المشكلات الماليَّة كانت هي السَّبب الرَّئيسيِّ في انهيار زِيْجاتهم.[١٨]

ولكن ما العبوديَّة الماليَّة؟ إنَّ العبوديَّة الماليَّة تعني أن لا نتمكَّن مِن فِعل الشَّيء الصَّحيح أو الملائم لأنفسنا، أو لعائلتنا، أو للربِّ بسبب اهتمامنا المُفرط في الأمور الماليَّة. وقد تأتي العبوديَّة في شكل ديون ضاغطة، أو فواتير غير مدفوعة، أو غير ذلك. مِن جهة أخرى، قد يقع المرء في فَخِّ العبوديَّة الماليَّة نتيجة موقفه مِن المال- مِثل رغبته في أن يصير غَنِيًّا، أو قلقه المُفرط على استثماراته (أو قلقه على عدم وجود استثمارات لديه)، أو بسبب استعداده لخداع الآخرين والتَّحايُل عليهم.

ويمكن للمرء أن يبقى بمنأى عن العبوديَّة الماليَّة مِن خلال التزامه الرَّاسخ بمبادئ كلمة الله، وباستخدام البصيرة والحكمة. فَكِّر في الإرشادات التَّالية:

- اطلب ملكوت الله قبل أيِّ شيءٍ آخر.
- كُن أمينًا، ومُنصِفًا، وسخيًّا في جميع تعاملاتك الماليَّة.
- اهتمّ بوحدة العائلة والوئام بين أفرادها أكثر مِن الرِّبح المادِّيِّ.
- انظر إلى المال نظرة سليمة باعتباره ملكٌ لله (أنت وكيل على هذه الأموال ولستَ مالِكًا لها).
- ابحث عن فُرَص لاستثمار أموالك في مشاريع سماويَّة لا أرضيَّة.
- تَجَنَّب أيَّ أهداف ماليَّة تُنافس الأهداف الروحيَّة.
- تَجَنَّب الشَّراكة.
- تَجَنَّب الاقتراض لشراء أشياء استهلاكيَّة أو أشياء تفقد قيمتها السوقيَّة سريعًا.
- لا تستخدم بطاقات الائتمان إلَّا إذا كنت ستدفع كُلَّ ما عليك في نهاية الشَّهر.
- لا تكن شريكًا مع أحد في التَّوقيع.
- ادفع فواتيرك فورًا.

- كُن أمينًا في دفع ضرائبك.
- اعمل بجِدٍّ، وعِش ببساطة، وأعْطِ بحُرِّيَّة وكَرَم، وادَّخر بحكمة.

٢. **انعدام روح المسؤوليَّة.** فالزَّوج مسؤول، وفقًا لتعليم الكتاب المقدَّس، عن القيادة في البيت، وعن توفير حاجات زوجته وأبنائه. والزَّوجة مسؤولة عن دعم زوجها في عمله، وفي الحفاظ (حرفيًّا: في الوصاية) على بيتها. وقد تحدث المشكلات في الزَّواج بسبب إهمال المسؤوليَّات. فالزَّوج الكسول، أو الذي لا يحتفظ بأيِّ وظيفة يعمل بها، أو الذي يُكَدِّس الفواتير غير المدفوعة، يدفع زوجته إلى الشُّعور بعدم الأمان ويكون سببًا في احتدام المشكلات الزوجيَّة. كذلك، فإنَّ الزَّوجة التي تترك البيت في حال فوضى، أو التي تَصرف الجزء الأكبر مِن وقتها في الزِّيارات، أو في ممارسة هواياتها، أو في التسوُّق، أو في التسكُّع تدفع زوجها وأبناءها إلى الشُّعور بالإحباط.

وقد تحدث المشكلات أيضًا في الزَّواج بسبب محاولة أحد الزَّوجين القيام بدور الآخر. فبعض الأزواج يحاولون فَرْض إجراءات في البيت تَجعل الزَّوجة تَشْعُر بانعدام كِيانها. أو قد تحاول الزَّوجة أحيانًا السَّيطرة على زوجها، أو قد تستغلُّ عدم درايته في أمورٍ مِثل الإدارة الماليَّة والعبادة العائليَّة. والحقيقة هي أنَّ هذه المشكلات تتفاقم دائمًا على المدى البعيد بسبب تبادُل الأدوار بين الزَّوج والزَّوجة لأنَّ ذلك لا يَؤول إلى تعميق التَّفاهم بين الزَّوجين، بل إلى زيادة الفجوة بينهما. وما أكثر الأبناء الذين عاشوا صِراعًا مريرًا بسبب اضطرارهم لإطاعة أمر الربِّ في إكْرام أبيهم الذي لم يَكُن يقوم بدوره كزوجٍ وأبٍ، أو في إكرام أُمِّهم التي لم تَكُن تقوم بدورها كزوجة وأُمٍّ.

قصَّة مِن واقع الحياة

كان زواج «ديف» و «جانيت» مُقلقلًا منذ البداية. فهما لم يكونا مُؤمِنَيْن بالمعنى الحقيقيِّ للكلمة- بالرَّغم مِن أنَّهما وُلِدا في عائلتَيْن مُتديِّنتَيْن.

وبعد فترة قصيرة مِن زواجهما، خانَ ديف زوجته. ولكنَّها لم تَعلم بالأمر إلَّا بعد إيمانهما. فقد شعر ديف بتأنيب الضَّمير واعترف لزوجته بذلك. ولأنَّ جانيت كانت تفتقر للشُّعور بالأمان- على الصَّعيد الشخصيِّ وأيضًا فيما يخص علاقتهما الزوجيَّة بسبب الخيانة- فقد انهارت تمامًا. لذلك، فقد أهملت

مسؤوليَّاتها إلى أن صار بيتها في حالٍ يُرثى لها. فقد كانت مُهمِلة في إعداد الطَّعام وتنظيف البيت.

ومع أنَّ ديف كان يرغب في إطاعة وصايا الربِّ، فإنَّه لم يكن يقوم بمسؤوليَّاته كما يجب. فعلى سبيل المثال، بالرَّغم مِن رغبة ديف في تخصيص وقت للعبادة العائليَّة، فإنَّه لم يكن قادرًا على إيجاد الوقت الملائم أو المِزاج المناسب. كذلك، فقد كان يتمنَّى الحصول على عمل دائم، ولكنَّه كان يعاني ألمًا في ظهره. لذلك، لم تَسِر الأمور على ما يُرام. كما أنَّ غَيْرة جانيت (التي حدثت نتيجة خيانة ديف) جعلتها تشعر بعدم الأمان حول فكرة عمل ديف خارج المنزل.

ولا حاجة للقول إنَّ الضُّغوط الماليَّة زادت الأمر سوءًا وأدَّت إلى تفاقم المشكلات بينهما.

ولأنَّ كُلًّا منهما كان يُرَكِّز على تقصير الآخر، لم يَكُن أيٌّ منهما يقوم بمسؤوليَّاته. وبدلًا مِن أن يكون كُلٌّ منهما مُعينًا للآخر، صار كُلٌّ منهما سببًا في شقاء الآخر.

فَكِّر في الاقتراحات التَّالية:

- ناقش أنت وزوجتك مسؤوليَّات كُلٍّ منكما. اطلب منها أن تُخبرك بأيِّ تقصير مِن جانبك. أصْغِ إليها، واستمع إلى اقتراحاتها البَنَّاءة. افعل الأمر نفسه معها (أيْ ناقش معها أيَّ تقصير من جانبها).
- في حال اختلافكما على تعيين المسؤوليَّات، ناقشا المسألة مع راعي الكنيسة أو أحد خُدَّام الربِّ.
- صَلِّيا بشأن هذه المسؤوليَّات.
- إذا كان أحدكما مُقَصِّرًا في القيام بمسؤوليَّاته، يمكنه معالجة الأمر نقطة تلو الأخرى. اطلب مِن شخصٍ تَثِق به أن يُتابع تَقَدُّمك وأن يُشَجِّعك.
- اكتب تَعَهُّدًا بأنَّك ستقوم بمسؤوليَّاتك على أكمل وجهٍ مُمكن. كُنْ منطقيًّا ومُحَدَّدًا في الوقت نفسه.
- إذا كان شريك الحياة ضعيف العزيمة أو مُهملًا، فَكِّر في كيفيَّة مساعدته (أو مساعدتها)

دون التورُّط في القيام بمسؤوليَّاته. اكتب اقتراحاتك.

٣. **ضُعف التَّواصُل.** والحقيقة هي أنَّ هذه المشكلة قد تفاقمت وصارت أكثر تعقيدًا بسبب سُرعة الحياة في وقتنا الرَّاهن. فالزَّوج والزَّوجة في عجلة مِن أمرهما كُلَّ الوقت: عند استيقاظهما، وعند خروجهما مِن المنزل، وعند عودتهما إلى المنزل، وعند تناول العشاء، وعند النَّوم. ولا شَكَّ أنَّ هذه العَجَلة تزيد احتماليَّة سوء الفهم بين الزَّوجين، وتُقَلِّل فرصة مناقشة أيَّة مشكلات تنجم عن ذلك. فلا يجوز للزَّوجَيْن أن يتركا مشكلات اليوم تتراكم، وأن يُحاولا حَلَّها قبل النَّوم مباشرةً. ومِن دواعي الأسف أنَّ بعض الأزواج والزَّوجات لا يحاولان حَلَّ مشكلاتهما. وحين يحدث ذلك، تصير الحياة الزوجيَّة مُجَرَّد وجود تحت سقفٍ واحد- في بيتٍ يفتقر إلى التَّواصُل لأنَّ الحديث الوحيد الذي يدور بين الزَّوجين هو: «صباح الخير» و «أراك مساءً».[١٩]

وفي حين أنَّ ضعف الاتِّصال مؤذٍ للزَّواج بمُجمله، فإنَّ الزَّوجة هي التي تُلاحظ ذلك قَبْل الزَّوج عادةً، وتتأثَّر به سلبًا. فالمرأة تريد أن تسمع صوت زوجها، وتريد أن تتيقَّن مِن اهتمامه الشَّديد بها. لذلك، عندما لا يكون الزَّوج ماهرًا في التَّواصُل مع زوجته، فإنَّ الزَّوجة تَشْعُر بانعدام الأمان، وبأنَّها مُهمَلة. وعندما لا يَهتمُّ زوجها بها، فإنَّها تَشْعُر بأنَّها عديمة الأهميَّة. والحقيقة هي أنَّ الزَّوج يَميل إلى التَّجاوب مع هذه المشاعر بـِ «المنطق». فهو يقول إنَّ زوجته تَتخيَّل أشياء لا وجود لها، وأنَّها بحاجة إلى إراحة أعصابها وعدم الإفراط في عاطفتها. وقد يكون الزَّوج مُحِقًّا في أنَّ زوجته تَفترض أمورًا ليست صحيحة. ولكنَّه يُجانب الصَّواب حين يَظُنُّ أنَّ المشكلة تقتصر على زوجته فقط. فينبغي للزَّوج أن يَعلم أنَّ حاجة زوجته للتَّواصُل تختلف عن حاجته، وأنَّه المسؤول عن تلبية هذه الحاجة. وقد يتطلَّب ذلك تخفيف سُرعة الحياة، أو إلغاء بعض الأمور الجانبيَّة، أو حتَّى تخصيص وقتٍ لتبادُل أطراف الحديث مع زوجته.

مِن جهة أخرى، يجب على الزَّوجة أيضًا أن تُفَكِّر في زوجها وفي حاجاته. فبسبب المسؤوليَّات الكثيرة المُلِحَّة، قد لا يتمكَّن الزَّوج مِن التحدُّث إلى زوجته بالقدر الذي تُحِبّ. وقد يكون الزَّوج أحيانًا مُنهمكًا في التَّفكير في قرارٍ يتطلَّب وقتًا وجهدًا. لذلك، قد يواجه صعوبة في التَّركيز على الأشخاص المُحيطين به. لذلك، إذا كانت هناك حاجة مُلِحَّة لتخصيص وقتٍ للحديث بين الزَّوج والزَّوجة، يجب عليهما الاتِّفاق على تحديد

المُدَّة الزمنيَّة لحديثهما (إذا كان جدول الزوج مزدحمًا) لأنَّ هذا سيكون مفيدًا. فإذا طلبت الزَّوجة أن تتحدَّث إلى زوجها في وقتٍ غير مناسب، قد يُفضي ذلك إلى زيادة قلقه وتوتُّره- ولا سِيَّما إن كان يَعلم أنَّه لا يملك أكثر مِن عشر دقائق.

ولا شَكَّ أنَّ الملاحظات المذكورة آنفًا تَعكس الفرق بين الرَّجُل والمرأة في التَّواصُل وفي معالجة المعلومات. فالرَّجُل يَميل إلى معالجة المعلومات مِن خلال التَّفكير فيها. أمَّا المرأة فتَميل إلى معالجة المعلومات مِن خلال الحديث عنها. لذلك، عندما يواجه الزَّوج والزَّوجة مشكلةً، فإنَّ الزَّوج يرغب في التَّفكير فيها. وأمَّا زوجته فتريد أن تتحدَّث عنها. في ضوء ذلك، مِن المهمِّ أن يُدرك الزَّوج والزَّوجة هذه الاختلافات بينهما لأنَّ إدراكهما هذا سيساعد كُلًّا منهما في فَهْم الآخر والتَّعامل معه وفقًا لشخصيَّته (توفير وقتٍ «للتَّفكير» ووقتٍ «للحديث»). أمَّا في حال عدم فَهْم الزَّوجين لهذه الاختلافات، قد يُفْضي ذلك إلى إثارة غضبهما وتبادُل الاتِّهامات.

تأمَّل في هذه الإرشادات التي قد تُسهم في تعزيز التَّواصُل بين الزَّوجين:

- حافظ على جدول عملك مُنَظَّمًا (تجنَّب الأعمال التي تتطلَّب غيابًا طويلًا).
- خَصِّص وقتًا تصرفه مع زوجتك بمفردكما عدا عن أوقات وجودك في البيت ليلًا (كأن تخرجا لتناول الطَّعام معًا خارج البيت، أو لتنسيق حديقة المنزل معًا، أو للمشي، أو غير ذلك). ويجب عليكما الاتِّفاق على أوقات القيام بأنشطةٍ كهذه.
- إذا كنتَ زوجًا، احرص على تخصيص وقتٍ تتحدَّث فيه إلى زوجتك عن المشكلات التي تواجهها، أو عن التحدِّيات التي تواجهكما كزوج وزوجة.
- إذا كنتِ زوجةً، اسمحي لزوجك أن يجلس في هدوء إذا كان بحاجة إلى التَّفكير في مسألة ما قَبل التحدُّث عنها.
- لا تسمحا للامتعاض أن يَملأ قلبَيْكما- الواحد تُجاه الآخر.
- تَعَهَّدا أنَّكما ستُناقشان المشكلات برَوِيَّة، وأنَّكما ستجدان الحَلَّ لنقاط الخِلاف بينكما.
- كونا مُنفتِحَيْن وصريحَيْن. تَجَنَّبا تبادل المشاعر السلبيَّة بأسلوب غير مباشر.
- لا تَتَّخِذا قرارات مهمَّة دون مناقشتها معًا.

- لا بأس مِن تأجيل القرارات في حال عدم اتِّفاقكما (يجب على الزَّوج ألَّا يتجاهل اعتراضات زوجته على قراراته، حتَّى عند عجزها عن ذِكْر سبب اعتراضها. فقد شَهِد العديد مِن رجال الله الأتقياء أنَّ الله حَماهُم مِن قرارات خاطئة عديدة مِن خلال اعتراضات زوجاتهم الحدسيَّة).
- لا تُشارك أيَّ معلومات مع آخرين إذا كانت هذه المشاركة قد تُضعف الثِّقة بينك وبين شريك حياتك.
- لا تُقَلِّل مِن شأن شريك حياتك، ولا تسخر منه، ولا تهزأ به، ولا تُكْثِر مِن الشَّكوى والتذمُّر أمامه.
- عَبِّر دائمًا عن شُكرك وتقديرك لشريك حياتك، وتذكَّر دائمًا عبارات المديح والتَّشجيع.
- عامِل شريك حياتك بلياقة ولُطف. استخدم الكلمات والعبارات المهذَّبة التَّالية في حديثك: «لو سمحت»، و «شكرًا»، و «آسف»، وغيرها.

٤. **علاقات الماضي غير الصِحِّيَّة.** إنَّ إحدى المشكلات الأكثر إيلامًا في الزَّواج هي مشكلة تَعارُض علاقات الماضي مع ولاء الزَّوج أو الزَّوجة لشريك الحياة. ومِن الأمثلة الشَّائعة على ذلك هو أن يكون ولاء الزَّوج أو الزَّوجة لوالدَيْه يَفوق ولاءه لشريك الحياة. فالكتاب المقدَّس يَصِف الزَّواج بأنَّه «تَرْكٌ» و «التصاقٌ». فلكي يتمكَّن الزَّوج والزَّوجة مِن الارتباط معًا بعلاقة زوجيَّة سليمة، ينبغي لكُلٍّ منهما أن يَترك أبوَيْه. وهذا لا يعني أنَّه ينبغي لهما أن يَتخلَّيا عن والديهما. ولكنَّ هذا يعني أن يَجِد الزَّوج في زوجته (بعد الزواج) ما كان يجده في أُمِّه (قبل زواجه)، وأن تقوم زوجته بتقديم الولاء- الذي كانت تُظهره يومًا لأبوَيْها- له بعد الزواج.

وعندما يحين وقت زواج الأبناء، يجب على الأبوَيْن أن يُطْلِقا أبناءهما في البَرَكة. ومع أنَّه يمكن للأبوَيْن أن يستمرَّا في تقديم النُّصح والمشورة لأبنائهما، ولا سِيَّما عندما يُطلَب منهما ذلك، فإنَّ التدخُّل في قرارات الأبناء المتزوِّجين يُخالِف ترتيب الله. وقد يَحْدُث مِثل هذا التدخُّل غير السَّليم بسبب ضغوطٍ عاطفيَّةٍ تُمارَس مِن الأبوَيْن على أبنائهما، أو يحدث نوع من «الرشوة» بسبب مساعداتٍ ماليَّة يعرِضها الأبوان على أبنائهما، أو بسبب الزِّيارات المُفرطة من الأبوَيْن لأبنائهما. لذلك، أيًّا كانت المسافة التي تفصل بين العائلتين، يجب الفَصْل بين ولاء الزَّوج والزَّوجة لوالدَيْهما لكي تكون لديهما الحُرِّيَّة اللَّازمة لاتِّخاذ قرارات حكيمة وسليمة.

وقد تكون الاقتراحات التَّالية مفيدة:

- يجب أن يعيش الزَّوجان في بيتٍ مُستقلٍّ عن أهل الزَّوج وأهل الزَّوجة. ويجب على الأبوَيْن احترام ذلك.
- يجب على الزَّوجة أن تتجنَّب عقد المقارنات بين آراء زوجها وآراء أبيها.
- يجب على الزَّوج ألَّا يُملي على زوجته أن تسأل أُمَّه عن كيفيَّة القيام بالأشياء.
- في حال رغبة الزَّوجين في الحصول على النَّصيحة مِن الأبوَيْن، يجب عليهما الذَّهاب معًا.
- يجب على الزَّوج والزَّوجة أن يتجنَّبا القول: «لقد كانت أُمِّي تقوم بهذا الأمر بهذه الطَّريقة» أو «لقد كان أبي يقوم بهذا الأمر بهذه الطَّريقة». ويجب على الزَّوج أن يتجنَّب القول: «لقد كانت أُمِّي دائمًا تفعل كذا وكذا...». ويجب على الزَّوجة أيضًا أن تتجنَّب القول: «لقد كان أبي دائمًا يفعل كذا وكذا...».
- يجب توزيع الأنشطة التي يقوم بها الزَّوجان مع الأهل والأقارب توزيعًا عادلًا (مثلًا، لا يجوز للزَّوج أن يزور أهله مَرَّات عديدة دون التَّفكير في زيارة أهل زوجته).
- في حال إفراط الوالِدَيْن في التدخُّل في حياة الزَّوجين، يجب على الزَّوجين مُناقشة الموضوع معهما بصدقٍ ولُطْفٍ في آنٍ واحد.

انتهاك خُطَّة اللّه

كما ذَكَرنا في بداية هذا الفصل، فإنَّ مُتطلَّبات المحبَّة الزوجيَّة تفوق قدرة الإنسان الخاطئ. وقد يساعدنا فهم هذه الحقيقة على فهم سبب وجود تعَدِّيات كثيرة على المحبَّة في عالمنا. فالأزواج يَتعبون مِن الزَّوجات الأنانيَّات. والزَّوجات يَتْعَبْنَ مِن الأزواج الأنانيِّين. ومع ذلك، فإنَّ المحبَّة البشريَّة تَتوقُ إلى الالتزام والتَّكريس. لذلك، فإنَّ النَّاس يستمرُّون في الارتباط والزَّواج. ولكنَّ كثيرين ليسوا مُستعدِّين لدفع الثَّمن اللَّازم للعثور على المكافآت العميقة للمحبَّة. فعلى سبيل المثال، قد يُوَرِّط النَّاس أنفسهم في علاقات عاطفيَّة قصيرة الأجل. وَحال زوال تلك المشاعر الرُّومانسيَّة التي تَطفو على سَطْح أغلبيَّة العلاقات العاطفيَّة الجديدة، فإنَّهم يَنتقلون إلى علاقةٍ أخرى؛ وَهكذا دواليك. وفي نهاية المطاف، نَجِدُ في حُطام تلك العلاقات الماضية لا أحلام هؤلاء التي لم تتحقَّق فحسب، بل وأيضًا حُطام أصدقاءٍ جُرِحوا بسببهم، وحُطام أزواجٍ

أو زوجاتٍ دُمِّرَت حياتهم بسبب تَصَرُّفاتٍ طائشةٍ كتلك، وحُطام أطفالٍ كانُوا ضَحِيَّة أبٍ (أو أُمٍّ) عاش حياتَهُ في تَعَدٍّ صَارِخٍ على خُطَّة الله.

الزِّنى- تَدنيس ما هو مُقَدَّس

لقد وَصَف العهدان القديم والجديد الزِّنى بأنَّه خطيَّة. «لاَ تَزْنِ» (الخروج ٢٠: ١٤). «وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ» (اللَّاويِّين ٢٠: ١٠). «وَأَعْمَالُ الجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ...إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (غلاطيَّة ٥: ١٩و٢١).

لقد صَمَّم الله الزَّواج لخيرِنا- لا على الصَّعيد الاجتماعيِّ فحسب، بل وعلى الصَّعيد الروحيِّ أيضًا. لذلك، إذا لم يَلتزم الزَّوج أو الزَّوجة بعهد الزَّواج، فإنَّ ذلك يُدَنِّس ما هو مُقَدَّس. وهذا التَّدنيس يَحْدُث بثلاث طرائق على الأقل:

١. **الزِّنى يَنتهك العهد المُقَدَّس بين الزَّوجين.** فكأنَّ الشَّخص الذي اقترف خطيئة الزِّنى يقول لشريك حياته: «أنا لا أُبالي بعهدي الذي قطعته لك».

٢. **الزِّنى يُحَطِّم الثِّقة المقدَّسة بين الزَّوجين.** فالزَّواج ليس مُجَرَّد تَعَهُّد يَلتزم فيه الزَّوجان بأن يَثِقَ أحدهما في الآخر، بل هو تَعَهُّدٌ بأن يُحافظ كُلٌّ منهما على ثِقة الآخر. لذلك، فإنَّ الزِّنى يُحَطِّم هذا العهد ويهدم الثِّقة بين الزَّوجين. فكأنَّ الشَّخص الذي اقترف خطيئة الزِّنى يقول لشريك حياته: «أنا لا أُبالي بثقتك بي».

٣. **الزِّنى يُدَنِّس الوحدة المُقَدَّسة بين الزَّوجين.** فالزَّواج ليس مُجَرَّد اتِّفاقٍ بين فريقين، بل هو اتِّحادٌ يُوافق عليه الله، ويُدَوِّنه، ويُحَمِّل الزَّوجين مسؤوليَّته. بعبارة أخرى، فإنَّ عهود الزَّواج ليست مُجَرَّد اتِّفاقٍ بين رَجُل وامرأة، بل بينهما وبين الله. وبسبب مقاصد الله للزَّواج، فإنَّ الاتِّحاد بين الزَّوجين لا يحدث على المستوى البشريِّ فحسب، بل هو ثمينٌ في عيني الله أيضًا. أمَّا الزِّنى فإنَّه يُحَطِّم هذه الوحدة المقدَّسة التي هي مُهِمَّة لدى الله. فكأنَّ الشَّخص الذي اقترف خطيئة الزِّنى يقول: «أنا لا أُبالي بما يُفَكِّر الله فيه في ما يَخُصُّ زواجي».

وأيًّا كانت البهجة والمُتعة التي يَشعُر بها الزَّوج أو الزَّوجة عند خيانة شريك الحياة، فإنَّ العواقب المُدَمِّرة للزِّنى تفوق الوصف. فهناك شُعور بالذَّنب. وهناك شُعور بالألم. وهناك

شُعور بالخيانة وبرود في العلاقة، وهناك التوتُّر والشدُّ العصبيِّ، وهناك حَسْرَة. وهناك خوف. وهي كُلُّها مشاعر سلبيَّة تَتسلَّل إلى أعماق الزَّاني فَتجعله بائسًا، ويائسًا، ومُحَطَّمًا. وقد عَبَّرت إحدى النِّساء عن تلك المشاعر فقالت: «مع أنَّكِ قد تجدين الغُفران، فإنَّك ستدفعين ثمنًا باهظًا، ثُمَّ تدفعين أكثر وأكثر!» وقد عَبَّر كاتب سِفْر الأمثال عن ذلك تعبيرًا قويًّا فقال: «أَمَّا الزَّانِي بِامْرَأَةٍ فَعَدِيمُ العَقْلِ. المُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ. ضَرْبًا وَخِزْيًا يَجِدُ، وَعَارُهُ لاَ يُمْحَى» (أمثال ٦: ٣٢ و ٣٣).

الطلاق - روح تتميَّز بطابع الخيانة

يوصَف الطَّلاق في الكتاب المقدَّس بأنَّه «تَخَلِّي» أحد الشَّريكين عن رفقة الآخر بعد الزَّواج أو في فترة الخِطبة. وتُستخدَم هذه الكلمة عادةً لوصف الرَّجُل الذي يُطَلِّق زوجته؛ وهو أمرٌ مَحظور. والعكس صحيحٌ أيضًا إذ لا يجوز للمرأة أن تُطَلِّق زوجها (انظر إنجيل مرقس ١٠: ١٢). فبحسب شريعة موسى، سُمِحَ بالطَّلاق في ظروف مُعَيَّنة. ولكنَّ يسوع قال بوضوح: «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هذِهِ الوَصِيَّةَ» (إنجيل مرقس ١٠: ٥). وفي ضوء ذلك، بَيَّنَ يسوع قَصْد الله الأصليِّ: «وَلكِنْ مِنْ بَدْءِ الخَلِيقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللهُ. مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ» (إنجيل مرقس ١٠: ٦-٩). لذلك، فإنَّ الوصايا الإلهيَّة واضحة: رَجُل واحد، امرأة واحدة، مدى الحياة- دون طلاق.

ومع أنَّ الله سَمَح بالطَّلاق في ظروف مُعَيَّنة في العهد القديم، فإنَّه لا يُوافق عليه: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَبَابِكَ الَّتِي أَنْتَ غَدَرْتَ بِهَا، وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَامْرَأَةُ عَهْدِكَ....فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ وَلاَ يَغْدُرْ أَحَدٌ بِامْرَأَةِ شَبَابِهِ. لأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلاَقَ، قَالَ الرَّبُّ...» (ملاخي ٢: ١٤-١٦).

ولكن ما الخطأ في الطَّلاق؟ في ما يلي سبعة أسباب تُبَيِّن خطأ الطَّلاق:[٢٠]

١. **الطَّلاق يُخالِف كلمة الله الواضحة.** «فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ» (إنجيل مرقس ١٠: ٩).

٢. **الطَّلاق يُخالِف صِفات الله وطبيعته.** لاحِظ الآيات المُقتبسة آنفًا مِن سِفر ملاخي والأصحاح الثَّاني. فالله يُسَمِّي الطَّلاق «غَدْرًا». ولكنَّ الله أمين. فعندما يَقطع وعدًا،

فإنَّه يَفي به. والطَّلاق يتعارض بالكُلِّيَّة مع أمانة الله. والمحبَّة تتطلَّب وفاءً. ولا شَكَّ أنَّ الأشخاص الذين يُطَلِّقون شُركاءهم يتعدُّوْن على هذا العهد المقدَّس القائم على المحبَّة، ويُبْدُونَ- بدلًا مِن ذلك- خيانةً وغدرًا. والحقيقة هي أنَّ ما جاء في الأصحاح الثَّاني مِن سِفْر ملاخي لا يتحدَّث- في الأصل- عن خَرْق عهود الزَّواج، بل عن تَعَدِّي شعب الله القديم على العهد الذي قطعوه مع الله. وقد استخدَم الله تلك اللُّغة التصويريَّة المُعبِّرة ليقول إنَّ مَن يَخرقون عهودهم التي قطعوها أمام أُناسٍ آخرين إنَّما يَخرقونها (ويخرقون غيرها) أمام الله أيضًا. بعبارة أخرى، إذا وُجِدَ روح غَدْرٍ في علاقة الإنسان بالإنسان، فإنَّ هذا يَعني وجود غَدْرٍ في علاقته بالله. لذلك، لا عَجَب أنَّ الله يقول إنَّه «يَكْرَه الطَّلاق».

٣. **الطَّلاق يَدُلُّ على تَحَجُّر القلب.** فقد قال يسوع بكلِّ وضوح إنَّ الطَّلاق سُمِحَ به في العهد القديم «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ» (إنجيل مرقس ١٠: ٥). وهذا هو ما يَشهد به العديد مِن العاملين في حقل المشورة الزوجيَّة. فالمشكلة الأساسيَّة الكامنة وراء الكثير مِن الخلافات الزوجيَّة هي الأنانيَّة. والطَّلاق ليس إلَّا شكلًا آخر مِن أشكال التَّعبير عن القلب القاسي. ومِن أجل حَلِّ المشكلات بين الزَّوجين وتمتُّعهما بالوحدة التي يريدها الله لهما في علاقتهما الزوجيَّة، فإنَّ الأمر يتطلَّب تواضُعًا، ومحبَّةً، وانكسارًا.

٤. **الطَّلاق يؤذي شريك الحياة.** فالغَدْر كلمة تُشير إلى الخيانة. وحيث توجد خيانة يوجد ألم. فالثِّقة والوفاء يزدادان ويتعمَّقان مِن خلال المحبَّة. أمَّا الطَّلاق فإنَّه كالسِّكِّين التي تقطع هذه الأواصِر دون رحمة مُسَبِّبةً دائمًا آلامًا مُبَرِّحةً لشريك الحياة. لذلك، مِن رابع المستحيلات أن يُطَلِّق المرء شريك حياته الشَّرعيَّ بدافع المحبَّة والرَّحمة. فالطَّلاق يُخفي وراءه دائمًا كراهيةً وألَمًا.

٥. **الطَّلاق يؤذي الأبناء ويترك ندوبًا في حياتهم.** وفي ما يلي ما قالته فتاة اختبرت طلاق والديها:

> «أرجوك، أرجوك، لا تُوَقِّعها! (أي أوراق الطَّلاق) لا يا أبي، لا توقِّع تلك الأوراق!» مِن المؤكَّد أنَّ تَوسُّلاتي تلك أضافت إلى العبء الذي يَشعُر به أبي أعباءً إضافيَّة. ولكنَّ ذلك لم يَمنعه مِن الإمساك بالقلم بقوَّة ومُتابعة كتابة اسمه على الصَّفحة الأخيرة.
>
> حينئذٍ، شَعَرتُ بأنَّ عالمي كُلَّه انهار، وانْهَرْتُ أنا معه. ففي ذلك اليوم، مات شيءٌ في قلب تلك الطِّفلة داخلي...

لقد ضاعت احتجاجاتي ودموعي البائسة هباءً. فمحاكم الطَّلاق لا تنظر إلى قلوب البشر حين تقبض رسوم معاملة الطَّلاق. وباكتمال إجراءات الطَّلاق يَحصل الأب والأمُّ على «حُرِّيَّتهما»؛ وأمَّا نحن الأطفال فلا. فقد صِرْتُ تحت عبوديَّة اليأس. ولكن ماذا عن المشاجرات الحادَّة؟ مِن المؤكَّد أنَّها توقَّفت، ولكنَّ صرخات قلوب الأطفال المُحَطَّمة حَلَّت مَحَلَّها. وإن أردتُ التكلُّم عن نفسي، فقد تُقْتُ إلى سماع تلك المشاجرات إن كان ذلك يعني استعادة أبي وأمِّي!...

ليت بمقدوري أن أُمسك يَدَ كُلِّ أبٍ (أو أُمٍّ) يُفَكِّر في الطَّلاق، كي أصحبه معي إلى ذلك الوادي الذي اضطُررتُ للسَّير فيه. فلو سَمَحَتْ محاكم الطَّلاق بسماع شهادات قلوب الأطفال الأبرياء المتألِّمين، وبتذوُّق طعم المرارة الذي يذوقه الأطفال الأبرياء المصدومون، وبمشاهدة علامات الرُّعب والكآبة الظَّاهرة على وجوه الأطفال الذين يَشعرون بأنَّهم غير محبوبين وغير مرغوب في وجودهم، لما اضْطُرَّ أيُّ طفلٍ للسَّير في ذلك الدَّرب المُرعب الذي يبدأ بتوقيع تلك الأوراق النِّهائيَّة في محاكم الطَّلاق. فحينذاك، أنت الذي ستبكي. وفي ذلك الوادي، لا بُدَّ أنَّك ستدرك أنَّ الأشخاص الذين يُعانون عواقب الطَّلاق والزَّواج ثانيةً هُم الأطفال الأبرياء.[٢١]

٦. **الطَّلاق يَبني حواجز إضافيَّة تُعيق المُصالحة.** ففي الرِّسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس، يُوصي الرَّسول بولس شريك الحياة المؤمن بعدم الانفصال عن شريكه غير المؤمن. ولكنَّه يُضيف قائلًا: «وَإِنْ فَارَقَتْهُ، فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ، أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا. وَلاَ يَتْرُكِ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ» (١كورنثوس ٧: ١١). ومع أنَّنا لا نتحدَّث عن الانفصال هنا، فإنَّه مِن السَّهل علينا أن نُلاحظ أنَّ بولس يوصي الزَّوجين بالمُصالحة (لا بالانفصال)، حتَّى لو كان شريك الحياة غير مؤمن. فالطَّلاق أشبه ما يكون بإضافة قِفْلٍ جديد إلى الباب الذي خَرَج منه شريك الحياة غير الوفيِّ. ولكن إذا كان الزَّوجان يرغبان في المُصالحة، فإنَّ الطَّلاق ليس خِيارًا مطروحًا.

٧. **الطَّلاق يُشَجِّع على الخطيَّة.** فالنَّاس يختارون الطَّلاق كرَدٍّ فعلٍ على مشكلاتهم الزوجيَّة. ولكِن لا يمكن تقويم المشكلات مِن خلال عصيان وصايا الله. والحقيقة هي أنَّ الطَّلاق يُفضي إلى مزيدٍ مِن المشكلات. وقد أشار يسوع إلى أنَّ الطَّلاق يُفضي- تحديدًا- إلى الزِّنى (إنجيل مَتَّى ٥: ٣٢). فلا يمكن لأيِّ شخصٍ أن يَحتفظ بعواقب الخطيَّة لنفسه. ويبدو أنَّ هذا المبدأ يَصِحُّ بالأخصِّ على الطَّلاق. والخطيَّة (الواحدة) تُفضي إلى خطايا (عديدة).

وهذه الخطايا تزيد وتتفاقم في حياة الأجيال القادمة. وقد أظهرت الدِّراسات أنَّ الأشخاص الذين اختبروا طلاق الأبوَيْن مُعَرَّضون للطَّلاق بنسبة أكبر مِن أولئك الذين نشأوا مع آباء وأمَّهات حافظوا على وفائهم الواحد للآخر. بمعنى آخر، فإنَّ الخطيَّة قابلة للنموِّ والتَّكاثر.

ولا شَكَّ أنَّ هناك حالات يَتعرَّض فيها شريك الحياة المؤمن للطَّلاق ضِدَّ إرادته. وحين يحدث ذلك، فإنَّ شريك الحياة المؤمن لا يكون قد اقترف أيَّ خطيئة. ولكنَّه مَدعُوٌّ في هذه الحالة إلى عدم الزَّواج ثانيةً، وإلى إبداء رغبته الواضحة والصَّريحة في المُصالحة إن أمكن ذلك (انظر ١كورنثوس ٧: ١١).

الزَّواج ثانيةً- حياة مُنغمسة في الخطيئة

إن كان الطَّلاق خطيئة، فإنَّ الزَّواج ثانيةً عقب الطَّلاق هو خطيئة أعظم. فهو خطوة إضافيَّة في طريق التمرُّد على وصايا الله الأخلاقيَّة. والكتاب المقدَّس يَصِف دائمًا الزَّواج ثانيةً في فترة حياة شريك الحياة الأوَّل بأنَّه زِنى. تأمَّل في الآيات التَّالية:

> «فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي» (إنجيل مرقس ١٠: ١١ و ١٢).
>
> «وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِـي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِـي» (إنجيل مَتَّى ١٩: ٩).
>
> «كُلُّ مَنْ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ وَيَتَزَوَّجُ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَكُلُّ مَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ مِنْ رَجُل يَزْنِي» (إنجيل لوقا ١٦: ١٨).
>
> «فَإِذًا مَا دَامَ الرَّجُلُ حَيًّا تُدْعَى زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُل آخَرَ. وَلكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَهِيَ حُرَّةٌ مِنَ النَّامُوسِ، حَتَّى إِنَّهَا لَيْسَتْ زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُل آخَر» (رومية ٧: ٣).

نَرى هنا أنَّ هذه الآيات جميعها تَصِف الزَّواج ثانيةً بأنَّه زِنى. والفِعل اليونانيُّ المُترجَم «يَزني» يُشير إلى عملٍ يقوم به المرء باستمرار. لذلك، فإنَّه يُشير لا إلى حادثة زِنى مُنفردة، بل إلى اقتراف الزِّنى باستمرار. كذلك، فإنَّ الآية المُقتبسة مِن الرِّسالة إلى كنيسة رومية تُرينا أنَّه ما دام شريك الحياة على قيد الحياة، لا يجوز للشَّريك الآخر أن يتزوَّج ثانيةً. فإن فَعَل ذلك

فإنَّه لا يُعَدُّ زواجًا مشروعًا، بل حالة زِنى. فهناك حادثة زِنى (عندما يمارس المرء الجنس مع شخصٍ غير شريك الحياة)، وهناك حالة زِنى (عندما يتزوَّج المرء ثانيةً بالرَّغم مِن أنَّ شريك حياته الفعليَّ على قيد الحياة).

في ضوء هذه الآيات الكتابيَّة الصَّريحة الواضحة، لماذا يحاول المسيحيُّون الاسميُّون تبرير الطَّلاق والزَّواج ثانيةً؟ وقد وَصَفَت إحدى السيِّدات سُقوطها بعد أن تزوَّجت رَجُلًا مُطَلَّقًا وأدركت الخطأ الذي اقترفته فتركته. تقول هذه السيِّدة:

> إنَّ «التَّفكير المُتَرَوِّي المنطقيِّ» في بعض الأمور هو أحد الأسلحة الفَتَّاكة التي يستخدمها الشَّيطان. فمِن السَّهل علينا العثور على «أسباب منطقيَّة» تُبَرِّر عصياننا كلمة الله. فالقصد الأسمى لحياتنا على الأرض هو ليس أن نكون سُعداء، بل أن نكون قِدِّيسين. والحقيقة هي أنَّنا لا نستطيع أن نجد السَّعادة الحقيقيَّة بمعزلٍ عن الحياة البارَّة المَرضيَّة عند الله....
>
> لقد صُمْتُ وَصَلَّيْتُ كثيرًا، وتَضَّرعتُ إلى الله كي يُعطيني جوابًا مباشرًا منه. ومع أنِّي كنتُ أسأله أن يَتَلَطَّفَ عليَّ بكلمة، فإنَّه لم يُجِب طلبتي. لا شيء البَتَّة! صَمْتٌ مُطْبِق! ولكنِّي أدركتُ أخيرًا أنَّه لا فائدة مِن انتظار كلمة مِن الله لأنَّه بَيَّن مشيئته بوضوحٍ تامٍّ مِن خلال كلمته المكتوبة. صحيحٌ أنَّنا قد نسمع كلامًا يُناقض ما قاله الله في الكتاب المقدَّس؛ ولكنَّ ذلك الكلام جاء، بكُلِّ تأكيد، مِن مصدرٍ خاطئ.[٢٢]

لذلك، مِن رابع المستحيلات أن يكون المرء نزيهًا في زواجه ثانيةً إذا كان شريك حياته ما زال على قَيْد الحياة. والحقيقة هي أنَّ روح الغَدْر الذي يَدفع المرء إلى تطليق شريك حياته هو نفس الرُّوح الذي يَدفعه إلى الزَّواج ثانيةً. ولكنَّ هذه خيانة. ومع أنَّ الإنسان يستطيع أن يُعطي حُبَّه وتكريسه لشريك حياته عند الزَّواج، فإنَّ كُلَّ ما يمكنه تقديمه عند الزَّواج ثانيةً هو الخيانة وانعدام الثِّقة.[٢٣]

ولعلَّ أوضح بُرهان على ذلك هو ارتفاع مُعَدَّلات الطَّلاق بين الأشخاص الذين تَزَوَّجوا ثانيةً. ففي الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، تنتهي ٦٠٪ مِن الزِّيجات الثَّانية بالطَّلاق. كذلك، فإنَّ ٧٣٪ مِن الزِّيجات للمرَّة الثَّالثة تنتهي بالطَّلاق أيضًا.[٢٤]

تقويم انتهاكات الزَّواج

إنَّ انتهاكات الزَّواج تتفاوت في درجتها ونوعها. وهناك انتهاكات تَحْدُث قبل إيمان المرء، وانتهاكات تَحْدُث بعد إيمانه. وقد تؤدِّي العادات والتَّقاليد إلى تشويش موضوع الزَّواج. فعلى سبيل المثال، هناك بلاد تَسمح بالزَّواج العُرْفِيِّ، والزَّواج التَّعاقُدِيّ، وفَسْخ الزَّواج، وتَعَدُّد الزَّوجات، وغير ذلك. وهذا يُرينا أنَّنا لا نستطيع التحدُّث عن جميع انتهاكات الزَّواج في هذا الكتاب. وبدلًا مِن محاولة القيام بذلك، سنَذكُر مجموعة مبادئ ينبغي أخذها بعين الاعتبار لتقويم انتهاكات الزَّواج:

١. **زواج الشَّخصَيْن المؤهَّلَيْن للزَّواج (سواء كانا مؤمِنَيْن أم غير مؤمِنَيْن) هو زواج صحيح في نظر الله.** وأمَّا الزِّنى، والطَّلاق، والزَّواج ثانيةً فهو سلوك خاطئ في نظر الله بغَضِّ النَّظر عن الشَّخص الذي يقوم به. «لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ» (إنجيل مرقس ٦: ١٧ و ١٨). «لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا العَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ» (عبرانيِّين ١٣: ٤).

٢. **الطَّاعة مؤلمة أحيانًا.** ولكن كما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ قداستنا أكثر أهميَّة- في نظر الله- مِن سعادتنا الآنيَّة. لذلك، قال يسوع في حديثه عن كُلْفة التَّلمذة: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (إنجيل لوقا ١٤: ٢٦ و ٢٧).

٣. **ألَم الطَّاعة لا يُقارَن بعواقب عدم الطَّاعة المستمرَّة.** فبسبب فهمنا المحدود، قد نَظُنُّ في بعض الحالات أنَّ الطَّاعة ستوقعنا في المتاعب، وأنَّ العِصيان سوف يُنَجِّينا منها بكلِّ تأكيد. ولكنَّ هذا التَّفكير نابع لا مِن إرشاد روح الله، بل مِن التفكير البشريِّ الجسديِّ. فلا شَكَّ أنَّ عواقب وآلام عدم الطَّاعة على المدى البعيد تَفوق آلام الطَّاعة. «تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ المَوْتِ» (أمثال ١٤: ١٢). لذلك، قد يُخَيَّل للزَّوجين أنَّ فسخ زواجهما المشروع سيكون أقَلَّ إيلامًا مِن البحث عن حلول للمشكلات القائمة بينهما. وقد يبدو أنَّ الاستمرار في علاقة زواج غير مشروعة هو أقَلُّ إيلامًا مِن

قطعها والبحث عن حلول تُرضي الله للمشكلات النَّاجمة عن ذلك. ولكنَّ الطَّاعة تَحظى دائمًا بدعم الله. وأمَّا العِصيان فله دومًا عواقبه وتأنيب الربِّ. «الكَثِيرُ التَّوَبُّخِ، المُقَسِّي عُنُقَهُ، بَغْتَةً يُكَسَّرُ وَلاَ شِفَاءَ» (أمثال ٢٩: ١).

٤. **لا يمكن لأيِّ مقدار مِن «البِرِّ» أن يكفي للتَّكفير عن أيِّ خطيئة يقوم بها المرء عامدًا مُتعمّدًا.** فعندما حاول شاول أن يُبَرِّر خطيئته مِن خلال الحديث عن نواياه الحسنة، أجابه صموئيل قائلًا: «هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الكِبَاشِ» (١صموئيل ١٥: ٢٢).

٥. **عندما يَقترف المرء خطيئةً، يجب عليه أن يَعترف بها صراحةً (١يوحنَّا ١: ٩)، وأن يتوب عنها تمامًا (٢أخبار الأيَّام ٧: ١٤). وهذا يعني ضرورة تسمية الخطيَّة باسمها، وتركها، والرُّجوع إلى معايير القداسة التي وضعها الله لنا.** «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ» (أمثال ٢٨: ١٣). ويبدو أنَّ أصعب تطبيق لهذا المبدأ يكون في حال زواج المرء ثانيةً. ولكن إذا كانت الحالة هي حالة زنى كما أشرنا آنفًا، فإنَّ الحَلَّ الوحيد هو ترك هذه الخطيَّة وقطع العلاقة.[٢٥]

٦. **قد تكون حياة العزوبة ضروريَّة أحيانًا في حال تَعَهُّد المرء بخدمة الله.** فقد قال يسوع، بعد أن تَحَدَّث عن خطأ الطَّلاق والزَّواج ثانيةً: «لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (إنجيل مَتَّى ١٩: ١٢).

٧. **عندما يكون الأبناء قد وُلِدوا نتيجة علاقة مُحَرَّمة (أيْ الزواج الثَّاني)، فإنَّ أفضل حَلٍّ لتنشئتهم في الربِّ هو قطع كُلِّ خطيَّة (من خلال قطع العلاقة) والبدء في تأسيس ميراث قائم على البِرِّ والقداسة.** وقد نجد أُناسًا يُعارضون انفصال الرَّجُل والمرأة اللَّذَيْن تجمعهما رابطة زواج زِنى (زواجٌ ثانٍ لأحد الطرفَيْن) في حال إنجاب أبناء مِن هذه العلاقة.[٢٦] ولكن في موقفٍ كهذا، مِن المهمِّ جدًّا أن يتركا الخطيَّة لأنَّ الأبناء في حاجة ماسَّة إلى أن يكون الأب والأُمُّ قدوة لهم في محبَّة الله، وفي السَّير معه- لا وراء رغباتهما. فكيف يمكن للأبوَيْن أن يأملا في تربية أبنائهما «في الربِّ» إن كانا هُما نفسَيْهما يعيشان في الخطيَّة؟ كذلك، في حال الطَّلاق والزَّواج ثانيةً، نرى- مرارًا وتكرارًا- أنَّ الأبناء يسيرون على خُطى الوالدَيْن. فالخطايا التي يَقترفها الأبوان هي بذرة يزرعانها في حياة الأجيال القادمة.

٨. **مع أنَّه بإمكان المرء أن ينال الغُفران حال اعترافه بخطاياه وتوبته عنها، فإنَّ عواقب الخطيَّة قد تدوم طويلًا.** فالأشخاص الذين يَنتهكون وصايا الله المُختصَّة بالزَّواج قد يجدون أنفسهم في ضيقٍ مستمرٍّ، أو ألَمٍ دائمٍ، أو صِراعٍ مرير. لذلك، إذا كان أحد الزَّوجين يعيش بمفرده، أو يُرَبِّي أبناءه بمفرده، أو يعاني جروحًا عاطفيَّة، فإنَّ ذلك يتطلَّب دعمًا وتفهُّمًا ومشورةً دائمةً مِن الإخوة والأخوات النَّاضجين في الربِّ.

٩. **عند التَّعامل مع الانتهاكات التي تحدُث في إطار الزَّواج، يمكن الرُّجوع إلى مبادئ المحبَّة والأمانة بين المسيح والكنيسة كدليلٍ يرشدنا.** فهذه هي الصُّورة التَّشبيهيَّة التي قَدَّمها الرَّسول بولس بوضوح في الأصحاح الخامس مِن رسالته إلى كنيسة أفسُس. وينبغي أن تكون الحلول المطروحة للمشكلات الزوجيَّة مُتَّفقة مع المبادئ المذكورة في هذا التَّشبيه. وأمَّا الطَّلاق، والزَّواج ثانيةً، والعلاقات المُحَرَّمة، وغيرها مِن الخطايا المشابهة، فإنَّها تُعَدُّ انتهاكًا صارخًا لتشبيه المسيح والكنيسة.

الخُلاصة

إنَّ الزَّواج يواجه ضغوطًا هائلةً في أيَّامنا هذه. وفي ضوء الألم الذي يَذوقه النَّاس بسبب سلوكهم في الطُّرق التي اختاروها لأنفسهم، مِن الواضح تمامًا أنَّ وصايا الربِّ سليمة وصحيحة وملائمة تمامًا. لذلك، ينبغي للزَّوج والزَّوجة أن يَفهما أحدهما الآخر. وينبغي لهما أن يُحَسِّنا التَّواصُل بينهما وأن يكون كُلٌّ منهما وَفِيًّا ومُخْلِصًا للآخر. وعندما يقوم الزَّوج بجميع المسؤوليَّات المُلقاة على عاتقه في إطار العلاقة الزوجيَّة، سيكون مِن الأسهل على الزَّوجة أن تقوم بمسؤوليَّاتها. لذلك، يجب على كِلا الزَّوجين أن يَقوما بِما يُريدُه الله منهما بكُلِّ حكمة، واهتمام، وأمانة. ولتجنُّب المشكلات الشَّائعة في الزَّواج، ولبناء بيوت تُمَجِّد الله، ينبغي للزَّوج والزَّوجة المؤمِنَيْن أن يَعلما أنَّهما لن يتمكَّنا مِن التقيُّد بجميع العادات والتَّقاليد في مجتمعهما. كذلك، لا ينبغي للزَّوج أن يَسمح لنجاحه في العمل بالتَّأثير سلبًا في مسؤوليَّاته تُجاه زوجته، أو في وفائه لها. وبالمقابل، لا ينبغي للزَّوجة أن تَسمح للضغوط التي تَتعرَّض إليها المرأة المعاصرة بالتأثير سلبًا في قيامها بمسؤوليَّاتها تُجاه بيتها أو وفائها لزوجها وأبنائها. ومِن خلال التَّعاون معًا، بدلًا مِن الخِصام والشِّجار، يمكن للزَّوج والزَّوجة أن يختبرا ذلك التَّوافُق والانسجام الذي لأجله خلقهما الله ذكرًا وأنثى.

لِنُفَكِّر معًا

١. عندما يَلتقي المؤمنون بأشخاص ينتهكون وصايا الله المختصَّة بالزَّواج، ما الذي ينبغي لهم قوله؟ هل هناك فرق إن كان هؤلاء الأشخاص مسيحيِّين اسميِّين؟ ما الأمثلة الكتابيَّة التي يمكننا الاسترشاد بها؟

٢. كيف يمكن للكنيسة أن تقوم بدورها في دعم الأشخاص المُطَلَّقين أو الذين تزوَّجوا ثانيةً ويرغبون في الرُّجوع إلى وصايا الله في ما يَخُصُّ الزَّواج؟

٣. كيف يمكن للزَّوجة المؤمنة أن تتعامل مع زوجها غير العقلانيِّ؟ وكيف يمكن للزَّوج المؤمن أن يتعامل مع زوجته المستقلِّة التي ترفض الخضوع له؟

٤. كيف يمكن للزَّوج أن يجعل خضوع زوجته إليه أكثر سهولة أو أكثر صعوبة؟ وكيف يمكن للزَّوجة أن تَجعل محبَّة زوجها لها أكثر سهولة أو أكثر صعوبة؟

٥. ما بعض الاقتراحات العمليَّة للعيش في نِطاق دَخْل العائلة المحدود؟ وكيف يقع النَّاس عادةً في فَخِّ الإنفاق الزَّائد عن الدَّخل؟

٦. كم مَرَّة (في الأسبوع أو الشَّهر) ينبغي للزَّوجين أن يَخرجا معًا لتناول الغداء أو العشاء خارج المنزل؟

٧. كيف يمكن للزَّوجة أن تُسَهِّل عمليَّة التَّواصل بينها وبين زوجها؟

٨. ما الأمور المألوفة التي قد تجعل الزَّوج ينشغل عن بيته وعائلته إلى حَدٍّ يُهمِل فيه حاجات زوجته؟

٩. إلى أيِّ مدى يمكن للزَّوج أن يساعد في الأعمال المنزليَّة (غسل الأطباق، غسل الملابس، تغيير حفاضات الأطفال، وغير ذلك؟)

١٠. إذا كان الزَّوج والزَّوجة يعيشان في بيت الأبوَيْن، ما الاقتراحات العمليَّة التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار لتجنُّب الخلافات معهما؟ هل يمكن للزَّوجين أن يتفاعلا مع والديهما أكثر مِن اللَّازم؟ أقل مِن اللَّازم؟ ما مؤشِّرات كُلِّ حالة؟

لِنَعمل معًا

١. اقرأ بروح التأمُّل والصَّلاة الآيات الكتابيَّة التي تتحدَّث عن الصِّفات الواجب توفُّرها في شخصيَّتك (كزوج أو زوجة)، ومسؤوليَّاتك، وعلاقتك بشريك حياتك. لاحِظ الجوانب التي ينبغي تحسينها. صَلِّ بخصوص هذه الجوانب، واكتب قائمة بالخطوات العمليَّة التي يمكنك القيام بها لإجراء هذه التَّحسينات.

٢. اجلسا معًا (كزوج وزوجة) وناقشا موضوعَي «الحاجات الأساسيَّة للزَّوجة» و «الحاجات الأساسيَّة للزَّوج». هل هناك حاجات لم تُشْبَع بعد؟ اطلب من شريك حياتك أن يُقَدِّم بعض الاقتراحات التي قد تساعد في تلبية تلك الحاجات. هل هناك حاجات أخرى لم تُشْبَع بعد؟ ناقشاها معًا إلى أن تتيقَّنا مِن أنَّ كُلًّا منكما يَفهم الآخر جيِّدًا ويَعرف كيف يُلَبِّي حاجاته.

٣. ناقشا معًا أحوالكما الماليَّة. هل أنتما غارِقَيْن في الدَّيْن؟ هل تشاجرتما أو تخاصمتما يومًا بسبب المال؟ هل تتفاقم المشكلة بينكما بسبب مواضيع مُعَيَّنة تُناقشانها معًا، أو بسبب عدم حديثكما عنها؟ إذا كانت الحالة المادِّيَّة أو الممارسات الماليَّة بحاجة إلى تعديل أو تغيير، ما الخطوات العمليَّة الواجب اتِّخاذها؟

٤. قَيِّما فاعليَّة التَّواصُل بينكما. لاحِظا العادات الجيِّدة والعادات المزعجة. ناقشا معًا سُبُل تحسين التَّواصُل بينكما مِن حيث الوقت والجودة.

الفصل السَّادس

الأُبوَّة والأمومة

المقدِّمة

يُحكى أنَّ رجُلًا أعزب تَحَدَّث إلى مجموعة مِن رفاقه المتزوِّجين عن ما يقوله الكتاب المقدَّس عن تربية الأبناء. ولكنَّ أحدهم قال له: «انتظر إلى أن تُنجِب أطفالًا. فحينئذٍ سترى الأمور بمنظار مختلف!» وبعد سنوات، تزوَّج ذلك الشَّاب وأنجب أطفالًا. وقد تَحَدَّث ذات يوم عن الموضوع نفسه. فقال أحدهم: «انتظر إلى أن يصير أطفالك مُراهقين. فحينئذٍ، ستتعلَّم أشياء أخرى». وبعد سنوات، تَحَدَّث الرَّجُل نفسه عن موضوع تربية الأبناء بعد أن صار أبناؤه راشدين. وفي هذه المرَّة، كان التَّعليق هو: «لقد تَغَيَّرت الأحوال الآن!»

إنَّ المُضحِك في هذه القصَّة الطَّريفة هو أنَّها تَدور حول نُقطتين مُهمَّتين في موضوع الأبوَّة والأمومة. الأولى هي أنَّ المعرفة النظريَّة أسهل مِن التَّطبيق. والثَّانية هي أنَّ الأبوَيْن يميلان، شأنهما في ذلك شأن الآخرين، إلى إيجاد المُبَرِّرات للتنصُّل مِن المسؤوليَّة.

لقد تَمَّ إعداد هذا الفصل مع أخذ تحدِّيات الأبوَّة والأمومة بعين الاعتبار. وهو يهدف إلى تقديم مجموعة مِن المفاهيم العمليَّة المفيدة للآباء والأمَّهات. فعندما نقوم بمسؤوليَّاتنا بوعيٍ، لن نشعر بالحاجة المُلِحَّة إلى اللُّجوء للأعذار.

أهداف للأبوَيْن المؤمِنَيْن

لقد أوكل الله للآباء والأمَّهات مسؤوليَّة توصيل ميراث الإيمان إلى أبنائهم. «أَقَامَ شَهَادَةً فِي يَعْقُوبَ، وَوَضَعَ شَرِيعَةً فِي إِسْرَائِيلَ، الَّتِي أَوْصَى آبَاءَنَا أَنْ يُعَرِّفُوا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ، لِكَيْ يَعْلَمَ الجِيلُ الآخِرُ. بَنُونَ يُولَدُونَ فَيَقُومُونَ وَيُخْبِرُونَ أَبْنَاءَهُمْ» (المزمور ٧٨: ٥ و ٦). في ضوء هذه

المسؤوليَّة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يدركوا أنَّ أهدافهم لأبنائهم ينبغي أن تتعدَّى الحياة الحاضرة والأشياء المادِّيَّة. فالحقيقة هي أنَّ قَصْد الله لم يقتصر يومًا على أن يجد الرَّجُل والمرأة الاكتفاء في نفسَيْهما أو في الأشياء الموجودة في هذه الحياة لكي يعيشا في سعادة وهناء. فالأبوَّة والأمومة عمل جادٌّ. ويجب على الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات أن يقوموا بدورهم على أكمل وجه في ملكوت السَّماوات إن أرادوا لأبنائهم أن يكونوا معهم في السَّماء.

وفي ما يلي خمسة أهداف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يسعوا إلى تحقيقها أثناء قيامهم بتربية أبنائهم إن أرادوا لهم أن يكونوا معهم في السَّماء في يومٍ ما:

١. **نحن نريد لبيتنا أن يكون بيت صلاة.** لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يُحَدِّدوا وقتًا منتظمًا للصَّلاة مع أبنائهم. ويجب عليهم أيضًا أن يُصَلُّوا في أوقات أخرى. فكلُّ بيت لديه أزماته، وحاجاته، ومشكلاته، وصراعاته. لذا، يجب وضع هذه الحاجات أمام الربِّ في الحال. ولا شَكَّ أنَّ هذه فرص عظيمة لتدريب الأبناء على طلب وجه الربِّ لأنَّهم سيجدون فيه كُلَّ الكفاية لإشباع الحاجات، وسيجدون فيه الإجابة عن مشكلاتهم، وسيجدون فيه العون الذي يحتاجون إليه.

٢. **نحن نريد لبيتنا أن يكون بيت تسبيح.** ولا شَكَّ أنَّ أوقات الصَّلاة يمكن أن تُفضي إلى تسبيح الربِّ وتمجيده (والعكس صحيح). فعندما يُجيب الربُّ صلوات العائلة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يُشاركوا أبناءهم ما فعله الربُّ. فمع أنَّ الله لن يُجيز كُلَّ جيلٍ في البحر الأحمر، فإنَّه «سيُقيم شهادةً» في كُلِّ بيت وفي كُلِّ جيلٍ عندما يتَّكل الأبوان عليه بإيمان. وكما قال المُرَنِّم: «صَنَعَ ذِكْرًا لِعَجَائِبِهِ. حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ هُوَ الرَّبُّ» (المزمور ١١١: ٤).

وهناك طريقة جيِّدة لترسيخ ممارسة التَّسبيح ألا وهي أن يُرَنِّم أفراد العائلة معًا. ومع أنَّ أصوات الآباء والأمَّهات وقدراتهم الموسيقيَّة قد تكون متواضعة جدًّا، فإنَّ الأبناء لن يُبالوا كثيرًا بذلك، بل سيهتمُّون أكثر باللَّحن والكلمات. وإذا فشلت محاولة التَّرنيم أو التَّسبيح العائليَّة فشلًا ذريعًا، يمكن الاستعانة بالتَّرانيم المُسَجَّلة. ولكن ينبغي الحذر مِن الترانيم المُسَجَّلة لأنَّها قد تكون صاخبة جِدًّا، أو على درجة عالية مِن الاحتراف حتَّى إنَّها تَدفع أفراد العائلة إلى الصَّمْت. لذلك، لا تقع في هذا الفَخِّ، ولا تسمح للآخرين بالتَّرنيم بدلًا منك. فالله يريد أن يَسمع التَّسبيح مِن شفتيك. لذلك، رَنِّم لله بصوتك!

٣. **نحن نريد لبيتنا أن يكون مدرسة لتعليم الحَقِّ.** فقد امتدح بولس الرَّسول بيت تيموثاوس إذ كتب يقول: «إِذْ أَتَذَكَّرُ الإِيمَانَ العَدِيمَ الرِّيَاءِ الَّذِي فِيكَ، الَّذِي سَكَنَ أَوَّلاً فِي جَدَّتِكَ لَوْئِيسَ وَأُمِّكَ أَفْنِيكِي، وَلكِنِّي مُوقِنٌ أَنَّهُ فِيكَ أَيْضًا....وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ، القَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي المَسِيحِ يَسُوعَ» (٢تيموثاوس ١: ٥؛ ٣: ١٥). فالأبناء لا يأتون إلى هذا العالم جاهزين ومؤهَّلين، بل هم في حاجة إلى التَّعليم، والتَّأديب، والتَّربية. ومِن دواعي الأسف أنَّ التَّفكير المعاصر يدعو إلى تسليم الأطفال إلى «الخبراء» أو «المُختصِّين» للإشراف على تربيتهم. لذلك، فإنَّ الآباء والأمَّهات يُرسلون أطفالهم إلى الحضانات لأجل رعايتهم في ساعات النَّهار، وإلى المدارس لأجل تعليمهم، وإلى الكنيسة لأجل خلاصهم، وإلى الجامعات التِّقنيَّة لأجل تدريبهم على مهنة أو وظيفة، وإلى المُشيرين لأجل حَلِّ مشكلاتهم. ومع أنَّ مكانة المؤسَّسات التعليميَّة محفوظة، فإنَّه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنَّ الآباء والأمَّهات مسؤولون عن حياة أبنائهم. علاوة على ذلك، فإنَّ المكان الذي يتلقَّى فيه الطِّفل تعليمه الأساسيَّ وتربيته الأساسيَّة هو البيت. وسوف نعود إلى هذا الموضوع في وقتٍ لاحق.

٤. **نحن نريد لبيتنا أن يكون ملاذًا آمنًا لحماية أبنائنا مِن الشرِّ.** فالشرُّ والمتاعب في تزايد مستمرٍّ في عالمنا. والحقيقة هي أنَّنا لا نستطيع توفير الحماية الكاملة لأبنائنا. فلا مَناص مِن أن يروا ويسمعوا ويختبروا أشياء تُلَطِّخ ضمائرهم وذكرياتهم بالشرِّ. ومع ذلك، يمكن للبيت المسيحيِّ أن يكون ملاذًا آمنًا يحميهم. ولكنَّ هذا لن يتحقَّق إلَّا بتخطيطٍ مِن الأبوَيْن. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يحذروا وسائل الإعلام المُنغمسة في الخطيَّة. فالآباء المؤمنون والأمَّهات المؤمنات الذين يَجلبون وسائل التَّسلية الدُّنيويَّة الهابطة إلى بيوتهم (مِن خلال التلفزيون، والمذياع، والمجلَّات، والموسيقا) يَضربون بمبادئ البرِّ والقداسة عُرْض الحائط. وفي وقتنا الحاضر، يمكن للنَّاس الوصول إلى وسائل التَّسلية الدُّنيويَّة الهابطة مِن خلال الحاسوب والإنترنت والهواتف الخلويَّة. والحقيقة هي أنَّ هذه الأجهزة الإلكترونيَّة تُثير القلق لأنَّها سلاح ذو حَدَّين. فهي ذات فوائد جَمَّة مِن جهة، ولكنَّها توفِّر أيضًا الكثير مِن الشرِّ والخطيَّة بنقرة واحدة. ويجب علينا أن نَعلم أنَّ وسائل التَّسلية التي يُنتجها أهل العالم (أيْ غير المؤمنين) لا ترمي إلى تقريب النَّاس إلى الله. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يفعلوا كُلَّ ما يلزم لحماية أبنائهم مِن التَّجربة والخطيَّة، وأن يوفِّروا لهم أنشطة ملائمة ووسائل تثقيفيَّة مفيدة.

٥. **نحن نريد لبيوتنا أن تكون مكانًا للخدمة.** فنحن نقرأ في الرِّسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس أنَّ بيت استفانوس «قَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِّيسِينَ» (١كورنثوس ١٦: ١٥). فالأطفال يميلون بطبيعتهم إلى التَّمركز حول ذواتهم. فهُم يريدون كُلَّ شيءٍ لأنفسهم. وهُم يريدون كُلَّ شيءٍ حالًا. لذلك، فإنَّ الحكمة تقتضي مِن الآباء والأمَّهات أن يُدَرِّبوا أبناءهم على العطاء، والخدمة، والزِّيارات، ومساعدة الآخرين. وينبغي تعليم الأبناء بالقدوة الحسنة، ومِن خلال المشاركة في فرح التَّضحية لأجل الآخرين. وقد يتطلَّب ذلك إعداد وجبات طعام للفقراء، أو تقديم الهدايا للأيتام، أو مساعدة الآخرين في أعمال التَّنظيف. وقد تُقَرِّر العائلة معًا تقديم مبلغٍ مِن المال لإحدى الجمعيَّات الخيريَّة أو هيئات الإغاثة. ولكنَّ هذا كُلَّه لا يَعدو عن كونه إعدادًا وتدريبًا للأبناء- ولا سِيَّما عندما يحين وقت استقلالهم بحياتهم. فالتَّدريب على الخدمة في البيت سيكون المِنَصَّة التي سينطلق منها الأبناء في حياتهم وخدمتهم ودعوتهم. وحينئذٍ، لن يترك الأبناء البيت دون قصد أو وُجهة، بل إنَّهم سيتركونه لغاية واضحة ورؤية مِن الله. «كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ، هكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ» (المزمور ١٢٧: ٤).

متى تَمتلئ الجَعبة؟

كم طفلًا ينبغي للأبوَيْن أن يُنجِبا؟ قد يَطرح الأبوان الشابَّان هذا السُّؤال ويجيبان عليه عادةً في ضوء أحوالهما وظروفهما. بل إنَّهما قد يستخدمان وسائل تنظيم النَّسل المعروفة. ولكن هل تنظيم النَّسل أمر صائب؟

قبل الإجابة عن هذا السُّؤال، يجب علينا أن نُلقي الضَّوء على بعض الآراء المعاصرة في ما يَخُصُّ الأبناء. وقد ذكرنا، في الفصل الأوَّل، أنَّ حجم العائلة في تناقص مستمرٍّ. لماذا؟ إذا درسنا الدَّوافع بنزاهة، سنخرج بالأسباب التَّالية:

- الثَّمن الباهظ لإنجاب الأبناء.
- ثمن الملابس والطَّعام والتَّعليم في تزايد مستمرٍّ.
- الأبناء يتطلَّبون وقتًا طويلًا مِن الأبوَيْن.
- الأبناء يحتاجون إلى رعاية كثيرة لا في النَّهار فحسب، بل وفي اللَّيل أيضًا.

- الأبناء يستنفدون صَبْر الأبوَيْن- ولا سِيَّما أنَّ الأبوَيْن يتعرَّضان لضغوط أخرى.
- إنجاب مزيد مِن الأطفال يتطلَّب شراء سيَّارة أكبر حجمًا للعائلة.
- إنجاب مزيد مِن الأطفال يَجعل السَّفر والتنقُّل أكثر صعوبةً وتكلفةً.
- العائلة الكبيرة تحتاج منزلًا أكبر.

إذا نظرنا إلى الأسباب المذكورة آنفًا، سنكتشف أنَّ العائلة الكبيرة تتعارض مع معايير الحياة المعاصرة وسرعتها. ولكن يجب علينا أن نُلاحظ أيضًا أنَّ هذه الأسباب لا تبعد سوى خطوة واحدة فقط عن التَّفكير في أنَّ الأطفال مَصْدر إزعاج ينبغي تَجَنُّبه قدر الإمكان.

ولكن يجب علينا أن نُدرك أنَّ العائلة الصَّغيرة ليست سِرَّ الحياة العائليَّة السَّعيدة، وليست سِرَّ الحياة العائليَّة الخالية مِن الهموم. فإذا نَظرنا إلى سلوكيَّات الأهل تُجاه أبنائهم في وقتنا الحاضر، سنجد أنَّ الأُمَّ في زماننا هذا تَصرخ على طِفليها الصَّغيرين أكثر بكثير مِمَّا كانت الأُمَّ تصرخ على أطفالها الثَّمانية أو العشرة قبل سنواتٍ خَلَت. وهذا لا يعني، بكُلِّ تأكيد، أنَّه باستطاعة الأبوَيْن في وقتنا الرَّاهن أن يُخَفِّفا مِن توتُّرهما وعصبيَّتهما مِن خلال إنجاب سِتَّة أطفال آخرين. ولكنَّ المقصود هنا هو أنَّ السَّبب الحقيقيَّ وراء شعور الآباء والأمَّهات بالضَّغط والتوتُّر هو ليس الأبناء، بل الحياة المادِّيَّة التي نعيشها. وقد ذكرنا في الفصل الأوَّل أنَّ المعيشة غالية جدًّا، وأنَّ سرعة الحياة مُرهِقَة للأبوَيْن إلى حَدٍّ يمنعهما مِن التَّفكير في إنجاب مزيدٍ مِن الأطفال.

والحقيقة هي أنَّ طريقة التَّفكير المعاصرة في الأطفال مُثيرة للقلق- ولا سِيَّما عندما نُدرك أنَّ هذه العقليَّة هي التي أنتجت ذلك الرُّعب الذي يُسَمَّى «الإجهاض». فبالرَّغم مِن كُلِّ المحاولات الرَّامية إلى التَّخفيف مِن بشاعة الإجهاض مِن خلال استخدام كلمات وعبارات رقيقة غير جارحة لوصفه مثل «إزالة الأنسجة الجنينيَّة»، فإنَّ الأطبَّاء والآباء والأمَّهات شُركاء في جرائم القتل التي تُقتَرَف بِحَقِّ هؤلاء الأطفال الأبرياء. فبحلول سنة ٢٠١٢، بلغ عدد الأطفال الذين تَمَّ إجهاضهم في الولايات المتَّحدة وحدها ٥٤ مليون طفل.[٢٧]

ولا شَكَّ أنَّ الإجهاض هو قتلٌ وحشيٌّ. فالجنين يُمَزَّق أشلاءً ويُزال قطعةً تلو الأخرى، أو أنَّه يُحقن بمحلولٍ مِلحِيٍّ يجعله يتلوَّى مِن الألم إلى أن يموت ويتمَّ والتخلُّص منه.

لذلك، يجب على المؤمنين المسيحيِّين أن يبغضوا الإجهاض. فحقيقة أنَّ تلك الأجِنَّة لم تتشكَّل تمامًا بعد، وأنَّها لم تُرَ بالعين ولم تُحتَضَن بعد، لا تلغي الحقيقة المؤلمة بأنَّهم تعرَّضوا للقتل. فبالرَّغم مِن صغرهم، فإنَّهم بشرٌ أحياء ماتوا نتيجة الإجهاض.

وقد يقع المؤمنون في فَخِّ التَّفكير في الإجهاض دون أن يدركوا ذلك. والحقيقة هي أنَّ الإطار العاطفيَّ والفكريَّ الذي يُفضي إلى اللُّجوء إلى إجهاض الجنين هو الحمل غير المرغوب فيه. فالمرأة تحمل، دون شَكٍّ، مِن خلال علاقتها الجنسيَّة بالرَّجُل. ولكنَّ العقليَّة الكامنة وراء الإجهاض تقول: «نحن نريد التمتُّع بالجنس دون تَحَمُّل تَبِعاته. فنحن نريد تلك العلاقة الشَّبيهة بعلاقة الزَّوج بزوجته، ولكنَّنا لا نريد أن نصير آباء وأمَّهات».

والحقيقة هي أنَّ هذه العقليَّة نفسها هي التي تَكْمُن وراء صناعة وسائل مَنْع الحَمْل. فهناك مَن يُرَوِّجون لما يُسَمُّونه «الجنس الآمن» في تشديد على فكرة الحَمْل غير المرغوب فيه، والتأكيد على رغبة الكثيرين في التمتُّع بمزايا الجنس دون تَحَمُّل تَبِعاتِه، وترويج التوجُّه السَّائد القائم على تقليص حجم العائلة. ولا شَكَّ أنَّ الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات في الغرب يتعرَّضون لضغوط شديدة تدفعهم إلى التَّفكير في تقليص حجم العائلة والاهتمام بتحسين مستوى معيشتهم. لذلك، لا بُدَّ مِن طَرْح السُّؤال التَّالي: هل تنظيم النَّسل أمر صائب؟

قبل كُلِّ شيء، لا بُدَّ مِن الإشارة إلى أنَّنا لا نَجِد تعليمًا مُباشرًا في الكتاب المقدَّس عن هذا الموضوع. ولكن يمكننا معرفة الكثير عنه مِن خلال ملاحظة المبادئ الكتابيَّة. فهي وثيقة الصِّلة بهذا الموضوع. وهي مبادئ صالحة لكُلِّ زمانٍ ومكان. فَكِّر في النِّقاط التَّالية:

١. **الكتاب المقدَّس يُقَدِّر الأطفال دائمًا.** فقد جاءت بَرَكة الله لآدم ونوح في صورة نَسْلٍ (تكوين ١: ٢٨؛ ٩: ١). وقد كانت سارة، وراحيل، وحَنَّة، وأليصابات يَنْظُرْنَ إلى عُقْمِهِنَّ كما لو كان وَصْمَة عارٍ في حياتِهِنَّ. وقد فَرِحْنَ كثيرًا بإنجاب أطفالهنَّ (تكوين ٢١: ٦؛ ٣٠: ١؛ ١صموئيل ١: ١-١١؛ إنجيل لوقا ١: ٢٥). ونقرأ في سِفر المزامير أنَّ البَنين «مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ»، وأنَّهم «مِثْل غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ»، وأنَّهم «كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ». ونقرأ أيضًا: «طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جَعْبَتَهُ مِنْهُمْ» (المزموران ١٢٧ و ١٢٨). وقد انْتَهَر يسوع تلاميذه لأنَّهم أبعدوا الأطفال عنه: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (إنجيل مَتَّى ١٩: ١٤).

٢. **الكتاب المقدَّس لا يَذكُر البَتَّة أيَّ وسائل لمنع الحَمْل.** ففي حالة «أونان» (تكوين ٣٨) الذي تَجَنَّب إنجاب أبناء مِن ثامار، أنزَل الله عليه عقابًا صارمًا حالًا. ولا شَكَّ أنَّه كانت هناك أسباب أخرى لذلك العقاب، فهو أخطأ تُجاه أبيه، وأخيه، وثامار. ومع ذلك، فإنَّ ما فَعَلَهُ (عدم الرَّغبة في الإنجاب) يُرى لا كأمرٍ إيجابيٍّ، بل سلبيٍّ. ونقرأ في موضع آخر أنَّ «ليئة» «توقَّفَتْ عن الولادة» بعد أن أنجبَتْ أربعة أبناء (تكوين ٢٩: ٣٥). وفي وقتٍ لاحقٍ، أنجبَتْ ليئة ابنَيْن وابنة (تكوين ٣٠: ١٦-٢١). ولكنَّ «وقت الرَّاحة» ذاك حدث في إطار المنافسة التي كانت دائرة بين ليئة وأختها راحيل. فقد قالت ليئة لراحيل: «أَقَلِيلٌ أَنَّكِ أَخَذْتِ رَجُلِي» (العدد ١٥). وهذا إن دَلَّ على شيء فإنَّما يَدُلُّ على أنَّ ذلك حدث ضِدَّ إرادتها.

٣. **العقليَّة التي تنظر إلى الأطفال كعبء، والتي تريد التمتُّع بالجنس دون تَحَمُّل تَبِعات الأبوَّة والأمومة هي عقليَّة لها مضارُّها في الزَّواج.** وفي تقييمٍ للعقليَّة التي تُشَجِّع على ضَبْط النَّسل والإجهاض في عالمنا اليوم، تحدَّث كاتبٌ ألمانيٌّ عن تزايد العِداء تُجاه الأطفال.[٢٨] فالأزواج الذين يؤجِّلون الإنجاب مِن أجل تحقيق أهداف أخرى يُعانون (عن وعيٍ أو دون وعيٍ) مقاومةً ومواقف سلبيَّة تُجاه الإنجاب، وتُجاه الأطفال، وتُجاه الأبوَّة أو الأمومة. ولا شَكَّ أنَّ مواقف كهذه تؤثِّر سلبًا لا على نظرة الآباء والأمَّهات للأطفال فحسب، بل وأيضًا على العلاقة الزوجيَّة.[٢٩]

٤. **يجب على كُلِّ زوجين أن يُدركا الدَّورات الطَّبيعيَّة للإخصاب.** فقد أعطى الله تعليمات مُحَدَّدة لشعبه في العهد القديم في ما يَخُصُّ هذه الدَّورات (على سبيل المثال، انظر لاويِّين ١٥: ١٩-٣٣ و ١٨: ١٩). وقد ساعد هذا الوعي بني إسرائيل على الإنجاب والحفاظ على صِحَّتهم في الوقت نفسه. وما زال هناك أناسٌ في وقتنا الحاضر يستخدمون هذه المعرفة للمُباعدة بين الولادات أو للتوقُّف عن الولادة دون اللُّجوء إلى الوسائل الصِّناعيَّة.

٥. **الكتاب المقدَّس يُعَلِّم أنَّ الحياة البشريَّة مُقَدَّسة- حتَّى في الجنين الذي لم يولد بعد.** «لا تَقْتُل» (الخروج ٢٠: ١٣). «أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا....رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا» (المزمور ١٣٩: ١٤ و ١٦). «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي البَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ» (إرميا ١: ٥). «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ

طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا...لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (إنجيل لوقا ١: ١٣ و ١٥). لذلك، فإنَّ العبث بالحياة البشريَّة هو مُعضلة أخلاقيَّة. فالتخلُّص مِن الجنين، في مراحل تكوينه الباكرة أو اللَّاحقة، هو إزهاق نَفْس. وفي ضوء هذا المبدأ، يجب الامتناع عن الموافقة على استخدام جميع وسائل منع الحمل التي تَسمح بتلقيح البويضة ولكنَّها تَمنع زرعها أو نُمُوَّها في الرَّحم (مثل اللَّولب). وهناك مِن يُدْرِجون حبوب مَنع الحمل في هذه الفئة أيضًا لأنَّ بعض الأنواع تَمنع عمليَّة الزَّرع في الرَّحم في حال عدم نجاح تلك الحبوب في منع الإباضة.

٦. **إنَّ مبدأ الامتناع عن ممارسة الجنس يُضفي جمالًا على المحبَّة الزوجيَّة ويحافظ على ديمومتها.** فالمحبَّة الزوجيَّة الحقيقيَّة ليست شهوة غير قابلة للضَّبْط، ولا هي شهوة تجعل الزَّوجَيْن مُنجذِبَيْن الواحد تُجاه الآخر دون أن يتمكَّنا مِن السَّيطرة على نفسَيْهما؛ بل هي محبَّة تُراعي مشاعر الآخر. لذلك، فهي تمارس الامتناع عن الجنس أحيانًا كوسيلة للتَّعبير عن المحبَّة الزوجيَّة. وهذا الامتناع لا يُضعِف المحبَّة، بل يُعَمِّقها. فالعقليَّة القائمة على مبدأ «أريد أن آخذ وأستمتع الآن» لا تَتَّفق مع مبدأ الامتناع عن الجنس أحيانًا. وهذا هو سبب إخفاق زيجاتٍ كثيرة. ويمكننا أن نجد الإرشاد بشأن كيفيَّة التَّوازن في هذا الأمر في الآية ١كورنثوس ٧: ٥ إذ يوصي الرَّسول بولس الزَّوجين بأن لا يحرم أحدهما الآخر بالامتناع التامِّ عن الجنس إلَّا بالاتِّفاق المتبادل لفترة وجيزة ولأسبابٍ نبيلة. وهذا يُرينا أنَّ المحبَّة الزوجيَّة الجنسيَّة هي مسؤوليَّة لا يجوز للزَّوجين إساءة استخدامها.

٧. **لا يجوز للزَّوجين أن يتَّخذا قرارات دائمة اعتمادًا على ظروف مُتغيِّرة.** فقد يلجأ الزَّوجان إلى الطبِّ الحديث للقيام بإجراءٍ طِبِّيٍّ دائم يَحول دون إنجاب الأطفال. ومع أنَّه قد توجد أسباب مشروعة لاتِّخاذ هذا القرار (كأن يكون الحَمْل خطيرًا على حياة الأم)، فإنَّ أزواجًا كثيرين يتَّخذون قرارًا كهذا نتيجة مشاعر وقتيَّة. ولكنَّهم قد يكتشفون- بعد حين- أنَّ تفكيرهم السَّابق قد تغيَّر. فعلى سبيل المثال، قد يُفاجَأ الأبوان بحادثٍ مأسويٍّ يموت فيه الأبناء. أو قد يشعر الأبوان بمحبَّة شديدة للأطفال فيرغبان في إنجاب المزيد. وهذا يُرينا صِحَّة ما جاء في هذه الآية: «...أَمَّا السَّرِيعُ إِلَى السَّخْطِ فَيُبْدِي حَمَاقَةً» (أمثال ١٤: ٢٩- التَّرجمة التَّفسيريَّة).

والحقيقة هي أنَّ المؤمنين لا يَتَّفقون جميعًا على موضوع ضَبْط النَّسل. فهناك مَن يُنادي بعدم ضَبْط النَّسل. وهناك مَن يُنادي بعدم استخدام وسائل مَنع الحمل الصِّناعيَّة. وهناك مَن يَشعرون بأنَّهم يُحِبُّون الأطفال ويُقَدِّرون العائلة، ولكنَّهم يستخدمون وسائل مَنع الحمل الطَّبيعيَّة أو الصِّناعيَّة للمباعدة بين الولادات أو للحَدِّ مِن زيادة عدد أفراد العائلة في ظِلِّ الظُّروف والأحوال غير العاديَّة التي يعيشونها. ومِن دواعي الأسف أنَّ مسيحيِّين اسميِّين كثيرين لا يُفَكِّرون في هذا الموضوع تفكيرًا جادًّا، بل يَقبلون- اعتباطًا- أيَّ وسائل تُقَدَّم إليهم لِمَنع الحمل، وأيَّ عقليَّة يُرَوِّج لها في أيَّامنا هذه.

ومع أنَّه يمكن ترك بعض الأمور والقرارات لضمير المرء، فإنَّه ينبغي لكُلِّ زوجَيْن مؤمنَيْن أن يُدركا أنَّ تفكير المجتمع المعاصر يُعارض تعاليم الكتاب المقدَّس المختصَّة بالعائلة، والأطفال، وكثرة النَّسل. والحقيقة هي أنَّ القرارات التي تتجاهل هذه التَّعاليم والمبادئ الكتابيَّة لسبب الخوف مِن الظُّهور بمظهرٍ غريبٍ أمام العالم ستقود العائلة والكنيسة إلى الانجراف وراء أهل العالم. ولا شَكَّ أنَّ تَكَيُّفَنا مع هذا العالم ومحاولة التشبُّه به يُفضي- عاجلًا أم آجلًا- إلى تَجَرُّع نفس كأس الحُزن والأسى التي يَتَجَرَّعُها العالم.[٣٠]

تربية الأبناء في حياة التَّقوى والقداسة

«رَبِّ الوَلَدَ فِي طَرِيقِهِ، فَمَتَى شَاخَ أَيْضًا لاَ يَحِيدُ عَنْهُ» (أمثال ٢٢: ٦). ويا لحاجة الأبوَيْن المؤمِنَيْن الماسَّة إلى الصَّلاة والتأمُّل في كلمة الله لكي يتمكَّنا مِن الاضطلاع بالمسؤوليَّة المذكورة في هذه الآية! فالله يريد للآباء والأمَّهات أن يَتبعوه. وهو يريد لأبنائهم أن يتبعوه. وهو يريد لأبناء الأبناء أن يتبعوه أيضًا. ولكنَّ ميراث الإيمان لا يتأتَّى بالوراثة. بل هو يتطلَّب تخطيطًا، وصلاةً، وتربيةً. ولأنَّه لا يوجد أب كامل أو أُمٌّ كاملة، فإنَّ الأمر يتطلَّب مِنَّا جميعًا أن نتعلَّم دائمًا مِن أخطائنا.

ولكن قبل أن نبتدئ في مناقشة موضوع تربية الأبناء، ينبغي لنا التَّحذير مِن نقطة مهمَّة. فالمعرفة النظريَّة لا تَصِحُّ تمامًا على الحياة العمليَّة. والوَيْل كُلُّ الوَيْل للأبوَيْن اللَّذين لا يفعلان شيئًا سوى قراءة الكُتُب التَّربويَّة والافتخار بثقافتهما الواسعة. فالطِّفل الصَّغير الذي لم يتجاوز عُمره ثلاث سنوات، والذي يُفترَض به أن يتجاوب بإيمانٍ طُفوليٍّ عند سماع قصص الكتاب المقدَّس، قد يقوم- دون سابق إنذار- بإلقاء قطعة الحلوى التي أكل جُزءًا منها فوق صفحات

قِصَّة «دانيال في جُبِّ الأسود». وإلى جانب احتماليَّة إفسادِهِ وقت العبادة العائليَّة، وامتحان صَبْر أبوَيْه، قد يُحَطِّم كُلَّ ما يعرفانه نظريًّا (من الكتب التربويَّة).

ومع ذلك، يجب على الأبوَيْن ألَّا ييأسا. فهناك عَوْنٌ أفضل مِن ذاك الذي توفِّره الكُتُب. فمع أنَّ الكُتُب قد تُقَدِّم الكثير مِن النَّصائح المفيدة، فإنَّها تبقى عاجزة عن وَصْف جميع الأطفال وصفًا دقيقًا. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يَطلبا الحِكمة مِن الربِّ كُلَّ يوم لكي يتعلَّما كيفيَّة تطبيق تلك المبادئ على أبنائهما. «وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ. وَلكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ البَتَّةَ» (يعقوب ١: ٥ و ٦).

لاحِظ جيِّدًا التَّركيز على الإيمان. فتربية الأبناء لا تعني مُجَرَّد توصيل الإيمان لهم، بل تعني أيضًا ممارسة الإيمان (من قِبَل الوالدين). وفي ضوء التشويش الذي قد يحصل للوالدين بسبب وجود العديد من الأطفال الصِّغار، قد تبدو طُرُق الله غير منطقيَّة، بل ربَّما تبدو خاطئة تمامًا. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يطلبا الحكمة. ولكن يجب عليهما أن يطلبا بإيمانٍ غير مُرتاب البَتَّة! فطُرُق الله مُستقيمة (المزمور ١١٩: ١٢٨). وهناك أوقات ينبغي لنا فيها أن نُبدي استعدادنا لإطاعة الله بالرَّغم مِن عدم فَهمنا الكامل لما يَطلبه مِنَّا. ولكنَّ هذه الطَّاعة هي التي تؤتي ثِمارًا لاحقًا.

والآن، ما الذي يقوله الكتاب المقدَّس عن تربية الأبناء؟ إنَّه يقول الكثير. ولكن يمكن تلخيص تعاليم الكتاب المقدَّس في ثلاث كلمات: التَّعليم، والقدوة، والتَّقويم.

١. **الآباء والأمَّهات مُطالبون بتعليم أبنائهم.** «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ» (التَّثنية ٦: ٤-٧).

لاحِظ أنَّ الآباء والأمَّهات هُم المسؤولون عن تعليم أبنائهم. فهُم مسؤولون عن تعليمهم طُرُق الربِّ. وهُم مسؤولون عن تعليمهم بِجِدٍّ.

ومِن خلال التَّعليم الواضح، فإنَّ الآباء والأمَّهات يُبَيِّنون لأبنائهم معايير السُّلوك المقبولة. وحينئذٍ، سيُدرك الأطفال لا الأمور المتوقَّعة منهم فحسب، بل وأيضًا الأشياء

التي أخطأوا فيها. بعبارة أخرى، فإنَّ التَّعليم الواضح يُعِدُّ الأطفال للقيام بالصَّواب. وفي الوقت نفسه، حين يفعلون خطأً ما، فإنَّهم يشعرون أيضًا بتأنيب الضَّمير ويُبدون استعدادًا لقبول العواقب العادلة.

ويجب أن يستمرَّ التَّعليم في جميع مراحل نُمُوِّ الطِّفل إلى أن يصير راشدًا. ولكن مِن أجل تعليم الأطفال بفاعليَّة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يَفهموا الأطفال. فينبغي لهم فَهْم الصِّفات العقليَّة والعاطفيَّة والروحيَّة التي تُمَيِّز كُلَّ مرحلة مِن المراحل العُمريَّة للأطفال. فبمعزِلٍ عن هذه المعرفة، قد يُلقي الآباء والأمَّهات بذورًا كثيرة صالحة في تُربة غير جاهزة بعد.

٢. **الآباء والأمَّهات مُطالبون بأن يكونوا قُدوة لأبنائهم.** ففي المقطع الكِتابيِّ نفسه الذي يوصي الله فيه الآباء والأمَّهات بتعليم أبنائهم بجِدٍّ، فإنَّه يوصيهم قائلًا: «احْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا. وَاعْمَلِ الصَّالِحَ وَالْحَسَنَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ» (التَّثنية ٦: ١٧ و ١٨). فالتَّعليم الجادُّ لا يؤتي ثمرًا إذا لم يَكُن مقرونًا بالقدوة الحسنة. فلا يمكن للأبوَيْن أن يُرْسِلا أبناءهما في طُرُق اللُّطف، والصَّبر، والإيثار. بل ينبغي لهم أن يقتادوهم فيها. وكما يقول المَثَل، فإنَّنا نُعَلِّم القليل مِن خلال أقوالنا، ونُعلِّم الكثير مِن خلال أفعالنا، ولكنَّنا نُعَلِّم الكثير جِدًّا مِن خلال شخصيَّاتنا.

والحقيقة هي أنَّ القدوة الحسنة تؤتي ثمارها عند بلوغ الأبناء سِنَّ المُراهقة. فالأطفال يُعجَبون بآبائهم وأمَّهاتهم، والمُراهقون يفحصونهم ويعطون تقييمًا لهم. لذلك، فإنَّ الأفكار المثاليَّة لدى الأبناء المُراهقين تدفعهم إلى إظهار ردود فعل مُعَيَّنة تُجاه التَّناقضات التي يُلاحظونها مِن حولهم. وبسبب مَيلهم إلى الاستقلال بحياتهم في هذا العُمر، قد يُظهرون ردود فعل قويَّة إذا رأوا هذه التَّناقضات في حياة أحد الأشخاص المُهِمِّين في حياتهم. فعلى سبيل المثال، إذا تَبَيَّن للابن المُراهق أنَّ سُلوكيَّات أبيه تُناقِض ما يُنادي به ويُعَلِّمه، فإنَّ الابن غير المُطيع سيَستخدم ذلك كذريعة لسلوكيَّاته الخاطئة. ولا شَكَّ أنَّه لا وجود للأب الكامل أو الأمِّ الكاملة. ومع ذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يتوخَّوا النَّزاهة. فيجب عليهم أن يكونوا صادقين ومتواضعين. ويجب عليهم ألَّا يضعوا معايير لأبنائهم لا يُطَبِّقونها بأنفسهم.

ويجب على الآباء والأمَّهات أن يُدركوا التحدِّي بأنَّه ينبغي لهم أن يكونوا قدوة

لأبنائهم. فإدراكهم لهذا التَّحدِّي سيحميهم مِن الوقوع في فَخِّ التقاعس والإهمال على الصَّعيد الروحيِّ. وحين يُدركون أهميَّة أن يكونوا قدوة لأبنائهم، قد يكون ذلك سببًا آخر يدفعهم إلى خدمة الربِّ بكُلِّ أمانة وإخلاص.

٣. **الآباء والأمَّهات مُطالبون بتقويم أبنائهم.** ولأنَّ هذا الجانب مِن تربية الأبناء قد تعرَّض لهجمات عنيفة في أيَّامنا هذه، يجب علينا أن نتوقَّف لتوضيح ما يُعَلِّمه الكتاب المقدَّس. فالتَّعليم الكتابيُّ باستخدام العَصا قائم على الحَقِّ الذي يقول إنَّ الإنسان السَّاقط لديه مَيْل نحو الخطيَّة؛ وهو أمر واضح كُلَّ الوضوح مُنذ الطُّفولة. فإن أهملنا هذا التُّقويم أو التَّأديب فإنَّه سيقود الأبناء إلى الهلاك. مِن جهة أخرى، فإنَّ الاعتراض المعاصر على استخدام العَصا قائم على الفَرضيَّة الخاطئة أنَّ الإنسان صالح بطبيعته، وأنَّ الأطفال في حاجة فقط إلى التَّشجيع المناسب لاكتشاف قدراتهم الكامنة وتطويرها. والآن، تأمَّل في المبادئ التَّالية المُستخلصة مِن تعاليم الكتاب المقدَّس في ما يَخُصُّ تأديب الأبناء لتقويم سلوكيَّاتهم:

أ. **العَصا تُنَجِّي الطِّفل مِن طريق الموت.** «الجَهَالَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِقَلْبِ الوَلَدِ. عَصَا التَّأْدِيبِ تُبْعِدُهَا عَنْهُ» (أمثال ٢٢: ١٥). وأيضًا: «لاَ تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الوَلَدِ، لأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا لاَ يَمُوتُ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصًا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الهَاوِيَةِ» (أمثال ٢٣: ١٣ و ١٤).

والحقيقة هي أنَّ الكلمة «جاهل» المُستخدمة في سِفر الأمثال تُشير إلى الشَّخص الذي يَختار السَّير في الطَّريق الذي اختاره لنفسه بالرَّغم مِن الإرشاد الذي حَصَل عليه. وهذه هي طبيعة العِناد الذي هو أصل العِصيان والتمرُّد. وهذه «الجهالة» مُتأصِّلة في قلب كُلِّ طفل. لذلك، يجب استخدام العَصا لمحاربتها. فلا يمكن لأيِّ مقدار مِن التَّوبيخ أو التَّهديد أو التَّعليم أن يَحِلَّ مَحَلَّ العَصا في إخضاع الطِّفل المتمرِّد.

ب. **يجب استخدام العَصا بمحبَّة.** «مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمْقُتِ ابْنَهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ» (أمثال ١٣: ٢٤). والحقيقة هي أنَّ عدم فهم هذا المبدأ فهمًا سليمًا وتطبيقه تطبيقًا صحيحًا كان واحدًا مِن أسباب كثيرة أدَّت إلى ظهور التوجُّه الحاليِّ بعدم استخدام العَصا في تأديب الأطفال. فبمعزلٍ عن المحبَّة، تصير العَصا وسيلةً للإساءة للأطفال وإذلالهم.

وقد بَرهنت دراسة قام بها العديد مِن الطَّلبة الجامعيِّين أنَّ هذا صحيح تمامًا. فقد أرادوا أن يعرفوا سبب نجاح عدد مِن الآباء والأمَّهات في تربية أبنائهم، وسبب

إخفاق آخرين. وفي هذه الدِّراسة، قام الطَّلبة بتوزيع الآباء والأمَّهات في أربع فئات: حازِمُون، ومُتَسَلِّطون، ومُهمِلون، ومُتساهلون. وقد قاسوا نجاح الآباء والأمَّهات وفقًا لمدى تَكَيُّف أطفالهم اجتماعيًّا، ووفقًا لمدى اقتدائهم بالقِيَم والمبادئ التي تَعَلَّموها مِن آبائهم وأمَّهاتهم، وما إلى ذلك. ومع أنَّ الآباء الحازمون والمُتسلِّطون كانوا يؤدِّبون أبناءهم بالعصا، فإنَّ الآباء الحازمون كانوا يفعلون ذلك بمحبَّة. أمَّا الآباء المُتسلِّطون فكانوا يضربون أبناءهم عشوائيًّا وبغضب. وقد حصل الآباء الحازمون على أفضل النَّتائج مع أبنائهم على جميع الأصعدة. أمَّا الآباء المُتسلِّطون فحصلوا على أسوأ النَّتائج بين الفئات الأربع.[٣١] والخُلاصة هي: إذا لم يَستخدم الآباء والأمَّهات العصا بمحبَّة، فإنَّ النَّتائج التي سيحصلون عليها ستكون عكسيَّة تمامًا.

ج. **يجب استخدام العَصا في سِنٍّ مُبَكِّرة.** «أَدِّبِ ابْنَكَ مَادَامَ فِي ذَلِكَ رَجَاءٌ، وَلاَ تَحْمِلْ نَفْسَكَ عَلَى قَتْلِهِ» (أمثال ١٩: ١٨- التَّرجمة التَّفسيريَّة). فهناك وقتٌ لا ينفع فيه استخدام العَصا. ولكنَّ الآباء والأمَّهات الذين يتجنَّبون التَّأديب التَّقويميَّ مِن أجل تَجَنُّب الأثر النَّاجم عن استخدام العَصا إنَّما يؤجِّلون شعورهم بالحزن والأسى إلى حين. فالألم النَّاجم عن مشاهدة أبنائهم المراهقين يَضحكون بالرَّغم مِن انحدارهم في الطَّريق المؤدِّي إلى الهلاك هو أقسى- بما لا يُقاس- مِن الألم الذي قد يشعرون به عند احتضان ابنهم الباكي بعد تأديبه بالعَصا.

د. **يجب أن يكون استخدام العَصا مَقرونًا بالتَّعليم.** «العَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً، وَالصَّبِيُّ المُطْلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ» (أمثال ٢٩: ١٥). وأيضًا: «وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ» (أفسُس ٦: ٤). والآن، لاحِظ أنَّ هاتين الآيتين (المُقتبستين مِن العهد القديم والعهد الجديد) تَقرنان التَّأديب بالتَّعليم. فصَفْع الطِّفل على مؤخِّرته لا يُغني عن تعليمه. فالتَّأديب والتَّعليم يسيران جنبًا إلى جنب. والحقيقة هي أنَّ عدم الانصياع للتَّعليم هو الذي يُفْضي إلى استخدام العَصا. لذلك، فإنَّ استخدام العَصا هو الذي يَجعل الطِّفل جاهزًا ومستعدًّا لسماع التَّعليم. فالأطفال المتمرِّدون لا يرغبون في سماع التَّعليم. أمَّا الأطفال النَّادمون فيُسَرُّون بالتَّعليم. وعندما يُقَسِّي الطِّفل قلبه ولا يعود راغبًا في سماع التَّعليم، يجب استخدام العَصا لإرغامه على قبول تَعليم أبوَيْه دون مقاومة ظاهرة أو مُستترة.

٥. **العَصا تُحَرِّر العلاقة بين الآباء والأبناء مِن التوتُّر.** «أَدِّبِ ابْنَكَ فَيُرِيحَكَ وَيُعْطِيَ نَفْسَكَ لَذَّاتٍ» (أمثال ٢٩: ١٧). وحين يلجأ الأبوان إلى استخدام أساليب التَّوبيخ والتَّهديد والرَّشوة لمعالجة ميْل طفلهما إلى العصيان، ستصير العلاقة بين الطَّرفين (الأهل والطِّفل) قائمة على الخداع والتَّلاعب، والغضب، والإحباط. وفي نهاية المطاف، قد يَخضع الآباء والأمَّهات لأبنائهم لأنَّ أعصابهم (أي الآباء والأمَّهات) باتت مُحَطَّمة، ولأنَّ أبناءهم خارجون عن السَّيطرة، وغير سُعداء، ولا يشعرون بالأمان. بالمقابل، إذا واجه الآباء والأمَّهات ابنهم العنيد بالعَصا، لن تستولي عليهم مشاعر الإحباط المتزايدة، ولن يشعر الطِّفل بالضَّياع بسبب عدم معرفته عواقب تصرُّفاته. وفي البيوت المحرومة مِن «الرَّاحة» و «السُّرور»، يجب العودة إلى استخدام العَصا بمحبَّة.

قصَّة مِن واقع الحياة

كان ترتيب «بيثاني» هو الثَّالث بين إخوتها. لذلك، لم يَكُن أبواها حديثَي العهد بتربية الأطفال. ولكنَّهما لم يكونا جاهزَيْن للتَّعامل مع «بيثاني» بسبب عنادها الشَّديد. وقد بدأ «الصِّراع الشَّديد» في نهاية السَّنة الأولى مِن حياتها واستمرَّ بعد ذلك.

عندما كان والد «بيثاني» أو والدتها يرفضا السَّماح لها بفِعل ما تُريد، كانت الدُّنيا تقوم ولا تَقْعُد! فقد كانت «بيثاني» تَرمي أرضًا، وترفس برجليها في جميع الاتِّجاهات، وتصرخ بأعلى صوتها دون توقُّف. ويبدو أنَّ تأديبها بالصفع (على المؤخرة) لم يُحَقِّق نتيجةً إيجابيَّةً معها. فقد كانت تتلقَّى هذا التأديب أحيانًا فتصمت قليلًا. ولكنَّ القصَّة كانت تتكرَّر بعد خمس دقائق- بكُلِّ حذافيرها!

كان والدا «بيثاني» يظُنَّان أنَّ خُطَّة الله القائمة على استخدام العَصا قد تُستخدم مع جميع الأطفال- ولكن ليس مع «بيثاني». وقد ظَنَّا أنَّه توجد طريقة أخرى. لذلك، فقد دَرَسا كلمة الله، وقرأا كُتبًا مسيحيَّةً عن تربية الأبناء. وأخيرًا، اتَّخذا قرارًا- بالإيمان- بتنفيذ خُطَّة الله ما دامت هذه هي مشيئته.

وقد قال والد «بيثاني» لوالدتها: «لن نحاول تحقيق الانتصار في معركة واحدة، بل سنستمرُّ في الوقوف في وجه عِنادها بسُلطتنا مِن خلال الوسيلة التي

أوصانا الله بها: العَصا».

وبعد بضع سنوات، قال والد «بيثاني»: «إنَّ بيثاني في قِمَّة التَّهذيب والأدب والرقَّة...ولكنَّها بالتَّأكيد لم تُولد هكذا!»

وبذلك، نجح والدا «بيثاني» في تربيتها لأنَّهما طَبَّقا طريقة الله بالأسلوب الذي أوصاهما به.

إرشادات في استخدام العَصا

١. تأكَّد أنَّ طفلك يَفهم ما تتوقَّعه منه، واحرص على أن يكون ما تَطلبه منه مُناسبًا لقُدراته. (قد يُساعد تحذير الطِّفل [وليس تهديده] في حمايته مِن الصفع على المؤخِّرة بلا مُبرِّر في حال حدوث سوء فهم بينكما).

٢. استخدم العَصا بعيدًا عن الأنظار دائمًا. (الخصوصيَّة مطلوبة احترامًا لشخصيَّة الطِّفل، وإدراكًا لحاجته إلى تفريغ انفعالاته العاطفيَّة).

٣. تأكَّد مِن تهدئة طفلك قبل محاولة معالجة سلوكه الخاطئ. فإذا صفعت طفلك على المؤخِّرة وهو في حالة هياج، قد تكون النَّتائج عكسيَّة. فيجب أن يكون الطِّفل هادئًا لكي يسمع تعليمات والديه ويَفهم سبب تأديبه.

٤. تَكَلَّم مع طفلك قبل صفعه على المؤخِّرة، واطلب منه أن يُخبرك بما قام به. (الاعتراف يساعد في التَّوبة. لذلك، مِن المهمِّ أن تسأل طفلك «ماذا فعلت؟» وليس «لماذا فعلت ذلك؟» وأن تطلب منه أن يُخبرك «ماذا» فَعل قبل أن تسأله عن سبب قيامه بذلك. كذلك، فإنَّ اكتساب عادة التحدُّث أوَّلًا إلى طفلك تحميك مِن صفعه على المؤخِّرة وأنت في حالة غضب شديد).

٥. اشرح لطفلك أنَّ سلوكه غير مقبول. ولكن احذر مِن أن يتحوَّل هذا الشَّرح إلى تَذَمُّر أو إلى محاضرة طويلة. وقد يساعد استخدام آية مناسبة مِن الكتاب المقدَّس في قبول طفلك هذا التأديب العادل.

٦. استخدم العَصا على مؤخِّرة الطِّفل. ولا يجوز استخدام أيِّ أداة تُعطي مفعولًا أكثر مِن اللَّسْع. بعبارة أخرى، لا يجوز استخدام أيِّ أداة يمكن أن تؤذي الطِّفل.[٣٢]

٧. استخدم العَصا حسب حاجة الطِّفل. (فالهدف هو دفع الطِّفل إلى الرُّضوخ والطَّاعة، لا إلحاق الأذى به أو التَّنفيس عن غضبالأبوَيْن. كذلك، فإنَّ الاستخدام المُفرِط للعَصا يمكن أن يُعطي نتائج عكسيَّة شبيهة بتلك النَّاجمة عن عدم استخدامها).

٨. اسمح للطِّفل أن يبكي، ولكن دون صُراخ أو هِياج. (هناك أطفال يحاولون السَّيطرة على وقت التأديب ومَنع الأبوَيْن مِن تأديبهم عن طريق الصُّراخ. لكنَّ الغاية مِن صفع الطِّفل على المؤخِّرة هي كبح غضبه وإخضاعه لسُلطة الأبوَيْن- لا إعطاؤه فرصة أخرى لمزيدٍ مِن التمرُّد).

٩. طَيِّب خاطِر طفلك. (يجب أن تأتي التَّعزية مِن الشَّخص نفسه [الأب أو الأم] الذي أدَّب الطِّفل). ومع أنَّ هذا الوقت مُهِمٌّ لتعميق العلاقة بين الأبوَيْن وأطفالهما، يجب على الطِّفل أن يرتمي بين أحضان أبيه أو أُمِّه بدلًا مِن أن يُسارع الأب أو الأم إلى احتضان طفلهما وغمره بالحنان بعد تأديبه مباشرةً. فهناك وقت مناسب وطريقة مناسبة لتطييب خاطر الطِّفل. فإذا قام الأب أو الأم بغَمر الطِّفل المُعاقَب بالحنان، قد يُفضي ذلك إلى حدوث تشويشٍ عاطفيٍّ لدى الطِّفل. وفي حالات مُعَيَّنة، قد يكون الوقت مناسبًا للصَّلاة مع الطِّفل.

يجب على الآباء والأمَّهات أن يستخدموا التَّعليم، والقدوة الحسنة، والتَّأديب بالعصا لتربية أبنائهم على إطاعة توجيهاتهم اللَّفظيَّة حالًا. ويجب على الأبوَيْن أن يَعتادا على إصدار التعليمات لأطفالهم بنبرة صوت عاديَّة. أمَّا إذا كان الطِّفل يتأخَّر في إطاعة توجيهات والديه، أو يُطيع توجيهاتهما بطريقته الخاصَّة، أو لا يُطيعهما إلَّا إذا عرف سبب إصدار تلك التوجيهات، فإنَّ هذا يعني أنَّه يُمارِس نوعًا مُستترًا مِن التمرُّد. والحقيقة هي أنَّ الأبوَيْن اللَّذين يُخفقان في تدريب أطفالهما على الطَّاعة الفوريَّة يزرعان فيهم أشكالًا عديدة مِن التمرُّد والعِصيان. فكأنَّهما يقولان لطفلهما:

- أنت لستَ مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا كَرَّرْتُ تعليماتي بضع مَرَّات.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا رَفَعْتُ صوتي، أو هَدَّدتُك، أو صَرختُ عليك.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا رأيتَني ذاهبًا لإحضار العَصا.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا أجَبْتُك عن جميع اعتراضاتك ومجادلاتك.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تَمَكَّنتَ مِن تشتيت انتباهي أو دفعي إلى الضَّحك.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تَوَسَّلْتَ إليَّ، أو انتَحَبْتَ، أو بكيتَ كثيرًا.

- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تظاهرتَ بأنَّك أُصِبْتَ بنوبة غضب.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تَمَكَّنتَ مِن لفت أنظار النَّاس إلى ما يجري.
- يمكنك أن تُطيعني وأن تُعَبِّر- في الوقت نفسه- عن امتعاضك مِن خلال كلماتك أو نَظراتك أو تقاسيم وجهك التي تُظهِر علامات التمرُّد.

ولكنَّ كُلَّ ما ذكرناه عن استخدام العَصا لا يعني البَتَّة أنَّ العَصا هي السَّبيل الوحيد لتأديب الأطفال. ولكنَّها الوسيلة المناسبة لتأديب الأطفال المتمرِّدين وإرغامهم على الخضوع لسُلطة الأبوَيْن وسيطرتهما ومشيئتهما. ولا شَكَّ أنَّ هناك حاجة ماسَّة إلى تطويع سلوكيَّات الأطفال حتَّى عندما يكونون خاضعين. فيجب على الطِّفل أن يتعلَّم الأدب، والتَّهذيب، والعادات الحسنة، وغير ذلك. وهذا الجزء مِن التَّربية يتطلَّب استخدام أسلوب الثَّواب والعِقاب.

فعلى سبيل المثال، لنفترض أنَّ طفلك في حاجة إلى تَعَلُّم العادات الصحِّيَّة السَّليمة. يمكنك إعداد لائحة بالسلوكيَّات الصَّائبة والسلوكيَّات الخاطئة. في عمود السلوكيَّات الصَّائبة، اكتب مثلًا: «تنظيف الأسنان بعد تناول الفطور». وفي عمود السلوكيَّات الخاطئة، اكتب مثلًا: «ترك الأطباق المُتَّسِخة على حالها». ويمكنك أيضًا مكافأة طفلك عندما يُظهِر تَحَسُّنًا في سلوكه.

كذلك، فإنَّ العقاب ضروريٌّ مِن أجل تقويم سلوك الأطفال. والعقاب يختلف عن استخدام العَصا في أنَّه لا يُستخدَم لحَلِّ مشكلة التمرُّد، بل لتعليم الطِّفل عواقب السُّلوكيَّات الخاطئة. فعلى سبيل المثال، إذا سكب الطِّفل الحليب على الطَّاولة بسبب إهماله، فإنَّ عقابه هو الاعتذار وتنظيف الطَّاولة (شريطة أن يكون الطِّفل في سِنٍّ تسمح له بإدراك أنَّ إهماله هو الذي أدَّى إلى سكب الحليب على الطَّاولة، وأنَّ هذا خطأ). وإذا كان الطِّفل يُزعِج الأطفال الآخرين الذين يلعبون، يمكن معاقبته بأن يعتذر منهم ويجلس وحده بهدوء بعض الوقت.

والحقيقة هي أنَّ العقاب يتطلَّب حكمةً وبصيرةً واستخدام المنطق السليم. وقد تساعد المبادئ التَّالية في توضيح كيفيَّة استخدام العقاب:

١. يجب أن يتناسب العقاب- قدر الإمكان- مع سوء السُّلوك. فإذا قام الطِّفل بتوسيخ الأرض، يجب عليه تنظيفها. وإذا كسر شيئًا ما، يجب عليه إصلاحه (قدر استطاعته، أو يمكنه أن يساعد أباه أو أُمَّه في ذلك). وإذا تَعَدَّى على الآخرين، يجب عليه أن يَعلم أنَّه سَيُحْرَم مِن بعض الامتيازات.

٢. يجب ألَّا يكون العقاب مُفْرِطًا ولا تافهًا. فالعقاب قائم على قوانين الله العادلة. ولكن يجب ألَّا نَسحق الطِّفل سحقًا عند تطبيق هذه العدالة، بل أن نستخدمها لتربيته وتقويمه.

٣. يجب عدم معاقبة الأطفال في حال جهلهم بالقواعد والمعايير السلوكيَّة المطلوبة. فكلمة الله تُفَرِّق بين السلوكيَّات الخاطئة التي يقترفها المرء عن جهل، وتلك التي يقترفها عن سابق قَصْدٍ وتصميم. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يفعلوا ذلك أيضًا.

٤. يمكن استخدام العَصا لمعاقبة الطِّفل إذا كان قد تَسَبَّب في إيذاء الآخرين، أو إذا كان الخطأ الذي اقترفه يستحقُّ التَّأديب بالعَصا. فهناك عدالة في الشُّعور بالألم عند إيذاء آخرين. وإذا استغلَّ طفلك سذاجة طفل آخر أصغر منه، أو استهزأ بشخصٍ لديه إعاقة، قد لا يكون الضَّرر ظاهرًا، ولكنَّ الألم العاطفيَّ الذي تَسَبَّب فيه يستحقُّ العقاب بالعَصا.

٥. يجب على الأطفال أن يعترفوا بأخطائهم قبل تلقِّي العقاب. فالاعتراف يُمَهِّد الطَّريق أمام العدالة لتأخذ مَجراها ولكي يؤتي العقاب الثمار المرجوَّة.

والشَّيء الأكثر أهميَّةً مِن جميع هذه النِّقاط هو موقفك كأب أو أُمٍّ. فبراعة الأطفال في إدراك مشاعر آبائهم وأمَّهاتهم تفوق مهارتهم في الإصغاء إلى ما يقولونه لهم. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات الرَّاغبين في تقويم سلوك أبنائهم بفاعليَّة أن يتصرَّفوا برزانة واتِّزان عند تأديب أبنائهم كي يكون تأديبهم لهم فعَّالًا. وقد يساعد الجدول التَّالي في توضيح هذه النُّقطة:

مواقف سُلوكيَّة تساعد في تأديب الأطفال	مواقف سلوكيَّة لا تساعد في تقويم الأطفال
• الهدوء. • احترام الطِّفل. • مُمارسة السُّلطة بروح التَّواضُع. • اللُّطف مع الحَزْم. • نبرة الصَّوت المعتدلة. • التوقُّعات المنطقيَّة. • الإصرار على تأديب الطِّفل بدافع المحبَّة. • الثِّقة.	• الغضب. • الامتعاض مِن الطِّفل. • مُمارسة السُّلطة بروح الغطرسة. • القسوة أو الوحشيَّة. • نبرة الصَّوت العالية أو الحادَّة. • التوقُّعات المُبالَغ بها. • ضعف إرادة الأبوَيْن أو اكتفائهما بالتبرُّم والعبوس دون أن يفعلا شيئًا. • عجز الأبوَيْن عن فعل أيِّ شيء.

ولا يمكننا المُغالاة في التَّوكيد على أهميَّة موقف الوالدَيْن أثناء تأديب أطفالهما. ففي غياب الموقف المناسب، قد يَشعر الوالدان بعدم فاعليتَّهما، بل وربَّما بالإحباط، بالرَّغم مِن استخدامهما جميع الوسائل التأديبيَّة اللَّازمة.

والحقيقة هي أنَّ الله يُحَمِّل الأبوَيْن مسؤوليَّة تربية أبنائهم لكي يكونوا أبناء مُطيعين لأنَّه يريد لهؤلاء الأطفال أن يكونوا خُدَّامه المُطيعين له في السَّنوات القادمة. ولا شَكَّ أنَّ الأنماط السُّلوكيَّة التي يَعتاد عليها المرء في طفولته ستُلازمه في رُشْده. لذلك، فإنَّ الآباء الذين لا يقومون بدورهم تُجاه أبنائهم لا يقومون بدورهم تُجاه الله أيضًا.

تطبيق مبادئ تربية الأبناء

إنَّ معرفتنا بأنَّ الأطفال يحتاجون تعليمًا، وتأديبًا، وقدوةً لا يُجيب عن جميع أسئلة الآباء والأمَّهات. لذلك، سوف نتحدَّث في هذا الجزء عن السِّمات التي تُمَيِّز كُلَّ مرحلة عُمريَّة. وسوف نُقَدِّم نقاطًا عمليَّة مفيدة في تربية الأبناء. كذلك، سوف نقترح أنشطة مناسبة للأبناء في المراحل العُمريَّة المختلفة.

السَّنة الأولى

سِمات هذه المرحلة:

- الطِّفل يعتمد تمامًا على والديه ويتمتَّع بجاذبيَّة تدفع والديه إلى مُعانقته.
- التَّواصُل بسيط- مِن خلال قَسَمات الوجه، والأصوات، ونَبرات الصَّوت.

إرشادات تربويَّة

الأطفال في عُمر السَّنة في حاجة إلى فيض مِن المحبَّة، والرِّعاية، والعناية، والمعانقة (مِن كِلا الأبوَيْن). وهذه هي السَّنة المُناسبة لبناء الثِّقة بالوالِدَيْن.

قد يكون التأديب لازمًا في نهاية هذه السَّنة، ولكن فقط في الحالات التي يكون فيها التَّواصُل واضحًا بين الطِّفل ووالدَيْه. فإذا كان الطِّفل يُدرك ما يقوله له والداه، ولكنَّه يُعاندهما، يمكن للوالدين أن يُظهرا بعض الصَّرامة معه. أمَّا تأديب الطِّفل قبل هذا الوقت فقد يؤدِّي إلى شعور الطِّفل بعدم الأمان ويُبطِل فاعليَّة التَّأديب.

إرشادات في اختيار الأنشطة الملائمة

١. مِن الضروريِّ أن يختار الأبوان أنشطة وألعابًا تحوي معانقةً وتُظهر رعايتهما واهتمامهما بطفلهما.

٢. الأطفال يتجاوبون مع الأنشطة والألعاب التي فيها تواصُل- مِن خلال الكلام أو الغناء.

٣. يجب على الأبوَيْن أن يهتمَّا بطفلهما وأن يتواصلا معه بنفسَيْهما بدلًا مِن تسليم هذه المهمَّة لإحدى المُرَبِّيات. فقد يكون عدم عِناق الوالدَيْن لطفلهما سببًا في وجود آثار سلبيَّة على الطِّفل عاطفيًّا، وفكريًّا، ورُبَّما جسديًّا أيضًا.[٣٣]

السَّنة الثَّانية

سِمات هذه المرحلة:

- يبدأ الطِّفل في المشي.
- المشي يترافق عادةً بمَيل الطِّفل إلى مزيدٍ مِن الاستقلاليَّة.
- هذه هي السِّنُّ المناسبة لاستكشاف الأشياء واختبارها.
- قد يبدأ الطِّفل بنُطق كلماتٍ بسيطة في هذه السِّنِّ.

إرشادات تربويَّة

- يجب تعليم الأطفال في هذه السِّنِّ معنى الكلمة «لا». وفي مرحلة التَّدريب هذه، قد يتطلَّب الأمر إبعاد الأشياء القابلة للكسر عن مُتناول يد الطِّفل.
- أثناء السَّنة الثَّانية، تستمرُّ حاجة الطِّفل إلى البقاء قريبًا مِن والدَيْه، وإلى أن يحملاه ويعانقاه. ولكنَّه يحتاج أيضًا إلى التَّوجيه والتَّوبيخ. ويجب أن يتعلَّم الاستجابة للتَّعليمات المؤلَّفة مِن كلمة أو كلمتين مِثل «تعال»، أو «اجلس هُنا»، أو «اهْدَأ»، أو غيرها. ويجب عليه أن يواجه التَّأديب عندما يقاوم أوامر والدَيْه. ويجب على الوالدَيْن أن يتأكَّدا مِن فهم الطِّفل هذه التَّعليمات والأوامر قَبل البدء في معاقبته على مخالفته لها. (انظر «إرشادات في استخدام العَصا» في هذا الفصل).
- يجب تنمية حواسِّ الطِّفل الفطريَّة مِن خلال تحذيره مِن الأشياء السَّاخنة أو الخطرة،

والسَّماح له بإدراك الفرق بين العُشب والماء، وما إلى ذلك.

إرشادات في اختيار الأنشطة الملائمة

١. شَجِّع الطِّفل على ممارسة الأنشطة والألعاب التي تتطلَّب مهارات حَرَكِيَّة (مِثل الأغاني التي ترافقها حركات، وبناء المُكَعَّبات، وغير ذلك).

٢. عند القراءة للطِّفل في هذه السِّنِّ، استخدم كُتُبًا مُصَوَّرةً لمساعدته على الفهم وجذب انتباهه.

٣. تَحَدَّث إلى الطِّفل لأنَّ ذلك ضروريٌّ جدًّا لتطوير مهارات التَّواصُل لديه.

السَّنوات مِن الثَّالثة إلى السَّادسة

سِمات هذه المرحلة:

- إنَّ مَيْل الطِّفل إلى اكتشاف الأشياء يَتبعه- عادةً- مَيْل إلى اختبارها وتجربتها. لذلك فإنَّ تَقَلُّب مزاج الطِّفل في هذه السِّنِّ (مَيْله- تارةً- إلى الانصياع لوالدَيْه والاتِّكال عليهما، وتارةً أخرى إلى معارضتهما والاستقلال عنهما) لا يَرجع- في الأصل- إلى شقاوته أو تَمَرُّده، بل إلى حاجته إلى معرفة حدوده.
- الطِّفل في هذه السِّنِّ يُقَلِّد الآخرين كثيرًا. وقد يبدو أنَّ خياله لا يتوقَّف عن العمل، وأنَّ طاقته لا تنضب.
- الطِّفل في هذه السِّنِّ يُصَدِّق كُلَّ ما يَسمع. لذلك، يمكن للوالدَيْن أن يستخدما أسئلة الطِّفل الكثيرة لتعليمه دروسًا قَيِّمة.
- تفكير الطِّفل في هذه السِّنِّ يعتمد على الأشياء الملموسة أكثر مِن الأشياء المُجَرَّدة. لذلك، مع أنَّ الطِّفل ينظر إلى الله كما لو أنَّه قد وُجِد في هيئة بشريَّة (وهذا أمر يُثير الدَّهشة [في ضوء تَجَسُّد يسوع المسيح])، فإنَّ الأشياء غير المنظورة تبدو وكأنَّها حقيقيَّة للطِّفل كما لو كانت منظورة.
- مع أنَّه بالإمكان تعليم الأطفال في هذه السِّنِّ أمورًا كثيرة، فإنَّهم ينجذبون إلى الكبار عاطفيًّا أكثر مِمَّا ينجذبون إليهم فكريًّا. ومِن المُرَجَّح أنَّ ما يتعلَّمونه مِن خلال مشاعرهم وأحاسيسهم يَفوق ما يتعلَّمونه مِن خلال ما يُقال لهم.

إرشادات تربويَّة

- الجزء الأساسيُّ في تربية الأطفال يَحدُث بين سِنِّ الثَّانية والسَّادسة. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يُدَرِّبا أطفالهما على طاعتهما واحترام أوامرهما حالًا. ومع أنَّه ينبغي مواجهة أيِّ تَمَرُّد أو عصيان صارِخ بالعَصا، فإنَّ الأبوَيْن مُطالَبان بعدم تحويل كُلِّ حادثة صغيرة إلى مواجهة.
- لا تلجأ إلى تَوبيخ الطِّفل أو تهديده أو رشوته كي يَفعل ما تأمره به. فهذه الأساليب تُعَلِّم الطِّفل المناورة والمراوغة بدلًا مِن الطَّاعة.
- يجب تدريب الأطفال على القيام بالأعمال التي تُناسب أعمارهم وقدراتهم (مِثل إرجاع الألعاب إلى أماكنها، وتنظيف الغُبار، وغسل الأطباق، وترتيب الأسِرَّة، وغير ذلك).
- يجب تعليم الطِّفل آداب السُّلوك واللَّياقة- مِثل آداب المائدة، والتَّهذيب وقت اللَّعب، وآداب المحادثة (كأن يقول: «مِن فضلك» و «شُكرًا» و «لو سمحت»).
- الأطفال في حاجة مستمرَّة إلى الكثير مِن الحنان والتَّشجيع. لذلك، يجب ألَّا يُرَكِّز الأبوان على معاقبة الطِّفل على سلوكيَّاته الخاطئة، بل يجب عليهما مكافأته على سلوكيَّاته الإيجابيَّة. ويمكن للأبوَيْن أن يُعِدَّا جدولًا يحوي أهدافًا معقولة ومكافآتٍ للسلوكيَّات الإيجابيَّة. فقد يكون هذا الأسلوب فعَّالًا.

إرشادات في اختيار الأنشطة الملائمة

١. الطِّفل في حاجة دائمة إلى تَعَلُّم الحقائق الروحيَّة. لذلك فإنَّ وقت العبادة العائليَّة، والصَّلاة قَبْل النَّوم، وقصص الكتاب المقدَّس (التي تُوافق مستوى فَهْم الطِّفل)، ومدارس الأحد هي أمور تُسهم في وضع أساسٍ روحيٍّ راسخٍ لديه مدى حياته.

٢. المشاركة الفاعلة أفضل مِن المشاركة السلبيَّة. لذلك، فإنَّ اللَّعب بالرَّمْل أفضل جدًّا مِن مشاهدة فيلم على شاشة التِّلفزيون.

٣. الأنشطة التي تُنَمِّي الإبداع جيِّدة- مِثل اللَّعب بالصَّلصال، أو الرَّسم بالأصابع، أو تمثيل الأدوار (تمثيل الذَّهاب إلى المدرسة، أو الكنيسة، أو التسوُّق، أو التَّخييم، أو ما شابه ذلك). وقد تُشارك العائلة بأسرها في لعب الأدوار هذا (كأن «يُخَيِّموا» في حديقة المنزل مثلًا).

٤. يجب تشجيع الأطفال مِن خلال أنشطة تُنَمِّي التوافق العَضَلِيَّ العصبيَّ لديهم وتُحَرِّك أجسامهم (مِثل لُعبة الغُمَّيضة، أو التَّلوين، أو النُّزهات العائليَّة، أو تَعَلُّم ركوب الدَّرَّاجة الهوائيَّة، تلقُّف الكُرَة، أو ما شابه ذلك).

٥. احذر مِن الألعاب التي تُشَوِّه الواقع أو التي قد تُشَجِّع الطِّفل على اقتراف الخطيَّة. فالكثير مِن الألعاب هي نماذج لأشخاص راشدين وليسوا أطفالًا. كذلك، فإنَّ الشخصيَّات التلفزيونيَّة الغريبة والألعاب المُصَمَّمة لتقليد العنف والشرِّ تُشَجِّع على الخيالات الخاطئة عند الطِّفل.

السَّنوات مِن السَّابعة إلى الثَّانية عشرة

سِمات هذه المرحلة:

- هذا هو العُمر المُهْمَل مِن الآباء والأمَّهات أكثر مِن غيره في أغلب الأحيان. فالطِّفل الصَّغير لم يَعُد صغيرًا، ولكنَّه ما زال بعيدًا عن سِنِّ الرُّشْد.
- مع أنَّ الطِّفل في هذا العُمر قد يقوم بأمور سخيفة أحيانًا، أو تُغيظ الوالدين، أو عديمة المسؤوليَّة، فإنَّه يرغب في القيام بالأشياء التي يقوم بها الرَّاشدون (كأن يَستخدم الأدوات التي يستخدمها الكبار، وما إلى ذلك).
- قد يكون تفكير الطِّفل في هذا العُمر مُرَكَّزًا على الأبطال والبطلات اليافعين (وقد يَظهر هذا مِن خلال إعجابه بهم ومحاولة تقليدهم).
- قد يكون الطِّفل في هذا العُمر مُرْهَف الحِسِّ، ولديه مخاوف عديدة؛ ولكنَّه قد لا يُعَبِّر عن ذلك إلَّا إذا كان يَثِق في أبيه أو أُمِّه ثِقَة كبيرة.

إرشادات تربويَّة

- يجب على الأبوَيْن أن يحاولا جاهِدَيْن أن يكونا مُرْهَفَي الحِسِّ في تعامُلهما مع أبنائهما في هذه السِّنِّ، وأن يغمراهم بالمحبَّة والحنان. فمع أنَّ الطِّفل ينمو جسديًّا، فإنَّه يبقى في حاجة إلى دليلٍ ملموسٍ على أنَّه محبوب ومَقبول.
- احترم شخصيَّة أبنائك أثناء تَشَكُّلها (لا تُحرجهم مِن خلال الضَّحك عليهم أمام الآخرين، أو مِن خلال ذِكْر الأمور الغريبة التي رُبَّما يقومون بها).

- اصرف وقتًا مع أبنائك. فالأوقات التي تصرفها معهم (مِن حيث الكَمِّ والكَيْف) هي الأساس الذي ستُبنى عليه علاقتك بهم عندما يصبحون يافعين (أثناء فترة المراهقة).
- أكِّد لهم أنَّك تَثِق بهم. ولا شَكَّ أنَّ هذا يتطلَّب حكمة. فلا ينبغي إثقال كاهل الأبناء في هذا العُمر بمسؤوليَّات الوالِدَيْن. ولكن يمكنك أن تَطلب منهم القيام بما يمكنهم القيام به. ومع ذلك، يجب أن تَحذر مِن توبيخهم بسبب إخفاقهم أو عدم قدرتهم على القيام بالمهامِّ التي قد تطلبها منهم. فالملاحظات الإيجابيَّة أفضل مِن الانتقادات الجارحة.
- تَحَدَّث إلى أبنائك واستمع إليهم. امنحهم الحُرِّيَّة اللَّازمة للتَّعبير عن أنفسهم. احذر مِن محاولة فتح باب التَّواصُل بينكما عنوةً.

إرشادات في اختيار الأنشطة الملائمة

١. الأطفال في هذا العُمر يميلون- في أغلب الأحيان- إلى الأنشطة والألعاب التي تُناسب جنسهم. ففي هذه السِّنِّ، سترغب الفتيات في التوقُّف عن ممارسة الأنشطة الخشنة والعنيفة. أمَّا الصُّبيان فسيرغبون أكثر فأكثر في ممارسة المصارعة والملاكمة، وفي استعراض قُوَّتهم البدنيَّة.

٢. يجب تَجَنُّب الأنشطة والألعاب التي تُفضي إلى اكتشاف الأطفال أجسادهم وأجساد الجنس الآخر (كالسِّباحة المُختلطة).

٣. يجب الحفاظ على التَّهذيب عند تبادُل المُزاح والنُّكات. لذلك، ابعد أبناءك عن الأنشطة غير المحتشمة أو التي تستخفُّ بالأشياء المقدَّسة. فيجب أن يكون كُلُّ شيءٍ (سواء كان موسيقا أو قراءة أو حفلات) مُهَذَّبًا ونافعًا.

٤. احذر مِن الأنشطة التي تَفرض على الأطفال الذين لم يبلغوا سِنَّ المُراهقة أن يعيشوا حياة الرَّاشدين. ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا أنَّ هذه الأنشطة هي بَلوى مؤلمة في وقتنا الحاضر. ففي هذا العصر الراهن، ما أحوج أبناءنا إلى صَرْف وقتٍ مع آبائهم وأمَّهاتهم للعمل، والتحدُّث، واللَّعب معًا بدلًا مِن خوض المنافسات الشَّرسة في الألعاب الرياضيَّة. ولا شَكَّ أنَّ وسائل الإعلام التَّرفيهيَّة تُسهم كثيرًا في الضَّغط على الأطفال لكي يَتَخَلُّوا عن طفولتهم.

٥. يجب أن تكون الأنشطة التَّرفيهيَّة مُحَفِّزة للعقل والطَّاقات الإبداعيَّة، لا أن تَستعبد المرء. لذلك، فإنَّ الألعاب التي تُعَلِّم المهارات أو التَّخطيط هي أفضل مِن ألعاب الحَظِّ. لذلك، احذر

مِن الألعاب الإلكترونيَّة التي قد تُخَدِّر عقل أبنائك إذا استمرُّوا في صَرْف السَّاعات في لعبها.

٦. هناك طرائق كثيرة لِجَعل الوقت الذي نَصرفه مع أبنائنا مُفيدًا (كالتنَزُّه، والتَّخييم، والاهتمام بحديقة المنزل، وإعداد الحلويَّات، وطهي الطَّعام، وممارسة الحِرَف اليدويَّة، وغيرها).

٧. يجب أن تكون المواد التي يقرأها الأبناء زاخرة بالقدوة الحسنة- ولا سِيَّما عندما يبتدئ الطِّفل في التَّفكير في الشَّخص الذي سيتَّخذه قدوة لحياته. فالسُّوق تَزْخُر بقصص تُثير دهشة وخيالات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثَّانية عشرة. وكم هو مؤسفٌ أنَّ الكثير مِن القصص التي تَزْعُم بأنَّها «مسيحيَّة» تستخدم الأسلوب نفسه تقريبًا. ولكن هناك سِيَر حياتيَّة حماسيَّة مكتوبة للأطفال في هذه المرحلة العُمريَّة تُقَدِّم لهم شخصيَّات عظيمة تَصْلُح لأن تكون قدوة حسنة لهم.

٨. إنَّ الأوقات التي يتحدَّث فيها الآباء والأمَّهات مع أبنائهم على انفراد مُهمَّة جدًّا. وقد تكون الصَّلاة قَبل النَّوم جزءًا مِن ذلك، ولكن قد يقتضي الأمر تخصيص أوقات خاصَّة لذلك- لا سِيَّما عندما يَقترب الطِّفل مِن سِنِّ المُراهقة.

سنوات المُراهقة

سِمات هذه المرحلة:

- نحن هنا أمام فترة انتقاليَّة. فعلى الصَّعيد البدنيِّ، فإنَّ الأطفال يصيرون شُبَّانًا وشابَّات. وعلى الصَّعيد الاجتماعيِّ، فإنَّهم يَنتقلون مِن مرحلة الاعتماد على الأبوَيْن إلى سِنِّ الاضطلاع بالمسؤوليَّة. وعلى الصَّعيد الروحيِّ، فإنَّهم يَنتقلون مِن سِنِّ البراءة إلى سِنِّ المُساءلة.

- المراهقون يَطرحون أسئلةً، ويَعرضون تحدِّياتٍ، ويستخدمون المنطق. ومع أنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة ليست بالأمر السَّهل، فإنَّ صعوبتها تزداد عندما تكون العلاقة بين الأبوَيْن والأبناء ليست على ما يُرام.

- المراهقون ينظرون إلى العالم نظرة مثاليَّة، ويُبدون ردود فِعْلٍ قويَّة عندما يَرَون تناقضات في حياة الآخرين، أو رياءً، أو تَمَسُّكًا بالمظاهر الخارجيَّة- مع أنَّ هذه الأمور نفسها قد تكون موجودة في حياتهم.

- المراهقون ينجذبون أكثر فأكثر إلى الجنس الآخر.

إرشادات تربويَّة

- الأبناء المراهقون في حاجة إلى التَّوجيه والإرشاد؛ ولكن دون أن يشعروا بالضَّغط. وهُم في حاجة إلى مَن يَفهمهم دون أن يشعروا بالتَّهديد (أيْ يجب أن لا نُشعِرُهم }من خلال ردود أفعالنا{ بالقلق والتوتُّر من انكشاف أخطائهم لنا أثناء محاولتنا لفهم ما يجتازون فيه). وهُم في حاجة إلى تَعَلُّم أشياء ومبادئ جديدة؛ ولكن دون مُبالغة. وهُم في حاجة إلى محبَّة الوالدَيْن؛ ولكن دون أن يشعروا بأنَّهم يُعامَلون كأطفال. وهُم في حاجة إلى مَن يُصغي إليهم؛ ولكن دون التَّقليل مِن شأنهم. وهُم في حاجة إلى مَن يَثِق بهم؛ ولكن دون أن يتخلَّى عنهم.

- مِن حيث المبدأ، يجب أن تكون أيَّام الصَّفع على المؤخرة والتأديب بالعصا قد وَلَّت قبل سنوات طويلة مِن وصول الأبناء إلى سِنِّ المراهقة.

- يمكن للآباء والأمَّهات أن يكونوا أكثر فاعليَّة مِن خلال حفاظهم على نزاهتهم ومحبَّتهم لأبنائهم. كذلك، يجب أن تكون صَرامتهم وصراحتهم مُمَلَّحة بملح اللُّطف، والرِّعاية، والثَّبات على المبادئ.

- أهميَّة التَّواصُل الفَعَّال لا تتناقص بزيادة عُمر الأبناء. فهناك فُرَص عديدة في هذا العُمر لتعليم الأبناء. ولكنَّ فاعليَّة التَّعليم تتوقَّف- في المقام الأوَّل- على الضَّبط الذي كان الأبوان يمارسانه في السَّنوات الماضية (فلا يمكن تعليم طفل متمرِّد). وهو يتوقَّف- في المقام الثَّاني- على استعداد الأبوَيْن للإصغاء إلى أفكار أبنائهم المراهقين، وعلى استعدادهما لمُراعاة شخصيَّتهم (فمِن الصَّعب أن يُصغي الأبناء إلينا إن لم نُصْغِ نحن إليهم).

- يجب أن تكون المزايا مصحوبة بالمُساءلة. فمع أنَّ المراهقين يتذمَّرون أحيانًا بسبب القيود المفروضة عليهم، فإنَّهم يكونون أكثر سعادةً وشعورًا بالأمان عندما يَعرفون حدودهم.

- يجب تعليم الأبناء المراهقين مبادئ المسؤوليَّة والوكالة في الأمور الماليَّة. ومع أنَّ هذه حاجة مُلِحَّة، فإنَّ آباء وأمَّهات كثيرين لا يُعَلِّمون أبناءهم هذه المبادئ. لذلك، سوف نَذْكُر مجموعة مبادئ عمليَّة بهذا الخصوص في نهاية هذا الجزء.

- يجب تعليم الأبناء المراهقين كيفيَّة التصرُّف عندما يُبادرهم شخص مِن الجنس الآخر بالكلام. ويجب على الأبوَيْن أن يتوقَّعا مِن أبنائهما أن يَطلبوا منهما تقديم النُّصْح والإرشاد

في هذا الموضوع. لذلك، يجب عليهما أن يكونا واضِحَيْن في التَّعبير عن توقُّعاتهما.

- عندما تتشكَّل شخصيَّات الأبناء، يجب على الأبوَيْن أن يكونا مُرهفَيْ الحِسِّ لشخصيَّات أبنائهما المُتميِّزة واهتمامات كُلٍّ منهم. ويجب عليهما مناقشة الاحتمالات والاتِّجاهات المستقبليَّة صراحةً مع تقديم التَّشجيع والإرشاد.

إرشادات في اختيار الأنشطة الملائمة

١. يجب أن تكون الأنشطة مُحَفِّزة فكريًّا، وممتعة، ومفيدة في التَّشجيع على التَّفاعُل الاجتماعيِّ.

٢. هناك خَطَر في ممارسة الأنشطة التي تجعل التَّسلية غايةً في حَدِّ ذاتها. فهي تُفْضي- عاجلًا أم آجلًا- إلى خفض جودة النَّشاط، وزيادة التمرُّد على سُلْطة الوالِدَيْن.

٣. هناك خَطَر في ممارسة الأنشطة المُكلفة ماديًّا دون مُبَرِّر (مِثل استئجار السيَّارات السياحيَّة الفاخرة، أو اللُّجوء إلى وسائل التَّرفيه الباهظة الثَّمن).

٤. يجب إعداد الأنشطة الاجتماعيَّة بطريقة تَحمي المراهقين مِن المخاطر الأخلاقيَّة، وتُعَزِّز علاقة المراهق بأهله وولاءهُ لهم. ولكنَّ مجموعات الشَّبيبة ذات التَّنظيم العالي والأنشطة المُفرطة تَفعل العكس تمامًا. فهي تَجعل مجموعة الشَّبيبة مُنافسًا للبيت. لذلك، فإنَّ العلاقة بين المراهقين والأبوَيْن تبقى أقوى عندما يقوم الوالدان بتنظيم الأنشطة مِن داخل البيت بدلًا مِن السَّماح لآخرين مِن خارج البيت بالقيام بذلك.

٥. يجب على العائلة أن تقوم بأنشطة عائليَّة. وقد تَشمل هذه الأنشطة أفراد العائلة وحدهم، أو أفراد العائلة المُمتدَّة أيضًا (من الأقارب)، أو مجموعة مِن العائلات. فمِن شأن ذلك أن يُشَجِّع الاندماج والاختلاط بين المستويات العُمريَّة المختلفة. ومِن الأمثلة على هذه الأنشطة: الرِّحلات، والنُّزهات، والتَّخييم، وألعاب الكُرة، وزيارة المتاحف ومراكز العلوم والطَّبيعة، وغير ذلك. كذلك، يمكن للعائلة أن تقوم بأنشطة مسيحيَّة مِثل زيارة المرضى والمُسِنِّين، والتَّرنيم، ودراسة الكتاب المقدَّس مع كبار السِّنِّ في دور رعاية المُسِنِّين، وتوزيع النَّشرات المسيحيَّة.

٦. يجب تشجيع المراهقين على اختيار مواهب تُنمِّي مهاراتهم، ومعرفتهم، وإبداعهم. ومِن

الأمثلة على ذلك: جَمْع الحشرات، أو جَمْع الطَّوابع، أو جَمْع عَيِّنات مِن الصُّخور، أو الرَّسم، أو العَزْف على آلة موسيقيَّة، أو الخياطة، أو صِناعة السِّلال، أو التَّطريز، وغير ذلك (ملاحظة: لقد تَبَيَّن أنَّ جَمْع الأشياء مِن طريق شرائها أقلُّ فائدةً مِن جَمْعها شخصيًّا).

إرشادات لتعليم المسؤوليَّة الماليَّة للأبناء

١. يجب على الآباء أن يفهموا مبادئ الوكالة المسيحيَّة وأن يُطَبِّقوها بأنفسهم إن أرادوا أن يكونوا قدوة لأبنائهم في هذا الأمر.

٢. يجب تعليم الأبناء أنَّ كُلَّ شيءٍ نملكه هو للربِّ. فنحن مُجَرَّد وُكلاء عن الأشياء التي يَأتمِنُنا الله عليها. والعشور هي إحدى الطَّرائق الملموسة لإظهار أمانتنا الماليَّة.

٣. يجب على الآباء والأمَّهات أن يُعَلِّموا أبناءهم الفرق بين الحاجات والرَّغبات، وأنَّ شراء الحاجات أكثر أهميَّةً مِن شراء الكماليَّات.

٤. يجب على الآباء والأمَّهات أن لا يسمحوا لأبنائهم بإنفاق المال قَبل تعليمهم مبادئ إنفاقه. وهناك خطأ شائع يَقترفه الآباء والأمَّهات الأغنياء ألا وهو إعطاء الأبناء «كُلَّ ما يطلبونه» مِن مال. فالأبناء يُحِبُّون المرح. وقد يجدون مئة طريقة وطريقة لإنفاق المال لمُجَرَّد المُتعة والتَّسلية (كالتسكُّع، وتناول الطَّعام في المطاعم، وشراء الملابس الجديدة، وجَمْع الأشياء، وشراء المعدَّات الرياضيَّة، وأنظمة الصَّوت، والأدوات الموسيقيَّة، وغير ذلك).

٥. يجب تعليم الأبناء أنَّ هناك علاقة مباشرة بين العمل والمال. ويجب على الأبوَيْن أن يتجنَّبا عقليَّة المجتمع الذي يريد الحصول على الكثير مُقابل لا شيء. بعبارة أخرى، يجب عليهما أن يتجنَّبا البحث عن طرائق سريعة وسهلة للحصول على المال. ويجب عليهما أن يُعَلِّما أبناءهما أيضًا أن يَتَجَنَّبوا ذلك.

٦. عندما يبدأ الأبناء في كَسْب المال، يجب وضع تعليمات واضحة حول كيفيَّة إنفاق هذا المال. وهناك خِيارات عديدة:

أ. أن يتسلَّم الأبوان المال كُلَّه. وفي هذه الحالة، يمكن تعليم الابن أنَّ هذا المال يُستخدَم لفائدة العائلة وهو مُساهمة في مصروف البيت ونفقاته. وبالمقابل، فإنَّه (أيْ: الابن) يحصل على شعورٍ داخلي بالانتماء، وعلى بيتٍ آمن يَحوي كُلَّ ما يحتاج إليه. وعند

اللُّجوء إلى هذا الخِيار، يُعطي الأبوان، في أغلب الأحيان، جُزءًا مِن ذلك المال للابن عندما يصير قادرًا على تولِّي شؤونه بنفسه.

ب. أن يتسلَّم الابن كُلَّ المال أو جزءًا منه، مع وضع ميزانيَّة أو خُطَّة لكيفيَّة إنفاقه. وفي هذه الحالة، يصير الابن مسؤولًا عن تقديم عُشوره بنفسه، وعن سَدِّ بعض حاجاته مِثل شراء الملابس. بعبارة أخرى، فإنَّه يتعلَّم المهارات الماليَّة وهو في رعاية أبوَيْه وحمايتهما.

ج. أن تُدفَع العُشور مِن المبلغ الذي يحصل عليه الابن، وأن يُترك بين يديه مبلغ صغير كمصروفٍ شخصيٍّ، وأن يوضع المال المتبقِّي في حساب توفير لتغطية حاجات الابن المستقبليَّة.

٧. يجب تعليم الأبناء مقاومة العروض والخصومات على السِّلَع التي قد تبدو جَذَّابة في الظَّاهر. والحقيقة هي أنَّه ينبغي للآباء والأمَّهات أن يُمارسوا «مقاومة توسُّل الأبناء» (وبالطبع يجب على الأبناء أن لا يتوسَّلوا للشراء وقت العروض والخصومات). عَلِّم أبناءك أن يُفَكِّروا مَلِيًّا قَبل شراء أيِّ شيء، وأن يقارنوا السِّلع والأسعار، وأن يتجنَّبوا الشِّراء المتسرِّع.

٨. يجب تعليم الأبناء مبادئ العطاء: فَرَح العطاء المُضَحِّي، ورهافة الحِسِّ تُجاه الفقراء والمحتاجين، وخطر العطاء مِن أجل الحصول على المَدح والثَّناء مِن النَّاس، وقيمة أن يكنزوا لهم كنزًا في السَّماء، والاضطلاع بمسؤوليَّة سَدِّ حاجات الكنيسة وأفراد العائلة الذين يَمُرُّون بأزمة ماليَّة.

٩. يجب تعليم الأبناء مخاطر الشِّراء بالدَّين. فالكتاب المقدَّس لا يُعَلِّم مبدأ «اشْتَرِ الآن، وادفع لاحقًا». فبطاقات الائتمان هي اختراعٌ بَشَريٌّ يَرمي أصحابُهُ مِنْ وَرائِهِ إلى جَمْعِ أرباحٍ طائِلَة، وإلى جَعل النَّاس تحت عبوديَّة الدَّيْن باستمرار. لذلك، يجب تعليم الأبناء مبادئ ادِّخار المال، والعيش وفقًا للإمكانات الماليَّة المُتاحة، وإصلاح الأشياء المعطوبة بدلًا مِن التخلُّص منها.

١٠. إذا التزم الأبوان بتعليم أبنائهما كيفيَّة استخدام المال بحكمة، يجب على الأبناء أن يُدركوا أنَّهم قد يختلفون عن بعض أصدقائهم (في أسلوب حياتهم). كذلك، يجب على الأبوَيْن أن يوضِّحا لأبنائهما أنَّهما لن ينصاعا لشهواتهم ورغباتهم. كذلك، يجب أن يَعلموا أنَّهم لن يحصلوا على آخر صَيْحات الموضة، وأنَّهم لن يُبَذِّروا المال كما يفعل كثيرون مِن حولهم.

التحكُّم في الغضب

إذا أرَدنا تلخيص مسؤوليَّة تربية الأبناء في كلمة واحدة، فإنَّ الكلمة التي سنختارها هي: «المحبَّة». ونحن لا نتحدَّث هنا عن المحبَّة العاطفيَّة فحسب، بل عن المحبَّة المُضَحِّية والمُلتزمة التي تَدفع الأب أو الأم إلى القول: «سأفعل كُلَّ ما يمكنني فِعله لأجلك ولأجل مصلحتك».

مِن جانب آخر، فإنَّ هناك أمرًا مُدَمِّرًا في تربية الأبناء ألا وهو الغضب الخارج عن السَّيطرة. ولا شَكَّ أنَّ هناك غضبًا مشروعًا يشْعُر به الأبوان عندما يقترف أبناؤهما خطأً مُعَيَّنًا. ولكنَّ هذا لا يَعدو عن كَوْنِهِ استياءً واضحًا. ولكن ينبغي للأبوَيْن ألَّا يَسْمَحا لهذا الغضب بالتَّأثير سلبًا على تعَهُّدهما تُجاه أبنائهما، أو بدفعهما إلى مهاجمة شخصيَّة أبنائهما، أو بالحُلول مَحَلِّ الحِكمة. وقد يَظْهَر الغضب المُدَمِّر لدى الأبوَيْن في أشكال عديدة مِثل الازدراء بالأبناء، أو سَوْرات الغضب، أو النَّقد الجارح، أو السُّخرية الشَّديدة، أو الصُّراخ الحادِّ. وفي ما يلي سبعة أسباب تُبَيِّن خطأ هذا النَّوع مِن الغضب عند الأبوَيْن:

١. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُدَمِّر الثِّقة.

٢. الغضب الخارج عن السَّيطرة يقطع قنوات الاتِّصال.

٣. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُعَكِّر صَفْو العائلة ويخلق جوًّا من التوتُّر.

٤. الغضب الخارج عن السَّيطرة يَمنع المرء مِن التحكُّم في أفعاله.

٥. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُدَمِّر احترام الذَّات عند الأطفال,

٦. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُعطي الشَّيطان مكانًا (أفسُس ٤: ٢٦ و ٢٧).

٧. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُحْزِن الرُّوح القُدُس (أفسُس ٤: ٣٠ و ٣١).

والحقيقة هي أنَّ آباءً كثيرين (وأمَّهات كثيرات) يَجدون صعوبة بالغة في كَبْح غضبهم. ويؤسفنا القول إنَّ هذا الغضب لا يُساعد في ضبط الموقف، بل يَجعل الأبوَيْن يفقدان السَّيطرة عليه. كذلك، فإنَّ الغضب يُظْهِر ضعف الأبوَيْن وعجزهما أمام الأبناء، ويُقَلِّل مِن فاعليَّة أقوالهما، ويُضعف سُلطتهما.

وإذا وَجَدَتْ أنماط الغضب المُدَمِّرة سبيلها إلى كلمات الأبوَيْن، ونظراتهما، وردود فعلهما، سيكون مِن الصَّعب عليهما التخلُّص منها. ولكنَّ التحرُّر مِن هذه الأنماط الخاطئة ضرورة

مُلِحَّة إن أراد الأبوان أن يستعيدا ثقة أبنائهما واحترامهم. وفي ما يلي مجموعة مِن النِّقاط التي قد تساعد في التغلُّب على أنماط الغضب المُدَمِّرة:

١. **اعترف بالمشكلة تحديدًا أمام الله.** وقد يكون مِن الأفضل أن تكتب المشكلة، وأن تَذكُر طريقة تعبيرك عن غضبك، وتأثير ذلك على العائلة. «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ» (أمثال ٢٨: ١٣).

٢. **اعلم أنَّ هذا الغضب يُعَبِّر عن حياة الجسد والإرادة الذَّاتيَّة التي تُحْزِن الرُّوح القُدُس.** «وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ القُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الفِدَاءِ. لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ» (أفسُس ٤: ٣٠ و ٣١).

٣. **ابحث عن آيات كِتابيَّة عن الغضب، وأعِد صياغتها لتتواءم مع حالتك.** اكتب هذه الآيات، واقرأها المَرَّة تلو المَرَّة، وضعها في مكان بارز لكي تراها دائمًا. فكلمة الله تمتلك القدرة على تطهير قلوبنا وتصحيح مفاهيمنا. «نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الجَاهِلَ حَكِيمًا» (المزمور ١٩: ٧).

٤. **صَلِّ يوميًّا لكي تختبر حياة يسوع بدلًا مِن العبوديَّة لحياة الذَّات.** «وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كورنثوس ٣: ١٨). وأيضًا: «مَعَ المَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ المَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غلاطيَّة ٢: ٢٠).

٥. **اعترف بالمشكلة أمام أفراد عائلتك.** ناقشوا الخطوات التي تقوم بها لتحقيق النُّصرة، وصَلُّوا معًا. اطلب منهم أن يؤازروك دائمًا مِن خلال صلواتهم. إذا استمرَّت المشكلة، رَتِّبوا لقاءات عائليَّة منتظمة لتعزيز روح المُساءلة. «اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا» (يعقوب ٥: ١٦).

٦. **انظر نظرة عقلانيَّة إلى الأشياء التي تُثير غضبك، وابحث عن طرائق أخرى للتَّعامل معها تَعامُلًا بَنَّاءً.** إذا كان هناك شخص مُعَيَّن يُثير غضبك، يمكنك أن تبدأ بالتَّفكير في الجوانب الإيجابيَّة التي رُبَّما تُقَدِّرها فيه. وإذا كانت الفوضى في البيت، أو في الغرفة، أو في أيِّ رُكْنٍ آخر في البيت تُثير غضبك، ناقش مع أفراد العائلة سُبُل تحسين الوضع. وإذا كان الوضع خارج سيطرتك ولا يمكنك تغييره، فَكِّر في كيفيَّة قبوله أو التأقلم معه. وفي جميع

الحالات والمواقف، يمكنك أن تسأل نفسك: «كيف كان يسوع ليتصرَّف في هذا الموقف؟» فقد قال يسوع: «...تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ القَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ» (مَتَّى ١١: ٢٩).

٧. ارفض البحث عن أعذار أو مُبَرِّرات لغضبك. «كَم مَرَّة سَمِعت أحدهم يقول: {لقد أثار [فُلانٌ] جنوني}»؟[٣٤] فمع أنَّ الغضب قد يكون شعورًا غير إرادِيٍّ في حَدِّ ذاته، ولكنَّ ردود أفعالنا، وطريقة تعبيرنا عن غضبنا، وسيطرتنا (أو عدم سيطرتنا) على مشاعرنا تعتمد على خِياراتنا. فَكِّر في سهولة السَّيطرة على الغضب عندما يَرِنُّ جرس الهاتف. فقد نهدأ كما لو كُنَّا قد قرأنا المزمور ٣٢ للتَّوِّ. ولكِنَّ العقل قادر، ويا للأسف، على اختراع عُذْرٍ لكُلِّ شيءٍ إن سَمَحنا له بذلك. لذلك، يجب علينا أن نَتَّبِع إرشاد الرَّسول بولُس إذ قال: «...البَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ المَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلجَسَدِ...» (رومية ١٣: ١٤).

٨. إذا كانت لديك مشكلة غضب مُستعصية، افتح قلبك وحاول أن تُخْرِج منه أيَّ غضبٍ مُتراكم مِن السَّنوات الماضية. فالغضب- كما ذَكَرنا قَبل قليل- يُعَبِّر عن ضُعفٍ فينا بسبب طبيعتنا القديمة الخاطئة. ولكن في بعض الأحيان، قد يكون القلب ممتلئًا امتعاضًا ومَرارةً بسبب أحداثٍ وقعت في حياتنا في الماضي. وعندما يَكبت النَّاس غضبهم بسبب إساءة ما، أو رفض، أو تجربة قاسية، قد يُعمِّقون بذلك المشاعرَ السلبيَّة في قلوبهم. وعندما يواجهون أشخاصًا يَصْعُب التَّعامل معهم، أو مشكلات عويصة في الحاضر، قد تتأجَّج مشاعر الغضب لديهم بسبب جِراح الماضي التي لم تَنْدَمِل. لذلك، قد تؤدِّي مشكلة صغيرة إلى ردود فِعْل قويَّة جدًّا. وفي حالاتٍ كهذه، يجب على المرء أن يُواجه مكنونات قلبه بصدق. فإن كان مستاءً مِن والديه، أو مُعَلِّميه، أو قادة كنيسته، أو جيرانه بسبب إساءات حدثت في الماضي، يجب عليه أن يواجه هذا الغضب وأن يَفتح قلبه للتَّطهير الذي يقوم به دَمُّ يسوع المسيح. وقد تكون معالجة الغضب المتراكم أمرًا صعبًا لأنَّنا نَبني عادةً جدرانًا دفاعيَّةً تُخفي وراءها امتعاضنا. وقد تمنعنا هذه الجدران مِن رؤية أنفسنا ودوافعنا بوضوح. لذلك، قد يساعدنا أحد الأشخاص المُقَرَّبين مِنَّا على مواجهة المشكلة بصدق.

ماذا عن مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة (الحضانات)؟

في أيَّامنا هذه، هناك الكثير مِن الأمَّهات العاملات مِمَّن لديهنَّ أطفال في سِنِّ ما قَبل المدرسة. فعلى سبيل المثال، فإنَّ نِصف عدد الأمَّهات في الولايات المتَّحدة (مِمَّن لديهن أطفال في سِنِّ ما

قَبل المدرسة) يَعملن خارج البيت. والنَّتيجة هي أنَّ هؤلاء الأطفال الصِّغار يُغادرون بيوتهم في أعمارٍ مُبَكِّرة جِدًّا إلى مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة أو الحضانات. ويحاول «خبراء» كثيرون إقناع الأبوَيْن بأنَّ هذه المراكز مُعَدَّة للاهتمام بحاجات الأطفال، وأنَّ الأطفال يتكَيَّفون بسرعة مع التغيُّرات والبيئات الجديدة. ومع ذلك، فإنَّ الملاحظات التَّالية كَفيلة بإقناع الأبوَيْن المؤمِنَيْن بعكس ذلك:

١. مراكز العناية النَّهاريَّة تُضْعِف ارتباط الأطفال بآبائهم وأمَّهاتهم. وقد قال رئيس مشروع «سنوات ما قَبل المدرسة» في جامعة هارفرد (Harvard)، بعد ثلاثين سنة مِن الخبرة في مجال الأبحاث الخاصَّة بمراكز الرِّعاية النَّهاريَّة، إنَّه لا يُفَكِّر البَتَّة في وضع طفله في أيِّ برنامج بديل لرعاية الأطفال. وقد أصاب في تحذيره بأنَّ «مشاعر الارتباط والتعلُّق بالآخرين تتشكَّل لدى الأطفال مَرَّة واحدة فقط».[٣٥]

٢. مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة تُقَدِّم رعايةً غير شخصيَّة. بعبارة أخرى، لا يمكن للحضانات أن تُعامل أطفالنا في هذه البيئة الجماعيَّة كما نُعاملهم نحن في بيوتنا. وقد صَرَفت إحدى الكاتبات مئات السَّاعات في مراقبة مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة وتدوين الملاحظات. وقد لاحَظَتْ أنَّه بالرَّغم مِن أنَّ هذه المراكز لا تُسيء معاملة الأطفال، فإنَّ حياة هؤلاء الأطفال «فارغة إلى حَدٍّ مُخيف». وقد قَدَّمت الكاتبة أمثلة عديدة على ذلك. ولكنَّ النُّقطة المهمَّة في تقريرها هي أنَّ هناك مشكلة جوهريَّة في مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة ألا وهي أنَّ الأمَّ قد ذهبت.[٣٦]

٣. مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة لا تُوَفِّر- في أغلب الأحيان- التَّربية والتَّعليم اللَّذَيْن يُطالب الله بهما الأبوَيْن المؤمِنَيْن. وقد بَيَّنت الدِّراسات أنَّ الأطفال الذين يذهبون في سنوات طفولتهم الباكرة إلى مراكز الرِّعاية يُظْهِرون في سنواتٍ لاحقة سلوكيَّات عدائيَّة وضعفًا في الدِّراسة أكثر مِن الأطفال الذين تَرَبُّوا في كَنَف آبائهم وأمَّهاتهم.

وهذا لا يعني أنَّ جميع دُور الرِّعاية لا تقوم بدورها. فهناك مراكز رعاية تُقَدِّم أفضل ما لديها. ومع ذلك فإنَّ أفضل ما تُقَدِّمه مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة أو الحضانات لا يمكن أن يُضاهي رعاية الأبوَيْن.

الأبناء بالتَّبَنِّي

هناك أزواج كثيرون في أيَّامنا هذه يؤجِّلون الإنجاب. وقد أدَّى هذا السُّلوك، علاوة على الضَّغوط المتزايدة والعديد مِن الأسباب الأخرى، إلى زيادة حالات العُقْم. وعليه، فقد زاد الاهتمام بِتَبَنِّي الأطفال. وفي ذات الوقت، هناك عوامل اجتماعيَّة أخرى ساهمت في تضاؤل أعداد الأطفال المُتاحين للتَّبَنِّي. فعلى سبيل المثال، فإنَّ الإجهاض وَحْدَهُ يُزهِق حياة ما يتراوح بين مليون ومليوني طفل سنويًّا. لذلك، مع أنَّ التَّبَنِّي صار مرغوبًا أكثر مِن السَّابق، فإنَّ هناك صعوبات تَكتنفه. وفي الولايات المتَّحدة، إذا رغب شخصان بتَبَنِّي طفل، ينبغي لهما الانتظار مُدَّة تتراوح مِن خمس سنوات إلى ثماني سنوات.[٣٧] وفي بلاد أخرى، قد يكون تَبَنِّي الأطفال أكثر صعوبة أو مستحيلًا- وفقًا لقوانين التَّبَنِّي. والتبنِّي يتطلَّب تعبئة نماذج وأوراق كثيرة. وهو مُكْلِفٌ ماديًّا عادةً. ولكنَّ العديد مِن الأشخاص الرَّاغبين في تَبَنِّي الأطفال يُظهرون استعدادًا كبيرًا لاحتمال هذه الصُّعوبات في سبيل اختبار مشاعر الفَرَح النَّاشئة عن الحصول على طفل.

والحقيقة هي أنَّ التَّبَنِّي يُشبه إنجاب الأطفال مِن جوانب ويَختلف عنه مِن جوانب أخرى. فهو يُشبهه مِن حيث مسؤوليَّة الأبوَيْن عن تربية الطِّفل وتنشئته. ولكنَّ التَّبَنِّي له إيجابيَّاته وسلبيَّاته الخاصَّة به. فحيث إنَّ الطِّفل يَعلم أنَّ هذين الشَّخصين ليسا أبوَيْه الحقيقيَّيْن، قد يَستخدم هذه المعرفة للإيقاع بين الزَّوجين أو للتَّحايل عليهما، أو ما شابه ذلك. والوجه الآخر للحقيقة نفسها هو أنَّ التَّبَنِّي خدمة في حَدِّ ذاته. فهو يُظْهِر مَحَبَّةً أكبر مِن نداء الواجب. وهي محبَّة ناشئة عن «عمل النِّعمة» لأنَّها شبيهة بمحبَّة الله.

ومع أنَّ إجراءات التَّبنِّي قد تَختلف مِن مكانٍ إلى آخر ومِن وكالة إلى أخرى،[٣٨] يجب على الزَّوجَيْن أن يُجيبا عن أسئلة تَختصُّ بما يتوقَّعانه مِن الطِّفل الذي سيتبنَّيانه، وبما يمكنهما القيام به، وبما لا يمكنهما القيام به. ولكنَّ الأمر يختلف مِن حالة إلى أخرى. فبعض الوكالات تطلب مِن الزَّوجَيْن الرَّاغبَيْن في تَبَنِّي طفل أن يحضرا جلسات مشورة قبل التَّبَنِّي وبعده. ولكنَّ المبادئ التَّالي ذِكرُها تَصِحُّ على أغلبيَّة المواقف والحالات:

١. **الطِّفل المُتَبَنَّى لديه حاجات طبيعيَّة للمحبَّة والقبول والتَّقويم.** لذلك، يجب معاملته كأيِّ طفلٍ آخر. وفي الولايات المتَّحدة، هناك سؤال يُطرَح على الزَّوجَيْن الرَّاغبَيْن في تبَنِّي طفل، وهو: «هل تُدركان أنَّه في حال الموافقة على طلبكما، ستصيران طرفًا في اتِّفاقيَّةٍ مع هذه الولاية تتعهَّدان بموجبها بمعاملة هذا الطِّفل- مِن جميع الجوانب ودون استثناء-

كما لو كُنتما قد أنجبتماه»؟[٣٩] وكُلَّما زاد استعداد الأبوَيْن لمعاملة الطِّفل المُتَبَنَّى كما لو كان ابنهما الحقيقيَّ، زاد شعور الطِّفل بالأمان في البيت. ولا شَكَّ أنَّ المحاباة بين الأبناء وتفضيل الواحد على الآخر يُعَدُّ خَرْقًا لهذا المبدأ. ولكنَّ بعض الأشخاص الميسورين ماديًّا يتطرَّفون في الجهة المعاكسة إذ إنَّهم يَمنحون الطِّفل المُتَبَنَّى مزايا أكثر أو تسهيلات أكبر. وقد يقوم الأبوان بهذا الأمر لتعويض الطِّفل المُتَبَنَّى عن الرَّفض الذي اختبره في السَّنوات الماضية. ولكن إذا كان الأمر مُبالَغًا فيه، فإنَّ هذه المُعاملة التَّفضيليَّة قد تُعطي نتائج عكسيَّة إذ إنَّ الطِّفل قد يَشعر بأنَّه مرفوض. فالرِّسالة التي قد يَفهمهما الطِّفل هي: «أنت مُختلف». وقد يُفْضي ذلك- على المدى البعيد- إلى شعور الطِّفل بعدم الأمان.

٢. **يجب على الأبوَيْن أن يُجيبا الطِّفل بصدقٍ عن أسئلته المُختصَّة بطفولته- حسب مستوى فهمه.** فالأطفال يتفاوتون في فضولهم. لذلك، فإنَّ الأبوَيْن في حاجة ماسَّة إلى الحِكمة لكي يتمكَّنا مِن إطلاع الطِّفل على المعلومات الضَّروريَّة فقط، وفي التوقيت المناسب أيضًا. وبصورة عامَّة، ينبغي للطِّفل أن يَعرف أنَّه طِفْلٌ بالتَّبَنِّي. وفي بعض الحالات، لا بأس مِن أن يَعرف الطِّفل السَّبب في أنَّه طفل بالتَّبَنِّي (مثلًا في حال وفاة والِدَيْه الحقيقيَّيْن). وهناك قوانين تَحمي خصوصيَّة الأبوَيْن الحقيقيَّيْن. وفي حالات كثيرة، لا تَعرف أُمُّ الطِّفل الحقيقيَّة إلَّا الاسم الأوَّل للشَّخصَيْن اللَّذَيْن قاما بِتَبَنِّي طفلها (والعكس صحيح أيضًا). لذلك، في أغلبيَّة الحالات، لن تكون هناك تفاصيل كثيرة يمكن للزَّوجَيْن أن يشاركاها مع ابنهما بالتَّبَنِّي عن والدَيْه الحقيقيَّيْن. ولكن ينبغي لهما أن يُصارِحا الطِّفل بأنَّه طفلهما بالتَّبَنِّي- دون الدُّخول في تفاصيل كثيرة.

٣. **لا تَسمحا لطفلكما بالتَّبَنِّي أن يَتحايل عليكما لتحقيق مصالحه وأهدافه الأنانيَّة.** فالأطفال هُم أطفال في نهاية المطاف. والطِّفل الذي يَشعُر بالاستياء قد يَفعل أيَّ شيءٍ يَقدر عليه- بما في ذلك التَّلاعُب بمشاعر أبوَيْه: «أنتما لا تُحِبَّاني» أو «أنتِ لستِ أُمِّي الحقيقيَّة». وليست هناك طريقة أفضل لطمأنة الطِّفل سوى التصرُّف بهدوء وحزم، وتقويم تَمَرُّده. فهذا- في حقيقة الأمر- تَمَرُّد لأنَّه محاولة لفرض السَّيطرة. ولا شَكَّ أنَّه ستأتي أوقات يَشعر فيها الطِّفل المُتَبَنَّى بالحزن على ذكرياته السَّابقة- لا سِيَّما إذا تَمَّ تَبَنِّيه بعد مرحلة الطُّفولة المبكِّرة. ولا بأس في التَّساهُل والتَّعاطُف مع هذه المشاعر كما قد نَفعل مع أيِّ شخصٍ آخر. والنُّقطة المهمَّة هنا هي أنَّه لا ينبغي السَّماح لهذا الشُّعور بأن يكون سببًا في تَمَرُّد الطِّفل على الأبوَيْن وحصول الطِّفل على ما يريده.

٤. **لا ينبغي للأبوَيْن البَديلَيْن أن يَتعاملا مع ابنهما بالتَّبَنِّي بعقليَّة «المُنْقِذ».** فهذا التصرُّف لا يَختلف في شيء عن محاولة الطِّفل المُتَبَنَّى للتَّحايُل على أبوَيْه البديلَيْن. ومع أنَّنا ذَكَرنا أنَّ التَّبَنِّي ينبغي أن يكون نابعًا مِن المحبَّة والنِّعمة، لا يَفوتُنا أن نَذْكر أيضًا أنَّه لا يجوز لهما أن يَستخدما عبارة «لقد فَعَلنا هذا كُلَّه لأجلك» في محاولة للتَّحايُل عليه. فمِثل هذا التَّصَرُّف لن يُساعد الطِّفل على الشُّعور بالشُّكْر والامتنان، بل يَدفعه إلى الشُّعور بالامتعاض والاستياء. وباختصار، فإنَّ الطِّفل المُتَبَنَّى في حاجة إلى أبَوَيْن- لا مُنْقِذَيْن. وهذا لن يتحقَّق إلَّا حين يقوم الأبوان البديلان بالدَّور الطَّبيعيِّ الذي يقوم به الآباء والأمَّهات. وحينئذٍ فقط، يمكنهما أن يتوقَّعا مِن طفلهما بالتَّبَنِّي أن يتصرَّف كما يتصرَّف الأبناء الحقيقيُّون.

٥. **كُلَّما بَكَّر الزَّوجان في تَبَنِّي الطِّفل، قَلَّت حاجته إلى التأقلم والتكيُّف في بيته الجديد.** ومع أنَّه يبقى بإمكانهما تَبَنِّي طفل أكبر قليلًا، فإنَّ الأمر يتطلَّب منهما أن يَقبلاه كما هو قَبل مساعدته تدريجيًّا على الاندماج في العائلة إلى أن يَشْعُر بأنَّه فرد منها، وينبغي أن يَعلم هذا الطِّفل ما هو مُتوقَّع منه في البيت الجديد. ولكنَّه يحتاج، في الوقت نفسه، إلى مقدارٍ مِن الحُرِّيَّة للتَّعبير عن آرائه- بما في ذلك عدم إعجابه ببيئته الجديدة. والحقيقة هي أنَّ التكيُّف بمُجمله يتوقَّف على جودة التَّواصُل بين الطِّفل وأفراد عائلته الجُدُد.

٦. **الفروق العِرْقيَّة بين الأبوَيْن والطِّفل المُتَبَنَّى تَظهر خارج المنزل أكثر مِن داخل المنزل، ويمكن أن تُسَبِّب صعوبات في سِنِّ الرُّشْد أكثر مِن سِنِّ الطُّفولة.** ففي البيت، يتمكَّن الأبوان، عادةً، مِن توفير جَوٍّ مُناسبٍ للطِّفل- ولا سِيَّما عندما يكون هذا الجوُّ مُفعمًا بالمحبَّة والقبول. ولكن لا يُمكن للأبوَيْن أن يَتَحَكَّما في البيئة الخارجيَّة وآراء الآخرين خارج المنزل (حول الفروق العِرقيَّة). ومع ذلك، فإنَّ الفروق العِرْقيَّة لا تُشَكِّل مشكلات في سِنِّ الطُّفولة، إلَّا مشكلة الاهتمام الزَّائد على الأرجح. ولكنَّ هذه المعاملة التَّفضيليَّة قد تُفْسِد الطِّفل «الخاصَّ». وعندما يقترب الطِّفل مِن مرحلة الرُّشْد، ويَشعر برغبات اجتماعيَّة طبيعيَّة (في التعارف)، قد تأخذ الاختلافات العِرْقيَّة بُعدًا جديدًا. فعلى سبيل المثال، قد يُفَسِّر الشَّابُّ تَرَدُّد الفتيات في التعرُّف إليه بشكلٍ مُقرَّب ومُصادقته بأنَّه رفض، وقد يُفسِّر الشَّابُّ ذلك بأنَّه تمييز عُنصريٌّ (وقد يكون الشابُّ مُحِقًّا أو مُخطئًا في تفكيره).

٧. **إنَّ كُلَّ عمليَّة تَبَنِّي لها خصوصيَّتها.** كذلك، فإنَّ لكُلِّ طفل مُتَبَنَّى شخصيَّته المتميِّزة. لذلك،

يجب على الأبوَيْن أن يتجنَّبا محاولة جَعْل عمليَّة التبنِّي أو الطِّفل في حَدِّ ذاته يوافق توقُّعاتهما المُسَبَّقة. فسوف تكون هناك مفاجآت وأخطاء. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يُظْهِرا استعدادهما للتعلُّم والتكيُّف على الصَّعيد الشخصيِّ أثناء مرحلة استقبال الأطفال وتربيتهم (سواء كانوا أطفالهم الحقيقيِّين أو بالتبنِّي). والحقيقة هي أنَّ الآباء والأمَّهات الذين يتَّكلون على الربِّ وكلمته للحصول على الحكمة يملكون قاعدة متينة يمكنهم الانطلاق منها للتغلُّب على الصُّعوبات والتحدِّيات التي ستواجههم.

الخُلاصة

إنَّ المؤمنين (آباء كانوا أو أمَّهات) يَضطلعون بمسؤوليَّة إعداد أبنائهم لعبادة الله وخدمته. لذلك، يجب عليهم أن يُعَلِّموهم، وأن يكونوا قدوة لهم، وأن يُقوِّموهم، وأن يُبَيِّنوا لهم الطَّريقة الصَّحيحة للعيش، وأن يَحموهم مِن الطُّرق الخاطئة. وعندما يستخدمون العَصا، يجب عليهم أن يَفعلوا ذلك بمحبَّة إلى أن يتعلَّم الأبناء أن يُطيعوا تعليماتهم وتوجيهاتهم حالًا وعن طيب خاطر. ولا شَكَّ أنَّ المراحل المختلفة في نُمُوِّ الطِّفل تُهَيِّئه للمراحل المختلفة في عمليَّة التَّربية. والتَّربية تبدأ في سِنٍّ مُبَكِّرة وتستمرُّ حتَّى نهاية فترة المراهقة. ولكنَّ العَصا لا ينبغي أن تُستخدَم إلَّا في سنوات الطُّفولة الباكرة لتخليص الطِّفل مِن التمرُّد، ولجَعله مستعدًّا لقبول التَّعليم والإرشاد. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يتواصلوا مع أبنائهم بفاعليَّة، وأن يُظهروا احترامهم لهم، وأن يسيروا على النَّهج نفسه طَوال حياة أبنائهم- ولا سِيَّما عندما يبلغ الأطفال سِنَّ المُراهقة. وينبغي معاملة الطِّفل المُتَبَنَّى كبقيَّة الأبناء لأنَّ جميع الأطفال في حاجة إلى الشُّعور بالأمان النابع من شعورهم بالمحبَّة، والقبول، والتَّربية على يد أبوَيْن فيهما مخافة الربِّ.

لِنُفَكِّر معًا

١. ما بعض الطَّرائق العمليَّة لجعل وقت العبادة العائليَّة مفيدًا؟ ما الذي يمكن أن يُعيق العبادة ويُعَطِّل فائدتها؟ كيف يمكن تغيير ممارسات العبادة مع انتقال الأطفال مِن مرحلة عُمريَّة إلى التي تليها؟

٢. ما مزايا ومساوئ الدِّراسة المنزليَّة (تعليم الأبناء في المنزل بدلًا مِن التحاقهم بالمدرسة)؟

٣. كيف يمكن للعائلة أن تتعاون معًا في مشاريع الخدمة؟

٤. هل توجد أمور عمليَّة يمكن للمؤمن القيام بها لمعارضة الإجهاض دون تجاهُل مبادئ الكتاب المقدَّس؟

٥. ما بعض المواقف الاعتياديَّة التي تُتيح للأبوَيْن فرصة تعليم أبنائهما طُرُق الربِّ؟ وما المعوِّقات المألوفة لِمثل هذا التَّعليم؟

٦. ما المشكلات الشَّائعة النَّاشئة من عدم استعمال عَصا التَّأديب؟ وما المشكلات الشَّائعة النَّاشئة من الإفراط في استخدام عَصا التَّأديب؟ وما الفرق بين التَّحذير والتَّهديد؟

٧. كيف يمكن للأبوَيْن مساعدة ابنهما (على نحوٍ سليم) في الجوانب التَّالية؟

- في تَعَلُّم عادات النَّظافة.
- في التغلُّب على عادات الأكل الخاطئة.
- في تَجَنُّب عدم القيام بالمسؤوليَّات.

٨. اكتب لائحة بالأنشطة الملائمة وغير الملائمة للأبناء في كُلٍّ مِن المراحل العُمريَّة التَّالية: العمر بين ٣-٧، ٨-١٢، ١٣-١٥، ١٦-١٩.

٩. إذا اضطُرَّ الأب والأم إلى ترك أبنائهما مع مُرَبِّية (جليسة أطفال)، ما الإجراءات التي ينبغي لهما القيام بها؟ (مِثل عدد مَرَّات القيام بذلك، أو فترة الغياب عن الأبناء، أرقام الهاتف، شخصيَّة جليسة الأطفال، وغير ذلك)؟

١٠. ما الوصايا الكتابيَّة المختصَّة بزواج شخصين مِن خلفيَّتين ثقافيَّتين مختلفتين أو مِن عِرْقَيْن مُختلِفَيْن؟

لِنَعمل معًا

١. ناقشا معًا، كأب وأمّ، جودة تربيتكما لأبنائكما وتعليمكما لهم. اكتبا لائحة بجوانب الضَّعف، وناقشا سُبُل التغلُّب عليها. ضَعَا خُطَّة لتقييم تقدُّمكما دوريًّا.

٢. قَيِّما استخدامكما لعَصا التَّأديب، والمكافآت، والعقاب. هل هناك أمور بحاجة إلى تحسين؟ هل هناك حاجة إلى توضيح نظام الثَّواب والعقاب؟ ناقشا معًا أيضًا سُبُل إدخال التَّحسينات اللَّازمة، واتَّخذا الخطوات اللَّازمة للقيام بهذه التَّحسينات.

٣. هل هناك أنشطة غير نافعة وبنَّاءة تُمارَس في بيتكما؟ ناقشا الأمر كزوجين، ثُمَّ كعائلة، مِن أجل إدخال التَّعديلات اللَّازمة على هذه الأنشطة. خُذا اهتمامات الأبناء ومهاراتهم بعين الاعتبار، وناقشوا معًا بعض الهوايات الإبداعيَّة التي يمكن للأبناء مُمارستها بتشجيعٍ منكما.

الفصل السَّابع

البيت والكنيسة

المقدِّمة

إنَّ البيت والكنيسة هُما وحدتان اجتماعيَّتان أقامهما الله لمجده ولخير الإنسان في آنٍ واحد. وعندما يسير البيت والكنيسة حسب خُطَّة الله، فإنَّهما يعملان بانسجام تامٍّ دون أيِّ تضارُب. ولمَّا كان كُلٌّ مِنهما قد انجرف مع تيَّار العالم السَّريع، فإنَّنا نجد بينهما مُشاحنة أحيانًا كما لو كان كُلٌّ منهما غريبًا عن الآخر، أو كما لو كانا خَصْمَيْن وليسا شريكَيْن.

- ولكنwة. فالبيت المعاصر والكنيسة المعاصرة قد ابتعدا عن خُطَّة الله. وهذا الابتعاد يَقود دائمًا إلى المتاعب. وفي هذا الفصل، سنرى كيف أنَّه عندما يَعمل البيت والكنيسة بحسب وصايا الله، فإنَّ كُلًّا منهما يسند الآخر.

ما الكنيسة؟

> «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ العَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ» (١بطرس ٢: ٩ و ١٠).

إنَّ الكلمة اليونانيَّة المُترجمة «كنيسة» تعني حرفيًّا: «المَدعوُّون». وهي تُشير في العهد الجديد إلى جماعة المؤمنين الذين تجاوبوا مع دعوة الله. لذلك فإنَّ الكنيسة هي ليست بناءً مؤلَّفًا مِن حجارة ومواد بِناء، بل هي جماعة المؤمنين. لذلك، فإنَّ المؤمنين لا يذهبون إلى الكنيسة، بل هُم الكنيسة. فالكنيسة- بمفهومها الصَّحيح- تجتمع في المكان الذي يلتقي فيه المؤمنون معًا.

وهناك تشبيهات واستعارات عديدة تُستخدم في العهد الجديد لوصف الكنيسة:

- الكنيسة هي جسد المسيح؛ والمسيح هو رأسها (أفسُس ١: ٢٢ و ٢٣).
- الكنيسة هي عروس المسيح؛ والمسيح هو العريس (أفسُس ٥: ٢٣-٢٧).
- الكنيسة هي بناء الله، وهيكل الله، ومسكن الله. والمسيح هو حجر الزَّاوية والأساس (أفسُس ٢: ١٩-٢٢؛ ١كورنثوس ٣: ١١).
- الكنيسة هي ملكوت المسيح (كولوسي ١: ١٣).

وفي كُلِّ صورة للكنيسة، نَرى أنَّ المسيح في الطَّليعة. فهو الرأس (الرَّئيس)، ومُشْبِع الاحتياجات، وعَصَب حياة جماعة المؤمنين هذه. فكلُّ عضوٍ يَحصل على الغُفران مِن خلال عمل المسيح. وهو يَحصل على الإرشاد مِن خلال كلمة المسيح. وهو يَحصل على المِسْحَة والقوَّة مِن خلال روح المسيح. وهو يَنمو مِن خلال تفاعله وخدمته في جسد المسيح.

والحقيقة هي أنَّ عمل يسوع في الكنيسة سيستمرُّ إلى أن يأتي «مِلْء الأزمنة»- أيْ إلى أن «يَجْمَعَ [اللهُ الآبُ] كُلَّ شَيْءٍ فِي المَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ» (أفسُس ١: ١٠). ومع أنَّ كُلَّ عضوٍ في جماعة المؤمنين يَدْخُل بمقتضى اعترافه وإيمانه الفرديِّ، فإنَّ عمل الفداء يَشمل جماعة المؤمنين بيسوع المسيح كَكُلٍّ وكوحدة واحدة كاملة. فمِن خلال يسوع، يَدعو الله جماعة المؤمنين. لذا فإنَّنا نَقرأ في سِفْر الرُّؤيا ٧: ٩ عن «جَمْعٍ كَثِيرٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ». وكما نَرى، فإنَّ عمليَّة الجَمع هذه تجري الآن وستستمرُّ في الحدوث «إِلى أَنْ يَتِمَّ فِدَاءُ مَا قَدِ اقْتُنِيَ» (أفسُس ١: ١٤).

وقد كان القدِّيسون- على مَرِّ العصور- يتطلَّعون بشوقٍ إلى اكتمال عمل الله العظيم هذا. وقد وَصَف الرَّسول بولس ذلك بعبارات تفيض بالحياة فقال: «لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي المَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ البَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ» (١تسالونيكي ٤: ١٦ و ١٧). وسوف يكون هذا هو النِّداء الأخير، واللِّقاء الانتصاريُّ، والعودة المجيدة لجميع المؤمنين- على اختلاف العصور التي عاشوا فيها- إلى بيتهم السَّماويِّ ليكونوا مع ملك الملوك ورَبِّ الأرباب.

في ضوء ذلك، فإنَّ الكنيسة ليست بناءً حجريًّا، بل هي جماعة المؤمنين الذين يَسْكُن فيهم يسوع المسيح، والذين سيأتي لأجلهم ثانيةً.

العُضويَّة في الكنيسة

إنَّ الفهم السَّليم للكنيسة ضروريٌّ مِن أجل الفهم السَّليم لعضويَّة الكنيسة. فإذا كانت «الكنيسة» هي مُجَرَّد بناءٍ حجريٍّ يَنتصب في هذا المكان أو ذاك، فمِن حَقِّ المسؤولين عن هذا البناء الحجريِّ أن يضعوا الشُّروط التي يرونها ملائمة للدُّخول. ولا شَكَّ أنَّ العُضويَّة تنطوي على ما هو أكثر مِن مُجَرَّد تدوين أسماء الأعضاء في سِجِلٍّ خاصٍّ، وحضور كُلِّ عضوٍ الأنشطة التي تُلائمه. ولكن إذا فَهِمنا معنى الكنيسة بالمفهوم الكتابيِّ للكلمة (على أنَّها جماعة المَفدِيِّين بدم يسوع المسيح)، ينبغي لنا أيضًا أن نبحث في الكتاب المقدَّس عن المعنى الصَّحيح للعُضويَّة. وكما سنلاحظ بعد قليل، فإنَّ العهد الجديد لا يَفصل بين مفهومَيْ «الكنيسة» و «العُضويَّة».

	مفاهيم الكنيسة		مفاهيم العُضويَّة
١.	الكنيسة اشتُرِيَت مِن قِبَل المسيح. لذلك فهي له.	١.	"أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ...أَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟" (١كورنثوس ٦: ١٩).
٢.	الكنيسة تتألَّف مِن جميع مَن قبلوا عمل المسيح الفدائيّ.	٢.	بوصفي عضوًا في جسد المسيح، فإنَّ كلمة الله توصيني بالحفاظ على الوحدة مع المؤمنين الآخرين الذين هُم، بمجملهم، الجسد الذي افتداه المسيح بدمه (أفسُس ١: ١٠-١٤).
٣.	الكنيسة كَكُلٍّ هي هيكل مجد الله.	٣.	حالتي الروحيَّة ليست شأنًا مِن شؤوني الشخصيَّة (١كورنثوس ٣: ١٦ و ١٧).
٤.	الكنيسة هي الوكيل الأرضيُّ لتنفيذ مقاصد يسوع.	٤.	لا يمكنني أن أُتَمِّم مشيئة المسيح بمفردي، بل أنا في حاجة إلى مساعدة الأعضاء الآخرين في جسد المسيح (١كورنثوس ١٢: ١٤-٢٧).
٥.	الكنيسة- كجماعة- تختبر القوَّة، والحكمة والنموّ.	٥.	لا يمكنني الصُّمود بمفردي، ولا يمكنني أن أرى الأمور على حقيقتها بمفردي، ولا يمكنني أن أنمو بمفردي (أفسُس ٤: ١١-١٦).

ومِن دواعي الأسف أنَّ أغلبيَّة «الكنائس» اليوم لا تَعرف سوى القليل عن الكنيسة بمعناها الحقيقيِّ، وعن عُضويَّة الكنيسة بمعناها الحقيقيِّ، وعن الأُخُوَّة المسيحيَّة بمعناها الحقيقيِّ. فالكنيسة صارت أشبه ما يكون بنادٍ يفتح يوم الأحد، ويرأسه رئيس يُلقي محاضرات أسبوعيَّة وخطب حماسيَّة. أمَّا بقيَّة الأسبوع، فإنَّ «الأعضاء» يعيشون حياتهم كما يَحلو لهم، ويُفَكِّرون قليلًا في ما حدث في «نادي يوم الأحد» دون أيِّ مُساءلةٍ مِن أيِّ نوع.

على النَّقيض مِن ذلك، فإنَّ نظرة الكتاب المقدَّس إلى الكنيسة وعُضويَّة الكنيسة تَعني الانخراط الشَّامل والكامل. فكُلُّ ما يَقوم به الأعضاء مِن عمل، أو لعب، أو تعليم، أو أنشطة، إنَّما يقومون به كمواطنين سماويِّين. وليس هذا فحسب، بل إنَّهم يتوقون- خلال الأسبوع- إلى التَّفاعل مع الأعضاء الآخرين لكي يشجِّعوا بعضهم بعضًا، ولكي يتعلَّموا بعضهم مِن بعض، ولكي يُصَلُّوا بعضهم مع بعض، ولكي تكون بينهم شركة. وبالمُجمل، فإنَّ كُلَّ عضوٍ يُدرك أنَّ له دَوْرًا في بناء ملكوت الله، وأنَّه ليس مُضطرًّا لفعل أيِّ شيءٍ يُناقض شخصيَّته مِن خلال عضويَّته في جماعة المَفديِّين، بل بالحَريِّ سيحاول أن يَستخدِم شخصيَّته ومواهبه لبركة الجميع.

إنَّ النَّظرة الكتابيَّة للكنيسة تَجعل الأعضاء ينظرون إلى أنفسهم في إطارٍ مِن الاتِّكال الروحيِّ المُتبادل. فَهُم يَرَون أنفسهم أعضاء في وحدة عاملة. لذلك فإنَّ الصِّحَّة الرُّوحيَّة لكُلِّ عضو مهمَّة لصحَّة الجسد بمُجمله. في ضوء ذلك فإنَّهم يَحُضُّون بعضهم بعضًا، ويُصَلُّون بعضهم لأجل بعض، ويُشَجِّعون بعضهم بعضًا. وهُم يُوَبِّخون بعضهم بعضًا عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. ولأنَّهم «أَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (رومية ١٢: ٥)، فإنَّهم يُقَدِّرون قيمة اتِّكالهم المُتبادل بعضهم على بعض، ويهتمُّون بالصِّحَّة الروحيَّة بعضهم لبعض بروح المحبَّة. «انْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الحَيِّ. بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الوَقْتُ يُدْعَى اليَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الخَطِيَّةِ» (عبرانيِّين ٣: ١٢ و ١٣).

إنَّ الكنيسة هي جماعة المَدْعُوِّين. وأمَّا «جنسيَّة (هويَّة)» أعضائها فهي سماويَّة. والحقيقة هي أنَّ أتباع يسوع لديهم ولاءات ومقاصد سماويَّة تَمنعهم مِن استخدام القوَّة (إنجيل مَتَّى ٥: ٣٩-٤٤)، وتَحُوْل دون اشتراكهم في أيِّ حربٍ أرضيَّة (إنجيل يوحنَّا ١٨: ٣٦؛ ٢كورنثوس ١٠: ٤)، وتجعلهم يرفضون اللُّجوء إلى المحاكم لحماية مصالحهم الشخصيَّة (١كورنثوس ٦: ١-٧؛ عبرانيِّين ١٠: ٣٤).

قصَّة مِن واقع الحياة.

نشأ «برايان» في عائلة غير مؤمنة. وقد تَعَرَّف إلى فتاة مؤمنة اسمها «جاكي». ثُمَّ تَعَرَّف مِن خلال «جاكي» إلى مجموعة مِن المؤمنين وقَبِلَ الرَّبَّ يسوع مُخَلِّصًا لحياته. وقد تَطَوَّرت علاقة «برايان» بـ «جاكي» إلى علاقة حُبٍّ تَكَلَّلَتْ بالزَّواج.

وبسبب ظروف العمل، اضطُرَّ «برايان» و «جاكي» إلى تغيير مكان سكنهما. وقد انضمَّا هناك إلى كنيسة جديدة. كانت المجموعة «عاديَّة» مِن أوجه عديدة، وكانت العِظات كِتابيَّة وجيِّدة. ولكِنْ عندما تَعَمَّقت علاقة الزَّوجين بأعضاء الكنيسة، تَبَيَّن لهما وجود أمور غير صحيحة تجري في الكنيسة. فقد كان هناك حقد ونميمة. وكانت هناك منافسات وخصومات ومناورات شبيهة بمناورات رجال السِّياسة. وكان هناك أعضاء مُنغمسون في مُمارَسات أهل العالم. وكان بعضٌ منهم يُبَرِّر الطَّلاق والزَّواج ثانيةً. ويبدو أنَّ الأغلبيَّة كانوا يشعرون بأنَّه لا يجوز لأحدٍ أن «يتدخَّل» في شؤون الآخرين.

وذات يوم، سَمِع «برايان» و «جاكي» بوجود مجموعة أخرى في المنطقة تؤمن بأخويَّة المؤمنين في المسيح. وكان هؤلاء يؤمنون بأنَّه إذا كان أحد الأعضاء يعيش حياةً لا تُوافق كلمة الله، فإنَّ الأعضاء الآخرين مسؤولون عن مواجهته ومساعدته على إطاعة الله. في بادئ الأمر، كان «برايان» و «جاكي» مُتردِّدَيْن في الانضمام إلى المجموعة الجديدة- خوفًا مِن أن تكون هذه المجموعة مُفرِطة في صرامتها وتدقيقها إلى حدِّ التَّزمُّت والناموسيَّة. ومع ذلك فقد قَرَّرا الانضمام إلى تلك المجموعة. وقد تفاجأ كُلٌّ منهما بأنَّ الرُّوح العامل في هذه المجموعة هو روح قداسة ومحبَّة، وليس روح انتقادٍ وبحثٍ عن عيوب الآخرين. وقد أدركا أنَّ هذه المجموعة تَعمل بروح الأُخوَّة الحقيقيَّة- الأمر الذي يجعل كُلَّ عضوٍ منهم يَعمل لمصلحة الآخرين. ولم يكن هؤلاء الأشخاص يَجتمعون مَرَّةً واحدةً في الأسبوع فحسب في جَوٍّ مِن العلاقات السَّطحيَّة، بل كانوا يستمتعون برؤية بعضهم بعضًا أثناء الأسبوع، ويتبادلون الزِّيارات، ويُصَلُّون معًا، ويدرسون كلمة الربِّ معًا، ويتبادلون النَّصائح والمشورة، ويُشَجِّعون بعضهم بعضًا في حياتهم اليوميَّة.

وبعد أن أدرك «برايان» و «جاكي» حقيقة هذه المجموعة قالا: «هذه هي الأُخوَّة المسيحيَّة الكِتابيَّة».

التَّعاون بين البيت والكنيسة

إنَّ هذه النَّظرة إلى الكنيسة وعضويَّة الكنيسة لها تأثير مباشر على البيت. فالكنيسة هي جماعة المَفْدِيِّين، ولكنَّ البيت هو المكان الذي يقضي فيه النَّاس وقتًا طويلًا. لذلك فإنَّ جودة الحياة البيتيَّة أساسيَّة وجوهريَّة لأنَّها تؤثِّر في جودة الحياة الكنسيَّة. فحيث توجد بيوت تَقِيَّة، توجد رَعِيَّة تَقِيَّة. وحين تتفاقم المشكلات في البيوت، فإنَّها تتفاقم في الكنيسة أيضًا. وحين يَستسلم المؤمنون للانهيار العائليِّ في البيئات التي يعيشون فيها، فإنَّ هذا كُلَّه ينعكس على الكنيسة سلبًا في شكل متاعب وابتعاد عن الحَقِّ. لذلك، هناك علاقة وثيقة جِدًّا بين صِحَّة البيت وصِحَّة الكنيسة.

ومع أنَّه ينبغي للبيت والكنيسة أن يتعاونا معًا، فإنَّ هذا لا يَحْدُث دائمًا. فهناك أوقات يصير فيها ولاء المؤمنين لعائلاتهم قويًّا جِدًّا حتَّى إنَّه يُمَزِّق وَحدة الكنيسة. مِن جهة أخرى فإنَّ بعض الكنائس تُبالغ في تنظيمها ونشاطاتها حتَّى إنَّها تُمَزِّق وحدة العائلات أشلاءً. وفي ما يلي بعض الإرشادات التي تساعد في الحفاظ على التَّعاون السَّليم بين البيت والكنيسة:

١. **ينبغي أن يُسهم الانخراط في الكنيسة في تقوية الوَحدة العائليَّة.** فيجب على الكنيسة أن تُعَلِّم الرِّجال أن يكونوا أزواجًا وآباءً وفقًا للمبادئ التي يُعَلِّمها الكتاب المقدَّس. ويجب عليها أيضًا أن تُعَلِّم النِّساء أن يَكُنَّ زوجاتٍ وأمَّهاتٍ وفقًا للمبادئ الكتابيَّة. كما يجب على الكنيسة أن تُعلِّم الأبناء مبادئ الطَّاعة والإكرام للوالدَيْن. فإذا كانت لدى الكنيسة رؤية سليمة وإشراف صحيح، يمكن لمدارس الأحد والبرامج التَّعليميَّة فيها أن تُساعد كثيرًا في تحسين علاقات أفراد العائلة بعضهم ببعض. لذلك، يجب أن تُرَكِّز البرامج التعليميَّة في الكنيسة على تشجيع أفراد العائلات على التَّفاعل السَّليم في ما بينهم، وأن تُحَذِّر- في الوقت نفسه- بشكلٍ مُحدَّد ومُفصَّل مِن أيِّ أمور قد تؤذي العائلة أو تُشَكِّل خطرًا عليها. وباختصار، يجب أن يُسهِم تفاعل أفراد العائلة مع الكنيسة إسهامًا مباشرًا في تعميق المحبَّة بين أفراد العائلات وتشجيع العائلات على حياة التَّقوى والصَّلاح.

٢. **ينبغي ألَّا تترك الأنشطة الكنسيَّة تأثيرًا سلبيًّا في الوحدة العائليَّة.** وقد تبدو هذه النُّقطة إعادة صياغة للنُّقطة الأولى. ولكنَّ تنظيم الأنشطة الكنسيَّة هو مُشكلة تحتاج إلى عناية

خاصَّة. فهناك أنشطة كثيرة تُقام باسم «الخدمة» لكُلِّ مرحلة عُمريَّة، ولكلِّ فئةٍ يجمعها قاسم مُشترك. فهناك أنشطة لأطفال ما قبل المدرسة، وأنشطة لأطفال المرحلة الابتدائيَّة، وأنشطة للفتيان، وأنشطة للشَّبيبة، وأنشطة للعُزَّاب، وأنشطة للمتزوِّجين الصِّغار في العمر، وأنشطة لكِبار السِّنِّ...ولكنَّ هذه الأنشطة الكثيرة جدًّا قد تَجعل الأشخاص المُشاركين فيها مُوالين ومُخْلِصين لها أكثر مِن ولائهم واهتمامهم بأفراد عائلتهم. فبوجود هذه الأنشطة، مَن سيرغب في البقاء في البيت مع أخيه الأكبر أو مع أُختها الصُّغرى في وقتٍ قد يكون فيه «جميع الأصدقاء» يتدرَّبون على مسرحيَّة عيد الفصح؟ وكُلَّما زاد تَشَبُّع العائلة بروح هذا الزَّمان الحاضر، قَلَّت قدرتها على إدراك الخطر الكامن وراء كثرة هذه الأنشطة أو جودتها. ولكنَّ العائلات ستشعر- دون شَكٍّ- بوجود توتُّر يدعو للقلق في العائلة.

٣. **يجب أن تكون الأنشطة التي تُنَظِّمها الكنيسة متوافقة مع شخصيَّة المَفديِّين ودعوتهم.** فالمجتمع المعاصر مُتْخَم بوسائل التَّسلية والمرح. والحقيقة هي أنَّ هذه العدوى انتقلت إلى الكنيسة. فبرامج الأنشطة المُعَدَّة للفتيان أو الشبيبة أو الأطفال مُشَوِّقة أكثر مِن اللَّازم. وعندما تقوم الكنيسة بالتَّخطيط لهذه الأنشطة التي تَضُمُّ آياتٍ معدودات مِن الكتاب المقدَّس، وبِضْع تَرانيم، فإنَّ قِلَّة مِن الآباء والأمَّهات يتوقَّفون ولو قليلًا لتقييم تلك الأنشطة. ولكن تحت هَالَة «الأنشطة الكنسيَّة» المُصْطَنَعَة، تَمَكَّن العالم- ويا للأسف- مِن اقتحام الكنيسة. وحينئذٍ، تَمَّ وَضْع العبادة الحقيقيَّة في رُكْنٍ غير جَذَّابٍ البَتَّة. وفي الوقت نفسه، تَمَّ تسليط الأضواء على وسائل التَّسلية والمرح. وليس مِن الصَّعب على المؤمن الواعي أن يُدرك أنَّه عندما يزيد الاهتمام بالتَّمثيل والأفلام والحفلات، فإنَّ الاهتمام بالوعظ والصَّلاة يتضاءل. كذلك، فإنَّ الكنيسة المعاصرة تُحِبُّ أن تستمرَّ في تقديم برامجها المُسَلِّية طوال الأسبوع. لذلك فإنَّنا نجد أنَّ برامجها مُزدحمة بالولائم، وحفلات الشِّواء، واجتماعات جمع الأموال (لنشاطاتها)، والكثير مِن الأنشطة والفعاليَّات التي تَخُصُّ مُنتخباتها الرياضيَّة. ولكن هل هذا يعني أنَّه لا ينبغي للكنيسة أن تدعو المؤمنين إلى حفل عشاء أو إلى حَدَثٍ اجتماعيٍّ ما؟ لا، ليس بالضَّرورة. ولكن يجب أن يكون كُلُّ نشاطٍ كنسيٍّ لائِقًا ومناسبًا لجماعة المَفديِّين، وأن يكون التَّركيز الأكبر مُنصبًّا على العبادة، والخدمة، والكرازة- بِما يتَّفق مع طبيعة الكنيسة وإرساليَّتها. وإذا أردنا أن ننظر إلى هذا الاهتمام المُفْرِط بوسائل التَّسلية والمرح في الكنيسة مِن منظار السَّماء، يمكننا إعادة صياغة كلمات الربِّ يسوع على النَّحو التَّالي: «بَيْتِـي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى، وأَنْتُم جَعَلْتُموهُ مَرْكِزَ تَسْلِيَة».

٤. **يجب على الكنيسة أن تتجنَّب القيام بالمسؤوليَّات المُلقاة على عاتق الوالِدَيْن.** فهناك بيوت كثيرة تُعاني سوء إدارة. ولا شَكَّ أنَّ عواقب ذلك وخيمة وكثيرة. وبسبب ذلك، قد يشعر مجلس الكنيسة أو قادتها بضرورة التدخُّل والاضطلاع بمسؤوليَّاتٍ هي ليست مسؤوليَّة الكنيسة في الأصل. فعلى سبيل المثال، قد يُقَدِّم راعي الكنيسة المشورة إلى الأبناء أو الزَّوجات في الكنيسة دون عِلْم الأبوَيْن أو الأزواج. وقد تقوم المدارس التَّابعة للكنائس بمهامها كما لو كانت المسؤوليَّة التَّربويَّة تَقَع عليها وحدها- بدلًا مِن القيام بذلك لِمُعاوَنَة الأبوَيْن.

٥. **يجب على الأبوَيْن تربية أبنائهم على مبدأ الخدمة في الكنيسة.** فلا شَكَّ أنَّ جميع الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات يرغبون في أن يكون أبناؤهم تابعين ليسوع المسيح. ولكنَّ ذلك لا يتحقَّق بِمُجَرَّد اصطحاب الأبناء إلى الكنيسة يوم الأحد؛ بل إنَّه يتحقَّق مِن خلال التَّربية البيتيَّة القائمة على إرشاد الأبوَيْن لأبنائهما وتعليمهم عن ملكوت الله. فهناك شِعارٌ مُهِمٌّ لكُلِّ بيتٍ ألا وهو: «اطْلُبوا أوَّلًا مَلَكوتَ اللهِ وَبِرِّهِ». وما أحْوَجَنا إلى هذه القِيَم عند تدريب أبنائنا على الخدمة في الكنيسة.

٦. **يجب على العائلات أن تُشَجِّع الاجتماعات الكنسيَّة التي تُقام لأجل العبادة، والصَّلاة، والخدمة، والكرازة.** فعندما تكون الكنيسة هي جسد المؤمنين، وجماعة المَفْدِيِّين، فإنَّ اجتماعاتها وأنشطتها تكون لأجل العائلة. لذلك، يجب التَّرحيب بالأطفال كما كان يسوع يُرَحِّب بهم أثناء خدمته على الأرض. ومع أنَّ الكنيسة ليست مُضطرَّة إلى توجيه خدماتها هذه إلى الأطفال تحديدًا، فإنَّها ليست مُضطرَّة أيضًا إلى تقديم عِظاتٍ لاهوتيَّة وأكاديميَّة صِرْفَة أو إلى تقديم خدماتٍ رسميَّة جدًّا لا ترتبط بالأطفال لا مِن قريب ولا مِن بعيد.

٧. **يجب ألَّا تكون الولاءات العائليَّة أكثر أهميَّة أو سببًا في تعطيل وَحدة الكنيسة.** ولا شَكَّ أنَّه لَفرحٌ عظيمٌ أن يكون هناك أجداد وجَدَّات، وأعمام وعَمَّات، وإخوة وأخوات، وأبناء أعمام وعَمَّات، وأبناء أخوالٍ وخالات في شركة الكنيسة. ولكنَّ العائلة الكبيرة قد تكون سببًا في مشكلات كثيرة إذا كان وَلاء أفرادها خاطئًا، أو إذا لم يلتزموا بنظام الكنيسة. لذلك، عندما يوجد أفراد كثيرون مِن عائلة واحدة في الكنيسة، يجب على هؤلاء الأفراد أن يحذروا مِمَّا يلي:

- التحَيُّز والتحزُّب لأفراد العائلة عندما تُعلن الكنيسة رغبتها في تعيين خُدَّام أو موظَّفين فيها.

- حماية أفراد العائلة عندما تُعلن الكنيسة عزمها على فَرْض التَّأديب الكنسيِّ على هؤلاء.
- تعديل القرارات الكنسيَّة بما يوافق مصلحة تلك العائلة.
- نشر الشَّائعات بخصوص الآخرين بين أفراد العائلة مِمّا يؤدِّي إلى فقدان الثِّقة داخل أجواء الكنيسة، أو يُصبح الوضع أن مناقشة القضايا الخاصَّة بأفراد الكنيسة يحدث مع أشخاص ليس لهم علاقة بأمرٍ ما.
- فَرْط الانشغال بأفراد العائلة إلى حَدِّ إهمال المؤمنين الجُدُد.
- ممارسة عادات وتقاليد مُعَيَّنة تَجعل الأشخاص الذين لديهم أفكار جديدة يشعرون بأنَّ أفكارهم لا تجد ترحيبًا أو قبولًا.

وقد ترتفع احتماليَّة حدوث هذه الأمور إذا كان راعي الكنيسة عضوًا في هذه العائلة. وقد تزيد الاحتماليَّة أكثر إذا كان العديد مِن خُدَّام الكنيسة أعضاء في هذه العائلة. وهذا لا يعني أنَّ خدمة الأب وابنه لا تَصْلُح، ولكنَّ المقصود أنَّ الأمر يحتاج إلى مزيدٍ مِن الحرص والانتباه.

٨. **يجب على العائلات أن تُبادر إلى القيام بأنشطة تُشَجِّع على مراعاة الاهتمامات الاجتماعيَّة الموجودة بين الأطفال والشَّبيبة وتوفير البيئة المناسبة للقيام بذلك.** وقد تتداخل هذه الأنشطة مع تلك التي تُنَظِّمها الكنيسة. ولكن فَكِّر في ما قد يَحدُث لو أنَّ ألعاب الكُرة، والنُّزهات، ورحلات التَّخييم، والمؤتمرات قد جَرَت لا تحت إشراف لجنة الكنيسة أو إحدى الهيئات الرَّاعية، بل تحت إشراف عائلات الكنيسة. فأوَّلًا، سيكون هناك اندماج أكبر بين جميع الفئات العُمريَّة، وستكون هناك فوائد أخرى طويلة الأجل. ثانيًا، سيتمُّ تنظيم هذه الأنشطة بعد أخذ حاجات العائلات وتَفَرُّغها بعين الاعتبار. فبعكس ذلك، ستُضطرُّ العائلات إلى تكييف نفسها ووقتها مع تلك البرامج والأنشطة الكثيرة. ثالثًا وأخيرًا، لن تَشعر العائلات بضغطٍ كبيرٍ لاضطرارها للتكيُّف مع شُروط كُلِّ نشاط. وقد تَشعر عائلاتٌ بحاجتها إلى الأنشطة أكثر مِن غيرها. وقد تجد عائلاتٌ أنَّ بعض الأوقات في السَّنة (أو الشَّهر أو الأسبوع أو حتَّى اليوم) توافقها أكثر مِن غيرها للقيام بتلك الأنشطة.

ولكنَّ إشراف العائلات على تنظيم الأنشطة لا يخلو مِن المساوئ والسلبيَّات أيضًا. فقد يَتحكَّم أشخاصٌ في تلك الأنشطة ويتمُّ إقصاء آخرين.

لذلك، إذا كان هناك تعاون وثيق بين البيت والكنيسة (بدلًا مِن التَّنافس)، ستكون الفوائد عظيمة للفريقين. فالآباء والأمَّهات سيشاركون بفاعليَّة في تربية أبنائهم، وتعليمهم، وتدريبهم إلى أن يأخذوا قرارًا شخصيًّا بقبول المسيح والانضمام إلى جماعة المَفديِّين. وفي الوقت نفسه فإنَّ الكنيسة تَقبل هؤلاء المؤمنين الجُدُد مِن خلال المعموديَّة وتوفِّر لهم مزيدًا مِن التَّعليم والتَّدريب وفُرص الخدمة.

ولا شَكَّ أنَّ البيوت ليست متشابهة تمامًا، وأنَّ الآباء والأمَّهات ليسوا نُسخة طِبْق الأصْل بعضهم عن بعض، وأنَّ الأبناء ليسوا مُتشابهين أيضًا. لذلك، إذا لم تَتِمَّ عمليَّة جَلْب الأبناء إلى جماعة المؤمنين بحكمة، قد يكون هناك تشويش وارتباك. وفي هذا الإطار، يجب على قادة الكنيسة أن يوفِّروا إرشادات كِتابيَّة واضحة للأبوَيْن. فعلى سبيل المثال، فَكِّر في الإرشادات العامَّة التَّالية (يمكن لقادة الكنيسة أن يكونوا أكثر تحديدًا- كُلٌّ حسب وضعه):

إرشادات قَبول المؤمنين الجُدُد مِن الشُّبَّان والشَّابَّات في عضويَّة الكنيسة

١. يجب على الآباء والأمَّهات أن يمتنعوا عن مُمارسة الضَّغط على أبنائهم وأن يتجنَّبوا «رشوتهم» مِن أجل الذَّهاب إلى الكنيسة.

٢. إنَّ قادة الكنيسة مسؤولون عن التحقُّق مِن صِحَّة وصِدْق إيمان الأبناء.

٣. إنَّ الاهتداء الحقيقيَّ ليسوع المسيح يتطلَّب إدراكًا لحقيقة الخطيَّة، والتَّوبة عنها، والاعتراف بيسوع المسيح رَبًّا ومُخَلِّصًا.

٤. مع أنَّه قد يكون مِن السَّهل تعليم كلمة الربِّ للأطفال مِن أجل تهيئتهم لقبول الخلاص، فإنَّ هذه المبادئ الأساسيَّة (مِثل إدراك وجود الخطيَّة، والتَّوبة، وتكريس الذَّات ليسوع المسيح) تحتاج وعيًا وإدراكًا ليسا مُتاحَيْن في فترة الطُّفولة البريئة.

٥. مِن أجل التحقُّق مِن اهتداء الشُّبَّان والشَّابَّات إلى يسوع المسيح قبل المعموديَّة، يُمكن لقادة الكنيسة أن يجتمعوا بهم، وأن يناقشوا معهم مبادئ الإيمان.

٦. إذا لم يَكُن هؤلاء الأشخاص صادقين أو مُخْلِصين في قبول المسيح، لا ينبغي تعميدهم؛ بل يجب تحذيرهم ودعوتهم إلى التَّوبة.

٧. إذا كان هؤلاء الأشخاص صادقين ومُخْلِصين في قبول المسيح، ولكنَّهم لا يستوعبون المبادئ

الروحيَّة استيعابًا كافيًا، يجب توفير مزيدٍ مِن التَّعليم لهم. أمَّا إذا لم يكونوا جاهزين لِمثل هذا التَّعليم، ينبغي تشجيعهم على الاستمرار في فتح قلوبهم ليسوع المسيح ولدعوته لحياتهم.

٨. يجب تعميد الأشخاص الصَّادقين والتَّرحيب بهم في شركة الكنيسة.

وحين يَفهم الآباء والأمَّهات إرشادات قادة الكنيسة المُختصَّة بقبول المؤمنين الجُدُد، يمكنهم أن يتعاونوا معهم في تهيئة أبنائهم للعُضويَّة. أمَّا في غياب هذه الإرشادات، قد يَتَسَبَّب الآباء والأمَّهات في إحباط أبنائهم بسبب «اقتيادهم إلى قبول المسيح» قَبل أن يكونوا جاهزين روحيًّا، مِمَّا قد يؤدِّي لاحقًا إلى اصطدامهم بواقع عدم قبولهم في عضويَّة الكنيسة.

وكما أنَّه ينبغي للبيت والكنيسة أن يتعاونا معًا في جَلْب مؤمنين جُدُد إلى الكنيسة، يجب على الفريقين أن يتعاونا معًا أيضًا في مسألة العُضويَّة إذ إنَّها عمليَّة مستمرَّة. ولعلَّ الجزء الأصعب في هذا التَّعاون هو حين يتطلَّب الأمر توبيخًا أو تأديبًا مِن الكنيسة بسبب تَسَلُّل الفُتور الروحيُّ إلى حياة أعضاءٍ في الكنيسة. فأعضاء الكنيسة الذين ما زالوا يعيشون في البيت تحت إرشاد أبوَيْهم هُم تحت المُساءلة ومسؤولون أمام قيادة وتعليم الأشخاص الذين هم في مركز السلطة في البيت والكنيسة على حَدٍّ سواء. ومِن الواضح أنَّه ينبغي لقادة البيت وقادة الكنيسة أن يعملوا في انسجامٍ تامٍّ في ما بينهم. ولكنَّ هذا لا يَحُول دون حصول خلافات.

فلنفترض، على سبيل المثال، أنَّ أحد الشُّبَّان ابتدأ في سماع أغانٍ هابطةٍ أو موسيقا غير لائقة، وأنَّه سقط في فَخِّ تلك «التَّقاليع» المرافقة لذلك النَّوع مِن الأغاني أو الموسيقا. وقد يرغب أحد خُدَّام الكنيسة في التطرُّق إلى هذه المسألة لمصلحة الشابِّ نفسه، ولمصلحة الشُّبَّان الآخرين في الكنيسة. ولكن ماذا لو وَجَد هذا الخادم أنَّ والِدَي الشابِّ يُدافعان عنه؟

مِن أجل تَجَنُّب الصِّدام بين الكنيسة والبيت في مواقف كهذه، فإنَّ الأمر يتطلَّب أخذ بضع نقاط بعين الاعتبار: أوَّلًا، إنَّ الأمر يتطلَّب التزام القادة والمسؤولين (في الكنيسة والبيت) بالتَّعاون معًا بدلًا مِن أن يُعارِض أحدهما الآخر. فالخلاف العلنيُّ بين قائدٍ في الكنيسة وقائدٍ في البيت لا يَقِلُّ خطورةً عن خلافٍ علنيٍّ بين أبٍ وأمٍّ. فمِثل هذا الخلاف قد يُقَوِّض مبدأ احترام السُّلطة في أذهان الأشخاص الخاضعين لسُلطة هذين الشَّخصَيْن المتخاصمَيْن. وقد تؤدِّي هذه الخصومات إلى ظهور أحزابٍ متعارضة، ومِن شأن ذلك أن يُستخدَم كوسيلة للتهرُّب (بواسطة الأبناء) مِن إطاعة مشيئة الله. لذلك نقول، مَرَّة أخرى، إنَّ الخطوة الأولى لتجنُّب الخلافات هي الشُّعور المتبادل بالالتزام بالتَّعاون معًا.

أمَّا المطلب الثَّاني لتعاون قادة الكنيسة مع قادة البيوت واتِّحادهم معًا فهو احترام كُلٍّ منهم منصب الآخر. في ضوء ذلك، مِن الأفضل أن يناقش قادة الكنيسة مشكلات الأبناء مع آبائهم وأمَّهاتهم- ما دام الأبناء ما زالوا تحت إشرافهم وسُلطتهم المباشرة. وهذا أشبه ما يكون بالتَّشاور بين الأب والأمِّ بشأن إحدى المشكلات. وعند التوصُّل إلى موقفٍ واحد، يمكن لِكِلا الفريقَيْن أن يُعالج المشكلة مِن جهته. لذلك، فإنَّ الآباء والأمَّهات يُظهرون الاحترام لقادة الكنيسة مِن خلال انفتاحهم لسماع النَّصائح منهم، ومِن خلال مواقفهم السَّليمة والإيجابيَّة في مناقشة المشكلات مع أبنائهم وإيجادٍ حَلٍّ لها.

أمَّا المطلب الثَّالث للوَحدة بين الكنيسة والبيت فيمكننا استخلاصه مِن المَطلَبَيْن السَّابقَيْن، وهو: التَّواصُل الجيِّد والفعَّال. فيجب على قادة الكنيسة والآباء والأمَّهات أن يُراعوا في ما بينهم الصَّراحة، والصِّدق، واللُّطْف، ومبادئ الكتاب المقدَّس. ولا شَكَّ أنَّ الحوار السَّليم عند حَلِّ المشكلات يتطلَّب حوارًا سليمًا في كُلِّ الأوقات وليس فقط وقت الأزمات.

وحتَّى عندما يحاول قادة الكنيسة أن يتبعوا الإرشادات المذكورة آنفًا، قد يواجهون آباء وأمَّهات يُدافعون عن أبنائهم بالرَّغم مِن حقيقة أنَّهم على خطأ. ولا شَكَّ أنَّه ينبغي للأبوَيْن- في الأحوال الطَّبيعيَّة- أن يُدركوا طبيعة المشكلة عند أبنائهم. ولكن إذا كان الأبوان مُصِرَّيْن على الدِّفاع عن الخطيَّة، يجب على قادة الكنيسة أن يُعالجوا هذه الحالة أوَّلًا (محاولة الأبوَيْن الدِّفاع عن أبنائهم) قَبل البحث عن حَلٍّ فَعَّال لمشكلة الشابِّ الذي أخطأ.

وهناك وجه آخر للموضوع ألا وهو أن يكون أحد خُدَّام الكنيسة قد أخطأ في حُكْمه. فإذا كان الأبوان مُقْتَنِعَيْن بأنَّ الحال كذلك، يجب عليهما مُصارحته بذلك. ولكي يكون هذا الاعتراض فعَّالًا، يجب أن يكون نابعًا مِن قلبٍ طاهرٍ وبارٍّ (انظر دانيال ١: ٨). فإن لم يُصْغِ الخادم إلى اعتراضهما، يمكنهما أن يسألاه عن إمكانيَّة عرض الأمر على خادمٍ آخر في الكنيسة نفسها أو في كنيسة أخرى لمناقشة الأمر (وهُنا تَكْمُن أهميَّة الوحدة والشَّركة بين الكنيسة وغيرها مِن الكنائس).

ومع ذلك، أيًّا كانت قناعة الأبوَيْن بأنَّ قائد الكنيسة جسديٌّ أو بأنَّه أساء فَهْم الأمر، يجب عليهما الحفاظ على الاحترام في كلامهما وأفعالهما (أعمال الرُّسُل ٢٣: ٥)، وأن لا يَسمحا لنفسَيْهما بتوجيه أيِّ اتِّهاماتٍ له. ولأنَّ حياة الخادم مكشوفة- مِن أوجه عديدة- للنَّاس، فإنَّه يحتاج من إخوته وأخواته في الكنيسة إظهار المحبَّة والمراعاة حول ما يقولونه عنه. كذلك،

ليت الخُدَّام الآخرين، مثلهم مثل أعضاء الكنيسة، يُراعون ذلك المبدأ الذي عَلَّمَهُ بولُس لتيموثاوس: «لا تَقْبَلْ شِكَايَةً عَلَى شَيْخٍ إِلَّا عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ» (١تيموثاوس ٥: ١٩).

ولا شَكَّ أنَّ صاحب السُّلطان النِّهائيِّ هو الله. لذلك، قد يتعيَّن على الأب (أو الأمِّ) أحيانًا قبول قرارٍ ليس نموذجيًّا تمامًا. وفي حالٍ كهذه، يجب عليه وَضْع الأمر برُمَّته بين يديِّ الله. ويكون هذا القبول كتابيًّا وسليمًا في حال عدم مُخالفة الأب (أو الأمِّ) وصايا الله.

يوم الربِّ

لقد جاءت الوصيَّة بأن يكون هناك يوم راحة في أعقاب قصَّة الخَلْق. «وَبَارَكَ اللهُ اليَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا» (التَّكوين ٢: ٣). وفي الشَّريعة التي أعطاها اللهُ لموسى، أعطاه الله مزيدًا مِن التَّعليمات والقيود المُختصَّة بهذا اليوم. ولا شَكَّ أنَّ شريعة موسى قد اكتملت في المسيح يسوع. ووفقًا للعهد الجديد، ابتدأت الكنيسة الباكرة بمُراعاة اليوم الأوَّل في الأسبوع (اليوم الذي قام فيه المسيح مِن الأموات) بأن أفرَزَتْه ليكون يومًا خاصًّا للربِّ، وقد أُطْلِقَ على ذلك اليوم اسم «يوم الربِّ». وقد تَمَّت مُراعاة يوم العبادة والخدمة هذا بطريقة تتوافق مع عددٍ مِن الأمور التي كانت تُراعَى في يوم الرَّاحة السَّابق في العهد القديم (يوم السَّبْت).

تأمَّل في هذه الآيات المقتبسة مِن العهد الجديد في ما يَخُصُّ يوم الرَّاحة:

١. لقد أكَّد يسوع أنَّ يوم الرَّاحة وُجِدَ لمصلحة الإنسان: «السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ» (إنجيل مَرقُس ٢: ٢٧).

٢. حتَّى في زمن تطبيق شريعة موسى، كان يُسْمَح بتقديم العون في هذا اليوم عند وقوع حادث أو إصابة: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ، أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟» (إنجيل مَتَّى ١٢: ١١).

٣. كانت الشَّريعة توصي بالقيام بأعمال الرَّحمة واللُّطف في هذا اليوم: «إِذًا يَحِلُّ فِعْلُ الخَيْرِ فِي السُّبُوت!» (إنجيل مَتَّى ١٢: ١٢).

٤. كان يوم الرَّاحة يوم عبادة جماعيَّة: «وَدَخَلَ [يَسوعُ] المَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ» (إنجيل لوقا ٤: ١٦). وقد كان قادة الكنيسة منذ بداية تأسيسها يوصون

المؤمنين بعدم التغيُّب عن هذه الاجتماعات: «غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ» (العبرانيِّين ١٠: ٢٥).

٥. في زمن يسوع، كان يوم الرَّاحة خاضعًا للتَّقاليد والطُّقوس- بمعنى أنَّ الغاية الحقيقيَّة منه قد اختفت. فقد كان الفرِّيسيُّون يُفْرِطون في التَّركيز على الطُّقوس التي ابتكرها البشر في ذلك الوقت حتَّى إنَّهم لم يعودوا يُفَكِّرون في الربِّ الذي أعطى يوم الرَّاحة ذاك: «وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الهَيْكَلِ! فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الأَبْرِيَاءِ! فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا» (إنجيل مَتَّى ١٢: ٦-٨).

٦. بعد قيامة يسوع، ابتدأ أتباع يسوع بحفظ أوَّل يوم في الأسبوع بوصفه يومًا خاصًّا للرَّاحة والعبادة. وقد كانت الكنيسة الباكرة تجتمع في هذا اليوم لسماع الوعظ (أعمال الرُّسُل ٢٠: ٧). وكانوا يَجمعون العطاء (١كورنثوس ١٦: ١ و ٢). وكانوا يُشيرون إلى اليوم الأوَّل في الأسبوع بـ «يوم الربِّ» (الرُّؤيا ١: ١٠).

٧. ووفقًا لقول بولس الرَّسول فإنَّ السَّبْت (يوم الرَّاحة في العهد القديم) اكتمل في المسيح (كولوسي ٢: ٦١ و ٧١). ومع ذلك، إذا كُنَّا نريد الحفاظ على تقاليد الكنيسة الأولى، يمكننا احترام المبادئ التي كانوا يُراعونها في يوم الربِّ (يوم الأحد في العهد الجديد). فهذا اليوم (أيْ: يوم الربِّ) هو لمصلحتنا وفائدتنا الروحيَّة. لذلك، فإنَّه يوم مناسب للعبادة، والرَّاحة، وطلب الربِّ، وعمل الخير. كذلك، فهو يوم مناسب للتوقُّف عن العمل (باستثناء الأعمال الضروريَّة مِثل إطعام الحيوانات، أو العناية بالمرضى، أو القيام بالأعمال الطَّارئة). أمَّا الأنشطة الترفيهيَّة، والأعمال التجاريَّة، والأشياء المرتبطة بالحياة الحاضرة، فينبغي وضعها جانبًا مِن أجل التَّركيز على الربِّ.

ولا شَكَّ أنَّ البيت يقوم بدورٍ مُهِمٍّ في الحفاظ على المفاهيم المُختصَّة بيوم الربِّ. فمواقف الآباء والأمَّهات تُؤثِّر- سلبًا أو إيجابًا- في سلوك الأبناء. وعندما يَرى الأبناء آباءهم وأمَّهاتهم يفرزون يومًا في الأسبوع لطلب وَجْه الربِّ، وللشَّركة الروحيَّة، ولبناء ملكوته، مِن المؤكَّد أنَّهم (أيْ: الأبناء) سيتأثَّرون بذلك ويفعلون الأمر ذاته في المستقبل.

ولكنَّ غرس هذه الرؤية في الأبناء لا يخلو مِن تحدِّيات. فإذا نَظَرنا إلى الولايات المتَّحدة على سبيل المثال، سنَرى أنَّ سُرعة الحياة والسَّعي وراء المُتع والملَذَّات هي أمورٌ لا صِلَة لها

بمُراعاة يوم الربِّ كيوم للرَّاحة والعبادة. وفي سعي الإنسان الدَّؤوب لزيادة الإنتاج، هناك ضغط دائم على العُمَّال للعمل على مَدار السَّاعة وعلى مدار الأسبوع. وفي سبيل إشباع الشَّهوات، والتمتُّع بالحياة، والتَّرفيه عن النَّفس، قد تصير العُطلة الأسبوعيَّة وقتًا للتسكُّع، واللَّعب، والمُتعة. لذلك، يجب على الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات أن يرسموا حدودًا واضحةً. وعند قيامهم بذلك، يجب عليهم أن يُدركوا أنَّ هذه الحدود التي ينبغي عليهم رَسْمُها قد لا تكون بين الصَّواب والخطأ بالضَّرورة؛ بل بين الأمور البَنَّاءة والأمور غير البَنَّاءة مِن جهة مبادئ الرَّاحة، والعبادة، وفِعْل الخير.

في ضوء هذا الهدف، يجب على الآباء والأمَّهات أن يفحصوا ويناقشوا أبناءهم حول الأنشطة في يوم الربِّ التي:

- تُنهِك الجسم وتخلو مِن الفائدة الروحيَّة (قد يتباين مستوى النَّشاط الجسديِّ تبايُنًا كبيرًا وفقًا لعُمر الأبناء. لذلك، فإنَّ هذه النُّقطة تَخُصُّ الأبناء الذين تجاوزوا سِنَّ الطُّفولة).
- تَحْرِم العائلة مِن العبادة الجماعيَّة.
- تَعتمد على تَعَب الآخرين في يوم الربِّ.
- لها صِلَة بالعمل.
- تَرمي، في المقام الأوَّل، إلى المُتعة الوقتيَّة.

مِن جهة أخرى، يجب على الآباء والأمَّهات أن يُشَجِّعوا في يوم الربِّ الأنشطة التي:

- تُساعد في ترسيخ علاقة أفراد العائلة بالربِّ.
- تُنعش العقل والرُّوح، وتَمنح أفراد العائلة راحةً جسديَّة.
- تَعكس لُطْف يسوع، ورحمته، ومحبَّته.
- تُسهم في نَشْر رسالة الإنجيل وتلمذة المؤمنين.
- تُقَوِّي الإيمان وتُوَطِّد العلاقات بين المؤمنين.

ونُعيد التَّذكير بأنَّه ينبغي القيام بهذه الأمور كجزءٍ لا يتجزَّأ مِن الحياة العائليَّة والقِيَم العائليَّة. فالتشدُّد أو التزمُّت في وضع المبادئ المُختصَّة بيوم الربِّ قد يُعطي نتائج عكسيَّة. لذلك، يجب أن يكون يوم الربِّ عند العائلات المسيحيَّة يومًا مُمتعًا ومُنعشًا، لا يومًا مكروهًا بسبب كثرة القيود المفروضة فيه. وهذا كُلُّه يتوقَّف على مواقف الأبوَيْن وحكمتهما في التَّخطيط.

الخُلاصة

إنَّ الكنيسة هي عائلة الله إلى أبد الآبدين. والعائلة المسيحيَّة لديها روابط ينبغي الحفاظ عليها بطريقة تُسهم في توطيد الرَّوابط بين أفراد عائلة الله. ومِن خلال التَّعاون المتبادل، يمكن للكنيسة والبيت أن يحصلا على فائدة مشتركة. فالبيت يَدعم الكنيسة، والكنيسة توفِّر الإرشاد الروحيَّ والاستقرار العائليَّ. ويمكن الحفاظ على هذه العلاقة السَّليمة بين البيت والكنيسة مِن خلال الاحترام المتبادل والتَّواصل السَّليم والفعَّال بين الآباء والأمَّهات من جهة وبين خُدَّام الربِّ من جهة أخرى.

لِنُفَكِّر معًا

١. ما بعض أوجه سوء الفهم الشَّائعة في ما يَخُصُّ الكنيسة؟ وما النَّظرة الصَّحيحة التي يُقَدِّمها الكتاب المقدَّس؟

٢. كيف ينبغي للكنيسة أن تتعامل مع الأعضاء الذين ليست لديهم نظرة صائبة لعضويَّتهم والذين يرغبون في التنصُّل مِن المُساءلة حول مسؤوليَّاتهم؟

٣. ما بعض الأساليب العمليَّة التي يمكن للعائلة استخدامها للحفاظ على وحدتها والتَّفاعل السَّليم بين أفرادها عندما تزيد الضُّغوط عليهم مِن كُلِّ حَدَبٍ وصَوْب؟ وما أنواع الأنشطة التي ينبغي للعائلات المسيحيَّة أن تُعطيها الأولويَّة؟

٤. كيف ينبغي لقائد الكنيسة أن يتصرَّف مع الأبوَيْن اللَّذَيْن يُدافعان عن أبنائهما بالرَّغم مِن سوء سلوكهم (في حال أنَّ الأبناء كانوا أعضاء في الكنيسة)؟

٥. كيف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتصرَّفوا إذا كانوا مُقتَنِعين أنَّ أحد قادة الكنيسة قد ظَلَم ابنهم أو تعامل معه تعامُلًا يَفتقر إلى الحكمة؟

٦. في ضوء الإرشادات المُختصَّة بيوم الربِّ، كيف تَنْظُر إلى كُلِّ نشاطٍ مِن الأنشطة التَّالية؟

- القيام بجولة في السيَّارة بعد الظُّهر.
- القيام برحلة.
- توزيع نشرات مسيحيَّة أو كُتُب مُقَدَّسة.
- التسوُّق.
- مساعدة أرملة في صيانة منزلها.
- لعب كُرة القدم.
- تقديم الطَّعام للعَجَزة.
- تناول الطَّعام في أحد المطاعم.
- زيارة الجيران أو الأصدقاء.
- التَّنَزُّه معًا كعائلة.
- القراءة.
- تنظيم الحسابات الخاصَّة بعملك.
- الحياكة أو الخياطة.
- تصليح الأثاث المكسور في المنزل.

لِنَعمل معًا

١. قَيِّموا، كعائلة، الأنشطة التي تؤدِّي إلى ابتعاد أفراد العائلة بعضهم عن بعض. هل تصرفون وقتًا كافيًا معًا؟ إذا كانت الإجابة هي «لا»، ما الاقتراحات التي يمكنكم تقديمها لتقويم المشكلة؟

٢. هل تُشَجِّع دائمًا خدمات الوعظ، واجتماعات الصَّلاة، والخدمات الكرازيَّة؟ ما طبيعة الأنشطة التي تقوم بها كنيستك؟ هل تَشعُر بأنَّ أيًّا مِن هذه الأنشطة غير ملائم لمجموعة الأشخاص الذين كَرَّسوا حياتهم لملكوت الله؟ (أم هل تَشعُر بأنَّ الكنيسة تُبالغ في تركيزها على هذه الأنشطة؟)

٣. مِن وُجهة نظركم كآباء وأمَّهات، هل تقومون- بأيِّ شكلٍ مِن الأشكال- بحماية أبنائكم مِن المُساءلة على تصرُّفاتهم الخاطئة؟

٤. في رأيكم كعائلة، هل الأنشطة التي تمارسونها في يوم الربِّ تُرَكِّز على الرَّاحة، والعبادة، وامتداد ملكوت الله؟ كيف يمكنكم تحسين ذلك؟

الفصل الثَّامن

عندما تتفاقم المشكلات

المقدِّمة

إنَّ شعب الله ليس بمَنأى عن الألم، والتَّجارب، والمرض، والموت. فقد أُصيب إسحاق بالعمى في شيخوخته. وقد أُصيب ابنُه يعقوب بالعَرَج بعد أن خَلَعَ مَلاكُ الربِّ مِفْصَلَ فَخْذِهِ عندما تَصارع معه. وقد مَرض حَزَقِيَّا «حَتَّى أوشك على الموت». وقد خسر أيُّوب قُطعانه، وأبناءه، وصِحَّته. وقد فقد داود ابنه حديث الولادة. وقد كانت حَنَّة النبيَّة أرملة، وكذلك كانت المرأة التي أَلْقَت الفَلْسَيْن أرملة. وكان بولس الرَّسول يُعاني «شوكةً» في جسده (مُشكلة صِحِّيَّة مجهولة). وقد قال بولُس لمؤمِني كورنثوس: «وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ، وَخَوْفٍ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ». وفي وقتٍ مِن الأوقات، اضْطُرَّ بولس إلى تَرْك رفيقه «تُرُوفِيمُس» مريضًا في مِيلِيتُس.

وفي أوقات الألم واليأس، قد يتساءل المؤمن عن صلاح الله وعنايته الإلهيَّة. فقد تَذَمَّر أيُّوب قائلًا: «الإِنْسَانُ مَوْلُودُ المَرْأَةِ، قَلِيلُ الأَيَّامِ وَشَبْعَانُ تَعَبًا....فَاعْلَمُوا إِذًا أَنَّ اللهَ قَدْ عَوَّجَنِي، وَلَفَّ عَلَيَّ أُحْبُولَتَهُ....وَأَضْرَمَ عَلَيَّ غَضَبَهُ، وَحَسِبَنِي كَأَعْدَائِهِ» (أيُّوب ١٤: ١؛ ١٩: ٦ و ١١). وقد اعتَرَف آساف بضعفه قائلًا: «أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلِقَتْ خَطَوَاتِي. لأَنِّي غِرْتُ مِنَ المُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ....لَيْسُوا فِي تَعَبِ النَّاسِ، وَمَعَ البَشَرِ لا يُصَابُونَ» (المزمور ٧٣: ٢ و ٣ و ٥). وقد كَتَب كاتب سِفْر الجامعة في يأسٍ: «قَدْ رَأَيْتُ الكُلَّ فِي أَيَّامِ بُطْلِي: قَدْ يَكُونُ بَارٌّ يَبِيدُ فِي بِرِّهِ، وَقَدْ يَكُونُ شِرِّيرٌ يَطُولُ فِي شَرِّهِ....لأَنَّهُ الوَقْتُ وَالعَرَضُ يُلاَقِيَانِهِمْ كَافَّةً [أو كما وَرَد في التَّرجمة التفسيريَّة: لأَنَّهُمْ كَافَّةً مُعَرَّضُونَ لِتَقَلُّبَاتِ الأَوْقَاتِ وَالمُفَاجَآتِ]» (الجامعة ٧: ١٥؛ ٩: ١١).

وفي وسط الألم والضِّيق والإحباط، قد لا نُحافظ على نظرتنا المُتَّزنة الواضحة للواقع. فما نراه بوضوحٍ في الأيَّام العاديَّة قد نراه مُشَوَّهًا أو مختلفًا في أوقات الألم والضِّيق.

وفي هذا الفصل، سنُلقي نظرة واقعيَّة على مشكلات الألم، والمرض، والإصابات، والشَّيخوخة، والموت. وسنُلقي الضَّوء أيضًا على الإرشادات التي وَفَّرها الله لنا للتكيُّف مع هذه المشكلات.

نظره واقعيَّة إلى الألم

هناك آراء مختلفة في ما يَخُصُّ المرض، والحوادث، والموت غير المتوقَّع و»السَّابق لأوانه». فهناك مَن يؤمنون بأنَّ كُلَّ هذه الأشياء هي مِن الشَّيطان. وهُم يقولون إنَّ الله يريد للمؤمنين المسيحيِّين أن يتمتَّعوا بالصِّحَّة الجيِّدة والرَّخاء طَوال حياتهم. ومِن جهة أخرى، هناك مَن يُدركون أنَّنا ما زلنا نعيش في عالم واقعٍ تحت لَعنة الخطيَّة، وأنَّ خلاصنا لم يَكتمل بعد. ومِن وجهة نظر الفئة الثَّانية، سواء عاش المؤمنون المسيحيُّون مَرضى أو أصِحَّاء، فُقراء أو أغنياء، فإنَّ هذا ليس مُهِمًّا البَتَّة. فالشَّيء الأكثر أهميَّةً هو أن يعيشوا حياةً تُمَجِّد الله.

وقد تساعدنا المبادئ التَّالية على فَهم الموضوع في ضوء تعليم الكتاب المقدَّس:

١. **الإنسانُ فَانٍ (زائل).** «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الخَطِيَّةُ إِلَى العَالَمِ، وَبِالخَطِيَّةِ المَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ المَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الجَمِيعُ» (رومية ٥: ١٢).

٢. **الأرض تحت اللَّعنة.** «فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ» (رومية ٨: ٢٢).

٣. **جسد الإنسان مُعَرَّض للألم والضِّيق والمرض في الحياة الحاضرة.** «وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٣).

٤. **هناك أمراض وآلام ومتاعب ناجمة عن الخطيَّة مباشرةً.** «وَسَارَ [يَهورام] فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ كَمَا فَعَلَ بَيْتُ أَخْآبَ، لأَنَّ بِنْتَ أَخْآبَ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةً. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ....وَهُوَ أَيْضًا عَمِلَ مُرْتَفَعَاتٍ فِي جِبَالِ يَهُوذَا، وَجَعَلَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ يَزْنُونَ، وَطَوَّحَ [أيْ: أَضَلَّ] يَهُوذَا....وَبَعْدَ هذَا كُلِّهِ ضَرَبَهُ الرَّبُّ فِي أَمْعَائِهِ بِمَرَضٍ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ. وَكَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَحَسَبَ ذِهَابِ المُدَّةِ عِنْدَ نِهَايَةِ سَنَتَيْنِ، أَنَّ أَمْعَاءَهُ خَرَجَتْ بِسَبَبِ مَرَضِهِ، فَمَاتَ بِأَمْرَاضٍ رَدِيَّةٍ» (٢أخبار الأيَّام ٢١).

٥. **هناك أمراض وآلام ومتاعب ناجمة عن هجوم الشَّيطان.** «فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ» (أيُّوب ٢: ٧). «وَلِئَلاَّ

أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي، لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ» (٢كورنثوس ١٢: ٧).

٦. **هناك أمراض وآلام ومتاعب ليست ناجمة عن خطايا شخصيَّة، ولا عن هجوم الشَّيطان، بل عن وجودنا في عالمٍ مُمتلئ بالخطيَّة.** فكما ذَكَرنا قَبل قليل، فإنَّ إسحاق أُصيب بالعمى في شيخوخته. وقد تَرَك بولس رفيقه «تُرُوفِيمُس» مريضًا في مِيلِيتُس. ويبدو أنَّ يسوع كان يُشير إلى هذا المبدأ حين قال: «أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟...أَوْ أولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ البُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ...» (إنجيل لوقا ١٣: ٢ و ٤ و ٥).

٧. **عندما نَمرض أو نقع في المتاعب، فإنَّ الكتاب المقدَّس يوصينا بأن نُصَلِّي مِن أجل الشِّفاء والنَّجاة.** «أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي المَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ» (يعقوب ٥: ١٤ و ١٥). كذلك، هناك أمثلة في العهد الجديد على مؤمنين وضعوا الأيدي على المرضى وصَلُّوا لأجلهم: «فَحَدَثَ أَنَّ أَبَا بُوبْلِيُوسَ كَانَ مُضْطَجِعًا مُعْتَرًى بِحُمَّى وَسَحْجٍ. فَدَخَلَ إِلَيْهِ بُولُسُ وَصَلَّى، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ فَشَفَاهُ» (أعمال الرُّسُل ٢٨: ٨). وسواءٌ كُنَّا مرضى أو نواجه المتاعب، فإنَّ الله قادر على العمل في حياتنا حين نُلقي بأحمالنا عند قدميه بالإيمان. فكما قال الملاك لمريم: «لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ» (إنجيل لوقا ١: ٣٧).

٨. **عندما يَسمح الله بإصابة المؤمنين بأمراض مُزمنة أو بموتهم، فإنَّه يُسْبِغ عليهم نعمته وتعزياته وقت الحاجة.** لذلك، عندما نأتي باحتياجاتنا إلى الربِّ، يجب علينا أن نأتي إليه بروح الاتِّضاع والخضوع لشخصه المبارك. فقد شَهِدَ الرَّسول بولس أنَّه صَلَّى ثلاث مَرَّات لكي يُخَلِّصه الربُّ مِن تلك الشَّوكة التي كانت في جسده؛ ولكنَّه كَتَبَ يقول: «مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ المَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٢: ٨ و ٩). ولدينا أيضًا مثال يسوع في بستان جثسيماني إذ إنَّه صَلَّى مِن أجل تغيير الظَّرْف الصَّعب الذي كان فيه، ولكنَّه أبدى- في الوقت نفسه- خضوعه التَّامَّ لمشيئة الآب. «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (إنجيل لوقا ٢٢: ٤٢).

التمسُّك بالمواقف السَّليمة

إنَّ بعض أصعب المواقف التي تواجهنا في حياتنا هي أشياء لا نملك سيطرةً عليها عادةً. فقد يموت طفل أحدهم بسبب إصابته بسرطان الدَّم. وقد يُصاب أبٌ شابٌّ بشللٍ دائمٍ بسبب حادث. وقد يُنجِب الزَّوجان طفلًا مُصابًا بمُتلازمة «داون» (تَشَوُّهٌ في الجينات الوراثيَّة يُسَبِّب تأخُّرًا في النُّموِّ البدنيِّ والعقليِّ). وقد يموت زوج إحداهنَّ فتُضْطَرُّ إلى إعالة عائلتها الكبيرة بمفردها. وقد تتدهور صِحَّة الأبوَيْن المُسِنَّيْن الجسديَّة أو العقليَّة أو النفسيَّة.

وقد يبدو أحيانًا أنَّ المِحَن والضِّيقات تأتي مُتلاحقةً (أو كما يَقول المَثَل الشَّعبيُّ، فإنَّ «المَصائب لا تأتي فُرادَى»). وقد يَشْعُر المرء بأنَّ حياته تتهاوى من حوله. بل إنَّ المؤمن قد يَشْعُر بأنَّ الله ووعوده هُما مُجَرَّد أحلام وَرْدِيَّة.

وفي أوقاتٍ كهذه، مِن المهمِّ جدًّا أن يتمسَّك المؤمن بمواقف مُحَدَّدة، وأن يحذر مِن مواقف أخرى لأنَّها خطيرة. لذلك، سوف نتطرَّق، أوَّلًا، إلى المواقف السَّليمة قبل أن نأتي على ذِكْر المواقف غير السَّليمة.

المواقف الصَّائبة

١. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالإيمان.** فنحن لسنا في حاجة إلى فَهْم ما يَفعله الله لكي نُعَبِّر عن إيماننا به واتِّكالنا عليه. فقد قال أيُّوب في وسط مِحْنَتِه الشَّديدة: «هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ» (أيُّوب ١٣: ١٥). فما أحْوَجَنا إلى التمسُّك بإيماننا في الأوقات التي لا نَفهم فيها ما يَجري! وهذا يَتَّفق تمامًا مع قَوْل الله: «لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ» (إشعياء ٥٥: ٩). وما أكثر ما وَجَد المؤمنون أنَّ المتاعب والضِّيقات التي مَرُّوا فيها لم تَكُن سوى بَوَّابات أدْخَلَتْهُم إلى رِحاب نِعمة الله وصَلاحِه بطرائق لم تَكُن لتَخْطُر ببالهم قبل دخولهم في التَّجربة.

ولا شَكَّ أنَّ الإيمان ليس أمرًا هَيِّنًا أو سهلًا. فهو لا يَعني أن نؤمن بالله في أوقات الضِّيق فحسب، بل وأيضًا أن نُسَلِّم بأنَّه قد يَسمح بازدياد المتاعب والآلام. وهو لا يَعني فقط أن نَثِق بالله عندما لا تَنجح خُططنا كما كُنَّا نَتَمَنَّى، بل وأيضًا أن نَثِق به عندما يتمُّ سَحْق خُططنا تمامًا ولا يعود لها وجود. بعبارة أخرى، فإنَّ الإيمان يَعني أن نؤمن بأنَّ كُلَّ ما قد

يَحْدُث لنا لا يمكن أن يَخْرُج عن نِطاق سيطرة الله القدير، وأنَّ الله قادر على تحويل تلك المِحَن والضِّيقات إلى بَرَكاتٍ ومَراحم أبديَّة في حياتنا. «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٨).

٢. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالوداعة.** فنحن نَميل، بطبيعتنا، في أوقات المصاعب إلى التصرُّف وفقًا لردود أفعالنا الآنِيَّة. ولكِن بالمقابل، فإنَّ الوداعة هي روح الخضوع لمشيئة الله. بعبارة أخرى، فإنَّ الوداعة هي التَّجاوُب مع المواقف التي لا يمكننا تغييرها وفقًا لما يُمليه علينا روح الله السَّاكن فينا، وليس وفقًا لما تُمليه علينا طبيعتنا الخاطئة- ولا سِيَّما التذمُّر والشَّكوى والمَرارة.

والحقيقة هي أنَّ الوداعة مُتأصِّلة في الإيمان. فأعْيُن الوداعة مُثَبَّتة دائمًا على الله. وهي تَجعلنا نَقْبَل كُلَّ الخير الذي يُغدقه الله علينا، وكُلَّ المِحَن والضِّيقات التي يَسمح بها. وقد كان هذا هو الفَرْق بين رَدِّ فِعل زوجة أيُّوب على المصائب التي ألَمَّت بها وبزوجها، ورَدِّ فعل أيُّوب نفسه إذ قال بروح الوداعة: «أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟» (أيُّوب ٢: ١٠).

كذلك، فإنَّ موقف الوداعة يُحَرِّرنا ويَجعلنا ننظر إلى المِحنة بموضوعيَّة. وهذا، في حَدِّ ذاته، يُساعدنا في التَّمييز بين ما ينبغي لنا قبوله وما يمكننا تغييره. والوداعة لا تَعني البَتَّة أن نكون سَلبيِّين تمامًا ونتوقَّف عن مقاومة قوى الشرِّ. وهي لا تعني أن نتخلَّى عن عزمنا وتصميمنا على التغلُّب على إعاقتنا أو ضعفنا. بل إنَّنا لا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ الوداعة تُطْلِقنا أحرارًا وتساعدنا على القيام بما ينبغي لنا القيام به لأنَّها تَحمينا مِن هَدْر طاقتنا على أمورٍ ينبغي لنا قبولها كما هي. مِن جهة أخرى، فإنَّ الوداعة تُحَرِّرنا مِن الغضب الأعمى وتَفتح أعيننا كي نرى الأشياء بعيني الله. لذلك يقول داود إنَّ الله «يُدَرِّبُ الوُدَعَاءَ فِي الحَقِّ» (المزمور ٢٥: ٩).

٣. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالصَّلاة.** ومع أنَّ الصَّلاة فِعْل، فإنَّها موقف أيضًا. فعندما نواجه المِحَن والضِّيقات، يجب علينا أن نلتجئ إلى أبينا السَّماويِّ. فعندما يُواجه الإنسان الطبيعي مِحنةً أو ضيقًا فإنَّه يَميل- أوَّلًا- إلى التَّخطيط، والتَّحليل، والارتباك، والصِّراع، والقلق، والخوف. وكملاذٍ أخيرٍ، قد يَصْرُخ إلى الله. ولكن يمكن لأولاد الله أن يوفِّروا على أنفسهم عناءً كبيرًا وألمًا لا يُستهان به إن تَمَسَّكوا بالصَّلاة.

«لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ» (فيلبِّي ٤: ٦). فالقلب الذي يَطْرَح همومه وأحزانه، أوَّلًا بأوَّل، عند قَدَمي الربِّ، لن يصير يومًا مُثقَلًا بالهموم والأحزان. وعندما نرفع طلباتنا بثقة ويقين، فإنَّنا نتخلَّص مِن الإحباط النَّاجم عن المشكلة الأرضيَّة، ونمتلئ أملًا ورجاءً أثناء انتظار استجابة الله.

٤. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالشُّكر.** ورُبَّما كان هذا الموقف هو الأكثر صعوبةً. وهو موقف مستحيل في غياب الإيمان والوداعة والصَّلاة. أمَّا إذا ثَبَّتنا أعيُننا على الله، فسيكون بمقدورنا الاستمرار في تقديم الشُّكْر لله. والحقيقة هي أنَّ تقديم الشُّكْر في المِحَن والضِّيقات هو ليس ضربًا مِن الجنون أو مُنافاةً للعقل والمنطق. فالحقيقة هي أنَّ كلمة الله تقول: «افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا» (فيلبِّي ٤: ٤). فالله، بذاته، هو سَبَب أكثر مِن كافٍ للفرح. لذلك، لا يمكن للمؤمن المُتَّكِل على الله أن يُطيل التأمُّل في شخص الله دون أن يُعَبِّر عن شُكره له- أيًّا كان الظَّرف الصَّعب الذي يَمُرُّ فيه.

المواقف الخاطئة

١. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا التذمُّر.** فعندما تاهَ العبرانيُّون في البرِّيَّة وواجهوا أوقاتًا عصيبة، كان تَذَمُّرهم سببًا رئيسيًّا في عدم حصولهم على بَرَكات الربِّ وفي وقوعهم في مشاكل جَمَّة. فالتذمُّر هو شكل مِن أشكال تحدِّي سِيادة الله وسلطانه أن يفعل ما يشاء. وهو أيضًا شكل مِن أشكال تجاهُل قُدرة الله وصَلاحه. ولأنَّ التذمُّر يَحْصُر تفكير المؤمنين في المشكلات الآنيَّة، فإنَّه يَمنعهم مِن اختبار نعمة الله ومِن رؤية سُلَّم النَّجاة الذي أعَدَّه الله لهم.

٢. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا روح الانهزام.** وفي أغلب الأحيان فإنَّ روح الانهزام يُرافق التذمُّر. فكُلَّما زاد تركيزنا على مشكلاتنا، اشتَدَّ الظَّلام مِن حَوْلِنا. وحينئذٍ، سُرعان ما نبتدئ لا في وَصْف المشكلة الحقيقيَّة فحسب، بل وفي وَصْف المشكلات المُحتملة أيضًا. فالصُّورة الحاليَّة تسوء أكثر فأكثر حين نكون مُتشائمين تُجاه المستقبل. وهذا الموقف كَفيلٌ بأن يَمنعنا مِن التمتُّع بقوَّة الله وصلاحه. «لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الفَشَلِ، بَلْ رُوحَ القُوَّةِ وَالمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ» (٢تيموثاوس ١: ٧). لذلك، يجب على المؤمنين

أن يَفعلوا ما فَعَلَهُ «كالب» و «يشوع» في زمن النَّبيِّ موسى- أي أن ينظروا إلى العمالقة بعيني إيمانهم الرَّاسخ بالله القدير. أمَّا إذا استسلمنا لمشاعر الإشفاق على الذَّات، فقد نَشْعُر بالرِّضا في الجسد، ولكنَّنا سنكون قد تَسَبَّبنا في إضعاف الرُّوح.

٣. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتجنَّبوا الافتراضات.** فالإيمان يقوم على حقيقة الذَّات الإلهيَّة. أمَّا الافتراضات فإنَّها تَقتلع الآيات الكِتابيَّة مِن قرينتها الصَّحيحة، وتُطالب الله بأشياء كثيرة باسم الإيمان. فقد افترض أحد الآباء أنَّ ابنه المُصاب بداء السُّكريِّ قد شُفِيَ مِن مرضه؛ فقام- هو وزوجته- بمَنع الدَّواء عنه. ونتيجة لذلك، مات الابن. وقد كَتَب الأبُ يقول: «هناك خطأٌ جسيمٌ في مبدأ «الاعتراف (إعلان الإيمان) الإيجابيِّ» السَّائد في وقتنا الحاضر. فهذه المُمارسة تُشَجِّع النَّاس على اقتلاع بِضع آياتٍ مِن مواضع مُتفرِّقة مِن الكتاب المقدَّس، والتمسُّك بها كما لو كانت وعودًا شخصيَّة لهم مِن الله. وقد يكون لهذه الآيات مَعَانٍ روحيَّة وتطبيقات عامَّة. ولكنَّها قد لا تَصِحُّ جميعها على حالتك أو على خُطَّة الله لحياتك. لذلك فإنَّ الادِّعاء الاعتباطِيَّ بأنَّ الوعود العامَّة المذكورة في الكتاب المقدَّس تَصْلُح كوعودٍ خاصَّة يَفتح الباب على مِصراعيه أمام الافتراضات الخاطئة. وإذا انتَقَيْنا التَّعاليم الكتابيَّة انتقاءً «عشوائيًّا» غير متوازن، قد تكون العواقب ساحِقَة للقلب».[٤٠]

لذلك، مِن المُهِمِّ أن نَفْهَم هذا المبدأ جيِّدًا في أوقات المرض والضِّيق لكي لا يَسْقُط إيمانُنا في فَخِّ الافتراضات الخاطئة.

٤. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا المَرارة.** والمَرارة تَنبع في الأصل مِن إلقاء اللَّوم على الآخرين. فالمتاعب التي نُصادفها في الحياة تقترن عادةً بأناسٍ آخرين. فقد صار يوسُف عبدًا في مصر بسبب إخوته. وقد عاش داود مُشَرَّدًا وهاربًا سنواتٍ عديدة بسبب شاول. وقد وَقَع شمشون في الأسْر بسبب دليلة. وقد خُدِعَ عيسو بسبب يعقوب. وقد بقيت ابنة يَفتاح عزباء بسبب تَهَوُّر أبيها. ولكن إذا تأمَّلنا في هذه الأمثلة جميعها، سنكتشف أنَّ هناك علاقة مباشرة بين نَجاح (أو فشل) الشَّخص الذي تَعَرَّض للإساءة في التصدِّي للمتاعب وبين موقفه الداخليِّ مِمَّا حدث. فالمَرارة تُصَيِّر النَّاس أشخاصًا غير قادرين على الغُفران، بل وغير قادرين على التَّوبة أيضًا (تمامًا مِثل عيسو). مِن جهة أخرى فإنَّ الغُفران ومُمارسة الإيمان يُفْضي إلى ظهور أشخاصٍ كيوسُف وداود. «مُلاَحِظِينَ...لِئَلاَّ

يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ» (العبرانيِّين ١٢: ١٥). فالمَرارة لا تُدَمِّر العلاقات فحسب، بل تُدَمِّر أيضًا شخصيَّة صاحبها. فهي تُقْصي المرء عن الله وعن نِعمته الغنيَّة المانحة للقوَّة. لذلك فإنَّ العناصر اللَّازمة للتكيُّف مع المتاعب (كالأصدقاء، والشخصيَّة، والمعونة الإلهيَّة) هي ذات الأشياء التي تُدَمِّرها المَرارة.

٥. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا الأنانيَّة.** ففي العائلة المسيحيَّة ومجتمع الكنيسة، يجب أن تكون أوقات المِحَن والضِّيقات هي أوقات مشاركة. فالنَّاس يتجاوبون بطرائق مختلفة عندما يَجدون أنفسهم في ظرفٍ صعب يجعلهم في احتياج. وقد يَشعر أُناسٌ بالمهانة والغضب. وقد يشعر آخرون بالشُّكر والامتنان. وقد يلعب آخرون على أوتار عجزهم وحاجتهم. لذلك، عندما نكون في حاجة، يجب علينا أن نُدَرِّب أذهاننا على التَّفكير في الآخرين أيضًا. فحاجاتنا ومشكلاتنا هي ليست الحاجات والمشكلات الوحيدة في العالم. لذا، يجب علينا ألَّا نَطلب الخدمة مِن الآخرين. ويجب علينا ألَّا نَنفرد بالحديث عن المآسي التي عشناها. بل يجب علينا أن نتعاطف مع الآخرين، وأن نَفهمهم، وأن نعتني بهم، وأن نُصغي إليهم لئلَّا نَسمح لمشكلاتنا بجَعْلِنا أشخاصًا نُتْقِنُ الأَخْذَ فقط، ولكي لا نَخسر الأفراح النَّاجمة عن الحُبِّ والعطاء. أمَّا الوجه الآخر للرَّغبة في الأخذ فهو رفض الأخذ. وهذا مُتأصِّل أيضًا في الأنا. فالقبول (أيْ قبول مساعدة الآخرين لنا) يتطلَّب اتِّضاعًا كبيرًا.

الإعاقات البدنيَّة

قد تتفاوت الإعاقات البدنيَّة في نوعها ودرجتها. والكلمة «إعاقة» هي تعبيرٌ عامٌّ يُشير إلى أيِّ مشكلة جسمانيَّة تَمنع الشَّخص مِن المشاركة الطبيعيَّة في المهام الحياتيَّة الاعتياديَّة. لذلك فإنَّ الإعاقات البدنيَّة تُشير إلى فقدان حاسَّة مِن الحواسِّ الخمس (كحاسَّة البصر أو السَّمع)، أو فقدان أحد الأطراف (كالذراع أو السَّاق)، أو عدم القدرة على استخدام أعضاء الجسم (كُلِّيًّا أو جزئيًّا) استخدامًا فعَّالًا بسبب أحد الأمراض (كالشَّلل أو داء المفاصل)، أو بسبب إصابةٍ ما.

وهناك أشخاص يولدون بإعاقةٍ ما. وهناك أشخاص يصيرون كذلك نتيجة حادثٍ أو مرض. ولكن أيًّا كان السَّبب، فإنَّ لِكُلِّ إعاقة تحدِّياتها، وصعوباتها، وفُرَصها. فالأشخاص الذين يولدون بإعاقة ما يواجهون تحدِّيًا دائمًا بضرورة التكيُّف مع عالمٍ لا يُراعي قدراتهم المحدودة

بالقدر الكافي. أمَّا الأشخاص الذين يُصابون بإعاقة نتيجة حادث أو إصابة، فإنَّهم مُعَرَّضون لصدمة كبيرة بسبب اضطرارهم للتكيُّف فجأةً مع وضعهم الجديد. فبعد أن كانوا قادرين على القيام بأعمال مُعَيَّنة، وجدوا أنفسهم، دون سابق إنذار، عاجزين عن القيام بها!

نصائح عامَّة للتكَيُّف مع الإعاقة الجسديَّة

١. واجه الموقف بواقعيَّة. اتَّخذ خطوات ذهنيَّة ونفسيَّة وروحيَّة لتَقَبُّل الواقع.

٢. صَلِّ كي يُعطيك الربُّ نِعمة وحِكمة لاختبار المسيح بطرائق لم تختبره فيها مِن قبل (انظر ٢كورنثوس ١٢: ٩ و ١٠).

٣. تَعَلَّم الطَّرائق السَّليمة لمواجهة الإحباط. وهذا يعني أن لا تتجاهل عواطفك، ولا أن تَسمح لعواطفك بالسَّيطرة عليك. فنحن في حاجة، عادةً، إلى تَعَلُّم كيفيَّة التحدُّث عن الأشياء التي تُسَبِّب لنا الإحباط، ومتى نتحدَّث عنها، ومع مَن نتحدَّث عنها.

٤. تَعَرَّف إلى أشخاصٍ آخرين تَمَكَّنوا مِن التَّكَيُّف مع إعاقاتهم. يمكنك القيام بذلك مِن خلال قراءة الكُتب، والاستماع إلى التَّسجيلات، أو مِن خلال الصَّداقات الشخصيَّة.

٥. اسْمَح للسيِّد المسيح أن يُشَكِّلك، وأن يَفتح عينيك على حاجات الآخرين. فالرُّوح المَرِحَة، والنَّوايا الحَسَنة، ومراعاة مشاعر الآخرين، وروح الشُّكْر هي أمور تساعدك في تكوين الصَّداقات وإيجاد أشخاص يَقبلونك. كذلك، فإنَّ روح الدُّعابة المُتَّزنة هي صِفَة لا تُقَدَّر بثمن.

٦. تَقَبَّل الواقع بأنَّ هناك أشخاصًا لن يُراعوا مشاعرك. وينبغي لك أن تَعلم أنَّ النَّاس لا يُسيئون الأدب عن قَصْد. ولكن حتَّى لو فعلوا ذلك، لا تأخذ الأمر على مَحْمَلٍ شخصيٍّ. فمِن المُرَجَّح أنَّ هؤلاء يُسيئون الأدب مع آخرين أيضًا.

٧. عِشْ حياةً طبيعيَّةً قَدْر استطاعتك. تَمَسَّك بمواقفك الإيجابيَّة، وابحث عن طرائق لتطوير مهاراتك، وللتغلُّب على العقبات، وابذل كُلَّ جهدٍ لديك في كُلِّ ما تقوم به.

قِصَّة مِن واقع الحياة

كان «ألفين» البالغ مِن العُمر عشر سنوات طفلًا طبيعيًّا ويتمتَّع بصحَّة جيِّدة. ولكنَّه تَعَرَّض لحادثٍ في المدرسة أصابه بشللٍ في ساقيه ويده اليُمنى. ومع

أنَّه صَرَف سنوات عديدة في برامج إعادة التَّأهيل داخل المستشفى وخارجه، فإنَّه لم يَسْتَعِد عافيته ولم يتمكَّن مِن استخدام ساقيه ويده اليُمنى كما كان في السَّابق.

وفي سنوات المراهقة، لم يتمكَّن «ألفين» مِن ممارسة حياته كبقيَّة المُراهقين. وحين صار راشدًا، لم يتمكَّن مِن العمل في كثيرٍ مِن المجالات التي يَعمل فيها أقرانه.

ولكِنْ عوضًا عن أن يَصير «ألفين» مُرَّ النَّفس، قَرَّر أن يَبذل جهده وأن يَفعل كُلَّ ما يمكنه فِعله. لذلك، فقد راح يقرأ، ويدرس، ويُطَوِّر مهاراته في مجال الصَّحافة. وقد تَعَلَّم كيفيَّة تصليح السَّاعات بمختلف أنواعها. وأخيرًا، تَزَوَّج «ألفين» وصارت له عائلة. وكان يَعمل في الكتابة والتَّعليم لإعالة أُسرته.

مِن جهة أخرى، كان «ألفين» معروفًا بإيمانه وتقواه، وبذكائه، وبسعة اطِّلاعه على الكتاب المقدَّس. لذلك، ابتدأ كثيرون يطلبون المشورة منه حين يواجهون مشكلات أو صعوبات في حياتهم.

ومِن خلال قبول تلك الضَّعفات والمحدوديَّات، ورَفْض الشُّعور بالمرارة، وتسليم قلبه وذهنه للربِّ، عاش «ألفين» حياةً مُثمرةً وذات مغزى.

وينبغي للأبوَيْن المؤمِنَيْن أن يُعَلِّما أبناءهما كيفيَّة التَّعامل مع أصحاب الإعاقات. وفي ما يلي بعض النَّصائح والإرشادات العامَّة للتَّعامل مع الأشخاص الذين لديهم إعاقات. كذلك، سنذكر مجموعة إرشادات للتَّعامل مع إعاقات مُحَدَّدة. ويمكن لأفراد العائلة مناقشة هذه الإرشادات في أوقات العبادة العائليَّة باستخدام الآية (لاويِّين ١٩: ١٤) كنُقطة انطلاق. كذلك، يمكن للأبناء تمثيل هذه الأدوار. فعلى سبيل المثال، يمكن لأحد الأبناء أن يُمَثِّل دور شخصٍ أعمى بوضع عصابة على عينيه. ويمكن لأحد الأبناء الآخرين أن يحاول وَصْف ما يَحْدُث له خارج المنزل. كذلك، يمكن للأبناء أن يحاولوا قراءة الشِّفاه. ويمكن أيضًا استخدام آيات وترانيم عن اللُّطف، والمحبَّة، والاحترام، واللَّياقة.

إرشادات عامَّة في التَّعامل مع أصحاب الإعاقة

١. أَظْهِر اهتمامًا حقيقيًّا بالشَّخص. فالنَّاس جميعًا في حاجة ماسَّة إلى القبول والصَّداقة.

٢. تجاهل التصرُّفات والسلوكيَّات غير الملائمة التي قد تَصْدُر عن صاحب الإعاقة- إلَّا إذا كانت علاقتك به وثيقة تَسمح لك بمواجهته (دون جَرْح مشاعره).

٣. عندما يكون صاحب الإعاقة مع مجموعة، احرص على وجود أنشطة يمكنه المشاركة فيها (ولكن دون التَّصريح أو التَّلميح بقوَّة بأنَّكم تفعلون ذلك لأجله).

٤. كصديق، تَجَنَّب الضَّغط على صاحب الإعاقة أو دفعه إلى القيام بأشياء قد تزيد توتُّره أو تجعله يَشْعُر بالحَرَج. ومع أنَّنا جميعًا نحتاج إلى الحَضِّ والتَّشجيع، فإنَّنا لا نَتقبَّل ذلك جيِّدًا إلَّا مِن الأشخاص الذين يفهموننا ويهتمُّون بنا.

٥. في حال مناقشة الإعاقة، افعل ذلك بكُلِّ تهذيب. فأغلبيَّة أصحاب الإعاقة لا يُمانعون في الحديث عن إعاقتهم إذا شعروا بأنَّ الشَّخص الآخر يهتمُّ بهم اهتمامًا حقيقيًّا. ومع ذلك، تَجَنَّب المبالغة في العاطفة، أو الفضول، أو المُزاح بشكلٍ غير مناسب.

٦. عَلِّم أبناءك كيفيَّة التَّعامل مع أصحاب الإعاقة. فلا ينبغي لهم التَّحديق بهم عند رؤيتهم، أو الإشارة إليهم بإصبعهم، أو التحدُّث عنهم هَمْسًا، أو السُّخرية منهم، أو عمل المقالب بهم (لاويِّين ١٩: ١٤؛ ١تسالونيكي ٥: ١٤). فينبغي لأبنائنا أن يُراعوا أصحاب الإعاقة، وأن يعاملوهم بلُطف، وأن يُنشئوا صداقات معهم، وأن يَتعلَّموا الصَّبْر عند التَّعامل معهم.

٧. شَجِّع صاحب الإعاقة وادعمه بشَتَّى السُّبل الممكنة. ساعده في تحقيق أهدافه بدلًا مِن فَرْض توقُّعاتك عليه. كُن إيجابيًّا ومتفائلًا، ولكن بعيدًا عن الإلحاح.

إرشادات في التَّعامل مع إعاقات مُحَدَّدة

التَّعامل مع الشَّخص الأعمى

١. عَرِّف الشَّخص الأعمى بنفسك- إلَّا إذا كان صوتك مألوفًا جيِّدًا لديه.

٢. لا تَصْمُت عندما يقترب إليك الشَّخص الأعمى لأنَّه يحتاج إلى سَماع صوتك لمعرفة مكانك.

٣. بادر إلى التحدُّث إلى الشَّخص الأعمى. فالأعمى لا يرغب في مقاطعتك أو إزعاجك إذا كنت مشغولًا.

٤. عند رغبتك بالمغادرة، أشْعِرْهُ بذلك بلياقة. فمغادرتك بِصَمْتٍ بعد حديثك معه قد تكون مُحْرِجَة.

٥. إذا كان الشَّخص الأعمى في حاجة إلى المساعدة لمعرفة الطَّريق (في الأماكن المزدحمة أو غير المألوفة)، ولم تَكُن قد فَعلت ذلك مِن قَبل، اسأله عن كيفيَّة القيام بهذا الأمر. فالأعمى يُحِبُّ أن تساعده في معرفة الاتِّجاهات وكيفيَّة السَّير، ولكنَّه لا يُحِبُّ أن تدفعه أو أن تَجُرَّه مِن يده.

٦. إذا بدا لك أنَّ الأعمى ضَلَّ الطَّريق، عَرِّفه بنفسك واسأله إن كان في حاجة إلى المساعدة. فجميعنا بحاجة إلى العون أحيانًا.

التَّعامل مع الشَّخص الأصَمِّ

١. إذا كان الأصَمُّ يُتْقِن قراءة الشِّفاه، تَكَلَّم بسرعة مُعتدلة دون المبالغة في تحريك فمك.

٢. تَجَنَّب الاستدارة عندما تتكلَّم. وإذا أَشَرْتَ إلى شيءٍ يَجعل الأصَمَّ يَلتفت إلى جهة أخرى، انتظر إلى أن ينظر إليك ثانيةً قبل مُواصلة كلامك.

٣. إذا كنت تجلس بجانب شخصٍ أصَمٍّ في اجتماعٍ عامٍّ، دَوِّن الملاحظات لكي يتمكَّن ذلك الشَّخص مِن فَهْم النِّقاط الأساسيَّة.

٤. إذا كانت المجموعة تتكلَّم بسرعة تفوق قدرة الأصَمِّ على المتابعة والفهم، لَخِّص له الحديث الذي دار بينكم. (يمكنك القيام بذلك دون لَفْت الأنظار).

التَّعامل مع الشَّخص المُقْعَد (المشلول)

١. عند التحدُّث مع شخصٍ مُقْعَد، حاول أن تجلس إن كان ذلك ممكنًا لكي تكون على مستوى نَظَرِه.

٢. إذا كنت تَدفع الكُرسيَّ المتحرِّك، تأكَّد أنَّك تعرف ما تقوم به- ولا سيَّما عند وجود منحدرات أو مرتفعات. تَجَنَّب السُّرعة الزَّائدة، واحترس مِن ارتطام مسند القدمين أو العجلتين بالأثاث أو بالنَّاس.

٣. اقترح على الشَّخص المُقْعَد أن تَحمل له أغراضه (الكُتُب، الكتاب المقدَّس، الدَّفتر، وغير ذلك) إذا كان يدفع الكُرسيَّ المُتحرِّك بنفسه وليس لديه مكان يَضَع فيه أشياءه.

٤. لا تَسمح للأطفال باستخدام الكُرسيِّ المتحرِّك للَّعب إلَّا إذا كان الشَّخص المُقْعَد صديقًا حميمًا ولا يمانع في ذلك. ومع ذلك، يمكن للشَّخص المُقْعَد أحيانًا أن يَعرض على مرأى الأطفال كيفيَّة استخدام الكُرسيِّ (أو قد يَسمح لهم باستخدام الكُرسيِّ المتحرِّك المزوَّد بمُحَرِّك). فمِن شأن ذلك أن يُوَسِّع مدارك الأطفال. ولكن ينبغي ترك الأمر لصاحب الكُرسيِّ للقيام بذلك.

التَّعامل مع الشَّخص الذي يَستخدم عُكَّازَيْن

١. عند مرافقة شخصٍ يمشي على عُكَّازَيْن، راعي سُرعته في المشي. فقد يكون الشَّخص بحاجة إلى المشي لتمرين عضلاته. لذلك، يمكنك المشي معه لا لأجل الحديث، بل لتشجيعه على المشي.

٢. احترس مِن أيِّ عوائق في الطَّريق. فالأرض المبلولة، والأشياء الحادَّة، وبعض أنواع السجَّاد قد تُسَبِّب السُّقوط المؤذي للأشخاص الذين يستخدمون عُكَّازَيْن.

٣. تَجَنَّب الإلحاح الشَّديد في تقديم المساعدة، أو في كيفيَّة تقديمها. وفي بعض الحالات والمواقف، قد يحتاج الشَّخص إلى مَن يَحمِلُه (لصعود السَّلالم أو هبوطها). ويمكنك- عادةً- أن تسأل الشَّخص عن أفضل طريقة لمساعدته. اتبع التَّعليمات لكي تساعد الشخص أن يتَجَنَّب السُّقوط لأنَّه مؤذٍ ومُحْرِج.

التَّعامل مع الشَّخص طَريح الفراش

١. إذا كانت زيارتك طويلة نوعًا ما، اجلس لكي يكون جوُّ الجلسة مريحًا.

٢. كُنْ مُرْهَف الحِسِّ لحاجات الشَّخص طريح الفِراش (فقد يحتاج ماءً، أو محرمة ورقيَّة، أو كتابًا، أو أيَّ شيءٍ آخر). لذلك، يمكنك أن تساعد هذا الشَخص في الأمور التي لا يمكنه القيام بها.

٣. الشَّخص طريح الفِراش يَجِد في بطاقات المُعايدة وباقات الورود عزاءً كبيرًا لأنَّها تُعَبِّر عن الصَّداقة.

٤. انتبه لموعد الزيارة، ومُدَّتها، وطبيعتها. وقد يكون حضورك ووجودك أكثر أهميَّة مِن حديثك. يمكنك أن تقرأ للشَّخص طريح الفِراش أو أن تُرَنِّم له. كذلك، فإنَّ المُسِنِّين طريحي الفِراش يستمتعون باسترجاع الذِّكريات القديمة.

الإعاقات العقليَّة

كما هي حال الإعاقات البدنيَّة، فإنَّ الإعاقات العقليَّة تتفاوت كثيرًا. فهناك صعوبات تَعَلُّم طفيفة تدوم سنوات طويلة دون أن يكتشفها أحد. ولكن هناك أيضًا إعاقات عقليَّة شديدة تستوجب الرِّعاية.

إنَّ النَّصائح والإرشادات العامَّة التي ذَكَرناها عند حديثنا عن الإعاقات البدنيَّة تَصِحُّ على الإعاقات العقليَّة أيضًا. ولكن يجب علينا أن نُلاحظ أنَّ الإعاقات العقليَّة تدفع كثيرين إلى المُزاح والتَّنكيت بطرائق غير لائقة أكثر مِن الإعاقات الأخرى. لذلك، فإنَّ التَّصرُّف السَّليم مع أصحاب الإعاقات العقليَّة يَعتمد كثيرًا على التَّربية في البيت. ولا شَكَّ أنَّ سلوك الوالِدَيْن مُهِمٌّ جِدًّا. ويجب أن يَسعى الأبوان إلى مساعدة أبنائهما على احترام جميع النَّاس دون استثناء. ففي كثيرٍ مِن الأحيان، يكون الأشخاص المصابين بإعاقات عقليَّة أصِحَّاء عاطفيًّا. لذلك، فَإنَّهم في حاجة إلى المحبَّة والقبول- شأنهم في ذلك شأن جميع النَّاس الآخرين. كذلك، فإنَّ مشاعرهم قد تُجْرَح بسهولة بسبب السُّخرية، أو القسوة، أو الرَّفض.

ولمساعدة الأبناء على التَّعامل مع أصحاب الإعاقات العقليَّة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يزيدوا وعي أبنائهم مِن خلال زيارة الأشخاص الذين يُعانون إعاقاتٍ عقليَّة (مع ضرورة تفسير السُّلوك السَّليم قبل القيام بالزِّيارة)، ومِن خلال مناقشة الكلمات اللَّائقة والكلمات غير اللَّائقة (فعلى سبيل المثال، ينبغي استخدام المُسَمَّيات الصَّحيحة مِثل «مُتلازمة داون» أو «مرض الزهايمر» بدلًا مِن «مجنون» أو «مخبول»). كذلك، يمكن زيادة وعي الأبناء مِن خلال قراءة قصص أو مقالات عن أناسٍ مصابين بإعاقاتٍ عقليَّة.

ومع أنَّ أغلبيَّة الإعاقات الجسديَّة تنجم عن حوادث أو إصابات، فإنَّ الإعاقات العقليَّة تنجم عادةً عن عوامل وراثيَّة- أي أنَّ الأطفال يولدون وهم يحملون الإعاقة. وعندما تكون الإعاقة العقليَّة شديدة، فإنَّ الأهل يحتاجون وقتًا طويلًا للتكيُّف مع الأمر. فقد يَشعُر الأهل بالمهانة والمذلَّة. وقد يشعرون بالغضب. وقد يطرحون أسئلة كثيرة تبدأ بالكلمة «لماذا؟»- لا سيَّما إذا كانوا يشعرون بأنَّ الحياة غير عادلة. ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ الغالبيَّة العُظمى مِن آباء المُعاقين وأمَّهاتهم قد سقطوا في فَخِّ الخوف. فهم يتساءلون كيف سيتمكَّنون من توفير العناية اللَّازمة لأبنائهم. وقد تستمرُّ مشاعر النَّقص هذه طَوال الحياة. كذلك، قد يشعر بعض الآباء والأمَّهات بالذَّنْب بسبب إعاقة ابنهم أو ابنتهم، أو بسبب عدم قدرة طفلهم على

الإنجاز. لذلك، قد يجد أهل الأطفال المعاقين فائدةً في هذه الإرشادات التالية:

١. قُم بخطوات ذهنيَّة ونفسيَّة لقبول ما لا يمكنك تغييره. وبالنِّسبة إلى المؤمن المسيحيِّ، فإنَّ هذا الأمر مُرتبط دائمًا بالإيمان بأنَّ الله هو صاحب السِّيادة والسُّلطان، وأنه يَفعل ما هو لمصلحتنا ولأجل خيرنا الأبديِّ.

٢. تَحَدَّث إلى آخرين واجهوا الموقف نفسه. قد يساعدك هذا الأمر في التَّعبير عن مشاعرك، وفي الحصول على نصيحة جيِّدة.

٣. اقرأ عن المشكلة. الكثير مِن صِراعات الآباء والأمَّهات تَختصُّ بالخوف مِن المجهول.

٤. وَفِّر الرِّعاية لطفلك المعاق في البيت وليس في إحدى مؤسَّسات الرِّعاية الصحِّيَّة إذا كان ذلك ممكنًا. فقد أظهرت الدِّراسات- مرارًا وتكرارًا- أنَّ المعاقين عقليًّا يُبدون تَحَسُّنًا ملحوظًا في ظِلِّ الرِّعاية البيتيَّة أكثر مِمَّا يفعلون في مؤسَّسات الرِّعاية- مع أنَّ الرِّعاية البيتيَّة التي يوفِّرها الأهل يُمكن تكميلها (من خلال مؤسَّسات الرِّعاية).

٥. إذا كانت رعاية طفلك المُعاق تتطلَّب وقتًا وجهدًا منك، احرص على أخذ فترات راحة.

٦. دَوِّن الأشياء التي تستحقُّ أن تشكر الله عليها، وعَبِّر عن شكرك لله.

٧. شارك أصدقاءك الحميمين بمشاعرك العميقة، وصَلُّوا معًا، واحتفظ بكرَّاسة أو دفتر لتدوين يوميَّاتك بخصوص هذه الأشياء.

٨. عامِل الشَّخص المعاق معاملة طبيعيَّة قدر الإمكان. لا تُغالي في عواطفك نحوه أو الاهتمام المُبالَغ فيه. فقد يؤدِّي ذلك إلى تأخير تَحَسُّن الطِّفل المعاق، أو قد يزيد التوتُّر في العائلة.

٩. وَزِّع المسؤوليَّات بين أفراد العائلة. فالأطفال يستفيدون عادةً عندما يَضطلعون بالمسؤوليَّات.

الطِّفل المصاب بإعاقة عقليَّة (مِثل مُتلازمة «داون») قد يتطلَّب عناية أكبر. وقد تكون حياته قصيرة- ولا سِيَّما عند وجود مضاعفات أخرى. وقد لا يكون الأبوان وأفراد العائلة مستعدِّين للصَّدمة العاطفيَّة في حال موت طفلهم المعاق في مرحلة مبكِّرة. فعندما يحتاج أحد أفراد العائلة إلى مزيدٍ مِن الرِّعاية، لا بُدَّ مِن تَشَكُّل روابط عاطفيَّة بينه وبين عائلته. وحين تنكسر هذه الرَّوابط بموت المريض، فإنَّ موته يُفْضي إلى حزنٍ تعجز الكلمات عن وصفه.

ولا شَكَّ أنَّ الأشخاص الذين واجهوا هذا الأمر يعرفونه جيِّدًا. وعلى أيِّ حال، سنُقَدِّم في جزءٍ لاحقٍ مِن هذا الفصل بعض النِّقاط المفيدة في ما يَخُصُّ التَّعامل مع حالات الموت.

رعاية الأبوَيْن المُسِنَّيْن

«أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» (الخروج ٢٠: ١٢). وأيضًا: «وَلكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلاَدٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلاً أَنْ يُوَقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمِ الْمُكَافَأَةَ، لأَنَّ هذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللهِ....وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١تيموثاوس ٥: ٤ و ٨).

إنَّ الكتاب المقدَّس واضح في تعليمه بأنَّه ينبغي للأبناء أن يُكْرِموا آباءهم وأمَّهاتهم. والحقيقة هي أنَّ تعريف يسوع للإكرام يَشمل لا الاحترام فحسب، بل وأيضًا تقديم المعونة المادِّيَّة والماليَّة (إنجيل مَتَّى ١٥: ٣-٦). فالكثير مِن الآباء المُسِنِّين والأمَّهات المُسِنَّات يحتاجون إلى الرِّعاية والعناية. فقد لا يعودون قادرين على العمل والإنفاق على أنفسهم أو بيتهم. وحينئذٍ، يجب على أحدٍ ما أن يساعدهم. والكتاب المقدَّس يقول إنَّ الأبناء والأقارب هم المسؤولون بالدَّرجة الأولى. وإذا كانت الحاجات أكثر مِن قدرة الأبناء والأقارب، يجب على الكنيسة أن تُساعد.

وتتفاوت حاجات الأبوَيْن في سِنِّ الشَّيخوخة تفاوتًا هائلًا. وفي أغلب الأحيان فإنَّ الأشخاص الذين يُتوقَّع منهم أن يَعتنوا بهم يَفتقرون للمهارات اللَّازمة والتكيُّف المطلوب. لذلك، سنبتدئ في الحديث عن مجموعة مِن العوامل التمهيديَّة التي تَجعل العناية بالأبَوَيْن أكثر سهولةً وتَقَبُّلًا. ثم سنذكر بعض النِّقاط العمليَّة المفيدة للأشخاص الذين يُقَدِّمون هذه الرِّعاية.

الاستعداد لتقديم رعاية فَعَّالة

مع أنَّ رعاية المُسِنِّين قد تُفْضي إلى بركات عظيمة، فإنَّها قد تَفرض ضغطًا كبيرًا على العائلة. وقد يكون هذا الأمر خارجًا عن سيطرة جميع الأشخاص المَعنِيِّين. بعبارة أخرى، فإنَّ بعض أنواع الرِّعاية صعبة- أيًّا كانت طريقة التَّعامل معها. ولكن قد تكون الصُّعوبة ناجمة أحيانًا عن عوامل سلبيَّة كانت موجودة قبل فترة طويلة مِن ظهور الحاجة للرِّعاية. والنِّقاط التَّالية تُبَيِّن بعض متطلَّبات تقديم رعاية سليمة وفَعَّالة للأبوَيْن المُسِنَّيْن:

١. **إنَّ الآباء والأمَّهات هُم الذين يُحَدِّدون نوعيَّة الرِّعاية التي سيحصلون عليها في شيخوختهم وذلك مِن خلال نوعيَّة الرِّعاية التي يُوفِّرونها لأبنائهم.** فلا شَكَّ أنَّ الأطفال الذين تَلَقُّوا رعاية جيِّدة في بيئة مُفعمة بالمحبَّة والقبول سيكونون أفضل استعدادًا لتوفير هذه الرِّعاية لأبوَيْهمالمُسِنَّيْن. وهذا لا يعفي أحدًا مِن غمر والدَيْه بالمحبَّة وإكرامهما. ولكن يقتضي التَّنويه إلى أنَّ الكثير مِن المشكلات القائمة في السَّنوات الأخيرة للشَّيخوخة هي نتيجةً مباشرةً لتوتُّر في العلاقة بين الأبوَيْن والأبناء لم تُعالج في السَّنوات السَّابقة. فإذا لم يُعالج الآباء والأمَّهات مشاعر الغضب لديهم، وحُبّ السَّيطرة على أبنائهم، وروح السُّخرية والانتقاد، وتحطيم معنويات الأبناء، فإنَّ هذه المشكلات سترتَدُّ عليهم عندما يجد الأبناء أنفسهم مُطالبين برعاية أبوَيْهم. ومِن دواعي الأسف أن نقول إنَّ العادات السيِّئة تزداد سوءًا بتقدُّم السِّنِّ.

٢. **كُلَّما زادت علاقة المحبَّة المسيحيَّة بين الأخوة والأخوات، زادت فرصة تَكَيُّفهم وتأقلمهم مع الصُّعوبات النَّاجمة عن العناية بأبوَيْهم المُسِنَّيْن.** ولكنَّ الحروب الباردة قد تَنْشُب بسهولة بين أفراد العائلة وتصير حربًا ضَروسًا حين تصير العناية بالأبوَيْن المُسِنَّيْن ضرورة مُلِحَّة. فالمشاجرات، والغيرة، والضَّغينة بين الإخوة والأخوات تُعيق التَّعاون اللَّازم بينهم لتقديم الرِّعاية لأبوَيْهم المُسِنَّيْن.

٣. **التَّواصُل الفعَّال في العائلة ضروريٌّ مِن أجل التَّخطيط للرِّعاية وتقديمها.** لذلك، يجب على جميع الأبناء أن يدركوا حالة الأبوَيْن الجسمانيَّة، وكيفيَّة توزيع المهام على الجميع، والوضع المالِيَّ السَّائد، والضُّغوط التي يتعرَّض إليها الأشخاص الذين يُقَدِّمون الرِّعاية لأبوَيْهم المُسِنَّيْن. ولا شَكَّ أنَّ ضعف التَّواصُل بين الأبناء يُفضي إلى سوء توزيع المهام. فقد يَضْطَلِع بعضٌ منهم بمهام كثيرة لأنَّ إخوتهم وأخواتهم الآخرين عديمي المبالاة. لذلك، يجب على الأبناء أن يتَّفقوا بخصوص العناية بالوالِدَيْن المُسِنَّيْن قبل أن تحين السَّاعة لذلك. وقد يكون لدى الأبوَيْن اقتراحات أو طلبات بهذا الخصوص. حينئذٍ، يجب على الأبناء احترام هذه الاقتراحات والطَّلبات قدر استطاعتهم. وفي مُطلق الأحوال، فإنَّ المفتاح الأساسيَّ للتَّعاون بين الإخوة والأخوات هو التَّواصُل الفَعَّال.

٤. **يجب على العائلات المؤمنة أن تحافظ على العقليَّة التي تُنادي بوجوب العناية بالأبوَيْن المُسنَّيْن. فالثَّقافة المعاصرة لا تميل- عمومًا- إلى احترام المُسِنِّين والعناية بهم.** أمَّا إذا أراد

المؤمنون في المجتمعات المعاصرة أن يحافظوا على هذه العقليَّة التي تُنادي بوجوب رعاية الأبوَيْن المُسِنَّيْن، يجب عليهم أن يُفَكِّروا في العوامل الثقافيَّة التي تُحارب هذه العقليَّة. فَكِّر في النِّقاط التَّالية:

عوامل ثقافيَّة معاصرة تُعارض رعاية المُسِنِّين

١. **سُرعة الحياة.** فالمجتمع المعاصر سريع الحركة. أمَّا المُسِنُّون فبطيئون. لذا فإنَّهم ليسوا مُناسبين لجداول العمل المعاصرة. لذلك، عوضًا عن أن تَقبل الثَّقافات المعاصرة واقع الشَّيخوخة، فإنَّها تميل إلى التَّفكير في المُسِنِّين كأشخاصٍ يَستنزفون وقتهم وطاقتهم.

٢. **التَّغيير.** إنَّ التغيير الدَّائم هو عامل وثيق الصِّلة بسُرعة الحياة. فالأشياء الجديدة تبقى قيد الاستعمال إلى أن تُستبدَل بأشياء مُحَسَّنة. لذلك، لا يُمكن للمُسِنِّين مواكبة هذه التَّغييرات السَّريعة. فَهُمْ يقومون بالأشياء بالطَّريقة نفسها دائمًا. وكُلَّما تقَدَّموا في السِّنِّ، زادت مقاومتهم للتَّغيير. وإذا أردنا تبسيط الأمر، فإنَّ عقولهم تعمل بأفضل مستوى ممكن بالطَّرائق التَّقليديَّة. وفي أغلب الأحيان فإنَّ الجيل الأصغر سِنًّا يَكْبُر وهو حانِق على «عِناد» المُسِنِّين. لذلك فإنَّه يَخسر فرصة الاستفادة مِن حِكمتهم.

ولكن إذا أرادت العائلات المسيحيَّة أن تحافظ على إكرامها للمُسِنِّين، والتزامها برعايتهم، يجب عليها أن تقاوم الفكرة القائلة إنَّ كِبار السنِّ مصدر إزعاج. لذا، يجب على العائلة المسيحيَّة أن تتجنَّب العيش بسرعة، وأن تحترم طرائق المُسِنِّين، وأن تَقبل التَّغييرات التي تقتضيها الحكمة، وأن تُقَدِّر الاتِّكال المُتبادل بين الأجيال، وأن تَقبل واقع الحياة والموت والأبديَّة. فهذا النَّمَط مِن الحياة يُعطي مكانًا للمُسِنِّين.

فإذا قَبِلنا سُرعة الحياة المعاصرة وقِيَمها على حساب أبوَيْنا المُسِنَّيْن، وعلى حساب توفير الرِّعاية اللَّازمة لهما، ألا نُعَرِّض أنفسنا لتوبيخ الربِّ يسوع؟ «ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حَسَنًا! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ! لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمُ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ، أَيْ هَدِيَّةٌ، هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئًا لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ»» (إنجيل مرقس ٧: ٩-١٣). ويمكننا إعادة صياغة كلمات الربِّ يسوع كما يلي: «إنَّ النَّاس في وقتنا الحاضر يحاولون إبطال وصايا الله. فكلمة الله

تقول: أكْرِم أباكَ وأُمَّك. وأمَّا أنتم فتقولون: «لا يمكنني ذلك. فالوقت والمال اللَّازِمَيْن للعناية بأبي وأمِّي سيستنفدان عملي الإضافيَّ وأموالي التي ادَّخرتُها لإجازتي السنويَّة. كذلك، فإنَّ ذلك سيؤثِّر سلبًا في خصوصيَّتي وحُرِّيَّتي». لذلك، فقد أفرغتم وصايا الله مِن معناها بسبب نمط حياتكم وقِيَمكم. وقد تَنَصَّلتُم مِن مسؤوليَّة رعاية أبَوَيْكُم وسَلَّمْتُموها إلى آخرين».

توفير الرِّعاية الفعَّالة للأبوَيْن المُسِنَّيْن

كما ذكرنا آنفًا، فإنَّ حاجات الأبوَيْن المُسِنَّيْن تَتفاوت تفاوتًا كبيرًا. وهناك طرائق كثيرة وعديدة لإشباع هذه الحاجات. فحاجة بعض الآباء والأمَّهات إلى الرِّعاية تظهر تدريجيًّا. ولكنَّ آخرين قد يحتاجون إلى الرِّعاية فجأةً بسبب إصابتهم بالسَّكتة الدِّماغيَّة، أو الجلطة، أو بسبب حادثٍ ما. وهناك آباء وأمَّهات يُصابون بأمراض قاتلة كالسَّرطان، أو أمراض أخرى كالزهايمر أو باركنسون، فتتدهور صِحَّتهم بطيئًا أو سريعًا حسب الحالة. وفي أغلب الأحيان فإنَّ أحد الأبوَيْن يحتاج إلى الرِّعاية قبل الآخر. وفي بعض الحالات، قد يحتاج الآباء والأمَّهات إلى الرِّعاية قبل حتَّى أن يكونوا مُستعدِّين لتَلَقِّيها. فقد يأتي وقتٌ لا يعودون فيه قادرين على قيادة السيَّارة، أو طَهي الطَّعام، أو العناية بأنفسهم. ومع ذلك، فإنَّهم يُصِرُّون على أنَّهم قادرون على ذلك. ولكن كيف يمكن للأبناء توفير الرِّعاية الفعَّالة لأبوَيْهم المُسِنَّيْن؟

لا توجد إجابة قاطعة. فالرِّعاية تتفاوت حسب حاجات النَّاس وشخصيَّاتهم. ولكنَّ النِّقاط التَّالية هي نقاط عامَّة يمكن الاستفادة منها في رعاية الأبوَيْن المُسِنَّين:

١. **ابقَ على اطِّلاع دائم بحالة أبوَيْك الصحِّيَّة.** ثَقِّف نفسك في الأمراض والمشكلات الصحِّيَّة لدى والِدَيْك. اعرف الأعراض، والتَّشخيص الطِّبِّي، والعلاج المُتاح.

٢. **تَعَرَّف إلى وسائل المساعدة المُتاحة لوالِدَيْك ولك أنت أيضًا أثناء رعايتهما.** فقد يتمكَّن أفراد العائلة مِن مساعدتك وإراحتك بين الحين والآخر. وإذا كانت الرِّعاية صعبة على أفراد العائلة، يمكن للكنيسة المحليَّة أن تساعد في تكميل الرِّعاية اللَّازمة. ولا شَكَّ أنَّ قبول هذه المساعدة يتطلَّب تواضعًا منك. ولكن إذا لم تَطلب هذه المساعدة مِن أصحاب القلوب الكبيرة، كيف سيعرفون أنَّك في حاجة إلى العون؟ كذلك، هناك مراكز خاصَّة لرعاية المُسِنِّين- ولا سِيَّما أولئك الذين يعانون أمراضًا مُعَيَّنة.

٣. **أَحِطْ أباك وأمَّك بالأجواء المألوفة بالنسبة إليهم قدر الإمكان.** ويجب أن تَعلم أنَّ أغلبيَّة

المُسِنِّين يقاومون التَّغيير. وفي حال وجود تغييرات جذريَّة (حتَّى لو كانت لمصلحة والدَيْك)، قد يُقابلها والداك بالرَّفض والجحود التَّامَّيْن. فالتَّغيير يزيد حنين المُسِنِّين إلى الماضي. لذلك، مِن الأفضل إبقاء الأبوَيْن في بيتهما أطول فترة ممكنة. وعندما يحتاجان إلى الرِّعاية، مِن الأفضل أن يتولَّى أفراد العائلة هذه المسؤوليَّة. وفي بعض الأحيان، قد يلتحق الأبوان بمركز خاص لرعاية المُتقاعدين قبل أن يصيرا في حاجة إلى الرِّعاية. وفي هذه الحالة فإنَّ المركز نفسه يُوفِّر لهما الرِّعاية في السَّنوات اللَّاحقة. فإذا كان هذا هو اختيار الأبوَيْن، لا تعارضهما. ولكنَّ مراكز كهذه تتطلَّب منهما انتظارًا طويلًا إلى أن يحين دورهما. كذلك، فإنَّ كُلْفة الرِّعاية تَفوق بكثير قدرة النَّاس الماديَّة.

٤. **مع تَقَدُّم والدَيْك في السِّنِّ، رَكِّز على ما يمكنهما القيام به- لا على ما لا يمكنهما فعله.** فعندما لا يعودان قادرَيْن على القيام بالمهام المعهودة (قيادة السيَّارة، أو الخياطة، أو طهي الطَّعام، أو غير ذلك)، سيميلان إلى التحدُّث بإسهاب عنها. لذلك، إذا لم تَعُد الجَدَّة قادرة على تعليق الملابس في مكانها، قد يكون بمقدورها طهي الطَّعام. وإذا لم تكن قادرة على طهي الطَّعام، يمكنها إعداد المائدة. وإذا لم يَعُد الجَدُّ قادرًا على العمل خارج المنزل، يمكنه صُنع الهدايا التذكاريَّة أو ممارسة إحدى الحِرَف اليدويَّة في المنزل. أسْبِغ عليهما عبارات التَّقدير والتَّشجيع والمديح. فالتَّركيز على الأمور السلبيَّة يُضَيِّق الأفق عادةً ويقضي على الأفكار الإبداعيَّة.

٥. **تَجَنَّب التَّواصُل غير الفَعَّال.** فقد يصير المُسِنُّون سلبيِّين في تفكيرهم أو أحاديثهم. فهُم يشعرون بالخوف، والوحدة، والحسرة على ما خسروه وفقدوه في حياتهم. وقد يتذمَّرون مِن القيود المفروضة عليهم. فعلى سبيل المثال، قد يسأل الأبُ المُسِنُّ يوميًّا: «لماذا لا يمكنني قيادة السيَّارة؟ ألم تعودوا تَثِقون بي؟» وقد يتعيَّن عليك الردَّ يوميًّا: «لقد أخبرتك مرارًا وتكرارًا أنَّ هذا ليس آمنًا. فردود فعلك بطيئة. ونحن نَرى أنَّه مِن الأفضل أن تَمتنع عن قيادة السيَّارة». وقد يُجيبك قائلًا: «مَن تعني بالكلمة {نحن}؟» وقد يستمرُّ الحوار بهذه الطَّريقة. والحقيقة هي أنَّ الأب المُسِنَّ الذي يخوض حديثًا كهذا لا يبحث عن إجابات منطقيَّة، بل هو يتحسَّر على خسارته. لذلك، تَقترح إحدى السيِّدات (وهي سَيِّدة مضى على رعايتها لأمِّها المُسِنَّة سِتُّ سنوات) ما تُسَمِّيه «الإصغاء الفَعَّال».[٤١] والإصغاء الفعَّال يُرَكِّز على مشاعر الشَّخص الآخر مِن خلال إعادة صياغة كلماته. فعلى سبيل

المثال، في الموقف السَّابق، قد يُجيب المُصغي الفَعَّال قائلًا: «أعتقد أنَّه مِن الصَّعب على المرء أن يتوقَّف عن القيام بشيءٍ مُهمٍّ مِثل قيادة السيَّارة. هل تشعر بأنَّك غير مفيد؟» فأجوبة كهذه تتعاطف مع مشاعر الشَّخص المُسِنِّ وتُعيد توجيه دفَّة الحديث بعيدًا عن الجدل الذي لا طائل مِنه.

٦. **إذا انتقل أحد الوالِدَيْن للعيش معك في منزلك، احترم حدوده وبَيِّن له حدوده.** ولا شَكَّ أنَّ قَوْل ذلك أسهل مِن تطبيقه. فلكُلِّ شخصٍ «خُصوصيَّته» الشخصيَّة التي يُحِبُّ الحفاظ عليها. كذلك، فإنَّ لكُلِّ عائلة «خُصوصيَّتها». لذلك، إذا دعوتَ أباك أو أمَّك للعيش معك في منزلك، تَوَقَّع أن يتمَّ التَّعامل معه كما لو كان مُتَطَفِّلًا على خُصوصيَّة زوجتك وأبنائك. وقد يتضاعف الإحساس الدَّاخليُّ بالإحباط المتعلِّق بالمشاعر السَّلبيَّة المُصاحِبة لهذا التطفُّل بسبب عدم إدراك المُسنِّين، وأبنائهم الذين يستضيفونهم، والأحفاد لمسألة الخصوصيَّة والتطفُّل بشكلٍ واضحٍ وجَليٍّ. فقد يشعر أبناؤك بأنَّ خصوصيَّتهم قد انْتُهِكَت إذا دخل الجَدُّ أو الجَدَّة غُرَف نومهم دون استئذان، أو إذا قامت الجَدَّة بتوجيه الأوامر والتعليمات إليهم (على الرغم من كون هذه الخصوصيَّة المُنتَهَكَة معنويَّة وغير ملموسة مثلما هو الحال مع غرف نومهم). وبالمقابل، في نظر المُسِنِّين، قد يكون الانتقال للسَّكن مع أحد الأبناء تَخَلِّيًا عن الخُصوصيَّة. وقد يُعطي المُسِنُّون أنفسهم أحيانًا بعض المزايا (التي ربما هي ليست من حقهم) دون التَّفكير في تأثير ذلك على الآخرين. وقد يكون الآباء والأمَّهات الذين ينتقلون للعيش مع أبنائهم بصحَّة جيِّدة أو متوسِّطة أو سيِّئة. لذلك، فإنَّ مستوى الرِّعاية المطلوب يختلف مِن حالة إلى أخرى. ومع ذلك، مِن الأفضل وجود منطقة مع نوافعها أو على الأقل غرفة مستقلَّة في المنزل يمكن للأب المُسِنِّ (أو الأمِّ المُسِنَّة) أن يستخدمها. ويجب أن يبقى الاهتمام بهذا المكان وترتيبه بيد الشخص المُقِيم (أيْ الشخص المُسِنّ) قدر الإمكان. ويمكن للابن وزوجته (أو الابنة وزوجها) أن يناقشا موضوع الخصوصيَّة هذا حسب الضَّرورة. ولكن في أغلب الأحيان فإنَّ هذا يتطلَّب توضيح المسائل المختصَّة بالتَّفاصيل الدَّقيقة مِثل فتح الرَّسائل الواردة، واستخدام المطبخ، وتربية الأبناء.

وقد يكون احترام الخصوصيَّة أمرًا مُعقَّدًا بسبب انعكاس الأدوار. فالابن (أو الابنة) هو الذي يعتني بوالده أو والدته في بيته. وقد يشعر الابن (أو الابنة) بصراعٍ مريرٍ

فيعود إلى ممارسة دوره كابن، ويعطي أباه أو أمَّه كامل الصَّلاحيَّة في بيته. وعند حدوث مشكلة، يجب مناقشتها بصدق، وصراحة، واحترام. وإذا كانت أُمُّ الزَّوج تريد فَرْض أسلوبها وطريقتها في المطبخ، قد يتوجَّب على زوجة ابنها أن تضع قاعدةً تقول: «أنا أختار الوجبة. وأنتِ تُعِدِّينها». أو: «أنتِ تُعِدِّين وجبة الغداء، وأنا أهتمُّ بالفطور والعشاء». وقد يشكو الأب (أو الأُمُّ) الذي ينتقل للعيش في بيت ابنه (أو ابنته) مِن أنَّ أولاد ابنه (أو ابنته) يَفتقرون إلى الانضباط. وقد يكون ذلك صحيحًا. ولكن يجب أن نتوقَّع وجود هذه المنافسة الحامية في بيتٍ تعيش فيه ثلاثة أجيال تحت سقفٍ واحد. وفي أغلب الأحيان فإنَّ أساس هذه المنافسة يعود إلى انتهاك الخصوصيَّة. لذلك، كُلَّما زاد وضوح مسألة الخصوصيَّة واحترامها، زاد التَّوافق بين جميع القاطنين في البيت.

٧. **اعتنِ بنفسك.** فعندما يحتاج الأب المُسِنُّ (أو الأُمُّ المُسِنَّة) إلى الرِّعاية، فإنَّ الشَّخص الذي يُقَدِّم هذه الرِّعاية يُقَدِّم معها تضحيات هائلة. وهذا أمر لا غُبار عليه البَتَّة. فالتَّضحية الشخصيَّة تعليمٌ أساسيٌّ في الكتاب المقدَّس وله مكافآته. ولكن تحت وطأة هذه الرِّعاية التي يُقَدِّمها المرء لأبيه المُسِنِّ أو أُمِّه المُسِنَّة، قد يُهْمِل حاجاته وحاجات عائلته. لذلك، «يجب الاهتمام بوجود توازن في سَدِّ جميع الحاجات- بما في ذلك حاجات الشَّخص الذي يُقَدِّم الرِّعاية....إنَّ أهَمَّ شيءٍ يمكنك أن تُقَدِّمه لأبيك أو أُمِّك هو نفسك.»[٢٤] فإذا كنت تأخذ إجازات، وترتاح، وتقرأ الكتاب المقدَّس، وتُصَلِّي، وتهتمُّ بعائلتك، وتفعل الأشياء التي تُحِبُّها شخصيًّا، فإنَّ هذا كُلَّه سيُنعشك ويُبقيك مُعافى بدنيًّا، ونفسيًّا، وروحيًّا. كذلك، فإنَّه سَيصُبُّ- في نهاية المطاف- في مصلحة أحِبَّائك. وقد يتطلَّب الأمر أن تَطلب العون. وقد يعني هذا أيضًا أن تَعْجَز عن إرضاء الشَّخص الذي تَعتني به. بل إنَّ هذا قد يُفْضي أحيانًا إلى إساءة فهم الآخرين لك. وإذا كان المرء الذي يُقدِّم الرِّعاية يتصرَّف بدافع الشُّعور بالذَّنب أو الكبرياء، سيكون مؤلمًا له طلب المساعدة مِن الآخرين، أو عدم قدرته على تحقيق توقُّعات الأب المُسِنِّ أو الأُمِّ المُسِنَّة (أو الآخرين). لذلك، يجب اتِّخاذ القرارات المُختصَّة بالحاجات الشخصيَّة بالتَّشاور مع أفراد العائلة الآخرين أو مع راعي الكنيسة أو زوجة راعي الكنيسة. وللمساعدة في تقييم الحاجات الشخصيَّة، يمكنك أن تطرح الأسئلة التَّالية على نفسك مِن وقتٍ إلى آخر:

- هل أشعُر بالتَّعب والإرهاق دائمًا؟

- هل أُعاني أوجاعًا مُستمرَّة (صُداعًا، أو حرقة في المعدة، أو ألَمًا في الصَّدر، أو غير ذلك)؟
- هل أتناول حاجتي مِن الطَّعام المغذِّي المتوازن؟
- هل أشعر بالاكتئاب في أغلب الأحيان؟
- هل ضحكتُ في الأسابيع الأخيرة؟
- هل هناك أشياء تضايقني منذ فترة ولم أناقشها بعد مع أيِّ شخص؟
- هل أشعر بالامتعاض مِن أشخاصٍ مُعَيَّنين في العائلة؟
- هل أسمع شكوى وتذمُّر دائمَيْن مِن عائلتي بسبب الأمور التي لا أقوم بها؟
- هل علاقتي بشريك حياتي دافئة وصريحة؟
- هل حياتي الروحيَّة سليمة؟
- هل أشعر بسلامٍ داخليٍّ حين أُصَلِّي؟
- هل أُرَنِّم أو أُرَدِّد التَّرانيم في ذهني عادةً؟

وكما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ العناية بالوالدين المُسِنَّيْن تنطوي على مشكلات ليس لها حلول سهلة. ولكن كما هي الحال مع المشكلات الأخرى، فإنَّ المؤمن المسيحيَّ قادر على التمسُّك بوعود الربِّ الواردة في الكتاب المقدَّس. فالله يَعِدُ بأن يعطي الحكمة لمن يطلبها بإيمان (رسالة يعقوب ١: ٥)، وبأن يُعطِي القوَّة للمُتْعَبين الذين يَنتظرونه (إشعياء ٤٠: ٣١)، وأن يكون مع الذين يَفعلون مشيئته (يشوع ١: ٩).

قصَّة مِن واقع الحياة

كانت «آيلين» في الرَّابعة والستِّين مِن عُمرها عندما ابتدأت تحتضر بسبب إصابتها بالسَّرطان. وكان زوجها «لستر» يعتني بها بمساعدة ابنتهما «سارة» التي كانت تعيش في الجوار. ومع أنَّ «آيلين» لم تكن تتألَّم كثيرًا، فقد كانت في حاجة إلى رعاية مستمرَّة مع مرور الوقت بسبب تدهور صحَّتها وتَفَشِّي السَّرطان في جسمها. وعندما صار عبء الرِّعاية ثقيلًا على «لستر»، انتقلت سارة وعائلتها للعيش مع والدَيْها في المنزل نفسه.

كانت «آيلين» في كامل وعيها ومُتفهِّمة في أغلب الأوقات. ولكن في أوقاتٍ أخرى، كانت تقوم بأمورٍ أو تُفَكِّر في أمورٍ غير معقولة البَتَّة. وفي بعض الأوقاتٍ، كانت الكلمات تخونها وتعجز عن تذكُّر الجُملة التي تريد قولها. كذلك، كانت صِحَّتها الجسديَّة تتدهور، وكانت تفقد قوَّتها البدنيَّة تدريجيًّا، وكانت أعضاؤها لا تعمل بالكفاءة المطلوبة. كان ذلك مؤلمًا لجميع أفراد العائلة- لا سيَّما أنَّ «آيلين» كانت نَشِطَة دائمًا وتتمتَّع بصحَّة جيِّدة. بل إنَّها كانت تساعد الآخرين ولا تحتاج إلى مساعدة مِن أيِّ شخص. وقد زاد عبء الرِّعاية كثيرًا على أفراد العائلة بسبب الضَّغط النفسيِّ والعاطفيِّ عليهم لرؤية صِحَّة «آيلين» المحبوبة تتدهور تدريجيًّا.

وقد وجد «لستر» وابنته «سارة» أنَّ الضَّغط يفوق كُلَّ توقُّعاتهما. فقد كانت ساعات نومهما أقَلَّ مِن حاجتهما. وكانت أعباء الرِّعاية في زيادة مستمرَّة. وكانت الأحوال تتدهور يوميًّا....وكانت هناك أوقات يفقدان فيها صبرهما مع «آيلين» بسبب التوتُّر الذي يعيشانه. وحينئذٍ، كان ضميرهما يؤنِّبهما بسبب عدم مراعاتهما مشاعر «آيلين» ونقص محبَّتهما لها. ومع أنَّ الأصدقاء كانوا يُقَدِّمون النَّصائح والتَّشجيع لهما، فإنَّ أحدًا منهم لم يكن يُدرك صعوبة حياتهما اليوميَّة. ومع ذلك، فقد كان تعاون «لستر» وابنته «سارة» مثمرًا ومفيدًا. فقد كان كُلٌّ منهما يُريح الآخر، ويتحدَّث إلى الآخر عن الإحباط الذي يشعر به.

وبعد موت «آيلين»، تَعَجَّب «لستر» وابنته «سارة» من قدرتهما على القيام بكُلِّ تلك المهام والمسؤوليَّات، ومن قدرتهما على احتمال كُلِّ ذلك الضَّغط والتوتُّر في الشَّهر الأخير. ولو كان بمقدورهما أن يعودا إلى الماضي وينظرا إلى المستقبل وأن يشاهدا مسبقًا كُلَّ شيء فَعَلاه، مِن المؤكَّد أنَّ أوَّل كلماتٍ كانا سينطقان بها هي: «هذا مستحيل!» لذلك، عندما نظرا إلى الوراء وأدركا الأمور التي قاما بها، شكرا الربَّ على ذلك. فبالرَّغم من كُلِّ الصُّعوبات والضِّيقات، كان هناك فرح عظيم في قلب «لستر» و «سارة» نَابع مِن معرفتهما بأنَّهما قد أكرما «آيلين» التي لطالما أحبَّت الجميع، وأنَّهما وقفا إلى جانبها في أصعب

مِحنة مَرَّت بها في حياتها، وأنَّهما اختبرا (وواجها بنجاح) حقيقة المرض والموت أمام أعينهما، وأنَّهما تركا نموذجًا يُحتذى لأبناء «سارة»- وهي أمور تستحقُّ التَّضحيات التي قاما بها.

مواجهة الموت

إنَّ الموت ليس سهلًا البَتَّة. ومع ذلك، فإنَّه أكثر جانب في وجودنا يضعنا وجهًا لوجهٍ أمام عددٍ مِن الحقائق التي لا مَفَرَّ منها. فنحن لسنا في مأمنٍ تامٍّ على الأرض. ونحن لا نملك وعدًا بأنَّنا سنبقى هنا. والحياة البشريَّة هَشَّة ومحدودة. والرَّوابط التي تربطنا بالآخرين على الأرض قد تنتهي في أيِّ لحظة.

وقد يأتي الموت بطرائق عديدة. وقد يكون متوقَّعًا أو فُجائيًّا. وعندما يأتي الموت فجأةً فإنَّه يكون صادمًا . وهناك مَن يموتون في هدوءٍ وسكينة. وهناك مَن يموتون في سِنٍّ مُتقدِّمة. وهناك مَن يموتون في مُنتصف الحياة. وهناك مَن يموتون في الطُّفولة. وهناك مَن يموتون حتَّى قبل أن تُتاح لهم فرصة أخذ الشَّهيق الأوَّل.

والحقيقة هي أنَّ كُلَّ موتٍ صعب بطريقته الخاصَّة لأنَّ لِكُلِّ فردٍ كيانه المُنفرد، وطرائقه الخاصَّة، ومشكلاته الشخصيَّة، وانتصاراته، وعلاقاته. ويُعَدُّ موت شريك الحياة صعبًا بسبب السَّنوات الطَّويلة التي يعيشها الزَّوجان معًا، والذِّكريات الجميلة، والرَّابطة القويَّة بينهما. ويُعَدُّ موت الطِّفل صعبًا لأسبابٍ مختلفة تمامًا. فالأهل يُصْدَمون عند موت ابنهم بسبب توقُّعاتهم، وتطلُّعاتهم، ورابطتهم الجديدة مع هذا الابن. ويكون الموت صعبًا ومؤلمًا جدًّا عندما يأتي فجأةً دون سابق إنذار. كذلك، فإنَّ الموت المتوقَّع صعبٌ جدًّا أيضًا بسبب الضَّغط النفسيِّ النَّاجم عن مراقبة أحد الأحباء وهو يذوي ويحتضر. وببساطة مُتناهية، فإنَّ الموت مؤلم دائمًا. ومع أنَّ الحُزن النَّاجم عنه قد يتفاوت مِن حالة إلى الأخرى، فإنَّه لا مُبَرِّر يدعونا إلى التَّقليل مِن أيِّ حُزْنٍ لأنَّ الموت مُحْزِن في كُلِّ الحالات.

وبالنِّسبة إلينا، كمؤمنين مسيحيِّين، فإنَّ شوكة الموت الحقيقيَّة قد انتُزِعَت بقيامة يسوع المسيح. فنحن نمتلك رجاءً راسخًا بأنَّنا سنحيا إلى أبد الآبدين مع الله. ومع ذلك، قد يَظُنُّ بعض المؤمنين أنَّ هذا اليقين يَحميهم مِن الشُّعور بالحزن لفُراق أحِبَّائهم. لكنَّ الأمر ليس كذلك. فالمؤمنون المسيحيُّون يحزنون ويبكون أيضًا- ولكن ليس «كَالبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ

لَهُمْ» (١تسالونيكي ٤: ١٣). فيقيننا الرَّاسخ بوجود السَّماء والحياة الأبديَّة مع الله يُوفِّر لنا لا الاستقرار النفسيَّ فحسب، بل وأيضًا الفرح الداخليَّ في الأوقات التي نفقد فيها أحِبَّاءنا. لذلك، فإنَّنا- كمؤمنين مسيحيِّين- نَختلف عن بقيَّة النَّاس لأنَّنا نستطيع أن نبكي بحُرِّيَّة لأنَّ لدينا رجاءً حيًّا وفهمًا صحيحًا للموت.

ومع أنَّ الموت قد يأتي بأشكال متنوِّعة، وأنَّ النَّاس يتجاوبون معه بطرائق مختلفة، فإنَّ هناك نمطًا شائعًا لدى الأشخاص الذين يفقدون أحبَّاءهم. فهم يَمُرُّون بثلاث مراحل رئيسيَّة: الصَّدمة، ثُمَّ الحُزن، ثُمَّ الشِّفاء.

- **الصَّدمة:** فعندما يواجه المرء الموت وجهًا لوجه، فإنَّه يُصْدَم دون شَكٍّ. وكُلَّما زادت فُجائيَّة الموت وعدم توقُّعه، زاد تأثير الصَّدمة. فعلى الصَّعيد العاطفيِّ، هناك مشاعر متزايدة متداخلة تُشوِّش الشخص وتجعله يواجه صعوبة في تحديد شعور مُعيَّن (مُتميِّز عن باقي المشاعر) يصِفُ ما يختبره ويجتاز فيه، وتجعله يختبر ما يشبه الشعور بالخَدَر والتبلُّد في الأحاسيس. والحقيقة هي أنَّ الصَّدمة تُساعد في حماية الإنسان مِن المشاعر القويَّة المرافقة لموت الأحبَّاء. فالمرء يَشعر غالبًا بأنَّه لا يُصَدِّق ما يجري، وبأنَّ هذا غير ممكن، وبأنَّه خائف. وعلى الصَّعيد الذهنيِّ، فإنَّ مرحلة الصَّدمة تَشُلُّ تفكير المرء، وتجعله مُشَوَّشًا، وكثير النِّسيان، وتضارب الأفكار في ذهنه. وعلى الصَّعيد الروحيِّ، قد يشعر المرء بما يُشبه الذُّعر. ولكنَّ الله يتحرَّك مِن خلال الإيمان، والآيات الكتابيَّة، والكنيسة، والرُّوح القُدُس لتقديم التَّعزية والطُّمأنينة والعون. وقد يتساءل المرء في فترة الصَّدمة: «لماذا؟» ولكنَّ العقل والنَّفس يعجزان عن العثور على الإجابات الصَّحيحة في خِضَمِّ هذه المشاعر المتضاربة وهذه الصَّدمة.
- **الحُزن:** في أغلب الأحيان، تستمرُّ فترة الصَّدمة إلى انتهاء وقت الجنازة والدَّفن. وقد يتعجَّب الأصدقاء أحيانًا مِن السَّلام والسَّكينة المُخَيِّمَيْن على أفراد العائلة. وقد يشعر أفراد العائلة بالذَّنب لأنَّهم لم يحزنوا أكثر. ولكن في حقيقة الأمر، لا يمكن لأفراد العائلة أن يحزنوا تمامًا إلَّا بعد زوال تأثير الصَّدمة. ولكن عاجلًا أم آجلًا، سيزول تأثير الصَّدمة وتُذرَف الدُّموع بغزارة بسبب فراق الأحبَّاء.

وقد تتفاوت فترة الحزن في الطُّول أو الحِدَّة بين شخصٍ وآخر. وفي فترة الحُزن، قد يَشعر المرء بالوَحدة. وقد تكون لديه أسئلة كثيرة. وقد يشعر بالألم والخسارة. وقد يشعر

أيضًا بالغضب والذَّنب. والحقيقة هي أنَّ لكُلِّ شعور من هذه المشاعر طعمه ومَرارته. وقد يشعر المرء في هذا الوقت بمشاعر متضاربة جدًّا.

وبالنِّسبة إلى المؤمنين المسيحيِّين، فإنَّ المشاعر التي يَصعب فهمها والتَّعامل معها هي تلك المشاعر التي نَعلم أنَّها خاطئة لأنَّها مُجَرَّد ردود أفعال. فمشاعر الغضب، والاستياء، واللَّوم، وتقريع الذَّات، والإشفاق على الذَّات، والإحباط قد تجد طريقها إلى قلب المرء الحزين دون استئذان. ومع أنَّنا قد نتمكَّن من تمييز هذه المشاعر أحيانًا، فإنَّنا قد لا نُمَيِّزها في أوقاتٍ أخرى. ولكن إذا تركنا هذه المشاعر على حالها، أو أنكرناها، أو لم نستبدلها بمشاعر أخرى صِحِّيَّة، فإنَّنا نُطيل فترة الحزن ونؤذي أنفسنا والأشخاص المُقَرَّبين إلينا.

وكُلَّما زادت صراحتنا وزاد فهمنا لأنفسنا ولله في ما يَخُصُّ مشاعرنا الحقيقيَّة، زادت فُرصة شفائنا. وهناك من يشعرون بأنَّ الكتابة تساعدهم. فتدوين الأفكار ومشاعر الحزن يُساعد في تخفيف هموم القلب وفي تصفية الذِّهن. وقد يجد آخرون بَرَكاتٍ مُشابهةً مِن خلال التحدُّث إلى الأصدقاء، أو مِن خلال الصَّلاة. وفي مُطلق الأحوال، فإنَّ التَّعبير عن المشاعر العميقة ضروريٌّ ومفيد لنا.

- **الشِّفاء:** مع أنَّ الحزن طبيعيٌّ ولا غُبار عليه، قد تأتي أوقات ينبغي لنا فيها أن نَسعى إلى الشِّفاء. فقد يَحزن المرء فترة أطول مِن اللَّازم ويبتدئ في «التلذُّذ» في تَذَوُّق مَرارة الدُّموع. وهذا لا يعني أنَّه لا ينبغي لنا أن نبكي، بل يعني أنَّه ينبغي لنا أن نتعلَّم إضفاء المَعنى الصَّحيح إلى الموت، وأن نتعلَّم اختبار الإيمان في أوقات التَّجارب، وأن نبتدئ في النَّظر إلى الماضي والحاضر والمستقبل بإدراكٍ جديد.

وقد تتفاوت صعوبة الشِّفاء مِن شخصٍ إلى آخر. فهناك أشخاص يقعون في فَخِّ الشُّعور بالذَّنب عندما يدركون أنَّهم ابتدأوا في نسيان حُزنهم. فكأنَّهم- بذلك- يخونون الحبيب الذي فقدوه. وهناك مَن يجدون صعوبة في التخلِّي عن الأشياء الملموسة التي تركها الحبيب وراءه (كالألعاب، أو الكتب، أو الملابس، أو العُكَّازَيْن، أو الكُرسيِّ، أو غير ذلك). ولكن عندما يحين الوقت المناسب، يجب على العائلة أن تتخلَّص مِن بعض هذه الأشياء. وينبغي لنا أن نَعلم أنَّ الاحتفاظ بهذه الأشياء التَّذكاريَّة ليس خطأً في حَدِّ ذاته- ما دُمنا قادرين على مُواصلة حياتنا دون أن نَسمح لهذه الأشياء بحبسنا في زنزانة الماضي.

وقد يكون ألم فُراق أحد الأحبَّاء غير المُخَلَّصين بدم الربِّ يسوع المسيح أصعب أنواع الحزن والألم. فموتٌ كهذا ليس فيه عزاء- إلَّا إذا نَجَحنا في تثبيت أعيُننا على الله نفسه. فإن كُنَّا نشعر بالحزن على ذلك الشَّخص الذي هَلك في خطاياه، فإنَّ الله حزينٌ أكثر مِنَّا. فقد ارتضى الله الآب أن يموت ابنه يسوع المسيح على الصَّليب لكي يُخَلِّص الخُطاة. ونحن نقرأ في رسالة بُطرس الثَّانية ٣: ٩ أنَّ الله: «لا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الجَمِيعُ إِلى التَّوْبَةِ». لذلك، يمكننا- نحن أيضًا- أن نشعر بالرَّاحة إذ إنَّ الله بارٌّ وعادل في كُلِّ ما يَصنع، ولا جُوْرَ فيه البَتَّة.

الاستعداد للموت

إنَّ الاستعداد الأكثر أهميَّة للموت هو أن يتمتَّع المرء بعلاقة سليمة مع الله. ولكنَّ الأمر الذي لا يُدركه مؤمنون كثيرون هو القضايا العمليَّة التي سيواجهها أحبَّاءهم بعد موتهم. فإذا لم يستعدَّ المرء لموته، فإنَّ هذا يعني أنَّه ينبغي لأحبَّائه اتِّخاذ قرارات عديدة في فترة وجيزة- في وقتٍ يكون فيه اتِّخاذ القرارات أمرًا صعبًا للغاية بسبب الحزن. لذلك، لا شَكَّ أنَّ التَّخطيط المُسَبَّق يَصنع فرقًا ملحوظًا.

- **الوصيَّة:** فيجب على الشَّخص المتزوِّج أو الذي لديه عقارات أو ممتلكات أن يكتب وَصِيَّة. فالوصيَّة تُحَدِّد ما ينبغي فعله بالأموال والممتلكات في حال موت صاحبها. كذلك، قد تساعد الوصيَّة في إعطاء الإرشادات والتعليمات المُختصَّة بالعناية بالأبناء. ففي حال عدم وجود وصيَّة، قد تُقَرِّر المؤسَّسات الحكوميَّة طريقة التصرُّف في الأموال والممتلكات، وكيفيَّة العناية بالأبناء. وفي بعض البلدان، يمكن للمرء أن يكتب وصيَّته الخاصَّة- شريطة أن يكون هناك شهود وأن تكون الوصيَّة مختومة مِن الكاتب العَدْليِّ. وفي حال وجود أموال وممتلكات كثيرة، قد تدعو الحاجة إلى استشارة أحد المُحامين.
- **التَّخطيط للجنازة والدَّفن:** فباستطاعة المؤمنين المسيحيِّين المُسِنِّين أن يوفِّروا على عائلاتهم عناءً كبيرًا مِن خلال وضع خُطَّة مُسَبَّقة للجنازة والدَّفن. ويجب كتابة جميع التَّفاصيل (مثل الخادم الذي سيتولَّى خدمة الجنازة، ونوع الكفن، وغيرها)، وإطلاع العائلة على مكان وجود الوصيَّة وغيرها مِن المستندات والسجلَّات الضروريَّة. وهناك شركات خاصَّة في عددٍ مِن البلدان لديها كُتيِّبات خاصَّة تساعد العائلات على إعداد مِثل هذا الخطط. والحقيقة هي أنَّ هذه التَّرتيبات ذات فائدة كبيرة للعائلات التي تَمُرُّ في فترة حزن.

- **القضايا الأخلاقيَّة:** فالطبُّ الحديث يوفِّر للعائلات خيارات صعبة قد تزيد ألَمهم وحزنهم. فقد بات بإمكان الطبِّ الحديث أن يُبقي الجسم «حيًّا» حتَّى بعد توقُّف الدِّماغ عن العمل. وبذلك، فإنَّ المستشفيات التي تمتلك أجهزةً حديثة تجعل الموت أكثر صعوبةً على أفراد العائلة. وقد تصير القرارات مؤلمة جدًّا عندما يكون المريض مُسِنًّا أو مريضًا جدًّا. في ضوء ذلك، هل ينبغي الاستمرار في استخدام مِثل هذه الأجهزة التي تُبقي المرء حيًّا بالرَّغم مِن موته دماغيًّا؟ وهل ينبغي إعطاء الموافقة على عمليَّة جراحيَّة قد تُساعد في إطالة عُمْر المرء أسابيع أو أشهر قليلة في أفضل الأحوال؟ وهل ينبغي إعطاء المريض أدوية تُشَكِّل- في حَدِّ ذاتها- خطرًا على حياته، أو أدوية نسبة نجاحها ضئيلة؟ ففي بعض الأحيان، قد يُفَضِّل المُسِنُّون الموت في البيت. بل إنَّهم قد يطلبون مِن أفراد عائلتهم عدم تقديم العلاج لهم في حال إصابتهم بمرضٍ خطير. وهناك حالات يُوَقِّع فيها المُسِنُّ على وصيَّة يطلب فيها عدم وضعه تحت أيِّ أجهزة تُبقيه «حَيًّا» بعد موته دماغيًّا. لذلك، قد تساعد مناقشة هذه الموضوعات في تخفيف العبء على أفراد العائلة الأحياء الذين ينبغي لهم اتِّخاذ هذه القرارات الصَّعبة في وقتٍ لاحق.

قصَّة مِن واقع الحياة

كانت «آيلين» التي تحدَّثنا عنها سابقًا (والتي قام زوجها وابنتها برعايتها طَوال فترة مرضها) قد اختارت عدم الخضوع للعلاج الكيمياويِّ لمعالجة داء السَّرطان لديها. ففي حالتها، كانت نسبة نجاح العلاج الكيمياويِّ ضئيلة جدًّا. علاوة على ذلك، فقد رأت أثناء حياتها العذاب الذي يُعانيه الأشخاص الذين يخضعون لهذا النَّوع مِن العلاج. وقد كانت تُدرك أنَّ هذا العلاج لن يفعل شيئًا آخر سوى إطالة أمد مُعاناتها.

وقد بقي زوجها «لستر» على اتِّصال مع طبيبها أثناء تدهور حالتها. وقد قال له الطَّبيب: «لا يمكننا فعل أيِّ شيء لمساعدتها في المستشفى».

ماتت «آيلين» بسكينة ذات صباح في وقتٍ كان فيه زوجها وابنتها وأحفادها مجتمعين حول سريرها. ولم تكن هناك أيُّ محاولاتٍ مُستميتة لإنعاشها (كما يحدث في المستشفى)، ولا أيُّ طنينٍ أو رنينٍ مِن أيِّ أجهزة طبيَّة، ولا غُرباء

يَسترقُّون النَّظر- كما يحدث عادةً في المستشفيات. فما أن لَفَظَت «آيلين» أنفاسها الأخيرة حتَّى انهمرت دموع أفراد العائلة واستغرقوا في التأمُّل والصَّلاة.

ولا شَكَّ أنَّ هناك حاجة للأجهزة الطبِّيَّة والمستشفيات والعمليَّات الجراحيَّة، فلا يمكن لجميع النَّاس أن يختاروا مكان موتهم أو الظَّرف الذي سيموتون فيه. ولكنَّ «آيلين» اختارت أن تَقبل الموت حين تحين ساعتها- دون أيِّ محاولة (بأيِّ ثمن) لتأجيل ما هو محتوم.

وقد يستمرُّ الطبُّ الحديث في توفير خيارات ليست طبِّيَّة، بل أخلاقيَّة. ومع أنَّ المبادئ التَّالية قد لا تُجيب عن جميع الأسئلة المطروحة، فإنَّها قد تساعد المؤمنين المسيحيِّين عندما يواجهون قرارات مُشابهة:

١. مِن الخطأ أن نُفَكِّر في الانتحار- حتَّى عندما يبدو لنا أنَّ الموت هو الخيار الأفضل. (انظر سفر الخروج ٢٠: ١٣؛ قارن بين ما جاء في سفر أيُّوب ٣ وأيُّوب ٤٢).

٢. يجب على المرء أن يبذل كُلَّ جهدٍ معقول للحفاظ على حياته وصحَّته (أفسُس ٥: ٢٩).

٣. يجب على المرء أن يَقبل الموت عندما تحين ساعته (٢تيموثاوس ٤: ٦-٨؛ المزمور ٩٠: ١٠). في ضوء ذلك، هل ينبغي لنا أن نُعيد التَّفكير في جميع الجهود المُستميتة التي يبذلها البشر للبقاء أحياء بطريقة «صناعيَّة»- ولا سيَّما حين يكون الموت مُحَتَّمًا بسبب الشَّيخوخة أو المرض؟

٤. مِن الخطأ أن نلجأ إلى الأساليب التي يَزعم أُناسٌ أنَّها تُحافظ على الصحَّة أو تُطيل الحياة- ولا سِيَّما تلك التي ترتبط بالسِّحر أو الشَّعوذة (التَّثنية ١٨: ٩-١٤). فقد يُفاجَأ المرء الذي يُعاني أحد أحبَّائه مرضًا خطيرًا مِن العلاجات الغريبة «المُعجِزيَّة» التي قد يَقترحها عليه الأصدقاء والأقارب. والحقيقة هي أنَّ عددًا مِن هذه العلاجات لا يَضُرُّ ولا يَنفع. وهناك علاجات قليلة قد تكون مفيدة. ولكن ينبغي لنا الابتعاد عن تلك العلاجات المزعومة المرتبطة بالسِّحر والشَّعوذة والقوى الخارقة مثل الأمور المُتعلِّقة بِـ «طاقة العقل»، و«حقول الطَّاقة للجسم»، و«التأمُّل والاسترخاء»، وغيرها التي يدَّعي أصحابها أنّ لها قدرة علاجيَّة.

٥. يجب علينا ألَّا ننظر إلى الحفاظ على الصحَّة أو الحياة بمنظار «الغاية تُبَرِّر الوسيلة» (رومية ٣: ٨). فمع أنَّ الطِبَّ يفتخر بما يمكنه القيام به، فإنَّه ينبغي للمؤمنين المسيحيِّين أن يُفَكِّروا في ما يجب عليهم (وما لا يجب عليهم) القيام به. فإذا كان هناك شيء يمكن القيام به، فإنَّ هذا لا يعني البَتَّة أنَّه مِن الصَّواب أن نفعله- حتَّى لو كانت النَّتيجة تبدو جيِّدة. فعلى سبيل المثال، وجد الباحثون- في العقد التَّاسع مِن القرن العشرين- أنَّه يمكن علاج مرض باركنسون باستخدام أنسجة مأخوذة مِن أجِنَّة تَمَّ إجهاضها. كذلك، فإنَّ المُهندسون البيولوجيُّون (أو الأحيائيُّون) يقترحون معالجة مُتلازمة داون مِن خلال «تعديل» الجينات الوراثيَّة. بل إنَّهم يقترحون إمكانيَّة إنجاب أطفال حسب الطَّلب. ومع أنَّ هذا قد يبدو مُستبعدًا، فإنَّ أحد الكُتَّاب قال في سنة ١٩٦٩ إنَّ أشياء كهذه هي مسألة وقت فحسب. بل إنَّه قال بجرأة: «قريبًا جِدًّا: التحكُّم في الحياة- الحياة بأسرها، بما في ذلك حياة الإنسان. مع وجود الإنسان في مركز السَّيطرة. وقريبًا جِدًّا: سِفْر التَّكوين الجديد (البداية الجديدة للبشريَّة)- أو سِفْر التَّكوين الثَّاني. ولكنَّ الخالق هذه المرَّة هو الإنسان. والخليقة هي الإنسان أيضًا؛ ولكنَّه إنسان بمواصفات جديدة، وعلى صورة جديدة- بل بالحريِّ على صُوَر عديدة جديدة».[٤٣] إنَّ الإساءة إلى الله واضحة. لذلك، عندما نتحدَّث عن المجال الطبِّيِّ، يجب علينا- كمؤمنين مسيحيِّين- أن نُفَكِّر لا في ما في وُسْعِنا القيام به، بل في ما هو صواب.

فقدان شريك الحياة

رُبَّما تكون الصَّدمة الأكبر في حياة المرء هي موت شريك حياته- ولا سِيَّما الموت المُباغت الذي يترك الشَّريك الحَيِّ أمام مسؤوليَّات كثيرة. وإلى جانب الحزن، هناك أسئلة لا حَصْر لها ومهام يبدو أنَّه يَصْعُب تَذليلُها. والحقيقة هي أنَّ لكُلِّ موقف خُصوصيَّته. كذلك، فإنَّ تقديم النَّصائح أسهل بكثير مِن تطبيقها. ومع ذلك، فإنَّ النِّقاط التَّالية يمكن أن تكون مفيدة:

١. **لا تَتَّخذ قرارات مُهمَّة في غَمْرَة حُزنك أو إحباطك.** فقرارات مِثل التصرُّف في الأملاك، أو الانتقال إلى مكانٍ جديد، أو الزَّواج ثانيةً هي قرارات خطيرة ينبغي التروُّي فيها. لذلك، فإنَّها تتطلَّب حكمةً. والحكمة تأتي مِن خلال دراسة كلمة الله، والصَّلاة، والاستماع إلى مشورة رجال الله الأتقياء، والتَّفكير العميق.

٢. **يجب على الأرملة أن تطلب مشورة الأشخاص الجديرين بالثِّقة (كأبيها، أو والد زوجها، أو أخيها الأكبر، أو أي رَجُل آخر من الأقارب جديرٍ بالثِّقة).** والسَّبب في اختيار الرِّجال لا يعود إلى أنَّ النِّساء أقَلُّ ذكاءً أو حِكمةً، بل إلى أنَّ استشارة أحد الرِّجال الجديرين بالثِّقة تَمنح المرأة شعورًا أكبر بالحماية مِن الخوف، والضَّغط النفسيِّ، وسوء الفهم.

٣. **مع أنَّه ينبغي للعائلة التي تفقد أحد الأبوَيْن أن تُوَطِّد علاقتها بعائلة الأب وعائلة الأمِّ، فإنَّها في حاجة أيضًا إلى وحدة قويَّة بين أفرادها.** ولأنَّ كُلَّ عائلة تختلف عن الأخرى، يجب على كُلِّ عائلة أن تَجِد التَّوازن المناسب لها.

٤. **يجب على الأب الأرمل (أو الأمِّ الأرملة) الذي يُفَكِّر في الزَّواج ثانيةً أن يُفَكِّر مَلِيًّا في النِّقاط التَّالية:**

- لا يمكن لشريك الحياة الجديد أن يُعَوِّض عن شريك الحياة المُتوفَّى. لذلك، يجب البدء في العلاقة الجديدة مِن نُقطة الصِّفر.
- لا ينبغي البدء في أيِّ علاقة جديدة إلَّا بعد أن يتجاوز الأبناء مرحلة الحُزن. فبخلاف ذلك، قد يَنسب الأبناء حُزنهم إلى وجود زوج الأُمِّ أو زوجة الأب.
- إذا تَزَوَّج الرَّجُل الأرمل امرأةً أرملةً وكان لدى كُلٍّ منهما أبناء، ينبغي التصرُّف بحكمة فائقة. فهناك مشكلات لا يمكن التنبُّؤ بها في موقفٍ كهذا- ولا سِيَّما إذا كان الأبناء يَنتمون إلى نفس الفئة العُمريَّة والجنس. لذلك، قد يكون مِن الحكمة استشارة إحدى العائلات التي مَرَّت بظَرْفٍ مُشابه.
- عند الزَّواج ثانيةً في البيت نفسه، قد تقتضي الحكمة إجراء تغييراتٍ في البيت- ولا سِيَّما في الأماكن التي فيها ذكريات قويَّة مثل المطبخ، وغرفة الجلوس، وغرفة النَّوم (مِثل إعادة ترتيب الأثاث، أو شراء غرفة نوم جديدة، أو ما شابه ذلك).
- لا تُقْدِم على هذه الخطوة دون دعم الأشخاص المُقَرَّبين إليك (أفراد عائلتك، وكنيستك، ومجموعة أصدقائك). فمِن المؤكَّد أنَّك ستحتاج إلى دعمهم ومؤازرتهم في الأشهر القادمة.

٥. **ينبغي للأشخاص الذين يبقون دون زواج بعد فقدان شريك حياتهم أن يَعلموا أنَّ الله هو الوحيد القادر على سَدِّ حاجاتهم.** ولا شَكَّ أن هناك حاجات مُلِحَّة كالحاجة إلى رفيق، والحاجة إلى شخص حكيم جدير بالثِّقة، والحاجة إلى الحماية. ولكنَّ نعمة الله قادرة

على سَدِّ جميع حاجاتنا. وقد كان الشَّخص الذي كَتَب الكلمات التَّالية أعزبًا، ولكنَّه سَمِع الربَّ يقول له: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩).

٦. **لا شَكَّ أنَّ رعاية الأبناء مسؤوليَّة كبيرة على الأب الذي يفقد زوجته أو الأمِّ التي تفقد زوجها.** ولا شَكَّ أنَّ فقدان الأب أو الأمِّ يترك فراغًا كبيرًا في العائلة. وفي حالةٍ كهذه، يمكن أن تكون علاقات الأبناء الوطيدة بالجَدِّ والجَدَّة، والأعمام والعَمَّات، والأخوال والخالات مُفيدة جدًّا. ولكن يجب على الأُمِّ الأرملة (أو الأب الأرمل) التَّفكير في حاجاتها هي أيضًا. فينبغي أن يكون لديها صديقة أو عائلة جديرة بالثِّقة للمشاركة مع هؤلاء الأصدقاء والاستعانة بمشورتهم. ولكن ينبغي للأرملة (أو الأرمل) أن تحترس مِن الفِخاخ التَّالية:

- العَبَثِيَّة في الحياة (انعدام الهدف).
- السُّلوك الانعزاليُّ.
- التعلُّق بالماضي (محاولة العيش على الأطلال).
- إنكار الماضي.
- الإشفاق على الذَّات واليأس.
- الإفراط في حماية الأبناء.
- الاستياء مِن المسؤوليَّات.

والحقيقة هي أنَّ أغلبيَّة الآباء والأمَّهات الأرامل يقعون في واحد أو أكثر مِن هذه الفِخاخ بدرجات متفاوتة. ولا شَكَّ أنَّ الوقوع في هذه الفِخاخ هو دلالة واضحة على أنَّ الشَّخص «غارق» في الحزن، أو أنَّه لا يَسمح لنفسه باختبار الشِّفاء الذي يريده الربُّ له. وفي ما يلي لائحة بالخطوات الإيجابيَّة التي يمكن للمرء القيام بها لتجَنُّب هذه الفِخاخ:

- واجه الواقع بشجاعة.
- اسمح لنفسك بأن تَحزن.
- عَبِّر لله عن إيمانك به في فترة حُزنك.

- عَبِّر دائمًا عن شُكرك وامتنانك لله، وللنَّاس، ولأبنائك.
- اطلب مِن الله أن يُرشدك إلى الأمور التي يريد مِنك أن تقوم بها. دَوِّنها- ولا سِيَّما إذا كنتَ تَشعر بأنَّ الحياة عديمة المغزى.
- ابحث عن وعود الله للأرامل والأيتام والمعوزين. دَوِّنها، واقرأها، وأعِد صياغتها، وطالب الله بها.
- ضع جميع طلباتك واحتياجاتك ومشكلاتك أمام الربِّ.

وفي ما يلي مجموعة مِن الآيات الكتابيَّة المُعَزِّية والملائمة للأشخاص الذين فقدوا أحد الأحبَّاء:

اهتمام الله بأحزاننا:

«عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ» (المزمور ١١٦: ١٥).

«ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ» (١تسالونيكي ٤: ١٣).

«...رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا....» (إشعياء ٥٣: ٣ و ٤).

«سَاخَتْ مِنَ الغَمِّ عَيْنِي....الرَّبّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي. سَمِعَ الرَّبُّ تَضَرُّعِي. الرَّبُّ يَقْبَلُ صَلاَتِي» (المزمور ٦: ٧-٩).

«يَشْفِي [اللهُ] المُنْكَسِرِي القُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ» (المزمور ١٤٧: ٣).

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ المُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِـي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (إنجيل مَتَّى ١١: ٢٨).

«وَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً لِي: «اكْتُبْ: طُوبَى لِلأَمْوَاتِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الرَّبِّ مُنْذُ الآنَ». «نَعَمْ» يَقُولُ الرُّوحُ: «لِكَيْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ أَتْعَابِهِمْ، وَأَعْمَالُهُمْ تَتْبَعُهُمْ»» (سِفْر الرُّؤيا ١٤: ١٣).

«وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ

حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رؤيا ٢١: ٤).

محبَّة الله للأطفال:

«وَتَمْتَلِئُ أَسْوَاقُ المَدِينَةِ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالبَنَاتِ لاعِبِينَ فِي أَسْوَاقِهَا» (زكريَّا ٨: ٥).

«فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ». فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ» (إنجيل مرقس ١٠: ١٤-١٦).

««اُنْظُرُوا، لا تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ....هكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةً أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ» (إنجيل مَتَّى ١٨: ١٠ و ١٤).

اهتمام الله بالأرامل والأيتام:

«أَنْتَ صِرْتَ مُعِينَ ٱلْيَتِيمِ» (المزمور ١٠: ١٤)

«أَبُو اليَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ، اللهُ فِي مَسْكِنِ قُدْسِهِ. اَللهُ مُسْكِنُ المُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ...» (المزمور ٦٨: ٥ و ٦).

«الرَّبُّ يَحْفَظُ الغُرَبَاءَ. يَعْضُدُ اليَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ» (المزمور ١٤٦: ٩).

«لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى». (إشعياء ٥٤: ٥). (مع أنَّ هذه الآية تُشير إلى بني إسرائيل في العهد القديم، فإنَّها تَصِحُّ على الأرامل أيضًا.

تَعَهُّد الله بِسَدِّ حاجات شَعبه:

«لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولاَنِ فِي كُلِّ الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ...» (٢ أخبار الأيَّام ١٦: ٩).

«لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (إنجيل مَتَّى ٦: ٣٣).

«لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ. وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْل، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ....فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي المَجْدِ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبِّي ٤: ٦ و ٧ و ١٩).

وعود الله للمُستقبل:

«لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ» (١تسالونيكي ٤: ١٤).

«هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ البُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الفَاسِدَ لاَ بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا المَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا المَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الكَلِمَةُ المَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ المَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكَ يَا هَاوِيَةُ؟»...وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يُعْطِينَا الغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ» (١كورنثوس ١٥: ٥١-٥٥ و ٥٧).

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يوحنَّا ٣: ٢).

«فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ العَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا....فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ١٨ و ٢٢ و ٢٣).

«لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ. فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضًا نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ» (٢كورنثوس ٥: ١ و ٢).

«وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا البِرُّ» (٢بطرس ٣: ١٣).

الخُلاصة

«وَلكِنَّ الإِنْسَانَ مَوْلُودٌ لِلْمَشَقَّةِ كَمَا أَنَّ الجَوَارِحَ لارْتِفَاعِ الجَنَاحِ» (أيُّوب ٥: ٧). إنَّ المِحَن، والمشكلات، والمرض، والموت هي جزء لا يتجزَّأ مِن النِّظام السَّائد في العالم. وهذه جميعها تُسَبِّب الألم والحزن لنا جميعًا. ولكنَّ نعمة الله تكفي لتخليص المُتَّكِلين عليه، ولإنقاذهم لا مِن بَراثِن المِحَن والتَّجارب فحسب، بل ومِن بَراثِن الموت نفسه- إلى أن يَعبُروا بوَّابة النَّصر. وبالنِّسبة إلى الأشخاص الذين يمُرُّون بأوقاتٍ عصيبة، فإنَّ كلمة الله، والشَّركة مع الإخوة والأخوات في الكنيسة، والصَّلوات، والأقارب في العائلة الكبيرة هي موارد ثمينة يَستمدُّ منها المرء القُوَّة والمشورة والتَّشجيع.

لِنُفكِّر معًا

١. لقد تحدَّثنا في هذا الفصل عن المواقف الصَّحيحة والمواقف الخاطئة مِن نحو المشكلات. ما المواقف الأخرى التي يمكنك أن تُضيفها إلى هاتين اللَّائحتين؟

٢. ما المؤشِّرات التي تَدُلُّ على أنَّ المرء لم يَتقبَّل الجوانب التي لا يمكن تغييرها في الموقف الصَّعب؟

٣. كيف ينبغي للمرء أن يتجاوب عندما يلاحظ شخصًا يَسْخَر مِن شخصٍ لديه إعاقة أو يقوم باستغلاله؟

٤. ما بعض الأنشطة الجماعيَّة التي يمكن للأعمى الاشتراك فيها (أو التي لا يمكنه الاشتراك فيها)؟ وماذا عن الشَّخص الأصَمِّ؟ وماذا عن الشَّخص الذي يَستخدم عُكَّازَيْن؟

٥. عندما لا يعود الأبوان قادرين على القيام بمسؤوليَّاتهما، كيف يمكن للأبناء أن يَضطلعوا بمسؤوليَّة اتِّخاذ القرارات دون التَّصادُم مع الأبوَيْن، ودون التعرُّض لمقاومتهما؟

٦. عَرِّف «الإصغاء الفَعَّال» بكلماتك الشخصيَّة. ما الأمور التي يُساعد الإصغاء الفَعَّال على تَجَنُّبها؟ ما المواقف التي لا يكون فيها الإصغاء الفَعَّال مفيدًا؟ ما المواقف التي قد يكون فيها الإصغاء الفعَّال مفيدًا مع غير المُسِنِّين؟

٧. كيف يمكن للرِّجال والنِّساء أن يحزنوا بطريقتين مُختلفتين؟ وكيف يمكن للأطفال والرَّاشدين أن يحزنوا بطريقتين مُختلفتين؟

٨. ما القوانين المُتَّبعة في بلدك عندما يموت أحد الأشخاص دون أن يترك وَصِيَّة؟

٩. ما المُعضلات الأخلاقيَّة التي واجهها معارفك مِن المؤمنين في المجال الطبِّيِّ؟ ما المبادئ التي تَسري على تلك المواقف؟

١٠. هل تَعرف أبًا توفِّيَتْ زوجته فتزوَّج أُمًّا مات زوجها فاندمجت عائلتَيْهما؟ ما المشكلات التي واجهتها العائلتان؟

لِنَعمل معًا

١. اذكر المشكلات التي واجهتموها كعائلة. قَيِّم مواقفكم؟ هل قبلتم الواقع بطريقة معقولة؟ ما الخطوات التي يمكنكم القيام بها للتحلِّي بالإيمان وروح الشُّكْر؟

٢. ناقش الطَّرائق التي يمكنك مِن خلالها تنمية رهافة حِسِّك تُجاه الأشخاص الذين لديهم إعاقة. هل تَعرف شخصًا لديه إعاقة مختلفة عن الإعاقات المذكورة في هذا الفصل؟ ما الاقتراحات التي يمكنك الإدلاء بها للتَّعامل مع أصحاب هذه العلاقات تعامُلًا لائقًا ومناسبًا؟

٣. هل لديكم- كعائلة- أب أو أُمّ (أو جَدّ أو جَدَّة) في حاجة إلى الرِّعاية في السَّنوات القادمة؟ هل ناقشتم الخيارات المُتاحة بينكم مِن جهة، وبين الشَّخص المَعنيِّ مِن جهة أخرى؟ هل لديكم نظرة سليمة للمُسِنِّين وصفاتهم ومشكلاتهم؟ هل هناك أشياء ترغبون في تعديلها أو التَّخطيط لها في ضوء دراستكم للقضايا المطروحة في هذا الفصل؟

٤. بصفتك أبًا (أو أمًّا)، هل قُمتَ بالتَّرتيبات اللَّازمة في حال وفاتك- لكي لا تترك شريك حياتك وأبناءك أمام قرارات صعبة ومشكلاتٍ أصعب؟ إذا لم تَكُن قد فَعلت ذلك بعد، ما الخطوات التي ينبغي لك القيام بها؟

الفصل التَّاسع

عندما يَنهار البيت

المقدِّمة

إنَّ خُطَّة الله للعائلة هي خُطَّة مُحكَمة جِدًّا حتَّى إنَّها إذا نُفِّذَت تنفيذًا صحيحًا وسليمًا فإنَّها توفِّر شعورًا بالأمان والاستقرار لجميع أفراد العائلة. فهناك ما يكفي مِن المحبَّة والاحترام للجميع في هذه الخُطَّة. وهناك قيادة، ودعم، وعمل مُتناغم بين الجميع. ولكن عندما يَحيد النَّاس عن طُرُق الله، فإنَّ النَّتيجة المتوقَّعة ستكون معكوسة. فعِصياننا يَرتَدُّ علينا بمشاعر سلبيَّة كالخوف، والرَّفض، والغضب، والألم. وهو يُمَزِّق الرَّوابط العائليَّة ويترك أفراد العائلة في أغلب الأحيان مُحَطَّمين ومجروحين ومُثقَلين بالهموم والمشكلات.

لذلك، سنتطرَّق في هذا الفصل إلى التمرُّد ونَرى تأثيره السلبيَّ على العائلة، والحلول المُقترحة لمعالجته. وللتَّسهيل على القارئ، سنَستخدم الكلمة «آباء» للإشارة إلى كُلٍّ مِن الآباء والأمَّهات.

الأبناء المُتمرِّدون والآباء المُتألِّمون

لا شَكَّ أنَّ جميع الآباء المؤمنين يريدون لأبنائهم أن يكونوا أولادًا مُطيعين لله. ولا شَكَّ أيضًا أنَّ الأبناء الذين يولدون في عائلة مؤمنة يبتدئون رِحلة الإيمان مِن نُقطة ما. فهناك وقتٌ يبتدئون فيه في التَّرنيم، والصَّلاة، والذَّهاب إلى الكنيسة، والإيمان بما تَلَقَّنوهُ مِن أبوَيْهم. ولكِنَّ الأبناء قد يرفضون إيمانهم القديم ويسيرون في طريقٍ اختاروه لأنفسهم في مرحلة مُعَيَّنة مِن حياتهم. وقد تتدهور علاقة الأبناء بالأبوَيْن؛ بل إنَّ الأمر قد يَصِل إلى حَدِّ العِصيان والتمرُّد الصَّريح. وهناك نوعٌ مِن العصيان أو التمرُّد السلبيِّ الذي يقول فيه الأبناء إنَّ «الإيمان المسيحيَّ لا يُوافقهم». وهناك أبناء يتخلُّون عن أمانتهم للربِّ بعد تَرْك بيت العائلة والاستقلال بحياتهم، أو حتَّى بعد أن يتزوَّجوا ويصيروا مسؤولين عن عائلة.

والسُّؤال البديهيُّ الذي يَطرحه الأبوان المؤمنان عادةً هو: لماذا؟ وإذا كان الأبوان مِن النَّوع الذي يَقلق كثيرًا، قد يَدفعهم هذا السُّؤال إلى فحص أنفسهم فحصًا دقيقًا ومؤلمًا بحثًا عن الأشياء التي أخطأوا فيها. وقد يُفْضي هذا البحث إلى شعورهم بالذَّنب. وبسبب شعور الأبوَيْن بالإخفاق، والتوتُّر الناشئ عن المُشاحنات المُتكرِّرة بينهم وبين أبنائهم، والخوف مِن المستقبل، قد يُصاب الأبوان بالأرَق في اللَّيل وبانعدام السَّلام في النَّهار.

لماذا؟ إنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال قد تتفاوت مِن حالة إلى أخرى باختلاف الأسباب وعوامل أخرى. وكثيرًا ما تكون هذه الأسباب متداخلة، ومع أنَّ الأبوَيْن قد يُدركان ما يجري، فإنَّ هذا قد لا يساعدهما على تقييم ما يجري تقييمًا موضوعيًّا بسبب عواطفهما ومشاعرهما الجريحة. ولكن حتَّى لو كان الأمر كذلك، فإنَّ هذا لا يمنعنا مِن التطرُّق إلى أهَمِّ أسباب التمرُّد والعِصيان عند الأبناء.

١. **الخطيَّة:** فوجود الخطيَّة فينا يَجعلنا جميعًا مُعَرَّضينَ للوقوع في فَخِّ العِصيان والتمرُّد. والحقيقة هي أنَّه لا يمكننا بواسطة التربية أن نَنزع هذه الطَّبيعة الخاطئة مِنَّا، ولا يمكننا أن نستأصِلَها مِن أبنائنا. ومع ذلك، هناك طريقة واحدة فقط تُبْطِلُ قَوَّتها وتأثيرها ألا وهي سُكْنى الرُّوح القُدُس فينا مِن خلال تسليم حياتنا للربِّ يسوع المسيح. «عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا العَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلخَطِيَّةِ» (رومية ٦: ٦).

وهذا لا يلغي دَوْر تربية الأبوَيْن للأبناء. فالتَّربية تُعَلِّم الأبناء المبادئ الأساسيَّة، والمواقف السَّليمة، وتُدَرِّبهم على الطَّاعة لكي يكونوا جاهزين ومُستعدِّين لتسليم حياتهم للربِّ يسوع المسيح عندما يحين الوقت المناسب. وبالرَّغم مِن أنَّنا لا نُقَلِّل مِن شأن التَّربية في البيت ومسؤوليَّة الأبوَيْن في تعليم أبنائهما مبادئ السُّلوك واللَّياقة بحسب المبادئ الإلهيَّة، فإنَّ هذا لا يلغي حقيقة وجود الخطيَّة فينا جميعًا. وفي نهاية المَطاف، وبالرَّغم مِن كُلِّ التأثيرات الأخرى، سوف يكون كُلُّ شخصٍ مسؤولًا عن خياراته. لذلك فإنَّ الأبناء الذين يُصِرُّون على تَمَرُّدهم وعصيانهم دون أن يتوبوا سيهلكون- لا محالة- لأنَّهم اختاروا طريق الخطيَّة والعصيان.

٢. **إخفاق الأبوَيْن في تَربية الأبناء ورَدْعِهِم:** فكما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ مسؤوليَّة الأبناء الشخصيَّة عن حياتهم لا تلغي مسؤوليَّة الأبوَيْن في تربيتهم ورَدْعِهِم. فقد يَكون السَّبب في تَمَرُّد

الأبناء وعصيانهم هو أنَّ الأبوَيْن أخفقا في تربيتهم. لذلك، قال الله عن عَالي الكاهن: «قَدْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنِّي أَقْضِي عَلَى بَيْتِهِ إِلَى الأَبَدِ مِنْ أَجْلِ الشَّرِّ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ بَنِيهِ قَدْ أَوْجَبُوا بِهِ اللَّعْنَةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَرْدَعْهُمْ» (١صموئيل ٣: ١٣). ومع أنَّه باستطاعة الأبوَيْن أن يَحصلا على الغُفران مِن الله بسبب إخفاقهما في تربية أبنائهما، فإنَّهما لا يستطيعان إعادة عقارب السَّاعة إلى الوراء. والحقيقة هي أنَّ إخفاق الأبوَيْن في رَدْعِ أبنائهما يَعني- ضِمْنِيًّا- أنَّهما اختارا أنْ يُكْرِما تَمَرُّد أبنائهما بدلًا مِن إكرام قداسة الله (انظر ١صموئيل ٢: ٢٩). والنَّتيجة الحَتميَّة لذلك هي الألم والحزن للوالِدَيْن.

٣. **قسوة الأبوَيْن وتَسَلُّطهما:** «أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا» (كولوسي ٣: ٢١). فمع أنَّ التَّأديب والعَصا ضَروريَّان عند تربية الأبناء، فإنَّ الحاجة تدعو إلى ممارسة ذلك بمحبَّة مِن أجل الحصول على النَّتائج المَرجوَّة. فالقسوة تُعطي نتائج عَكسيَّة. وهي قد تُفْضي إلى تصعيد الموقف وإلى ردود فِعْلٍ سلبيَّة عند الأبناء بدلًا مِن تعليمهم الخضوع. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يَعلما أنَّ السُّلطة التي مَنَحَها اللهُ لهما ليست رُخْصَةً لتفريغ غضبهما على أبنائهما. فعندما يَصْرُخ الأبوان، ويتسلَّطان، ويضربان أبناءهما بغضب، فإنَّهما يُرغمانهم على الخضوع بدافع الخوف والرُّعب الشَّديدَيْن. ولكنَّ هذا المفهوم الخاطئ والخطير للسُّلطة قد يَجعل الأبناء يستاءون أكثر فأكثر إلى أن يَظهر ذلك في شكل تَمَرُّد أو عصيان عندما يصبح الابن مراهقًا.

٤. **أنماط الاستقلال:** «وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ المَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ المَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ المَسِيحِ هُوَ اللهُ» (١كورنثوس ١١: ٣). «اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ» (رسالة العبرانيِّين ١٣: ٧). فقد يَعمل الأبوان أحيانًا على تشويه مفهوم السُّلطة لدى أبنائهما بسبب محاولاتهما الدَّائمة للتملُّص مِن أيِّ سُلطانٍ وَضَعَهُ الله عليهما (أي على الأهل). فعندما يكون الأبوان مُتمرِّدَيْن على السُّلطة فإنَّهما يُسهمان في زيادة فُرصة تَمَرُّد أبنائهما. وقد تكون هذه العمليَّة خادعة جدًّا. فالأمُّ التي تقاوم سُلطة زوجها قد تَنجح في ضَمِّ أبنائها إلى صَفِّها إلى حين. ولكنَّها ستجد لاحقًا أنَّهم غاضبون ولا يحترمونها. وقد يُكْثِر الأبوان مِن التذمُّر مِن الكنيسة وقادتها فيُصْدَمان لاحقًا بتَمَرُّد الأبناء وعصيانهم. ومِن دواعي الأسف حقًّا أنَّ هناك آباء يَلومون الكنيسة على تَمَرُّد أبنائهم وعصيانهم.

٥. **المُراءاة أو النِّفاق:** «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الكَتَبَةُ وَالفَرِّيسِيُّونَ المُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ» (إنجيل مَتَّى ٢٣: ١٣). فإذا كُنَّا نقول شيئًا ونَفعل شيئًا آخر، قد يكون هذا عائقًا لدخول أُناسٍ ملكوت الله. وقد يُشَكِّل هذا الأمر تَحَدِّيًا وعائقًا كبيرًا أمام الشُبَّان والشابَّات بسبب بحثهم، في هذه المرحلة العُمريَّة، عن المثاليَّة والكمال في الآخرين. لذلك، ما أسهل أن يَسقط هؤلاء في فَخِّ التمرُّد والعصيان بسبب الأبوَيْن وقادة الكنيسة الذين لا تَتَّفق أقوالهم مع أفعالهم، والذين يَكيلون الأمور بِمِكيالَيْن، والذين يُحابون، والذين يَظْلُمون، والذين يُمَثِّلون النِّفاق بأبشع أشكاله. ولأنَّ الإنسان يَميل- بطبيعته- إلى إخفاء خطيئته من خلال إلقاء اللَّوم على الآخرين، قد يُسْهِم ثَبات الأبوَيْن في مواقفهما وسلوكيَّاتهما في عدم تمرُّد الأبناء. لذلك، يجب على الزَّوج والزَّوجة أن يكونا مُخْلِصَيْن في حُبِّهما أحدهما للآخر، وفي تكريسهما لله في حياتهما اليوميَّة. فهذه القداسة في البيت تُحافظ على نَزاهة الأبوَيْن وتُعطيهما مِصداقيَّة مع أبنائهما.

٦. **النزعة المادِّيَّة:** «وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي العَطَبِ وَالهَلاَكِ. لأَنَّ مَحَبَّةَ المَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (١تيموثاوس ٦: ٩ و١٠). ولا نُجانب الصَّواب إن قُلنا إنَّ عِصيان الأبناء وتَمَرُّدهم هو واحد مِن أوجاع كثيرة تَنْجُم عن الغَرَق في المادِّيَّات. فالأبوان اللَّذان لا يَهتمَّان بشيءٍ آخر سوى كَنْز المال، أو اللَّذان يَسمحان لأبنائهما بالانغماس في شَهوات هذا العالم سيواجهان صعوبة بالغة في إقناعهم بالاهتمام بالأشياء السَّماويَّة.

٧. **حُبُّ العالم:** «أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ العَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلهِ» (يعقوب ٤: ٤). وأيضًا: «لاَ تُحِبُّوا العَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي العَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ العَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي العَالَمِ: شَهْوَةَ الجَسَدِ، وَشَهْوَةَ العُيُونِ، وَتَعَظُّمَ المَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ العَالَمِ. وَالعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (١يوحنَّا ٢: ١٥-١٧). فأهل العالم لهم ملابسهم، وموسيقاهم، ووسائل التَّسلية الخاصَّة بهم.[٤٤] لذلك، قد يَخدع الأبوان نفسَيْهما حين يَظُنَّان أنَّه بإمكانهما قبول بعض أشياء العالم دون دَفْع ثَمَن تلك المُساومة. فكُلُّ خطوة يَخطوها أبناء هذا الجيل باتِّجاه العالم تُهَيِّئ الجيل القادم للقيام بخطوات إضافيَّة عديدة.

٨. **فَرْط الانهماك في أشاغيل الحياة:** فقد أوصاكَ اللهُ، أيُّها الأب، بأن تُعَلِّم أبناءك طُرُق ووصايا الله: «حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ» (التَّثنية ٦: ٧). ومِن دواعي الأسف أنَّ هناك آباء وأمَّهات لا يجلسون في بيوتهم ولا يأتون إليها إلَّا عند النَّوم فقط. فالآباء في أيَّامنا هذه مُنهمكون في أشاغيل الحياة، بل وحتَّى في أشاغيل الخدمة المسيحيَّة، حتَّى إنَّهم لا يَصرفون وقتًا مع أبنائهم. وقد قال أحد الآباء إنَّ الأطفال يُدركون محبَّة الأبوَيْن لهم مِن خلال «الوقت» الذي يصرفونه معهم.[٤٥] وسواء كان التَّقصير مقصودًا أم غير مقصود، فإنَّه يَعني الرَّفض في نظر الأبناء. وقد يكون تمرُّد الأبناء وعصيانهم أحيانًا هو رَدُّ فعلٍ على ألَم الشُّعور بالرَّفض.

٩. **الاستماع إلى مشورة غير المؤمنين:** «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً» (المزمور ١: ١ و ٢). وأيضًا: «كُفَّ يَا ابْنِي عَنِ اسْتِمَاعِ التَّعْلِيمِ لِلضَّلاَلَةِ عَنْ كَلاَمِ الْمَعْرِفَةِ» (أمثال ١٩: ٢٧). فقد يَنجرف الأبناء أحيانًا في حياة التمرُّد والعصيان بسبب المشورة السيِّئة التي يستمعون إليها. فالتَّربية والتَّعليم في مدارس وكُلِّيَّات وجامعات كثيرة (بل وفي بعض كُلِّيَّات اللاهوت) بعيدان كُلَّ البُعد عن ما تُعَلِّمُه كلمة الله. وقد لا تكون المشورة رسميَّة أو مباشرة كي تترك تأثيرًا سلبيًّا على الأبناء. فقد يترك اختلاط الأبناء برفقائهم تأثيرًا سلبيًّا بسبب المشورة الخاطئة التي يتلقُّونها منهم- ولا سِيَّما إذا كان هؤلاء يعيشون في بيوت خالية مِن أيِّ رقابة على التِّلفزيون ووسائل التَّسلية. أمَّا الأبوان اللَّذان يرغبان في تَجَنُّب الألم النَّاجم عن تَمَرُّد أبنائهما وعِصيانهم فيُراعيان حياة أبنائهما الاجتماعيَّة والتَّعليميَّة.

١٠. **الخِلافات بين الأبوَيْن:** فالأبناء الذين يراقبون أبوَيْهما وهُما يتشاحنان ويتشاجران ويتخاصمان لأتفه الأسباب قد يَلتقطون العدوى نفسها بسهولة. وبسبب هذه المواقف بين الأبوَيْن، قد يتعلَّم الأبناء أن يُخاطبوا أبوَيْهما بتهَكُّم، وإلقاء اللَّوم عليهما، ومُجادلتهما، والتجهُّم أمامهما، وغير ذلك. ولكنَّ المشكلات التي يعانيها الأبناء بسبب الخلافات بين الأبوَيْن لا تَقتصر على الأضرار النَّاجمة عن القدوة السيِّئة. فالأبوان اللَّذان يعيشان في شِجارٍ وخِصامٍ دائم يُمَزِّقان شعور الأبناء بالأمان. فالطِّفل الذي يُشاهد بأُمِّ عينيه انهيار العلاقة بين والديه يَعجز عن وصف الألم والضَّياع اللَّذين يَشعر بهما. وفي خِضَمِّ هذه

البيئة المشحونة بمشاعر انعدام الأمان، والشُّعور بالامتعاض، والشُّعور الزَّائف بالذَّنب، والشُّعور بالخِزي، والشُّعور بالأسى والألم، والشُّعور بالعجز بسبب عدم القدرة على تسوية الخلافات بين الأبوَيْن، لا عَجَب أنَّ الأبناء يجدون ألف سببٍ وسبب للتمرُّد والعصيان. ومع أنَّ الخلافات بين الأبوَيْن قد لا تكون ظاهرة وعنيفة، فإنَّ الأبناء يَشعرون بآثارها. فاستياء الأبوَيْن الدَّفين أحدهما مِن الآخر، وعبوسهما أحدهما في وجه الآخر، وتحايُل الواحد على الآخر في الخفاء، هي أمور يَشعر بها الأبناء دون أن يفهموها تمامًا. لذلك، فإنَّ الأبوَيْن المُتخاصِمَيْن دائمًا يَتسَبَّبان في شعور أبنائهما بعدم الأمان، والغضب. وقد يُفْضي ذلك إلى تَمَرُّد الأبناء وعِصيانهم. ومِن دواعي الأسف أنَّ الأبناء قد يُكَرِّرون أخطاء الأبوَيْن ويُضيفون إليها الكثير.

وبسبب التَّأثير الهائل للأبوَيْن على أبنائهما، يجب على الأبوَيْن اللَّذَيْن يُلاحظان أيَّ تَمَرُّدٍ أو عصيانٍ لدى أبنائهما أن يَفحصا قلبَيْهما جيِّدًا. ومع أنَّ هذا الفحص قد يكون مؤلمًا، فإنَّهُ ضروريٌّ ولازمٌ. ولا شَكَّ أنَّ فحص الذَّات يتطلَّب حكمةً. وقد يقتضي الأمر أحيانًا طلب المساعدة مِن شخص مُحايد- كراعي الكنيسة مثلًا. فإذا لم يتصرَّف الأبوان بحكمة في هذا الأمر، قد يصير فحص الذَّات تأنيبًا للذَّات، وقد يزيد التَّشويش العاطفيَّ بدلًا مِن الفهم الروحيّ.

وعندما يكتشف الأبوان سبب المشكلة، يجب عليهما أن يَعترفا بها أمام الله. ويجب عليهما أن يُدركا بوضوحٍ تامٍّ الغاية الأساسيَّة مِن هذه التَّوبة. فالغاية الأساسيَّة منها هي ليست إحداث تغييرٍ جذريٍّ في حياة الأبناء المُتمَرِّدين، بل التَّصالُح مع الله. فإذا كان سبب تَمَرُّد الأبناء وعصيانهم هو خطأ الأبوَيْن، يجب على الأبوَيْن أن يَعلما أنَّ هذا الخطأ يُحْزِن قلب الله. وقد يكون تَمَرُّد الأبناء وعصيانهم هو تأديبٌ مِن الله للأبوَيْن. لذلك، يجب على الأب المُخطئ أن يتوب عن خطيئته لأنَّ حياته- في هذا الأمر على أقَلِّ تقدير- لا تُمَجِّد الله.

وإذا كان الأبوان مُرهفَيْ الحِسِّ لسماع صوت الله، ومُنْفَتِحَيْن للتعلُّم مِن كلمته المُقدَّسة، سيكتشفان أنَّ مَراحِمَ الربِّ جديدة في كُلِّ صَباح، وأنَّ جَميعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ، وأنَّه إلهُ أمانةٍ لا جَوْرَ فيه. وحينئذٍ، سيكون بمقدور الأبوَيْن أن يَطلبا الإرشاد مِن الله لتقويم الأمور المُعوجَّة في حياتهما (كجدول العمل، والقِيَم، والعلاقات). ومع أنَّ البَرَكات المُرافقة للتَّوبة والطَّاعة لن تَنزع كُلَّ الألم النَّاجم عن تَمَرُّد الأبناء وعصيانهم، فإنَّها ستكون الجذور الروحيَّة العميقة التي تَجعلهما يَقتربان إلى الله أكثر فأكثر.

والسُّؤال الذي يَطرحه الأبوان عندما يُلاحظان تَمَرُّد أبنائهما وعصيانهم هو: «كيف نتعامل معهم؟» و «ما الذي يمكننا القيام به؟» والحقيقة هي أنَّه لا توجد إجابات سهلة. فقد يكون الأبناء في البيت نفسه، أو رُبَّما استقلُّوا بحياتهم، أو رُبَّما أسَّسوا عائلات.

وبمناسبة الحديث عن كيفيَّة التَّعامل مع الأبناء المُتمرِّدين، لنُلقِ نظرةً على عددٍ مِن الأمور المهمَّة التي ينبغي تَجَنُّبها:

أ. **لا تُكْثِر مِن انتقاد أبنائك أو التوسُّل:** فالأبناء المُتمرِّدون في حاجة إلى سماع روح الله يتكلَّم إليهم. وقد يلتجئ الأبوان أحيانًا إلى تعنيف أبنائهما المُتمرِّدين بسبب حُبِّهما لهم أو خوفهما عليهم. ومع ذلك، فإنَّ كَثْرَة انتقاد الأبناء وتوبيخهم قد تَمنع الأبناء المُتمرِّدين مِن سماع صوت الله لأنَّ هذا الموقف يجعل تركيز الأبناء على الوالدَيْن بدلًا من الله.

ب. **لا تتنازل عن مبادئك مِن أجل الحفاظ على الوِفاق:** وقد تكون هذه النُّقطة هي الوجه الآخر للنُّقطة الأولى المذكورة آنفًا. فمع أنَّ الأبوَيْن مُطالَبان بعدم المُبالغة في انتقاد أبنائهما وتوبيخهم، فإنَّهما مُطالبان أيضًا بعدم التَّغاضي عن تَمَرُّد أبنائهما وعصيانهم. وفي هذا الإطار، ينبغي للأبوَيْن أن يُدركا أنَّه بسبب اختلاف الأشخاص في التَّجاوب مع وصايا الله، لا بُدَّ مِن تَوَتُّر الأجواء بينهم. والحقيقة هي أنَّ هذا التوتُّر ضروريٌّ. ومع أنَّ الحكمة تقتضي مِن الأبوَيْن عدم زيادة هذا التوتُّر بينهم وبين أبنائهما مِن طريق الإفراط في انتقادهم وتوبيخهم، فإنَّ الحكمة تقتضي أيضًا عدم التَّغاضي عن أيِّ تَمَرُّدٍ أو عصيانٍ لدى الأبناء كما لو أنَّ كُلَّ شيءٍ يسير على ما يُرام. وفي الأوقات التي ترتفع فيها وتيرة التوتُّر، يجب على الأبوَيْن مناقشة الأمر مع أبنائهما بشفافيَّة ولُطْف وحِسٍّ مُرهف، وأن يُوَضِّحا لهم وجهة نظرهما.

ج. **لا تلجأ إلى الضَّغط النفسيِّ أو العاطفيِّ:** والمقصود بمُمارسة الضَّغط النفسيِّ أو العاطفيِّ هو أن نُحاول إرغام أبنائنا على القيام بما نُريد مِن طريق دفعهم إلى الشُّعور بالذَّنب إن لم يَفعلوا ما نَطلبه منهم. فلأنَّ هذا الأسلوب يُرَكِّز على العواطف والمشاعر فقط، فإنَّه يُعَدُّ طريقة مُلتوية. فعبارات مِثل «أنتَ ستدفنُ أُمَّك باكرًا إذا استمرَّيتَ في هذه التصرُّفات» أو «إذا أردتِ أن تموتي وأنتِ شابَّة فأنْتِ حُرَّة» قد تَضَع عبئًا نفسيًّا ثقيلًا على الأبناء، ولكنَّ هذه العبارات تجعل تصرُّفاتهم عبارة عن ردود أفعال لهذا

الضغط العاطفي دون أن تَدفعهم إلى الشُّعور بالنَّدم. وفي أغلب الأحيان فإنَّ الآباء الذين يستخدمون هذا النَّوع مِن الضَّغط النفسيِّ على أبنائهم لا يُدركون ذلك. وحين يَعتاد الأبوان على استخدام هذه الطَّريقة، فإنَّهما لا يكتفيان باستخدام الكلمات والملاحظات، بل قد يستخدمان أيضًا تعبيرات الوجه والصَّمت كوسائل ضغط.

د. **لا تحاول حماية ابنك المُتَمَرِّد مِن عواقب سلوكه:** فطريق العصيان له عواقبه دائمًا. والله حريصٌ على تأديب أولاده. لذلك، يجب على الأبَوَيْن أن يُدركا هذا الحَقَّ وأن يتوقَّفا عن محاولة الضَّغط على ابنهما المُتمرِّد كي يعود إلى درب الإيمان. فعلى سبيل المثال، إذا قام الابن البالغ مِن العُمر ١٩ سنة بتحطيم سيَّارته بسبب القيادة تحت تأثير المشروبات الكحوليَّة، يجب على الأبَوَيْن أن يَمتنعا عن إقراضه المال لشراء سيَّارة أخرى. كذلك، يجب على الأهل أن يَمتنعا عن إخراج ابنهما مِن السِّجن بكفالة إذا كان يَستحقُّ السِّجن. ومع أنَّ هذا قد يُثير غضب الأبناء المُتمرِّدين، فإنَّه غضب نابع مِن أنانيَّتهم. وقد يَتظاهر الابن المُتمرِّد بالغضب إذا كان يَعلم أنَّ ذلك سيولِّد لدى أبَوَيْه شعورًا بالذَّنب. وعندما يَسمح الأبوان لشعورهما بالذَّنب أن يَدفعهما إلى إنقاذ ابنهما مِن الورطة التي أوقع نفسه فيها، فإنَّهما يَمنعان عنه عصا التَّأديب الإلهيِّ. لذلك، يجب على الأبَوَيْن أن يتذكَّرا أنَّ الابن الضَّالَ «رَجَعَ إلى نَفْسِهِ» في أسوأ مكانٍ يمكن أن يَخْطُر ببال إنسان: في حظيرة الخنازير. ونلاحظ أنَّ الأب استقبل ابنه الضَّالَّ بحفاوة عند رجوعه إليه؛ ولكنَّه، بكلِّ حكمة، لم يحاول إنقاذه قبل ذلك.

هـ. **لا تَسْمَح لابنك المُتمرِّد بفرض سيطرته على البيت:** فإذا كان الابن المتمرِّد ما زال يعيش في البيت، يجب على الأبَوَيْن فَرْض القيود اللَّازمة عليه بما يَضمن حماية بقيَّة أفراد العائلة وحفاظهما على أمانتهما تُجاه الربِّ. ولا شَكَّ أنَّ فَرْض هذه القيود يتطلَّب حكمةً. وقد تكون هذه القيود سببًا في زيادة التوتُّر بين الأبَوَيْن والابن المُتمرِّد. ولكنَّنا نقرأ في العهد القديم أنَّ الابن المُتَمَرِّد الذي كان يرفض الانصياع لأبَوَيْه كان يُرْجَم (انظر سِفْر التَّثنية ٢١: ١٨-٢١). ومع أنَّنا نَعلم أنَّ هذا الإجراء الصَّارم لم يَعُد مُطَبَّقًا اليوم، فإنَّه يُرينا ضرورة عدم السَّماح للابن المُتمَرِّد بفرض سيطرته على والِدَيْه.

وبعد أن يَفحص الأبوان قلبيهما وحياتهما، ويتوبان عن خطاياهما، ويَخضعان لتطهير كلمة الله وروحه، فإنَّ أقوى شيءٍ يمكنهما القيام به نيابةً عن ابنهما المُتمرِّد هو الصَّلاة.

والحقيقة هي أنَّ مؤمنين كثيرين اختبروا نُمُوًّا روحيًّا عظيمًا في حياتهم بسبب قيامهم بذلك. وقد تكون الصَّلوات الأولى التي يرفعها الأبوان لأجل أبنائهما المُتَمَرِّدين سطحيَّة وجسديَّة بادئ الأمر. ولكن إذا استمرَّا في الصَّلاة فسيختبران نُمُوًّا روحيًّا عظيمًا في حياتهما. وقد تكون المبادئ التَّالية في ما يَخُصُّ الصَّلاة لأجل الضَّالِّين ذات فائدة محدودة ما دامت حِبْرًا على ورق. ولكنَّ فائدتها القصوى تتحقَّق مِن خلال ممارستها عمليًّا.

الصَّلاة لأجل غير المؤمنين

١. **الصَّلاة هي حرب روحيَّة.** فالرُّوح القُدُس هو ليس الرُّوح الوحيد الموجود. فنحن نقرأ في الرِّسالة إلى أهل أفسُس ٦: ١٢ أنَّ مُصارعتنا الحقيقيَّة هي مَعَ «أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّة».

٢. **يجب علينا أن نَتَّكِل على قوَّة الربِّ.** فالصَّلاة الفعَّالة لا تُرفع بسبب استحقاقنا، ولا لدوافعنا الأنانيَّة، ولا بقوَّتنا الذاتيَّة؛ بل هي تُرفع باسم الربِّ يسوع المسيح، وتَرمي إلى تحقيق مقاصده، وتَعمل بفاعليَّة مِن خلال قُوَّته هو.

٣. **ينبغي هَدْم حُصون العَدُوِّ مِن خلال الصَّلاة.** «إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ باللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ المَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٠: ٤ و ٥). لذلك، يجب علينا أن نَذْكُر- بإيمان واثق- الحُصون التي تَمَكَّن العَدُوُّ مِن بنائها في حياة الشَّخص الذي نُصَلِّي لأجله والتي تَمْنَعُهُ مِن قبول الحَقِّ المُعلَن في كلمة الله. وينبغي هَدْم هذه الحصون بالسُّلْطان الكامِن في اسم الربِّ يسوع المسيح.

٤. **يجب الصَّلاة بلجاجة مِن أجل الشَّخص غير المؤمن.** فيجب المثابرة على الصَّلاة لا لأنَّ الله لا يريد أن يستجيب، بل لأنَّ العدوَّ لنا بالمرصاد. فنحن نَعلم أنَّ الله «يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تيموثاوس ٢: ٤). ولكنَّنا نعرف أيضًا أنَّ عَدُوَّنا إبليس «كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ» (١بطرس ٥: ٨). لذا، يجب علينا أن نقاوم إبليس باستمرار مِن خلال الصَّلاة باسم ذاك الذي «جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ» (كولوسي ٢: ١٥).

قصَّة مِن واقع الحياة

كان والدا «ستيف» يَنظران إليه كما لو كان مُهَرِّجًا. فمع أنَّه كان حادَّ الطِّباع وغير مُطيعٍ لهما أحيانًا، فإنَّه كان يمتلك حِسَّ فكاهة يجعله يبدو وديعًا جدًّا. ولكن في الحقيقة، كان «ستيف» يُخفي وراء تهريجه ومُزاحه عصيانًا وتمرُّدًا. وكان قد انخرط أكثر فأكثر في الأنشطة غير المنهجيَّة في مدرسته الثانويَّة المحليَّة. وكان يُخَطِّط للانسحاب تدريجيًّا مِن الكنيسة إلى أن ينسلخ منها نهائيًّا في الصفِّ الثانويِّ الأخير لكي يَدخل إلى رِحاب الحياة التي يُريدها- حياة المَرَح والفكاهة.

ولكنَّ الكنيسة التي كان يذهب إليها «ستيف» كانت تُخَطِّط لِعَقْد اجتماعاتٍ تَعَبُّديَّة خاصَّة في خريف تلك السَّنة. وكان الله قد ثَقَّل قلب شابٍّ آخر في الكنيسة تُجاه «ستيف». لذلك، كان «جو» يُصَلِّي لأجل «ستيف» قبل الاجتماعات. وعندما ابتدأت الاجتماعات، استمرَّ «جو» في الصَّلاة. وكان الربَّ يَعمل في قلوب أناسٍ آخرين، أمَّا «ستيف» فكان يُقاوم. فقد كان يَكره الاجتماعات ولا يرغب في حضورها. ولكنَّ قرار الحضور لم يكن بيده.

وعندما حان وقت الاجتماع الأخير، شَعَر «جو» بثقلٍ كبيرٍ تُجاه «ستيف» فقَرَّر أن يُكَلِّمه مباشرةً. وكانت الصَّلاة قد هَيَّأت قلبه وملأته بحضور الله. وكان الوعظ والصَّلاة قد عملا بقوَّة في قلب «ستيف» فانهارت مقاومته.

وقد جَرَّب «ستيف» أن يتوب وأن يحيا في سلامٍ مع الربِّ، ولكنَّه قوبِل بمقاومة غير متوقَّعة. فقد كان الشَّيطان قد أحكم سيطرته عليه. صَلَّى «ستيف»، وصَلَّى «جو»، وصَلَّى خادم الربِّ، وصَلَّى آخرون. وقد رأى الأشخاص الذين صَلُّوا مع «ستيف» أنَّ ملامح وجهه بدأت تتغيَّر في الوقت الذي خَضَع الشَّيطان فيه لسُلطان المسيح. وأخيرًا، خَرَج مِن قلب «ستيف» اعتراف بالخطيَّة، والكذب، ومشاهدة الصُّور الإباحيَّة، واللَّعن، وغيرها من الخطايا التي لم يكن والدا ستيف يَعلما عنها شيئًا البَتَّة.

لقد تَمَّ إنقاذ «ستيف» في تلك اللَّيلة. فقد تَحَرَّر مِن الشُّعور بالذَّنب، ونجا من عواقب عصيانه وتمرُّده. وقد تَمَّ إنقاذ والدَيْه مِن حُزْنٍ أكبر عليه في حال

ابتعاده عنهما أكثر مِن السَّابق. وقد تَمَّ إنقاذ الرعيَّة مِن ألَم رؤية أحد شُبَّان الكنيسة ينجرف وراء أهل العالم. وقد حَدَث هذا كُلُّه لأنَّ شخصًا واحدًا كان أمينًا ومثابرًا في الصَّلاة.

الآباء المُتمرِّدون والأبناء المُتألِّمون

كما رأينا، فإنَّ آباء كثيرين يُعانون ويتألَّمون في وقتنا الحاضر بسبب عصيان أبنائهم. ولكن مِن دواعي الأسف أنَّ العكس صحيحٌ أيضًا. فأحيانًا، قد يرغب الأبناء في اتِّباع الربِّ في وقتٍ لم يؤمن فيه الأبوان بعد، أو في وقتٍ يُعاني فيه الأبوان فتورًا روحيًّا.

والمأساة في هذا النَّوع مِن المواقف هي مأساة مضاعفة لأنَّ أمورًا كثيرة تكون معكوسة. فبدلًا مِن أن يكون الأبوان قلقَيْن على أبنائهما ويُصَلِّيان لأجلهما، فإنَّ الأمر معكوس. وفي حين أنَّ الوضع الطَّبيعيَّ هو أن يكون الأبوان حائِرَيْن ولا يَعلما ما سيقولانه وما سيُحْجِمان عن قوله لأبنائهما، فإنَّ الأبناء يخوضون صراعًا مريرًا لأنَّهم لا يَعلمون كيف سيتكلَّمون مع الأبَوَيْن. فقد يكون الإدراك الروحيُّ لدى الأبناء أقوى مِمَّا هو عليه عند الأبَوَيْن المتمرِّدَيْن على الله. ومع أنَّه مِن المؤلِم أن نَرى هذا التَّنافُر، فإنَّ اختباره هو أكثر صعوبة دون شَكٍّ.

لقد ذَكَرنا آنفًا أنَّه مِن الشَّائع أن يَلوم الأبوان الآخرين على تَمَرُّد ابنهما وعصيانه. ولكن عندما يكون التمرُّد والعصيان مِن جهة الأب أو الأمِّ، فإنَّه مِن الشَّائع أن يلوم الأبناء أنفسهم. فَهُمْ يَشعرون، بوعيٍ أو دون وعيٍ، أنَّهم مسؤولون عن عصيان والديهم وتمرُّدهم. ومع أنَّ هذه المشاعر تكون خاطئة في أغلَب الأحيان، فإنَّ الأبناء يحتاجون أحيانًا إلى إرشادٍ خاصٍّ للتَّعبير عن شعورهم بالذَّنب ومعالجته.

ولكن لماذا يترك الآباء إيمانهم؟ إنَّ أغلبيَّة الأسباب التي ذَكَرناها عند حديثنا عن تَمَرُّد الأبناء وعصيانهم تَصِحُّ هنا أيضًا. فإلى جانب السَّبب الجوهريِّ المُتَمَثِّلِ في الخطيَّة السَّاكنة فينا، فإنَّ السَّبَبَيْن الأكثر أهميَّة في عصيان الأبوَيْن هما المشكلات الزوجيَّة، والانهماك الخاطئ في العالم (أشغال العالم، وهموم العالم، والصَّيحات العالميَّة، وغيرها).

ولكنَّ فهم سبب تَمَرُّد الأبَوَيْن على الله ليس مُهِمًّا لدى الأبناء بقدر أهميَّة معرفة كيفيَّة التأقلم معه. وهناك مبدأان أساسيَّان يمكن أن يساعدا الأشخاص الذين يعيشون تحت سُلطان أبوَيْن غير مؤمِنَيْن بيسوع المسيح:

١. **مبدأ الإكرام.** فلا يمكن للأبناء المؤمنين الذين يعيشون مع أبوَيْن غير مؤمِنَيْن أن يَتَنَصَّلوا مِن مسؤوليَّة إكْرام والدَيْهم. فإكرام الوالِدَيْن مُهِمٌّ في هذا الموقف أكثر مِن أيِّ موقفٍ آخر لأنَّه الوسيلة التي يَعمل الله مِن خلالها (مع الوالِدَيْن) بأقوى صورة في أغلب الأوقات.

وقد ذكرنا في الفصل الأوَّل مجموعة مِن الاقتراحات المُختصَّة بإكرام الوالِدَيْن (ولا سِيَّما الأب والأمّ «غير الكامِلَيْن»). ولكن يَقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ الأبناء الذين يترك أحد أبوَيْهم حياة الإيمان يواجهون صراعات خاصَّة. وهناك مزالق كثيرة يمكن أن يَقَع فيها الأبناء حتَّى عندما يَعقدون العَزْم على إكرام والديهم. وإليك مجموعة نقاط ينبغي تَجَنُّبها عند التَّعامل مع الأبوَيْن المُتمرِّدَيْن على الله:

أ. **لا تحاول تقويم أبويك.** فعدم الإيمان يَجعل النَّاس يفعلون أشياء حمقاء. فإذا نظرنا بعينيِّ الإيمان إلى شخصٍ بعيدٍ عن الله، سنرى أمورًا كثيرة خاطئة. والحقيقة هي أنَّ الشَّخص البعيد عن الله يَعرف- في أعماقه وضميره- أنَّ ما يقوم به خطأ، ولكنَّه غير مستعدٍّ للإقرار بذلك أمام الآخرين. وعلاوة على ذلك فإنَّه يستاء مِن أيِّ شخصٍ أدنى منه (في السُّلطة) يحاول أن يخبره أنَّه مُخطئ. ولكنَّ الله لديه طرائق كثيرة يمكنه مِن خلالها تقويم أيِّ سُلْطَة خاطئة (انظر مثلًا رفض شاول- من الله- كملك في سِفْر صموئيل الأوَّل ١٥: ٢٢ و ٢٣).

ب. **لا تستخدم أخطاء والدَيْك لتبرير أخطائك.** فذهن الإنسان يَميل إلى استخدام هذا الأسلوب عادةً. فنحن نَميل إلى إخفاء عدم ثباتنا على مبادئنا وعيوبنا وراء عيوب الآخرين لكي نَشعر بأنَّهم مسؤولون عندما نُخطئ نحن. فعلى سبيل المثال، قد يُقَرِّر شابٌّ أن يغادر البيت في المساء دون طَلَب موافقة والدَيْه لأنَّه في المرَّة الأخيرة التي طلب فيها موافقتهما، صَرَخ أبوه في وجهه قائلًا: «افعل ما يَحلو لك. فأنت ستَفعل ما تريد في نهاية المطاف!»

ج. **لا تُجادلهما.** « غَيْرَ مُنَاقِضِينَ» [أيْ: «غير مُعانِدين»] (تيطس ٢: ٩). فهذه الوصيَّة التي تُعَلِّم الخَدَم كيفيَّة معاملة سادتهم تَصِحُّ- دون شَكٍّ- على معاملة الأبناء لآبائهم وأمَّهاتهم. فالمجادلات لا تَحِلُّ المشكلات عادةً، بل إنَّها تجعل الأشخاص يسيرون بعنادٍ أكبر مِن ذي قبل في الطَّريق الذي اختاروه لأنفسهم. لذلك، إذا صارت المجادلة أسلوب حياة، يجب على الشابِّ (أو الفتاة) أن يبحث عن أساليب مسيحيَّة مناسبة

لمُعاملة الأبوَيْن. فَكِّر- على سبيل المثال- في اقتراحات «الإصغاء الفعَّال» المعروضة في الفصل الثَّامن.

فمن خلال تَجَنُّب العثرات المذكورة آنفًا، قد يتمكَّن الشُّبَّان المؤمنون الذين يعيشون في بيوت غير مؤمنة مِن فَرْض احترامهم وجعل الآباء يستمعون إلى كلمتهم. ولا شَكَّ أنَّ المؤمن سيشعر بمزيدٍ مِن الحُرِّيَّة حين يكون مؤثِّرًا مِن خلال أشياء كالطَّاعة واللُّطف والصَّلاة.

٢. **مبدأ الإيمان.** فالمبدأ الثَّاني الذي ينبغي للشبَّان المؤمنين الذين يعيشون مع أبوَيْن غير مؤمِنَيْن أن يُمارسوه هو مبدأ الإيمان بالله. فما دام الله قد تَصَدَّى لفرعون وحَرَّر بني إسرائيل مِن العبوديَّة في مِصْر، وما دام الله قد تَصَدَّى لشاول وأنقذ داود مِن غضبه وغيرته، وما دام الله قد أقام تيموثاوس وجعله قائدًا في الكنيسة الأولى بالرَّغم مِن أنَّ أباه لم يكن مؤمنًا (على ما يُظَنُّ)، فإنَّه (أيْ: الله) قادر على الاعتناء بالشَّبيبة اليوم.

والحقيقة هي أنَّ الإيمان بالله له تطبيقات عديدة مُحَدَّدة في ما يَخُصُّ الأشخاص الذين يعيشون مع أبوَيْن مُتمرِّدَيْن على الله: فهو يعني- في المقام الأوَّل- تسليم الحياة بأسْرِها لله. فمِن خلال الإيمان، يَنظر المؤمن إلى المواقف الصَّعبة مِن منظار أنَّها بين يدي الله. فهي ليست خارجة عن السَّيطرة. فحتَّى إنَّ الأب المتمرِّد هو- في تَمَرُّده وعصيانه- تحت سيادة الله. لذا، يجب على الشابِّ (أو الفتاة) ألَّا يَقلق على النَّتيجة التي ستؤول إليها الأمور. بل هو في حاجة ماسَّة إلى تسليم الأمر برُمَّته إلى الله. وهو في حاجة ماسَّة أيضًا إلى السَّماح لله بتحقيق مقاصده واستخدام حُلوله. فالطَّرائق والأساليب التي يستخدمها الله تفوق كُلَّ ما قد نُفَكِّر فيه. فعلى سبيل المثال، كان بنو إسرائيل (في العهد القديم) يُفَكِّرون في التحرُّر مِن العبوديَّة في مصر وحسب. ولكنَّ الله أراد أن يُنزل دينونته على مصر في الوقت نفسه. وقد كان داود يسعى إلى الحماية مِن شاول. ولكنَّ قصد الله كان يدور حول إعداد داود لاستلام الحُكْم، وإعداد بني إسرائيل لقبوله (كملك).

كذلك، فإنَّ الإيمان بالله يَعني- في المقام الثَّاني- أن يَخضع المؤمن لسُلطة أبوَيْه غير المؤمِنَيْن طاعةً لله. فهو يُكْرِم أبوَيْه سواء كانا يستحقَّان الإكرام أم لا لأنَّ اللهَ أوصاه بذلك، ولأنَّه تَعَهَّد بإطاعته وإكرامه. لذلك، فإنَّ مبدأ الإكرام يتوقَّف- في الحقيقة- على مبدأ الإيمان. ولكن إذا حاول الأبوان اغتصاب سُلطة الله، وإذا حاولا أن يُرغِما ابنهما

على القيام بشيءٍ حَرَّمه الله أو نَهى عنه (أو نَهَياه عن القيام بشيءٍ أوصاه الله بالقيام به)، ينبغي للشَّاب أن يَقتدي بالرُّسُل الذين قالوا: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أعمال الرُّسُل ٥: ٢٩).

ويمكن تَجَنُّب مِثل هذه المواجهات أحيانًا مِن خلال مُناشدة الشَّخص الذي بيده السُّلطة أن يُفَكِّر في قرار بديل مَقبول مِن الجميع. ولعلَّ أوضح مثل على ذلك في الكتاب المقدَّس هو «دانيال» الذي «جَعَلَ فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ لاَ يَتَنَجَّسُ بِأَطَايِبِ المَلِكِ وَلا بِخَمْرِ مَشْرُوبِهِ». لذلك فقد التمس مِن رئيس الخِصْيان أن يَقبل الحَلَّ البديل. وبذلك، تَجَنَّب دانيال مواجهةً كانت شِبْه مؤكَّدة. ولكنَّ دانيال لم يتصرَّف عشوائيًّا، بل وضع أساسًا مُحْكَمًا لالتماسه ذاك. فقد كان قد كَرَّس حياته لخدمة الله وتمجيده. وبذلك، فقد سَمَح لله بتمثيله والتصرُّف نيابةً عنه. وكان الله هو الذي أَقْنَعَ رئيس الخِصْيان. علاوة على ذلك، فقد كان دانيال مطيعًا (للقوانين والتَّعليمات) ومتعاونًا في المواقف الأخرى. وعندما جاء إلى رئيس الخِصيان، تَحَدَّث إليه بتواضعٍ ولياقة (انظر دانيال ١).

أمَّا الأشخاص الذين يجدون أنفسهم في مواقف يتعيَّن فيها عليهم أن يُطيعوا الله أكثر مِن النَّاس، فيجب عليهم أن يكونوا مستعدِّين لاحتمال الاضطهاد والألم. فالعبرانيُّون الثَّلاثة الذين أطاعوا الله أُلقَوا في أتون النَّار (انظر دانيال ٣). وقد وُضِع الرُّسُل الذين أطاعوا الله في السِّجن (انظر أعمال الرُّسُل ٥: ١٧-٢٩). والشابُّ (أو الفتاة) الذي يُطيع الله أكثر مِن أوامر والدَيْه قد يتعرَّض للسُّخرية والعقاب. ولكنَّ الله يُعطي هؤلاء الأشخاص نِعمة خاصَّة وقوَّة للصُّمود. «لأَنَّ هذَا فَضْلٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ، يَحْتَمِلُ أَحْزَانًا مُتَأَلِّمًا بِالظُّلْمِ. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ، فَهذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ المَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ» (١بطرس ٢: ١٩-٢١). ويجب تَجَنُّب موقف الشَّكوى والتذمُّر لأنَّ أمورًا كهذه لا تُمَجِّد الله في شيء.

الشَّريك المُتمرِّد والشَّريك المُتألِّم

حيث إنَّ أقوى رابطة وأعمق علاقة بين البشر هي العلاقة الزوجيَّة، فإنَّ الفرح النَّاشئ عن هذه العلاقة يَفوق أيَّ فرحٍ آخر. وفي الوقت نفسه، فإنَّ الحُزن النَّاشئ عن هذه العلاقة يَفوق

أيَّ حزنٍ آخر. ولا شَكَّ أنَّ التمرُّد والعصيان لدى أحد الشَّريكَيْن يجلب على الشَّريك الآخر ألَمًا لا يَفهمه تمامًا إلَّا الذين اختبروه بأنفسهم. ويطرح الرَّبُّ السؤال التالي: «هَلْ يَسِيرُ اثْنَانِ مَعًا إِنْ لَمْ يَتَوَاعَدَا؟» (عاموس ٣: ٣). والحقيقة هي أنَّ كثيرين في عالمنا اليوم يَشهدون أنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال كانت مؤلمة بالنِّسبة إليهم.

ويُحْسِنُ المؤمنون إن لاحظوا أنَّ الربَّ يَعلم تمامًا الألم النَّاجم عن عصيان أحد الأحبَّاء أو تَمَرُّده. فقد كان بنو إسرائيل «زُناةً» في علاقتهم بالربِّ. ويمكننا أن نَستشعر حُزن و»نحيب» الربِّ من خلال كلماته: «وَشَعْبِي جَانِحُونَ إِلَى الارْتِدَادِ عَنِّي...كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ، أُصَيِّرُكَ يَا إِسْرَائِيلُ؟!...قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي.» (هوشع ١١: ٧ و ٨). وهذا هو شعور الزَّوج (أو الزَّوجة) الذي يعيش مع شريك حياةٍ مُتمرِّد.

والآن، كيف ينبغي لشريك الحياة أن يتعامل مع شريكه المُتمرِّد؟ قبل كُلِّ شيء، يجب علينا أن نُدرك أنَّ هناك عدَّة عوامل ومُتغيِّرات تؤثِّر على الموقف. فعلى سبيل المثال، فإنَّ الشَّخص الذي تَرَك طريق الإيمان يَختلف عن الشَّخص الذي لم يَكُن مؤمنًا أصلًا. كذلك، فإنَّ تَمَرُّد الزَّوج على الله يَختلف اختلافًا جوهريًّا عن تَمَرُّد الزَّوجة على الله. فالزَّوجة المؤمنة تُعاني لأنَّها لا تَعلم إلى أيِّ مَدى يمكنها أن تَتبع زوجها غير المؤمن. أمَّا الزَّوج المؤمن فيُعاني لأنَّه لا يَعلم ما يمكن أن يتوقَّعه (من عطاء) مِن زوجته غير المؤمنة. والحقيقة هي أنَّ إخلاص الزَّوجين يؤثِّر كثيرًا في اختيار الطَّريقة المناسبة لمُعالجة الأمر. فالخيانة الزوجيَّة تزيد الألم والتمرُّد. مِن جهة أخرى، فإنَّ بقاء الشَّريك الخائن في البيت أو تركه له يؤثِّر كثيرًا في اختيار الحَلِّ المناسب.

ومع أنَّ النَّصائح المناسبة لكُلِّ حالة تتوقَّف على فهم الموقف بمُجمله، فإنَّ هذا لا يَمنع مِن ذِكْر مجموعة مِن الإرشادات العامَّة التي تَصِحُّ على أغلبيَّة الحالات. والحقيقة هي أنَّ معرفتنا للأمور التي ينبغي لنا تَجَنُّبها لا تَقِلُّ أهميَّة عن معرفتنا للأمور التي ينبغي لنا القيام بها.

- **لا تَنتقد، ولا تتوسَّل، ولا تُوَبِّخ.** فهذه الأساليب لا تساعد في استعادة الشَّريك الضَّال، بل تُسهم في ابتعاده أكثر فأكثر. ولأنَّ هذه الأساليب تنشأ، في أغلب الأحيان، عن الإحباط واليأس، فإنَّ مصدرها هو الجسد وليس الرُّوح.
- **لا تَستخدم الحُبَّ كوسيلة.** فالمحبَّة هي تَعَهُّد بالقيام بكُلِّ ما يَؤول إلى خَيْر شريك

الحياة. ولكن عندما تُستخدَم المحبَّة استخدامًا مشروطًا في مواقف معيَّنة فقط، فإنَّها تفقد معناها ونزاهتها. بعبارة أخرى، عندما نُعامل شريك حياتنا بمحبَّة ونِيَّة حَسَنة كوسيلة للوصول إلى هدف ما (بصرف النَّظر عن صِحَّة أو خطأ ذلك الهدف) فإنَّ هذا يعني أنَّنا استخدمنا المحبَّة كوسيلة ضغط وأداة «للتفاوض وعقد صفقات». ولا شَكَّ أنَّ محبَّة كهذه هي محبَّة أنانيَّة بعيدة كُلَّ البعد عن محبَّة الله. ولا شَكَّ أيضًا أنَّ المحبَّة المُضَحِّية تفوق قدرة الإنسان؛ ولكنَّ الله هو الذي يملأ قلوبنا بها إذا أبدينا الاستعداد لأن نُحِبَّ.

- **لا تتنازل عن نزاهتك.** فقد يَتَخَلَّى شريك الحياة عن إيمانه بالسَّيِّد المسيح ويرغب في إخفاء الأمر عن الكنيسة أو العائلة أو المجتمع. وقد يَضغط شريك الحياة عليك للتَّعاون معه في إخفاء الأمر أو في التَّظاهر بعكس الحقيقة. ولا شَكَّ أنَّ هناك وجهين لهذا الموقف. فمِن جهة، لا أحد يَرغب في «نَشْر الغَسيل الوَسِخ على المَلأ»- ولا سيَّما عندما يَختصُّ الأمر بخطايا شريك الحياة. فالتعهُّد الذي يَقطعه الشَّريكان بأن يُحِبَّ كُلٌّ منهما الآخر يَدفع كُلًّا منهما إلى التَّفكير مَليًّا في كُلِّ خطوة في ضوء مصلحة الشَّريك الآخر. لذلك، حتَّى لو كان الخطأ الذي اقترفه شريك الحياة جسيمًا، وحتَّى لو كانت خطيئته شنيعة، فإنَّ هذا لا يُعطي الشَّريك الآخر الحَقَّ في التوقُّف عن حُبِّه. وقد يعني هذا أحيانًا أن نتألَّم بصمت، وأن نَتَّكِل على الربِّ عالمين أنَّه قادر على تصحيح الأمور في الوقت الذي يراه مناسبًا. ولكن مِن جهة أخرى، إذا طلب إليك شريك حياتك المساعدة في إخفاء خطايا خطيرة قام بها، أو إذا كان يتظاهر بالقداسة بهدف خداع الآخرين، يجب أن تَعلم أنَّ نزاهتك الشخصيَّة على المِحَكِّ. فمِن المؤكَّد أنه لا يمكنك أن تكذب. ومِن المؤكَّد أيضًا أنَّ مساعدة شخصٍ خاطئ على إخفاء خطيئته يتعارض مع المحبَّة والنَّزاهة في آنٍ واحد- ولا سِيَّما عندما يكون ذلك الشَّخص عضوًا في الكنيسة. فهناك خطايا لا ينبغي السُّكوت عنها (كالسُّكْر، والاحتيال، والزِّنى، والإساءة إلى الأطفال)، بل ينبغي إخراجها إلى النُّور. ولكن كيف يمكنك القيام بذلك؟ ومن هو الشَّخص المناسب لمشاركته أمورًا كهذه؟ ومتى ينبغي القيام بذلك؟ إنَّ جميع هذه القرارات تتطلَّب حكمةً. ويجب أن يكون الدَّافع للقيام بذلك هو المحبَّة لا الغضب أو خيبة الأمل. وهناك أوقات ينبغي فيها طلب المشورة مِن قادة الكنيسة، أو الأبوَيْن، أو أحد الأشخاص الجديرين بالثِّقة.

- **لا تَغرق في التَّفكير في نفسك.** فهناك آلام لا تُعَدُّ ولا تُحصى ناجمة عن المشكلات الزوجيَّة؛ وهي مشكلات ينبغي أن تَحظى باهتمام المؤمن وأن يَتِمَّ التَّصَدِّي لها بالصَّلاة. وبينما يختبر المؤمن نعمة الله وإرشاده وسط مشكلاته (من خلال شركته مع الرَّبِّ بالصَّلاة)، يجب عليه أن يُحافظ على توازنه في علاقاته مع الآخرين وأن يُراعي ضعفهم وأن يتعاطف مع مشكلاتهم. فإن لم يَفعل ذلك، قد يأتي وقت يَغرق فيه في مشكلاته الشخصيَّة بسبب مواقفه الدَّاخليَّة الخاطئة كالغضب، والامتعاض، والإشفاق على الذَّات.

ولا شَكَّ أنَّ أصدقاء الشَّريك الذي يتألَّم بسبب شريك حياته الضَّال لهم تأثيرهم أيضًا. فالملاحظات التي تعكس تشاؤمًا أو لومًا، أو التي تَقترح حلولًا سطحيَّة، قد تُقال دون تفكير. ولكنَّها قد تبقى عالقة في الذِّهن أيَّامًا عديدة. كذلك، لا ينبغي قبول أيَّة نصيحة تُعَبِّر عن آراء الآخرين الشخصيَّة المستندة إلى حكمتهم البشريَّة فقط.[٤٦]

في ضوء ذلك، فإنَّ الأشخاص الذين يتألَّمون بسبب شريك الحياة الضَّال هُم في حاجة إلى أصدقاء يُحسنون الإصغاء، ويَهتمُّون حقًّا، ويمتلكون رهافة حِسٍّ تُجاه جميع حاجات الإنسان. وهُم في حاجة إلى أصدقاء يعرفون كلمة الله جيِّدًا ويَتَّكلون على روح الله. وهُم في حاجة إلى أصدقاء يَعرفون كيف يُصَلُّون. وهُم في حاجة إلى أصدقاء يرفعون معنويَّاتهم بطريقة لائقة ومُهَذَّبة، ويُشَجِّعونهم، ويُقدِّمون لهم المشورة الصَّحيحة دون تَكَبُّر. وهُم في حاجة إلى أصدقاء يُشيرون إلى أخطائهم دون إدانتهم.

وفي أوقاتٍ كثيرة، قد يكون ضلال أحد الشَّريكَيْن مصحوبًا بخيانة زوجيَّة. ولا شَكَّ أنَّ الألم في حالة كهذه يكون مُضاعَفًا. ولكنَّ العلاقة بين الابتعاد عن الله والخيانة الزوجيَّة واضحة تمامًا- ولا سِيَّما عندما نُفَكِّر في أنَّ كلا الأمرَيْن هو كَسْر للعهد. لذلك فإنَّ عدم الأمانة في أحد هذين الأمر يُفْضي بسهولة إلى عدم الأمانة في الأمر الآخر. (وهذا واضحٌ تمامًا مِن خلال ما جاء في سِفْر ملاخي ٢: ١١ والآيات التي تليها. فقد قال الله إنَّ روح الخيانة أو الغَدْر هو السَّبب الحقيقيُّ الكامن وراء كلٍّ من الطَّلاق والابتعاد عنه).

والحقيقة هي أنَّ هذا الكلام عن الخيانة ليس مُوَجَّهًا إلى الزَّوجَيْن بقدر ما هو مُوَجَّه إلى الجماعات. بعبارة أخرى، لا يمكن القول إنَّ كُلَّ زوجٍ يبتعد عن الربِّ سيخون زوجته. ولكن إذا نظرنا إلى الأمر بمنظور أشمل، يمكن القول إنَّه كُلَّما زاد فُتور الجماعة، زادت حالات الخيانة انتشارًا.

وعندما يكون ابتعاد شريك الحياة عن الله مصحوبًا بالخيانة الزوجيَّة، قد تصير المشكلات مُعقَّدة ومتشابكة. لذلك، قد تكون النَّصائح المُقَدَّمة للشخص المَعنِيِّ مُتضاربة. فمع أنَّ شرائع الزَّواج في العهد القديم تُبيح الطَّلاق، فإنَّها صارمة جدًّا في ما يَختصُّ بإخلاص الزَّوجين أحدهما للآخر. فقد كان النَّاموس يَحكم على الزَّاني أو الزَّانية بالرَّجم (اللَّاويِّين ٢٠: ١٠). وفي العهد الجديد، يَنهى يسوع عن الطَّلاق (إنجيل مرقس ١٠: ٨ و ٩). أمَّا مِن جهة الأشخاص الذين يرتكبون أعمالًا غير أخلاقيَّة، فإنَّ كلمة الله توصي بحرمانهم مِن الشَّركة مع المؤمنين في الكنيسة إلى أن يتوبوا (انظر ١كورنثوس ٥). وإذا تاب الخاطئ توبةً حقيقيَّةً واضحةً، يجب أن يكون هناك غُفرانٌ حقيقيٌّ، ومحبَّة حقيقيَّة، ومصالحة حقيقيَّة مع الكنيسة. «مِثْلُ هذَا يَكْفِيهِ هذَا القِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا بِالعَكْسِ تُسَامِحُونَهُ بِالحَرِيِّ وَتُعَزُّونَهُ، لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هذَا مِنَ الحُزْنِ المُفْرِطِ. لِذلِكَ أَطْلُبُ أَنْ تُمَكِّنُوا لَهُ المَحَبَّةَ» (٢كورنثوس ٢: ٦-٨).

لذلك، يجب على الأزواج المؤمنين الذين يَتعرَّضون للخيانة مِن شريك الحياة أن يمارسوا الغُفران وأن يَسعوا إلى المُصالحة بالرَّغم مِن صعوبة ذلك. وإذا أراد الشَّريك غير المؤمن أن يُفارق، فليُفارق (كما جاء في ١كورنثوس ٧: ١١-١٥). ولكن في حالة كهذه، لا يمكن للشَّريك المُخْلِص أن يتزوَّج ثانيةً.

ولا شَكَّ أنَّ المشكلة تَصير أكثر إيلامًا عندما يرغب الشَّريك الخائن في البقاء ويستمرُّ في ذات الوقت في خيانته. وفي موقفٍ كهذا، يرى أُناسٌ أنَّه يمكن للشَّريك المُخْلِص أن يَنفصل عن الشَّريك غير المؤمن شريطة عدم الزَّواج ثانيةً، أو يمكنه أن يَسعى إلى المُصالحة. ويقول آخرون إنَّه ينبغي للشَّريك المؤمن أن يَقبل أيَّ شيءٍ يقوم به الشَّريك غير المؤمن.

قصَّة مِن واقع الحياة

كان «بيل» و «سيندي» قد شَرَعا في إجراءات الطَّلاق عندما قَرَّر «بيل» التحدُّث إلى أحد خُدَّام الربِّ بخصوص مشكلاتهما الزوجيَّة. وبعد وقتٍ قصير، أقَرَّ «بيل» أنَّه إنسانٌ خاطئ، وآمن بيسوع المسيح وقَبِلَهُ رَبًّا ومُخَلِّصًا لحياته.

ومع أنَّه كان قد نشأ في بيتٍ مُتديِّن في طفولته، فإنَّه لم يتعلَّم شيئًا مِن تعاليم الكتاب المقدَّس. وهكذا صار خادم الربِّ هذا مصدر تشجيعٍ له ومصدرًا ملائمًا لتقديم النُّصح والمشورة. مِن جانبٍ آخر، كانت زوجة «بيل» على علاقة برَجُلٍ

آخر. وكانت قد رفعت دعوى على زوجها تُطالب فيها بالطَّلاق والحصول على حضانة الأولاد. وكان خِيار «بيل» الوحيد هو رفع دعوى مُضادَّة.

ولكِنَّ موقف «بيل» تَغَيَّر تغييرًا جذريًّا حين عَلِمَ أنَّ الطَّلاق غير جائز في نظر الله، وأنَّ المطالبة بالحقوق الشخصيَّة هي الطَّريقة التي يلتجئ إليها غير المؤمنين لحَلِّ مشكلاتهم الزوجيَّة، وأن الزواج مرَّة ثانية لم يكن خيارًا متوافقًا مع المبادئ الكتابيَّة، وأنَّ الله يريده أن يُرَكِّز على محبَّته لزوجته «سيندي» وعلى إعادة علاقتهما الزوجيَّة إلى سابق عهدها.

كان التقدُّم بطيئًا. وقد بدا أنَّ النَّمط القديم في العلاقة بين «بيل» وزوجته أسهل مِن دَرْب المحبَّة المُضَحِّية. وكانت خيانة «سيندي»، وعنادها، وكذبها، ومزاجها الحاد تَحَدِّيات تضع إيمان «بيل» الجديد على المِحَكِّ كُلَّ يوم. والأدهى مِن ذلك هو أنَّها لم تتجاوب بلُطف معه عندما حَدَّثَها عن حاجتها إلى الله.

ولكنَّ «بيل» صار مُقتنعًا تمامًا أنَّه أيًّا كانت تَصَرُّفات زوجته، فإنَّه اختار أن يُحِبَّها مدى الحياة. ولا شَكَّ أنَّه لم يكن بمقدوره أن يُرْغِمها على دخول ملكوت الله، ولا على أن تُحِبَّه، ولا على أن تتوقَّف عن مقابلة رجال آخرين. وكان «بيل» يَعلم- في الوقت نفسه- أنَّه ينبغي له القيام بدوره بالاتِّكال على نِعمة الله الغنيَّة. فجميع الحلول المطروحة (الاستمرار في المشاجرة، أو الطَّلاق، أو الزَّواج ثانيةً) لن تَحُلَّ مشكلاته ولا مشكلات «سيندي». فقد اختار الله له درب المحبَّة المُضَحِّية القائم على المحبَّة الحقيقيَّة، والصَّادقة، والمقدَّسة، والدَّائمة.

ومع أنَّ الأفكار التَّالية لا تُجيب عن جميع الأسئلة، فإنَّ هذا لا يَمنع مِن التَّفكير فيها وأخذها بعين الاعتبار في المواقف التي يرغب فيها شريك الحياة في الاحتفاظ بعلاقته الزوجيَّة والعلاقة المُحَرَّمة في الوقت نفسه. فالمحبَّة لا تَعني بالضَّرورة تنفيذ رغبات الشَّخص الآخر، بل تعني القيام بما هو صائب وصالح مِن منظور السَّماء. والسُّؤال الذي يَطرح نفسه هنا هو: هل الخيانة الزَّوجيَّة تَصُبُّ في مصلحة العائلة أو تُعَزِّز النَّزاهة بين الزَّوجين؟ الأمر المؤكَّد هو أنَّ شريعة الله في العهد القديم لم تَكُن تُبيح أمرًا كهذا. كذلك، ألم تَكُن علاقة الله بشعبه القديم تتحدَّث عن هذه النُّقطة تحديدًا؟ فعندما تاب بنو إسرائيل عن زِناهم وراء الأصنام

والأوثان، غَفَر الله لهم خطيئتهم ورَدَّهم إليه. ولكنَّه لم يَسمح يومًا بوجود مِثل تلك العلاقة الثُّلاثيَّة. فقد كان يوصي شعبه دائمًا بأن يكونوا أُمناء في محبَّتهم له لكي يَبقى حاضرًا في وسطهم، وإلَّا فقد كان يسحب حضوره من وسطهم. وأخيرًا، ألا يُظهِر ردُّ فعل الله تُجاه شعبه القديم ما هو الخيار الأفضل، وكيفيَّة التَّصرُّف (في حال وجود تلك العلاقة الثُّلاثيَّة) لِما فيه مَصلحة الشَّخص الضَّالِّ؟ وبالطبع، يجب على الشَّخص الذي يَعترض على الخيانة الزوجيَّة (ووجود العلاقة الثلاثيَّة) ويُحاربها أن يَفعل ذلك دون التخلِّي عن مبادئ التَّقوى، والمحبَّة، والأدوار التي عَيَّنها الله للزَّوج والزَّوجة. ولكن أيُّ محبَّةٍ هذه (بالمفهوم الكتابيِّ للكلمة) التي تَسمح للمؤمن بأن يكون طَرَفًا في شيءٍ يَعلم الجميع، بما في ذلك غير المؤمنين، أنَّه خاطئ؟

إنَّ التَّحَدِّيات التي تواجه المؤمن الذي يتعرَّض للخيانة مِن شريك حياته هي تحدِّيات يُمكن وصفها، على أقل تقدير، بأنَّها هائلة وشديدة القسوة. ولا يمكن لهذا الشَّخص أن يقدر أن يواجه هذه المِحنة إلَّا بفضل نِعمة الله وتعضيد المؤمنين الآخرين.

ولكي نَسمح لله بالعمل نيابةً عَنَّا، يجب علينا أن نكون أُمناء في القيام بكُلِّ ما يوصينا به، وأن نضع بين يديه كُلَّ ما هو له. فنحن قد نُعَطِّل المقاصد الإلهيَّة الأبديَّة عندما نَرفض أن نكون كما يريدنا الله أن نكون، أو عندما نتدخَّل في عمله.

لذلك، يجب على الزَّوجة التي تعيش مع زوجٍ غير مؤمن أن تكون زوجة تَقِيَّة قدر استطاعتها. فحياة التَّقوى التي تعيشها وشخصيَّتها الوديعة الخاضعة- بعيدًا عن أيِّ شهادة بالكلام- هي أقوى شهادة يمكن لله أن يستخدمها لتخليص زوجها غير المؤمن. «كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ البَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ، مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ» (١بطرس ٣: ١ و ٢).

كذلك، يجب على الزَّوج الذي يعيش مع زوجة غير مؤمنة أن يكون زوجًا تَقِيًّا قدر استطاعته. فالكتاب المقدَّس يوصي الأزواج أن يُحِبُّوا نساءهم. لذلك، يجب على الأزواج أن يتعلَّموا عن المحبَّة بمفهومها الكتابيِّ، وأن يُصَلُّوا كي يزدادوا فَهْمًا لكلمة الله، وأن يَفتحوا أبواب حياتهم إلى عمل الرُّوح القُدُس وتحريضاته وتشكيله لشخصيَّاتهم بشكلٍ يستطيعوا من خلاله أن يُظهروا محبَّتهم لزوجاتهم بطرائق عمليَّة. ولا شَكَّ أنَّ هذه المحبَّة هي عكس محبَّة الذَّات والحياة الأنانيَّة. فهي محبَّة مُضَحِّية، وطاهرة، وقويَّة، ومُلتزمة. «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ المَسِيحُ أَيْضًا الكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ المَاءِ بِالكَلِمَةِ» (أفسُس ٥: ٢٥ و ٢٦).

ولا ينبغي لأيِّ شخصٍ أن يَستخفَّ بالمشكلات التي يواجهها الأزواج الذين يعيشون مع شريكٍ ضالٍّ. وبالرَّغم مِن كُلِّ العقبات، فإنَّ النَّتائج الإيجابيَّة ليست مستحيلة. فالله قادر على جَعْل «كُلِّ الأشياء تَعمل معًا» لخيرنا الأبديِّ عندما نُكَرِّس حياتنا له. وكما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ قائد إحدى الكنائس في العهد الجديد «تيموثاوس» نشأ في بيت كان فيه الأب- على ما يبدو- غير مؤمن. وكانت المرأة التقيَّة «أبيجايل» متزوِّجة برجُلٍ ضالٍّ. وكانت زوجة النبيُّ هوشع قد اقترفت الزِّنى. لذا، يجب علينا أن نتذكَّر دائمًا أنَّ الله هو الوحيد الذي يَعلم ما يمكنه القيام به في الحاضر وفي المستقبل عندما نُلقي بأحمالنا ومشكلاتنا عليه.

إنقاذ الزَّواج

إنَّ الزَّواج لا ينهار بين ليلة وضُحاها. فالزَّواج المُحَطَّم يَنجم عن عوامل هَدَّامة مَضى على عملها وقتٌ ما. ولكن يمكن إنقاذ هذا الزَّواج في أيِّ مرحلة مِن مراحل انهياره إذا كانت هناك توبة حقيقيَّة. ولكن كما أنَّ الانهيار يحدث تدريجيًّا، فإنَّ عمليَّة الإنقاذ تتطلَّب وقتًا وخطوات عديدة. فالزِّيجات المُحَطَّمة لا تعود إلى حالتها السَّويَّة مِن تلقاء نفسها- حتَّى بالنِّسبة إلى الأشخاص التَّائبين.

وفي حال وجود مشكلات زوجيَّة صغيرة أو كبيرة، ينبغي أخذ المبادئ التَّالية بعين الاعتبار أثناء عمليَّة إنقاذ الزَّواج:

١. **يجب على كُلٍّ مِن الزَّوج والزَّوجة أن يلتزم بدوره الذي حَدَّده الله له.** وهذا يعني أنَّه ما دام هناك شريكٌ ضالٌّ، ستكون هناك مشكلات. وهذه المشكلات هي نقاط الضَّغط التي يستخدمها الله لتحفيز ودفع النَّاس إلى التَّوبة. كذلك، مِن أجل تطبيق هذا المبدأ في حَلِّ المشكلات الزوجيَّة، يجب على الزَّوج أن يُرَكِّز على القيام بدوره ومسؤوليَّاته بدلًا مِن التَّركيز على تقصير زوجته. والأمر نفسه يَصِحُّ على الزَّوجة. فتقصير الزَّوج يَضَع ضغوطًا إضافيَّة على زوجته، وتقصير الزَّوجة يَضَع ضغوطًا إضافيَّة على زوجها. لذلك، إذا قام الزَّوج بدوره ومسؤوليَّاته، وقامت الزَّوجة بدورها ومسؤوليَّاتها، فإنَّ كُلًّا منهما سيَجعل حياة الآخر أسهل. وإنَّه لَأمرٌ رائعٌ أن يَتَعَهَّد الزَّوج أمام زوجته بأن يُحِبَّها، ويُعيلها، ويكون قدوةً لها في حياة الإيمان والتشبُّه بالسيِّد المسيح. وبالمقابل، ما أجمل أن تتعهَّد الزَّوجة أمام زوجها بأن تَخضع له، وبأن تكون مُعينًا ومُشَجِّعًا له.

٢. **إنقاذ الزَّواج يتطلَّب ممارسة المحبَّة الكتابيَّة التي تتطَلَّب بدورها إنكار الذَّات.** فكما ذَكرنا آنفًا، فإنَّ المحبَّة الكتابيَّة تَعني أن يُكَرِّس كُلٌّ مِن الزَّوج والزَّوجة حياتَه لما فيه خَيْر الآخر. ولا شكَّ أنَّ الزَّواج مُفعمٌ بالمحبَّة العاطفيَّة أيضًا. ولكنَّ أناسًا كثيرين بالغوا في الإساءة إلى شريك الحياة حتَّى تلاشت كُلُّ تلك العواطف الجميلة ولم يَعُد لها وجود. ولا يمكن لشيءٍ سوى المحبَّة المُلتزمة أن يُنقذ الزَّواج وأن يَمنحه المَتانة المطلوبة. وهذه المحبَّة هي عكس الأنانيَّة. فالشَّريك الأنانيُّ يُرَكِّز على آلامه، ومشاعره، وحقوقه، ورغباته الشخصيَّة. وهو يَرفض الاستمرار في حال عدم تنفيذ رغباته. أمَّا الشَّريك المُحِبُّ فإنَّه لا يتجاهل مشاعره، ولكنَّه يُراعي كثيرًا مصلحة شريك الحياة، ويرفض أيَّ تفكيرٍ أنانيٍّ ومشاعر أنانيَّة تقف حجر عثرة في طريق القيام بكُلِّ ما هو صائب، وبكُلِّ ما يَصُبُّ في مصلحة الشَّريك الآخر.

٣. **إنقاذ الزَّواج يتطلَّب تواصلًا سليمًا وفعَّالًا.** فيجب على الزَّوجين أن يتكلَّما وأن يُصغيا بعناية لكي يَفهم كُلٌّ منهما مشاعر الآخر وحاجاته ومشكلاته، ولكي يتمكَّنا مِن اتِّخاذ الخطوات اللَّازمة لسَدِّ تلك الحاجات وحَلِّ تلك المشكلات. أمَّا الأساليب المسمومة (كتوجيه الاتِّهامات جُزافًا، أو التَّقليل مِن شأن الآخر، أو الازدراء بالآخر، أو الصُّراخ على الآخر، أو العبوس في وجه الآخر) فينبغي تركها. ولا شَكَّ أنَّ معالجة الأمور باستخدام الأساليب التي يَتَّبعها غير المؤمنين لا تَحلّ المشكلة، بل تُسهم في تفاقُمها. في ضوء ذلك، قد يتطلَّب الأمر أحيانًا طلب المساعدة مِن أحد خُدَّام الربِّ أو المُشيرين مِن أجل الحفاظ على فاعليَّة التَّواصل بين الزَّوجين.

٤. **يجب على كُلٍّ مِن الزَّوج والزَّوجة أن يُبرهن على نزاهته وأن يُحافظ عليها.** فالزَّواج هو علاقة حميمة. والعلاقة الحميمة تتطلَّب ثقةً. أمَّا الكذب- بجميع أشكاله وصُوره- فإنَّه يُضعف الثِّقة المطلوبة لهذه العلاقة الحميمة. ومع أنَّ خطايا الماضي ومشاعر الحاضر قد تكون قبيحة، فإنَّه لا يجوز إنكارها أو تجاهلها إذا عَقَد الزَّوجان العَزْم على إعادة ترسيخ الثِّقة بينهما. لذلك، يجب على الزَّوج والزَّوجة أن يَعرفا الأرضيَّة التي يقف عليها الآخر لكي يتمكَّنا مِن تأسيس حياتهما الزوجيَّة على الصِّدق والصَّراحة والانفتاح. ومع أنَّ الصَّراحة قد تكون مؤلمة أحيانًا، فإنَّ ألَمها لا يُقارن بالألم الذي يشعر به المرء عندما يكتشف أنَّه كان مخدوعًا. ولمَّا كان الصِّدق مطلوبًا وضروريًّا في كُلِّ شيء، فإنَّ صِدق الزَّوجين في الاعتراف بالخطيَّة مطلوبٌ وضروريٌّ أيضًا. فالصِّدق بين الزَّوجين هو القاعدة المتينة لبناء الثِّقة بينهما.

٥. **إنقاذ الزَّواج يتطلَّب ممارسة الغُفران.** ولا شَكَّ أنَّ الغُفران صعب جدًّا في حالة الخيانة الزوجيَّة. وقد يَظُنُّ المرء أنَّه قد غفر لشريكه، ولكنَّه قد يكتشف بعد وقتٍ قصيرٍ أنَّ مشاعر الاستياء والغضب طَفَت على السَّطح مِن جديد. لذلك فإنَّ الغُفران في حالاتٍ كهذه يتطلَّب انكسارًا ومحبَّةً إلهيَّة. وينبغي للمؤمن ألَّا يُفَكِّر في أيِّ خيارٍ بديلٍ عن الغُفران لأنَّ غُفراننا للآخرين هو الذي يُعطينا اليقين بأنَّ الله سيَغفر لنا خطايانا (انظر إنجيل مَتَّى ٦: ١٤ و ١٥). والغُفران لا يَتِمُّ مِن خلال إنكار الإساءة، بل مِن خلال الإقرار بها كاملةً. وعندما نَغفر للآخرين فإنَّنا نتحرَّر ونتمكَّن مِن التَّركيز- بإيمان- على حكمة الله وقدرته على جَعل كُلِّ الأشياء تَعمل معًا لخيرنا الأبديِّ.

٦. **إنقاذ الزَّواج المُحَطَّم يجب أن يَتِمَّ بطريقة تُكرم كلمة الله.** والكتاب المقدَّس يحوي آيات كثيرة عن العلاقات عامَّةً، وعن العلاقة الزوجيَّة خاصَّةً. ويجب علينا أن نَعلم أنَّ طرائق الله هي الوحيدة التي تَحظى ببركته. لذلك، يجب أن تكون النَّصائح المُقَدَّمة لحَلِّ المشكلات الزوجيَّة قائمة على الحَقِّ الإلهيِّ. وفي الوقت نفسه، يجب رفض كُلِّ حكمة بشريَّة- أيًّا كانت جاذبيَّتها- إذا كانت تُناقض كلمة الله. وفي هذا الصَّدد، يجب علينا أن نَقتدي بناظم المزمور إذ قال: «لأَجْلِ ذَلِكَ حَسِبْتُ كُلَّ وَصاياكَ فِي كُلِّ شَيءٍ مُستقيمَةً. كُلَّ طَريقِ كَذِبٍ أبْغَضْتُ» (المزمور ١١٩: ١٢٨).

٧. **إنقاذ الزَّواج يتطلَّب فهمًا لحاجات شريك الحياة، واتِّخاذ الخطوات اللَّازمة لِسَدِّ هذه الحاجات.** فالكثير مِن الزِّيجات في وقتنا الحاضر تُعاني بسبب عدم فهم الأزواج حاجات زوجاتهم، وعدم فهم الزَّوجات حاجات أزواجهنَّ. وقد ناقشنا مجموعةً مِن هذه الحاجات في الفصل الخامس. وعلاوة على الحاجات العامَّة، فإنَّ لكُلِّ شخصٍ حاجاته الخاصَّة به. والحقيقة هي أنَّ العلاقة بين الزَّوج والزَّوجة تزداد قوَّةً ومتانةً حين يتمكَّن كُلٌّ منهما مِن فهم حاجات الآخر وتلبيتها.

وفي ضوء كُلِّ الأشياء الخاطئة التي قد تحدث في الزَّواج، قد تكون الحياة الزوجيَّة مُحبِطَة. وقد كانت الغاية مِن هذا الفصل هي التَّأكيد على أهميَّة السُّلوك في طرق الله في بناء الحياة العائليَّة. فلا يوجد بديل عن معرفة كلمة الله والسُّلوك فيها بالإيمان. ولا شَكَّ أنَّ تَفَسُّخ العائلات في مجتمعاتنا وتفاقم المشكلات المؤلمة فيها هي صرخة مُدَوِّية لتحذيرنا مِن عواقب عصيان الله. لذلك، فقد حان الوقت لكي يقوم الآباء والأمَّهات بمهامهم ومسؤوليَّاتهم التي

أوكلها الله إليهم دون أن يشعروا بالحاجة إلى الاعتذار مِن هذا العالم الضالِّ البعيد عن الله. وتأتي مُهِمَّة تربية الأبناء في طريق الربِّ في رأس لائحة المهامِّ والمسؤوليَّات.

الخُلاصة

إنَّ السَّبب الأساسيَّ في انهيار البيت هو ضَلال الإنسان- أيْ ابتعاده عن وصايا الربِّ وسلوكه في الطَّريق الذي اختاره لنفسه. والنَّتيجة الحَتميَّة لذلك هي الألم. فالأبناء المتمرِّدون يَجلبون الألم إلى حياة أبوَيْهم. والأبوان الضالَّان يجلبان الألم إلى حياة أبنائهما. والأزواج الضَّالُّون يَجلبون الألم إلى حياة زوجاتهم. والزَّوجات الضَّالَّات يَجلبن الألم إلى حياة أزواجهنَّ. والخطوة الأولى لمعالجة هذه المشكلة هي التَّوبة- أي العودة إلى طريق الله. فالغاية مِن هذا الفصل هي ليست إنجاح طرائق الإنسان لأنَّها بعيدة كُلَّ البعد عن النَّجاح. بل إنَّ هذا الفصل هو دعوة إلى تمييز الضَّلال ومعالجته بنزاهة. وما أكثر العلاجات السَّطحيَّة التي تُخفي الأعراض فقط! فهي تُعالج الألم، ولكنَّها لا تُعالج المشكلة الرَّئيسيَّة ألا وهي الخطيَّة. ولا شَكَّ أنَّنا لا نتجاهل وجود الألم في حياة النَّاس في وقتنا الحاضر. ولكن يجب علينا أن نُدرك- في الوقت نفسه- أنَّه ما لم يتعامل الإنسان الخاطئ مع خطيئته، فإنَّ الألم سيدوم ويدوم. وعندما يُبدي النَّاس استعدادًا لإطاعة الله، وإكرام الأبوَيْن، وتربية الأبناء، والعيش بقداسة، سيكون البيت مكانًا مُفعمًا بالأمان والمحبَّة، وملاذًا آمنًا لأبنائنا، ومعيارًا للقداسة في مجتمعاتنا.

لِنُفَكِّر معًا

١. اذكر بعض الأسباب التي تَجعل الأبناء يتركون حياة الإيمان؟ ما الأسباب الأقوى مِن وجهة نظرك؟

٢. كيف يؤثِّر عدم احترام الوالِدَيْن للسُّلطة (أيًّا كان نوعها) على أبنائهم؟ ما الأساليب الشَّائعة التي قد يُظْهِر الآباء والأمَّهات مِن خلالها عدم احترام السُّلطة؟

٣. ما بعض الأشكال الحاليَّة لمحبَّة العالم (والتي قد يجدها الأبناء جَذَّابة أكثر مِن غيرها)؟ كيف يمكن للأبوَيْن أن يَتكيَّفا مع هذه التوجُّهات بأفضل طريقة ممكنة؟

٤. ما الأشياء التي ينبغي للأبوَيْن تَجَنُّبها أثناء تعاملهم مع ابنهم المتمرِّد؟ هل ترغب في إضافة أيِّ نُقطة أخرى إلى اللَّائحة المذكورة في هذا الفصل؟

٥. كيف يمكن للأبناء المؤمنين أن يقعوا في فَخِّ تجاهُل وصايا الأبوَيْن غير المؤمِنَيْن؟ كيف يمكن للمؤمنين الآخرين أن يُحَرِّضوا الأبناء المؤمنين- دون قَصْد- على عدم احترام الأبوَيْن غير المؤمِنَيْن؟

٦. صِفْ حاجة المرء إلى الصَّداقة في حال زواجه مِن شخصٍ بعيدٍ عن الله.

٧. كيف يمكن للمؤمن المتزوِّج مِن شريكٍ بعيدٍ عن الله أن يَستخدم الحُبَّ كوسيلة ضغط؟ ما سبب إخفاق هذا الأسلوب؟

٨. لنفترض أنَّ امرأةً (أو رَجُلًا) طلبت مشورتك أو نصيحتك بخصوص ما تَتَعَرَّض له مِن استغلالٍ على يَدِ طَليقها (مِثل عدم التقيُّد بشروط زيارة الأبناء، أو استغلالها مادِّيًّا، أو مضايقتها بطلباته الكثيرة حول الوقت المسموح به له، أو غير ذلك). ما المشورة الكتابيَّة التي يمكنك أن تُقَدِّمها لها؟

٩. ما البَرَكات التي قد يحصل عليها الزَّوجان حين يُرَكِّز كُلٌّ منهما على مسؤوليَّته في إنقاذ زواجهما؟ وما العواقب التي قد تَنجم عن عدم تَقَيُّد الزَّوجين بهذا المبدأ؟

١٠. ما حاجات الزَّوجة التي قد يتجاهلها الزَّوج عادةً؟ وما الوسائل العمليَّة التي يمكن للزَّوج اتِّباعها لتلبية هذه الحاجات؟ وماذا عن حاجات الزَّوج ووسائل تلبيتها؟

لِنَعمل معًا

١. قَيِّموا- كعائلة- بيتكم وحياتكم العائليَّة. هل تلاحظون وجود أيِّ عوامل قد تُفْضي إلى وجود أبناءٍ مُتمرِّدين؟ إذا وجدتم عوامل كهذه، ما الذي يمكنكم القيام به لمعالجة المشكلة قبل استفحالها؟

٢. تأمَّل في مبادئ الصَّلاة لأجل غير المؤمنين. هل تشعر بالحاجة إلى مزيدٍ مِن الشَّرح والإيضاح لفهم أيِّ مبدأ مِن هذه المبادئ؟ هل هناك مبادئ أخرى ترغب في إضافتها؟

٣. هل تعرفون- كعائلة- أيَّ أبناء يعيشون مع آباء غير مؤمنين، أو أيَّ أزواج يعيشون مع شركاء غير مؤمنين؟ هل يمكنك التعهُّد بالصَّلاة لأجل أحدهم على وجه الخصوص؟ هل يمكنك التَّفكير في طرق لتكوين صداقات مع هؤلاء الأشخاص؟

٤. تَعاونا معًا- كزوج وزوجة- على تقييم فاعليَّة التَّواصُل بينكما. اطلب مِن شريك حياتك أن يُعَبِّر عن مدى رضاه عن فاعليَّتك في سَدِّ حاجاته. كيف يمكنكما تعميق علاقتكما؟

الملاحظات

1. Joan Lloyd Guest, Forgiving Your Parents (الغُفران للوالِدَيْن) (Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 1988), p. 6.
2. Guest, (الغُفران للوالِدَيْن), p. 19.
3. David Elkind, "Helping the Hurried Child" (مُساعدة الطِّفل العَجول) excerpted from The Hurried Child (Menlo Park, California: Addison-Wesley Publishing Company, 1981), p. 2.

   من المؤكَّد أنَّ الضَّغط الذي يُمارس على الأطفال كي ينموا سريعًا هو أكبر مِن الضُّغط الذي يُمارس عليهم لممارسة الشرِّ. وهذا هو ما ناقشناه في هذا الفصل. فعلى سبيل المثال، فإنَّ الضَّغط في التَّعليم يَظهر مِن خلال تعليم الطَّلبة أكبر قدر ممكن مِن المعلومات في أبكر وقت ممكن مِن حياتهم. كذلك، فإنَّ الضَّغط على الأطفال في مجال الألعاب الرِّياضيَّة يُرغمهم على دفع أنفسهم إلى أقصى حدود الأداء البدنيِّ - بل إلى حَدٍّ قد ينهارون فيه.
4. Stephen Olford and Frank Lawes, The Sanctity of Sex (قُدسيَّة الجنس) (LaGrange, Indiana: Pathway Publishing Co., 1963), p. 14.

٥. صموئيل يودر، «المُساءلة ومعموديَّة المؤمن» (Accountability and Believer's Baptism) (مقتبسة عن عِظَة بتاريخ ١ آذار مارس، ٣٨٩١). تَمَّ الاقتباس بعد الحصول على الموافقة اللَّازمة.

٦. يتوفَّر كتاب تدريبيّ خاصّ بعنوان «مشيئة الله لجسدي» (God's Will for My Body) من منشورات (Christian Light Publications). يمكن للآباء والأمَّهات أن يستخدموا هذا الكتاب لتعليم الأبناء عن نموِّهم الجنسيِّ. إنَّ كلَّ درس في هذا الكتاب يتمحور حول آية كتابيَّة لمساعدة الأهل والأطفال على مناقشة التَّغييرات الجسديَّة نقاشًا صريحًا ومُحافظًا في الوقت نفسه.

٧. قام «جون كوبلنتز» (John Coblentz) بإعداد كُرَّاسة عمل بعنوان "Looking at Myself Before Loving Someone Else" («النَّظر إلى نفسي قبل أن أُحِبَّ أيّ شخصٍ آخر»)، بهدف مساعدة الآباء والأمَّهات تحديدًا على التَّواصل مع أبنائهم المراهقين قبل البدء في التَّعارُف.

8. Ervin Hershberger, Christian Courtship (التَّعارُف المسيحيّ) (Meyersdale, Pennsylvania: printed by Edgewood Press, 1984), p. 28.
9. Hershberger, (التَّعارُف المَسيحيّ) ,p. 29.
10. Evelyn Mumaw, Woman Alone (المرأة العزباء) (Scottdale, Pennsylvania: Herald Press, 1970), p. 12.

١١. إنَّ أغلبيَّة ما هو مذكور في هذا الفصل يَصِحُّ على الذُّكور والإناث على حَدٍّ سواء. ولكي نتجنَّب الاستمرار في استخدام الكلمة «أعزب» و «عزباء»، سنكتفي باستخدام الكلمة «أعزب». وإذا كان النَّصُّ لا ينطبق إلَّا على الرَّجُل الأعزب، أو على المرأة العزباء، فإنَّ السِّياق كَفيلٌ بتوضيح ذلك.

١٢. «موماو»، ص ١٣.

١٣. النِّقاط الثَّلاث الأولى في هذه اللَّائحة مُقتبسة بتصرُّف عن لائحة «إيفيلين موماو»، الصَّفحات ١٤ وما يليها

١٤. «موماو»، ص ١٧.

١٥. «موماو»، ص ٥٤.

16. J. H. Horsburgh, “Here Am I - Serve Me,” (أنا هنا- اخدمني) Christian Focus, (Birmingham, Alabama: Gospel Publishing Association, May, 1987), p. 8.

١٧. على سبيل المثال، يناقش «غاري سمالي» (Gary Smalley) هذه الاختلافات في كتابه: «لو كان يَدري» (If Only He Knew)، مِن منشورات: Grand Rapids, Michigan: Zondervan، ١٩٨٨. وهو يقول إنَّ أحد الأسباب الرَّئيسيَّة لفشل الزِّيجات في وقتنا الحاضر هو أنَّ النَّاس لا يفهمون الاختلافات بين الذُّكور والإناث (انظر الصَّفحات ٣١ وما يليها).

18. “Why Money is the leading cause of divorce” (ما الذي يَجعل المال سببًا رئيسيًّا في الطَّلاق). Jet. FindArticles.com. 18 Jul, 2012.

١٩. حين ينعدم التَّواصل، فإنَّ التَّعبير عن المحبَّة يكون ضحلًا وتافهًا. يمكن الحصول على مزيد مِن المعلومات المفيدة عن العلاقة الحميمة السَّليمة في الفصلين الخامس والسَّادس من الكتاب التدريبيّ: “God’s Will for Love in Marriage” («مشيئة الله المُختصَّة بالمحبَّة بين الزَّوجين»). هذا الدَّليل الدِّراسيّ، الذي ننصح المُقدِمين على الزَّواج والمتزوِّجين بقراءته، متوفِّر على العنوان التَّالي:
Christian Light Publications, Inc., Harrisonburg, Virginia, 22802.

٢٠. إنَّ الطَّلاق الذي نتحدَّث عنه هنا هو فسخ الزَّواج الشَّرعيِّ. ولكن هناك علاقات أخرى كانت تسمح بها الثَّقافات المختلفة في الماضي، أو تسمح بها الآن بالرَّغم من «عدم شرعيَّتها» (لأنَّها تُخالف معايير الله البارَّ)؛ وهي علاقات ينبغي فسخها. ومِن الأمثلة على ذلك: سِفاح القُربى، والشُّذوذ الجنسيُّ، والزِّنى.

٢١. «نُدوب الطَّلاق» (Scars of Divorce)، الكاتبة: مجهولة. الصفحات ١ و٣ و٦. مِن منشورات:
Gospel Tract Society, Inc., Independence, Missouri.

٢٢. «الانعتاق مِن الزِّنى» (Out of Adultery)، الكاتبة: مجهولة. الصفحتان ١١ و١٢. نُشرت في:
Herald of His Coming, Los Angeles, California, September 1982.

٢٣. هناك جدل كبير ينشأ بسبب القلوب المتحجِّرة التي لا تمانع الطَّلاق والزَّواج ثانيةً. لمزيد مِن الآيات الكتابيَّة بخصوص هذا الموضوع، انظر الكتاب التَّالي: ما يقوله الكتاب المقدَّس عن الزَّواج، والطَّلاق، والزَّواج ثانيةً (What the Bible Says About Marriage, Divorce, and Remarriage by John Coblentz, Christian Light Publications, Harrisonburg, Virginia 22802).

٢٤. مكتب الإحصاءات السُّكَّانيَّة في الولايات المتَّحدة لسنة ٢٠٠٦.

٢٥. نادرًا ما يكون هناك حَلٌّ سهل لمسألة انفصال الشَّخصين المرتبِطَيْن بعلاقة مُحَرَّمة، ولا سيَّما عندما يكونان قد أنجبا أبناءً. ولكنَّهما قد يعثران على الحَلِّ عندما يَتعهَّدان بالرُّجوع إلى وصايا الله. وفي حالٍ كهذه، يجب تطبيق مبدأين: الأوَّل، يجب علينا إطاعة مبدأ البِرِّ والقداسة؛ أي أن نقطع تلك العلاقة المُحَرَّمة. ثانيًا، يجب علينا إطاعة مبدأ المسؤوليَّة؛ أي أن نُعنى -قدر استطاعتنا- بتربية أبنائنا في تقوى الربِّ. والحقيقة هي أنَّ هذين المبدأين مُهمَّان لا لِحَلِّ المشكلات النَّاجمة عن العلاقات المُحَرَّمة فحسب، بل ينبغي التقيُّد بها في العلاقات الزوجيَّة السَّابقة والأبناء الذين تَمَّ إنجابهم مِن علاقات زوجيَّة سابقة.

٢٦. إنَّ الأشخاص الذين يُعارضون انفصال الشَّخصين اللَّذين تربطهما علاقة زنى مِن أجل السُّلوك في حياة البِرِّ والقداسة، هُم أنفسهم الأشخاص الذين يُبَرِّرون الطَّلاق لأسباب شخصيَّة. وقد أكَّد أحدهم هذا الأمر فقال إنَّه تَلَقَّى معارضة شديدة من أعضاء كنيسته عندما اختار أن يترك حياة الزِّنى التي كان يعيشها، ولكنَّ المجموعة نفسها أبدت «تَفَهُّمًا» تُجاه الأشخاص الذين اختاروا الطَّلاق والزَّواج ثانيةً لأسبابٍ شخصيَّة.

٢٧. إحصائيَّات الإجهاض في الولايات المتَّحدة (من سنة ١٩٧٣ إلى الآن). اللَّجنة الوطنيَّة للحقِّ في الحياة، ٢٠١٢

٢٨. حسب ما جاء في الكتاب التَّالي: (الزَّوجان المسيحيَّان) Larry and Nordis Christenson in The Christian Couple (Minneapolis, Minnesota: Bethany House Publishers, 1977), p. 101.

٢٩. فقد عَلَّقت «نورديس كرستينسن «Nordis Christenson» -مِن وجهة نظرها كامرأة- على تأثير وسائل منع الحمل على العلاقة الحميمة بين الزَّوجين فقالت: «لن أعود لاستعمال وسائل منع الحمل ثانيةً - حتَّى لو كان البديل هو أن أنجب واحدًا وعشرين طفلًا» (الكتاب السَّابق، ص ٤٧).

٣٠. لمزيد مِن النُّصح والإرشاد في هذا الموضوع، انظر الفصلين الخامس والسَّادس مِن كتاب "God's Will for Love and Marriage" (مشيئة الله في ما يَختصُّ بالحُبِّ والزَّواج). هذا الكتاب متوفِّر لدى (Christian Light Publications, Inc.). يُنصح بهذه الدِّراسة للخُطَّاب والمتزوِّجين.

٣١. حسب ما جاء في: "Training Light, Unit 4" (نُور التَّأديب، الوحدة ٤)، مِن منشورات "Christian Light Publications, Inc." لسنة ١٩٨٠، الصَّفحتان ٥ و ٦.

٣٢. في الكتاب الذي يحمل العنوان: «ما الذي يقوله الكتاب المقدَّس عن تربية الطِّفل» (What the Bible Says About Child Training)، يَصِف الكاتب «ج. ريتشارد فوغات» (J. Richard Fugate) العصا بأنَّها «عصا رفيعة تُستخدم بسُلطة الأهل لتأديب الطِّفل المتمرِّد». (Garland Texas: Aletheia Publishers, Inc., 1980)، ص ١١٤. ونضيف إلى ذلك أنَّ الله أعطانا أغصانًا ليِّنة على الشَّجر. وهناك أغصان تلسع الطِّفل دون أن تؤذيه. ويُعارض السيِّد «فوغات» وكُتَّاب مسيحيُّون آخرون استخدام اليد للصَّفع بسبب العلاقة النفسيَّة بين اليد التي تضرب الطِّفل واليد التي تحتضنه. وهذه نُقطة مثيرة للجدل. فمع أنَّ الكتاب المقدَّس يشير إلى العَصا دائمًا، وليس إلى اليد، كوسيلة لتأديب الأطفال، فإنَّه يُشير إلى «يد» التأديب الإلهيَّة (انظر مثلًا سفر التَّثنية ١٥:٢). علاوة على ذلك فإنَّ الأذى النفسيَّ الذي قد يلحق بالطِّفل ينجم عن الحالة العاطفيَّة للأبوَيْن أكثر ممَّا هو بسبب الأداة المستخدمة في التَّأديب. ولكن إذا كان الأب (أو الأُمُّ) يَصفع طفله أو يضربه وهو في سَوْرة غضب، يجب عليه الالتزام باستخدام العصا لا اليد. فحين يذهب لإحضار العصا، قد يَمنحه ذلك بعض الوقت للتحكُّم في غضبه.

٣٣. هناك خلاف أحيانًا على أهميَّة المعانقة. ولكنَّ الدِّراسات تُشير إلى أنَّه عندما يتمُّ إبعاد الأطفال الذين لم يتجاوز عمرهم ستَّة أشهر إلى سنة عن أمَّهاتهم، فأنَّهم يعانون ما أسماه أحد الباحثين بالاكتئاب النَّاشئ عن الحِرمان. أمَّا أعراض هذا الاكتئاب فتشمل الحزن، وفقدان الوزن، وكثرة المرض. وقد قَدَّم باحث آخر براهين تُبَيِّن أنَّ نوعيَّة المشاعر التي تُظهرها الأم عند احتضان طفلها واهتمامها به تؤثِّر في احتماليَّة إصابته بالاضطرابات النفسيَّة في وقتٍ لاحقٍ مِن حياته.

34. William Lee Wilbanks, "The New Obscenity," (السَّفاهة الجديدة) Reader's Digest, December, 1988, p. 24.

35. Karl Zinsmeister, "Hard Truths About Day Care," (حقائق مُرَّة عن مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة) Reader's Digest, October 1988, p. 90.

36. Zinsmeister, p. 91.

٣٧. هذه الإحصائيَّات تَخُصُّ تَبَنِّي الأطفال الأصِحَّاء في العقد التَّاسع مِن القرن العشرين. أمَّا الأطفال الذين لديهم إعاقات، فإنَّ تَبَنِّيهم أكثر سهولة ولا يتطلَّب انتظارًا طويلًا.

٣٨. يقول «دوغلاس ر. دونيللي» في نشرةٍ له بعنوان «دليل التَّبَنِّي» (A Guide to Adoption) إنَّ الموافقة على التَّبَنِّي تتطلَّب دراسةً لوضع البيت. وهذه الدِّراسة تنظر عادةً إلى أربعة عوامل: السِّجل العَدليّ (هل هناك أحكام قضائيَّة صادرة بحقِّ أحد الزوجَيْن)، والحالة الزَّوجيَّة، ومُعَدَّل الدَّخل، والحالة الصِحِّيَّة. انظر:
Pomona, California: Focus on the Family, 1988, p. 6.

٣٩. دونيللي Donnelly، ص ٣.

٤٠. «لاري باركر» (Larry Parker)، «لقد تَرَكنا ابننا يَموت» (We Let Our Son Die)، مِن منشورات: (Irvine, California: Harvest House Publishers, 1980)، ص ١٦٠ و ١٦١. يَصِف «لاري باركر» -بصراحة فريدة- العوامل التي قادته هو وزوجته إلى استخلاص افتراضات خاطئة مِن وعود الله. وهو يناقش أيضًا العواقب المؤلِمة التي احتملاها نتيجة ذلك قبل أن يُمَيِّزا الفرق بين الافتراضات الخاطئة والإيمان الكتابيِّ.

41. Barbara Deane, Caring for Your Aging Parents (رعاية أبوَيْك المُسِنَّيْن) (Colorado Springs, Colorado: NavPress, 1989), pp. 49, ff.

42. Deane, (رعاية أبوَيْك المُسِنَّيْن), pp. 68,69.

43. Albert Rosenfeld, The Second Genesis: The Coming Control of Life (سِفْر التَّكوين الثَّاني: السَّيطرة القادمة على الحياة) (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1969), p. 3.

٤٤. لقراءة المزيد عن حال الموسيقا في وقتنا الرَّاهن والمبادئ الكتابيَّة التي يمكننا الاسترشاد بها، انظر:
Music in Biblical Perspective (الموسيقا مِن منظور الكتاب المقدَّس), by John Coblentz, published By Christian Light Publications, Inc., 1986.

45. Wilson Grant, Taking Time Out to Be Dad (كيف تُخَصِّص وقتًا لتكون أبًا) (Arcadia, California: Focus on the Family, Inc., 1986), p. 3.

٤٦. تَصِف «إليزابيث لاب» (Elizabeth Lapp) هذه المشكلة في الصَّفحات ٢٣ وما يليها مِن كتابٍ لها بعنوان "Journal of Tears" والذي يمكن ترجمته «مُذَكِّرات امرأة غارقة في الدُّموع» (مِن منشورات: Christian Light Publications لسنة ١٩٨٤). وهي تقول: «كَرَدٌّ فعلٍ على سلوكيَّات زوجي، كان هناك أشخاص يقولون بثقة إنَّ الحُبَّ هو الحَلُّ. وقد كانت نصيحتهم لي هي أن أُبقي باب المصالحة مفتوحًا وأن لا أغلقه البَتَّة. ... ولكنَّ آخرين كانوا واثقين أيضًا أنِّي لست مُضطرَّة لاحتمال هذا الوضع. لذا فقد كانت نصيحتهم لي هي أن أضعه أمام خيارين لا ثالث لهما: إمَّا أن يُصلِح حالَهُ أو أن يتحمَّل العواقب ويجد ما لا يُسِرُّهُ». والحقيقة هي أنَّ كلتا النَّصيحتين صَدَرت عن أناس مؤمنين». ولكي تَحمي «إليزابيث» نفسها مِن المشورة الخاطئة، ابتدأت في استخدام خمس معايير لفحص كُلِّ مشورة: كلمة الله، والسُّلطان المُعطى للشَّخص صاحب المشورة، والظُّروف المحيطة، والمنطق السَّليم، وما يقوله لها الرُّوح القُدُس السَّاكن فيها.